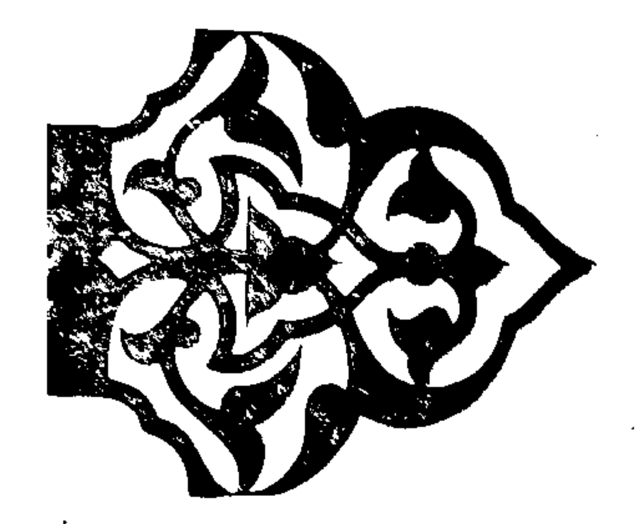
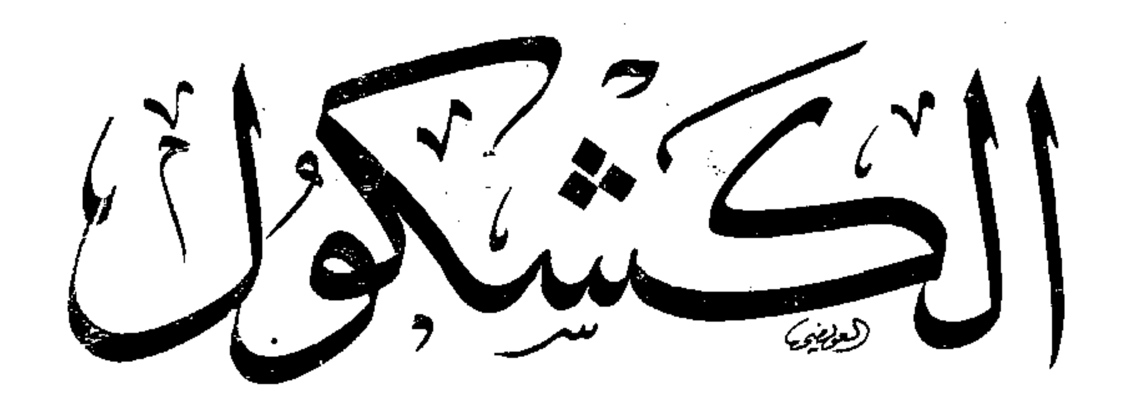


الذخائر ٣٣

الجزء الأول



الكشكول

لبهاء الدين العاملي

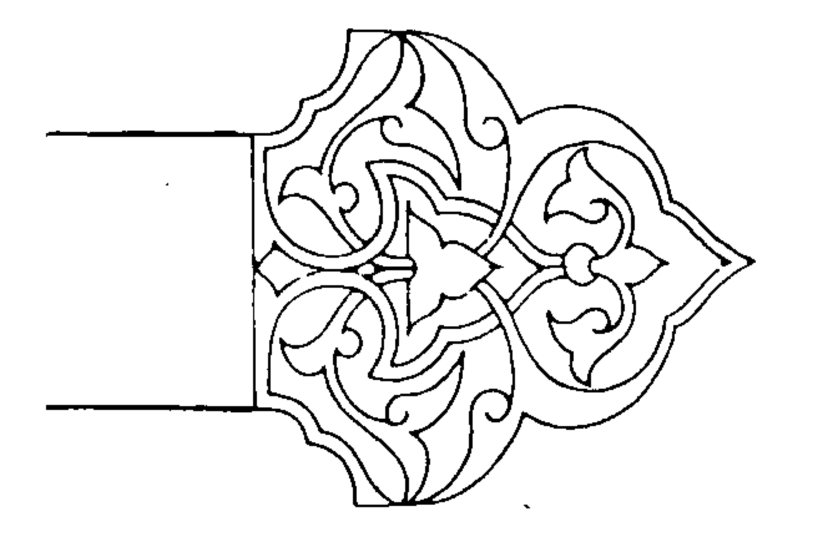
٩٥٣ - ١٠٣١

تحقيق : الطاهر أحمد الزاوي

١٩٩٨



الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for
CULTURE CENTERS



الذخائر ٣٣

الجزء الأول

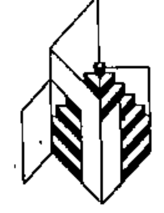
الكشكول

لبهاء الدين العاملي

٩٥٣ - ١٠٣١

تحقيق: الطاهر أحمد الزاوى

١٩٩٨



الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for CULTURE CENTERS

الذخائر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

جمال الغيطانى

مدير التحرير

خيرى عبد الجواد

الإخراج الفنى

حامد العويضى

المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالى ، ١٦ أ شارع أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى ١٢٥٦١

الإهـــــداء

إلى قراء الأدب العربى

أهدى كتاب الكشكول فى ثوبه الجديد ؟

طاهر الزاوى

فهرس الفهرس

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكشكول ، للأستاذ بهاء الدين العاملى من أحسن الكتب المؤلفة فى الأدب، وهو نسيج وحده ، وفريد نوعه ، جمع من فنون الأدب ، ورقائق الشعر ما لم يجمعه غيره من الكتب .

وهو الثانى من نوعه من مؤلفات الأستاذ العاملى . أما الكتاب الأول فهو « المِخْلاة » وهو على نمط الكشكول فى جمع المتفرقات. وقد ألف الكشكول فى مصر .

ومما يلفت النظر أن الأستاذ العاملى قال فى مقدمته للكشكول : إنه لم يذكر فيه شيئا مما ذكره فى المخلاة . وهذه مقدرة للعاملى لا شك أنها تدل على تبحره فى العلوم ، وسعة اطلاعه على دقيق مسائلها . وذهنٍ صاف استطاع به أن يجمع من مختلف المسائل ما يرقق القلوب ، ويشنّف الأسماع ، ويهذّب النفوس .

وكلمة كشكول كلمة فارسية تطلق على ما يسمى عندنا بالعربية « الحقيبة » التى يستعملها المسافر فى أسفاره ، والصوفى فى سياحته ، ليضع فيها ما يلزمه من حوائجه المختلفة .

وقد وضعها الأستاذ العاملى عنوانا على كتابه الذى جمع فيه من شتى الفنون ، واختار له من أمتع البحوث العلمية ، وأغرب المسائل التى لا تنتمى إلى فن بعينه ، ولا إلى أسرة علمية واحدة ، فكان جديراً بهذه التسمية لما بينهما من المشابهة فى الدلالة على جمع أشياء متفرقة .

ولقد أحسن الأستاذ العاملى صنعاً فيما اختاره من مواضيع ، تجد فيها النفوسُ المشتاقة إلى التنقل فى ربوع العلم ما يكفى رغبتها ويوفر لها متعة الروح .

فهو يختار من الفقه ، والتفسير ، والحديث ما تناوله فطاحل العلماء بالبحث والتدقيق. ومن الهندسة والحساب والجبر ماقد يعجز الطالب عن فهمه، ومن الألغاز والطّلّسمات ما لا يعلم تأويلهَ إلا الراسخون فى العلم . ومن الحكم والمواعظ ماتواضع الناس على احترام قائليها ، وما لها أثر على نفس القارئ ولا يقف عند نقل هذه المسائل ، بل تراه يناقشها ويدلى برأيه فيها ، ويستدرك على قائليها ، ويبحث فيها بحثا إن دلّ على شىء فإنما يدل على تبحره فى العلم ، ومشاركته فى فنون شتى منه .

ولم يقتصر على ما ذكرنا ، بل تناول أيضا الجغرافيا والفلكَ ، والسيمياء ، والسحرَ ، والشعر الرقيقَ ، والنثر البليغ ، والأمثال ، والفلسفة ، وعلومَ البلاغة ، والصرفَ والنحوَ ، وغيرَ هؤلاء من الفنون التى قل أن اشتمل عليها كتاب غير الكشكول . وقد ألف فى كثير من هذه العلوم مما يدل على تبحره فيها .

ونظراً لما لكتاب الكشكول من المكانة الأدبية بين قراء الأدب ، فقد رأت « دار إحياء الكتب العربية » نشره كعادتها فى نشر الكتب القيمة من تراثنا العربى وغيره ، وأسندت إلىّ مقابلته ببعض النسخ المخطوطة، وتصحيحه وترقيمه .

وقد اعتمدنا فى طبع نسختنا هذه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٨٨ هـ وهى نسخة جيدة التحرير والتصحيح ، وحينما كنت أقابلها بالنسخ المخطوطة كان الصواب فى جانبها فى أغلب المسائل التى تختلف فيها النسخ . وقد استفدنا من معارضتها بالمخطوطة بعض الإصلاحات ، وكثيرا من الزيادات .

والنسختان المخطوطتان اللتان قابلنا بهما نسختنا موجودتان فى دار الكتب المصرية

إحداها « برقم ١٤٣ م أدب » انتهى منها كاتبها فى العاشر من رجب ١٠٦٠ وقد كتبت بخط جميل ، وفى غاية الإتقان . وفيها كثير من المواضيع كتبت باللغة الفارسية ، يجدها القارئ أثناء قراءته بين الحين والآخر ، وهى التى أخذنا منها الزيادات التى أثبتناها فى نسختنا .

ولا توجد فيها ترجمة المؤلف ولا شرح قصيدته التى أنشأها فى المهدى المنتظر الموجودتين فى النسخة الأميرية[1] .

أما النسخة المخطوطة الثانية فتحمل رقم ٢٨٤٣ ، وهى وإن كان خطها جميلا ، إلا أنها كثيرة الأخطاء ، فلم نعول عليها كثيرا .

ولما كان الكشكول فى طبعاته الأولى مندمجاً بعضه فى بعض ، لا فرق بين أول الكلام وآخره ، ولا بين بداية الموضوع ونهايته ، فقد وضعتُ له من الترقيم ما يُفصِّل هذا الاندماجَ ، وأزلتُ إبهام بعض الكلمات بوضع بعض الحركات على موضع الاشتباه ليمضى القارئ فى قراءته بدون توقف .

وعلقت على بعض الكلمات بما يزيل اشتباهها أو غموضها ، ونبّهتُ على اختلاف النسخ فى مواضع يكون فى اختلافها توضيح للمعنى ، أو زيادة فيه . ولم أعن باختلافها فيما هو ظاهر الخطأ ، أو لا توضيح فيه .

وأضفت إلى نسختنا الزيادات التى وجدت فى المخطوطة ، ووضعتها بين هاتين العلامتين [ ] .

ووضعت عناوين لكثير من المواضيع لم تكن فى الأصل . كما وضعت نجوما، هكذا * * للفصل بين المواضيع التى لا ترتبط فى المعنى بما قبلها ولا بما بعدها .

---

(١) انظر شرح القصيدة فى آخر الكتاب .

ونبهت على بعض الحكايات ، أو أبيات الشعر المهمة بقولى: «حكاية ظريفة»، أو « انظرها » لنلفت نظر القارئ إلى أنها جديرة بالاطلاع عليها ، لما فيها من معان مشوقة أو معنى رقيق .

وفى الكشكول من المواضيع المختلفة الشيء الكثير . وقد يكون فى الصفحة الواحدة أكثرُ من موضوع ، مما جعلنى أذكر بعض الأبيات فى الفهرس للدلالة على أنها المنوّه عنها .

وقد اقتصرت فى الفهرس على المواضيع الطويلة، أو المشوّقةِ التى يرغب القارئ فى قراءتها ، أو تُدخل على النفس شيئا من السرور والمرح .

وحينما يكون فى الصفحة الواحدة أبيات كثيرة من الشعر مختلفة المعنى أشير إلى عددها ، وأنها مختلفة المعنى .

وفى نظرى أن قارئ الكشكول لا يصح أن يقتصر على ما أشير إليه فى الفهرس ، فقد يكون فى البيت الواحد أو السطر الواحد ماتنشرح النفس له .

ولم يكن للكشكول فهرس لكثرة مواضيعه ، وتفرقها فى أثناء الكتاب ، فاستخرجت منه ٦١ موضوعا ، كل موضوع يشتمل على عدة مسائل ذكرت كلها فى الفهرس ، وذكرت المواضيع فى فهرس الفهرس .

وقد اعتبر الناس كتاب الكشكول من كتب الأدب الممتازة وهو جدير بهذا الاعتبار لما اشتمل عليه من مواضيع شيقة فى فنون مختلفة . إلّا أن صاحبه انتهز كلمة « كشكول » فذكر فيه نتفا نثرية وشعرية ، مما يسمى فى عصرنا الحاضر « الأدب المكشوف » . وقد وقع اختياره على النوع الذى تتمثل فيه الصراحةُ بكل معانيها ، مما لا يستسيغ الناس سماعه ، ظنا منه أن كلمة كشكول تبرر له هذا

الانطلاق فى التعبير ، وفى اللغة العربية من الكنايات مالا يقل عن الصراحة فى الدلالة على المعنى .

وأكبر صعوبة اعترضتنى فى مقابلة الكشكول هو اختلاف النسخ فى سرد المواضيع ، فقد يُذكر فى المطبوعة موضوعان متتاليان ، بينما يفصل بينهما فى المخطوطة بعدة صفحات فأحتاج إلى تقليب الصفحات للعثور عليهما .

وقد قسّم كتاب الكشكول فى النسخة المطبوعة إلى ثلاثة مجلدات ماعدا شرح قصيدة للهدى التى شرحها الأستاذ أحمد المنينى [1] . أما فى المخطوطة فقد قسم إلى خمسة مجلدات ، بزيادة مجلدين ، لم يذكر مافيهما فى المجلدات الثلاثة التى ذكرت فى النسخة الأميرية ، فاضطررنا إلى نسخ المجلدين [2] الزائدين وألحقناهما بنسختنا ، ولا تقلّ هذه الزيادة عن ثلث الكتاب . وبذلك كانت نسختنا من النسخ الممتازة التى اشتملت على نسخة الكشكول الكاملة . والفضل فى ذلك يرجع لعناية دار إحياء الكتب العربية بنشر التراث العربى القيّم .

طاهر الزاوى

---

(١) الأستاذ أحمد بن على ، بن عمر المنينى . ولد بقرية منين من قرى دمشق . كان أديباً ، لطيف الطبع ، متضلعاً ، خصوصاً فى الأدب وفنونه ، درس بالعادلية الكبرى ، وبالجامع الأموى ، مدة عمره ، واشتهر فضله .

مات بدمشق ، ودفن بتربة مرج الدحداح .

(٢) يعنى بالمجلد قسما من الكتاب أو جزءاً منه .

ترجمة المؤلف[1]

هو محمد بن حسين ، بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين ، الحارثى[2] ، العاملى[3] ، الهمدانى[4] ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، والتحقيقات المفيدة .

كان نسيج وحده فى الإحاطة بأطراف العلوم ، ودقائق الفنون .

ولد ببعلبك يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقين من ذى الحجة سنة ٩٥٣ هـ[5] وانتقل به والده إلى بلاد العجم ، ونشأ بها وأخذ العلوم عن والده وغيره من علماء زمانه ، وأقام مدة بهراة وكان يميل إلى التصوف .

ثم رغب فى السياحة ، وبقى سائحاً ثلاثين سنة متنقلا فى البلاد العربية والعجمية. وجمعته مجالس العلم ـ أثناء سياحته ـ بكثير من العلماء وأهل الفضل ، وناظرهم ، وكان له القدح المعلى فى مناظراته لهم . وكان منصفاً فى البحث .

ثم استقر به المقام فى أصفهان من بلاد العجم ، وقرّبه سلطانها شاه عباس ، وكان له معه شأن عظيم ، وولاه مشيخة العلماء فى أصفهان . وشاع ذكره ، وانتشر علمه ، ودرّس فى الكاظمية والنجف ؛ وعرف بالكرم والإحسان إلى الأرامل وذوى الحاجات .

---

(١) مختصرة من كتاب « روضات الجنات » فى تراجم علماء الشيعة ، وترجمة الشيخ أحمد المنينى للمؤلف .

(٢) الحارثى : نسبة إلى عبد الله الأعور ، الحارثى الهمدانى .

(٣) العاملى : نسبة إلى جبل عامل ، من بلاد الشام ، من أعمال مدينة صفد ، ونسب إليه باعتبار إقامته به .

(٤) الهمدانى : نسبة إلى همدان ـ بسكون الميم ـ قبيلة من اليمن .

(٥) ذكر صاحب روضات الجنات أنه ولد فى المحرم سنة ٩٥٣ هـ .

وأنفق من ماله وجاهه وعلمه ما وسعه الإنفاق .

وألف فى التفسير ؛ والفقه ، والنحو ، وعلم الهيئة، والحديث، وتراجم الرجال، ورواية الحديث ، وفى المعانى ، والرياضيات ، والأصول ، والمواريث . ومؤلفاته لا تحصى كثرة .

وفى أثناء سياحته دخل مصر وألف فيها كتابه « الكشكول » فى ثلاثة مجلدات[1] ، جمع فيه من شوارد المسائل ونوادر الأدب مالم يجمع فى غيره . ومن يتأمل ما ذكره المؤلف فى الكشكول من أشعاره يدرك أنه أديب وشاعر من الطبقة الممتازة .

واجتمع أثناء إقامته بمصر بالسيد محمد بن الحسن البكرى ، فأكرمه وبالغ فى تعظيمه وإكرامه .

واجتمع فى دمشق بالحسن البورينى ، وحصلت بينهما مناظرة ، كان الفوز فيها له على البورينى .

وكان يتشيع لآل البيت ، ويتحامل على الشيخين أبى بكر وعمر ، ومن أجل ذلك اتهم بالتشيع والرفض .

وذكر فى كتاب « روضات الجنات » نقلا عن بعض علماء البصرة أنه كان من أهل السنة، وقد اعتذر عن إظهاره التشيع لآل البيت بأنه كان يتقى بذلك سلطان الرافضة والملاحدة ، وأن تقربه من سلطان أصفهان « شاه عباس » كان السبب فى إظهار التشيع لآل البيت ، لأن شاه عباس كان شيعيا رافضيا ملحداً ، وكان يقتل

---

(١) هكذا ذكر فى روضات الجنات ، مع أن النسخ المخطوطة، والنسخة المطبوعة فى الآستانة قسمت الكشكول الى خمسة مجلدات ، وتحققنا أن المجلد الرابع والخامس غير موجودين فى المطبوعة الأميرية فأثبتناها فى نسختنا هذه .

العالم السنى ، فـكان يتستر بإظهار التشيع لآل البيت . وكان بعض العلماء يأخذ عليه هذا التستر .

توفى العاملى بأصبهان يوم ١٣ من شوال سنة ١٠٣١ وقيل سنة ١٠٣٠ ونقل بعد وفاته إلى طوس ، ودفن بها فى داره قريبا من السادة الرضوية. عليه رحمة الله ورضوانه.

وللمؤلف ترجمة فى كتاب « روضات الجنات » وهو موجود بدار الكتب فليرجع إليه من أراد ؟

يناير سنة ١٩٦١

طاهر أحمد الزاوى

الكشكول

لبهاء الدين العاملي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين .

(وبعد) فإنى لما فرغت من كتابى المسمى بالمخلاه ، الذى حوى من كل شىء أحسنه وأحلاه . وهو كتاب كتب فى عُنفوان الشباب قد لفقته ونسقته ، وأنفقت فيه ما رُزقته ، وضمنته ما تشتهى الأنفس و تَلَذ الأعين من جواهر التفسير ، وزواهر التأويل ، وعيون الأخبار ، ومحاسن الآثار . وبدائع حكم يستضاء بنورها ، وجوامع كلم يهتدى ببدورها . ونفحاتٍ قدسية تعطر مشام الأرواح ، وواردات أنسية تحيى رميم الأشباح ، وأبياتٍ تُشرَب فى الكئوس لسلاستها ، وحكاياتٍ شائعة تمزج بالنفوس لنفاستها . ونفائس عرائس تشاكل الدرّ المنثور ، وعقائل مسائل تستحق أن تكتب بالنور على وجنات الحور . ومباحثات مديدة سنحت للخاطر الفاتر حال فراغ البال ، ومناقشات عديدة سمح بها الطبع القاصر أيام الاشتغال ، مع ترتيب أنيق لم أسبق إليه ، وتهذيبٍ رشيق لم أزاحَم عليه .

ثم عثرت بعد ذلك على نوادرَ تتحرك لها الطِّباع ، وتهشُّ لها الأسماع . وطرائفَ تَسرُّ المحزون ، وتُزرى بالدر المخزون . ولطائفَ أصفى من رائق الشراب ، وأبهى من أيام الشّباب ، وأشعارٍ أعذبَ من الماء الزلال ، وألطف من السحر الحلال . ومواعظَ لو قُرئت على الحجارة لانفجرت ، أو الكواكب لانتثرت ، وفِقَر أحسنَ من ورد الخدود ، وأرقّ من شكوى العاشق حالَ الصدود . فاستخرت الله تعالى ، ولفقت كتابا ثانيا يحذو حذو ذلك الكتاب الفاخر ، ويستبين به صدقُ المثل السائر ،

فكم ترك الأول للآخر . ولما لم يتسع المجال لترتيبه ، ولا وجدت من الأيام فرصة لتبويبه ، بعثته كسقط مختلط رخيصُه بعاليه ، أو عقدٍ انفصم سلكه فتناثرت لآليه ، وسميته (بالكشكول) ليطابق اسمُه اسمَ أخيه ، ولم أذكر شيئاً مما ذكرته فيه ، وتركت بعض صفحاته على بياضها ؛ لأقيد ما يَسنَح من الشوارد فى رياضها ، كيلا يكونَ به عن تَممت ذلك نكول ، فإن السائل فى معرض الحرمان إذا امتلأ الكشكول .

فسرّح نظرك فى رياضه ، واسق قريحتك من حياضه . وارتعْ بطبعك فى حدائقه ، واقتبس أنوار الحِكم من مشارقه . وعض عليه بناب حرصك عضا ، ولا تفضه على من كان غليظ القلب فظًّا . واتخذه وأخاه جليسين لوحدتك ، وأنيسين لوحشتك . وموجبين لسلوتك ، وصاحبين فى خلوتك ، ورفيقين فى سفرك ، ونديمين فى حضرك ، فإنهما جاران بارّان ، وسميران سارّان ، وأستاذان خاضعان ، ومعلّمان متواضعان . لا ، بل هما حديقتان تفتحت ورودها ، وخريدتان تورّدت خدودها وغانيتان لا بستان حُلل جمالها ، مائستان فى برود جلالها ، فصنهما عن غير طالبهما ، ولا تبذلهما إلا لخاطبهما .

فَمن منح الُجهّالَ عِلماً أضاعه   ومَنْ منع المستوجِبينَ فقد ظلم

وجوه فى إياك نعبد

ذكر المفسرون فى قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » وجوهاً عديدة للإتيان بنون الجمع ومقام الإكثار والمتكلم واحد . ومن جيد تلك الوجوه ما أورده الإمامُ الرازى فى التفسير الكبير ، وحاصله أنه ورد فى الشريعة المطهّرة أن من باع أجناساً مختلفةً صفقةً واحدةً ، ثم ظهر فى بعضها عيبٌ ، فالمشترى مخيّر بين ردّ الجميع أو إمساكه ، وليس له تبعيضُ الصفقة برد المعيب وإبقاء السليم ، وهاهنا حيث رأى العابدُ أن عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها على ذى الجلال ، بل ضم إليها عبادة جميع العابدين من الأنبياء والأولياء والصُّلحاء ، وعرض الكلّ صفقةً واحدةً راجيا قبول عبادته فى الضمن ؛ لأن الجميع لا يرد البتة ؛ إذ بعضه مقبول ، ورد المعيب وإبقاء السليم تبعيضٌ للصفقة وقد نهى سبحانه عباده عنه ، فكيف يليق بكرمه العظيم ، فبقى قبول الجميع وفيه المراد . انتهى .

* * *

عن بعض أصحاب الحال أنه قال يوما لأصحابه: لو أنى خيرت بين دخول الجنة وبين صلاة ركعتين لاخترت صلاة الركعتين، فقيل له لم ؟ فقال: لأنى فى الجنة مشغول بحظى ، وفى الركعتين مشغول بحق ربى ، وأين ذلك من هذا .

من إحياء علوم الدين : رُئى الشبلىّ فى المنام بعد الموت ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال : ناقشني حتى يئستُ ، فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته. ورآه بعضهم فسأله عن حاله فأنشد :

حاسَبُونا فدقَّقُوا ثم مَنُّوا فأَعتَقُوا
هكذا شيمةُ المُلو ك بالماليك ترفقُوا

نظر عبد الملك بنُ مروان عند موته ـ وهو فى قصره ـ إلى قصّار يضرب بالثوب

المسألة ، فقال : ياليتنى كنتُ قصّاراً ولم أتقلد الخلافة ، فبلغ كلامُه أبا حاتم ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرَهم الموتُ يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرَنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

من كلام بعض الأعلام : أن العزلة بدون عين العلم زَلة ، وبدون زاى الزّهد علة .

عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بعمل يدخلنى الجنةَ ويُباعدنى عن النّار ، فقال « لقد سألتَنى عن عظيم وإنه ليَسيرٌ على من يَسّره الله، تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ ،وتؤتى الزكاة، وتصوم رَمَضانَ وتحجُّ البيت » . ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟» . قلتُ بلى يارسولَ الله ، قال : « الصومُ جُنّة ، والصّدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماء النارَ وصَلاةُ الرجُل فى جوف الليل شعارُ الصالحين ، ثم تلا : تتجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِع حتى بلغ يَعْمَلُونَ ، ثم قال : ألا أخبرُك برأسِ الأمرِ وعَمُوده وذِروة سَنامه؟ قلتُ بلى يا رسول الله ، قال : رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعَمُودُه الصَّلاةُ ، وذِروة سَنامه الجهادُ. ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك؟ قلت بلى يارسولَ الله. قال: كفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه . قلتُ يانبى الله : وإنا لمؤاخذون بما نتكلّمُ به ؟ قال: ثكلتك أمّك يا مُعاذ، وهل يكُبُّ الناسَ فى النّار على وجوههم ، أو قال : على مناخرهم إلّا حَصائدُ ألسنتهم ؟ » انتهى .

قال بعض العبّاد : أعدت صلاة ثلاثين سنة كنتُ أصليها فى الصف الأول ، لأنى تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلا من نظر الناس إلىّ وقد سُبقت بالصف الأول ، فعلمت أن جميع صلاتى كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلىّ ورؤيتهم إياى من السابقين إلى الخيرات .

من كلام بزرجمهر : عاديت الأعداء فلم أر عدوًّا أعدى لى من نفسى . وعالجتُ الشجعان والسباعَ فلم يغلبنى أحد إلا الصاحب السوء. وأكلت الطّيّبَ، وضاجعت الحسانَ فلم أر ألذ من العافية . وأكلت الصّبِر ، وشربت المرّ ، فما رأيت أشدّ من الفقر. وصارعت الأقران ، وبارزت الشجعان ، فلم أر أغلبَ من المرأة السليطة . ورميتُ بالسهام ، ورجمت بالأحجار ، فلم أر أصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق. وتصدّقت بالأموال والذخائر، فلم أر صدقة أنفعَ من رد ذى ضلالة إلى الهدى . وسررت بقرب الملوك وصِلاتهم ، فلم أر أحسنَ من الخلاص منهمْ . انتهى .

***

استمرت العادةُ فى أقاصى بلاد الهند على إقامة عيد كبير على رأس كل مائة سنة فيخرج أهل البلد جميعا من شيخ وشاب وكبير وصغير إلى صحراء خارج البلد فيها حجر كبير منصوب، فينادى منادى الملك: لا يصعَد على هذا الحجر إلا من حضر العيدَ السابق قبل هذا، فربما جاء الشيخ الهرم الذى ذهبت قوّته وعمى بصره، أو العجوز الشوهاء وهى تربض من الكبر فيصعدان على هذا الحجر أو أحدهما، وربما لا يجىء أحد ويكون قد فنى ذلك القرن بأسره، فمن صعد على ذلك الحجر نادى بأعلى صوت قد حضرت العيدَ السابق وأنا طفل صغير، وكان ملِكنا فلانا ووزيرنا فلانا وقاضينا فلانا ، ثم يصف الأمّة السابقة من ذلك القرن كيف طحنهم الموتُ وأهلكهم البِلاء، وصاروا تحت الثرى . ثم يقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم بالموت وغرور الدنيا وتقلبها بأهلها ، فيكثر فى ذلك اليوم البكاء وذكر الموت والتأسف على صدور الذنوب والغفلة عن ذهاب العمر . ثم يتوبون ويُكثرون الصدقات ويخرجون من التبعات .

ومن عادتهم أيضا : أنه إذا مات ملكهم أدرجوه فى أكفانه ووضعوه على

مجللة وشعر رأسه يسحب على الأرض ، وخلفه عجوز بيدها مكنسة ترفع بها مايعلق من التراب بشعره وهى تقول: اعتبروا أيها الغافلون، شمروا ذيل الجد أيها المقصرون المغترون ، هذا ملككم فلان، انظروا إلى ماصيرته إليه الدنيا بعد تلك العزة والجلالة، ولا تزال تنادى خلفه كذلك إلى أن تدور به جميعَ أزقة البلد، ثم يوُدَعُ فى حفرته. وهذا رسمهم فى كل ملك يموت فى أرضهم . انتهى.

قال بعض الأبدال: مررت ببلاد المغرب على طبيب والمرضى بين يديه وهو يصف لهم عِلاجهم ، فتقدمت إليه وقلت: عالج مرضى يرحمك الله ، فتأمل فى وجهى ساعة ثم قال : خذ عروق الفقر، وورق الصبر مع إهليلج التواضع ، واجمع الكل فى إناء اليقين ، وصب عليه ماء الخشية ، وأوقد تحته نار الحزن ، ثم صفّه بمصفاة المراقبة فى جام الرضا ، وامزُجه بشراب التوكل ، وتناوله بكف الصِّدق ، واشربه بكأس الاستغفار ، وتمضمض بعده بماء الورع ، واحتمِ عن الحرص والطمع؛ فإن الله تعالى يَشفيك إن شاء الله تعالى .

كان بعضُ أهل الكمال يقول : إذا رأيتُ الليلَ مقبلا فرحت وأقول أخلو بربى ، وإذا رأيتُ الصباح قريبا استوحشتُ كراهة لقاء من يشغلنى عن ربى . انتهى .

قال هَرِمُ بن حيان : أتيتُ أُوَيساً القَرنىّ ، فقال لى ماجاء بك ؟ فقلت : جئت لآنس بك ، فقال أُويس : ما كنت أرى أحدا يعرف ربّه فيأنسُ بغيره . انتهى .

من كلام بعض الأكابر : إذا عصتك نفسُك فلا تطعها فيما تشتهيه .

التهامى :

تُنافِسُ فى الدنيا غرورا وإنما ... قُصارى غناها أن نعودَ إلى الفَقرِ
وإنا لفِى الدنيا كركب سفينةٍ ... نُظَنّ وقوفا والزمانُ بنا يَجْرى

***

قال بعضهم : خرجت يوما إلى المقابر فرأيت البهلول فقلت له ما تصنعُ هاهنا ؟ قال : أجالس قوما لا يغدرونى ، وإن غفلت عن الآخرة يذكرونى ؛ وإذا غبتُ لا يغتابونى .

وقيل لبعض المجانين ـ وقد أقبل من المقبرة ـ من أين جئت ؟ فقال : من هذه القافلة النازلة : قيل ماذا قلت لهم ؟ قال قلت لهم : متى ترحلون ؟ فقالوا حين علينا تَقدَمون .

قال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى : عظنى . فقال : صم عن الدنيا ، واجعل فطرك على الآخرة ، وفر من الناس فرارَكِ من الأسد . انتهى .

كان بعض أصحاب الأحوال يقول : يا إخوان الصفاء ، هذا زمانُ السكوت وملازمةِ البيوت .

وكان الفضيل يقول : إنى لأجد للرجل عندى يدا إذا لقينى أن لا يسلم على .

قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : بينما الربيعُ بن خيثم جالسٌ على باب داره، إذ جاءه حجر فصك وجهه فشجه ، فجعل يمسح الدم عن جبهته ويقول :لقد وُعِظْتَ ياربيعُ ، فقام ودخل داره ، فما خرج حتى أُخرِجت جنازته .

وقال بعض العارفين: أَقِلَّ من معرفة الناس فإنك لا تدرى حالك يوم القيامة، فإن تكن فضيحةً كان من يعرفك قليلا .

قال رجل لسهل : أريد أن أصحبك ، فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن .

قيل للفُضيل : إن ابنك يقول : وددت أنى فى مكان أرى الناسَ ولا يرونى، فبكى الفضيل وقال : ياويح ابنى أفلا أتمها لا أراهم ولا يرونى.

كانت الرَباب بنتُ امرئٌ القيس إحدى زوجات الحسين بن علىّ عليهما السلامَ شهدت معه الطفّ وولدت منه سُكينة ولما رجعت إلى المدينة خطبها أشراف

قريش فأبت وقالت : لايكون لى حم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقيت بعده لم يظلها سقف حتى ماتت كذا عليه .

قال ابن الجوزى : كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين ، فجاءه جندى يوما وطلب منه شيئاً من الفاكهة فأبى ، فضربه الجندى بسوط على رأسه ، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأسا طالما عصى الله ، فعرفه الجندى وأخذ فى الاعتذار إليه ، فقال إبراهيم : الذى يليق له الاعتذار تركته ببلخ .

أبو الفتح البستى :

أَلم تر أنَّ المرء طولَ حياته مُعنًّى بأمر لا يزال يُعالجُهْ
يَدورُ كدودِ القزِّ ينسِج دائما ويهلكُ غمّا وسْط ما هو ناسجُهْ

* * *

قال العارف القاشانى عند قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا ٱلبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» كل فعل يقرّب صاحبَه من الله تعالى فهو برٌّ ولا يحصل التقرّب إليه إلا بالتبرّى عمن سواه ، فمن أحب شيئاً فقد حُجب عن الله تعالى وأشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله سبحانه ، كما قال تعالى : « ومِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ » وإن آثر به نفسَه على الله فقد بعد من الله بثلاثة أوجه ، فإن آثر الله به على نفسه ، وتصدّق به ، وأخرجه من يده فقد زال البعد ، وحصل القرب ، وإلا بقى محجوبا . وإن أنفق من غيره أضعافه فما نال برّا لعلمه تعالى بما ينفق واحتجابه بغيره . انتهى .

قال فى الإحياء، من كتاب العزلة وبيان فوائدها : الفائدة السادسة الخلاصُ من مشاهدة الثقلاء والحمقى ، ومقاساة رؤية خلقهم وأخلاقهم ، فإنّ رؤيةَ الثقيل هى العمى الأصغر .

قيل للأعمش : لم عمشت عيناك ؟ فقال: من النظر إلى الثقلاء. ويحكى أنه دخل

عليه أبو حنيفة فقال له : جاء فى الخبر : من سلب الله كريمتيه عوّضه عنهما ما هو خيرٌ منهما فما الذى عوضك ؟ فقال ـ فى معرض المطايبة ـ : عوضنى عنهما أن كفانى رؤيةَ الثقلاء وأنت منهم .

ولله در من قال :

أنستُ بوحدتى ولَزِمْتُ بيتى ... فطابَ الأنس لى وصفا السرورُ
وأدَّبنِى الزمانُ فَلا أبالِى ... بأنّى لا أزَارُ ولا أزُورُ
ولستُ بسائلٍ ماعشتُ يوماً ... أسارَ الجندُ أم رَكِبَ الأميرُ

قال بعض العبّاد : اجعل الآخرة رأسَ مالك ، فما أتاك من الدنيا فهو ربح .

من كلام بعضهم : يا ابن آدم إنما أنتَ عددٌ فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك .

من كلام محمد بن الحنفية رضى الله عنه : من كرُمت عليه نفسه هانت عليه دنياه .

وقّعَ المأمونُ إلى عامل تُظُلِّم منه: أنصِف من وُليت أمرَه وإلا أنصفَه من وَلِى أمرَك .

عن بعض الأكابر : العجبُ ممن عرفَ ربّه ويغفلُ عنه طرْفةَ عين .

قال بزْرَجمهر : أعلم الناسِ بالدنيا أقلُّهم منها تعجبا .

قال بعضُ الصوفية: لوقيل لى: أىّ شىء أعجبُ عندك؟ لقلت: قلبٌ عرف الله ثم عصاه .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكونُ العبدُ من المتقين حتى يدع ما لا بأس »[١] .

---

(١) نص الحديث كما رواه الترمذى وحسنه. ورواه ابن ماجه وقال صحيح الإسناد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس » وهو فى المخطوط مثل ما فى المطبوعة .

عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : ما أرى شيئاً أضرّ بقلوب الرجال من خفقِ النعال وراء ظهورهم .

زار بعض العلماء بعض العبّاد ونقل له كلاما عن بعض معارفه ، فقال له العابد : قد أبطأت فى الزيارة وجئتنى بثلاث جنايات : بغّضتَ إلىّ أخى ، وشغلتَ قلبى الفارغ ، واتّهمت نفسك .

روى عبيد بن زرارة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : ما من مؤمن إلا وقد جعل الله له من إيمانه أنساً يسكن إليه حتى لو كان على قُلّة جبل لم يستوحش .

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى بعض أنبيائه : « إن أردت لقائى غداً فى حظيرة القُدس فكن فى الدنيا غريبا وحيدا ، محزونا مستوحشا كالطير الوحدانى الذى يطير فى الأرض المقفرة ، ويأكلُ من رءوس الأشجار المثمرة، فإذا كان الليل أوى إلى وكره ، ولم يكن مع الطير [إلّا] استئناسا بى واستيحاشا من الناس .

فى التوراة : من ظلم خرِب بيتهُ . وقد ورد هذا فى القرآن العزيز فى قوله عز من قائل : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » .

أبو العتاهية :

عِشْ مابدا لَكَ سالماً ... فى ظِلّ شاهقةِ القُصور
يسعَى إليكَ بما اشتَهيْتَ لدى الرّواح وفى البُكور
فإذا النفوسُ تَغَرْغَرَتْ ... بزَفير حَشْرَجَةِ الصُّدُور
فهُناكَ تَعلَمُ مُوقناً ... ما كنتَ إلا فى غُرُور

العاصمى :

تَسَلّ فليسَ فى الدنيا كَريم ... يلوذُ بِهِ صَغيرٌ أو كَبير

وَرَبْعُ المجـــدِ ليسَ به أنيسٌ ... وحزبُ الفضلِ ليسَ له نَقِــير
وقائـــلةٍ أراكَ على حِمــارٍ ... فقلت لأنَّ سادَتَنــا حَمِـير

الشريف الرضى :

ولقـــد وقفتُ على ديارهمُ ... وطُلُولُها بيَدِ البِـــلا نَهبُ
وبَكَيْتُ حتى ضجَّ من لغَبٍ ... نِضْوى وعَجَّ بعــذلىَ الرَّكبُ
وتلفّتتْ عَينِي فمُـــذْ خفيتْ ... عـــنى الطُّلولُ تلفت القلبُ

ابن بسام :

لقدْ صَبَرْتُ على المكروه أسمعُه ... من مَعشر فيكَ لولا أنتَ ما نَطَقوا
وفيكَ داريتُ قوما لاخَلاَق لهم ... لولاكَ ما كنتُ أدرى أنّهم خُلِقوا

آخر :

على هـــذهِ الأيامِ ما تَستَحِقُّه ... فكم قد أضاعتْ منك حقًّا مؤكّدَا
فلو أنصفَتْ شادَتْ محلَّك بالهوَا ... عُلوًّا وصاغَتْ نعلَ نَعلكَ عَسْجَدَا

آخر :

يامُقلَتى أنتِ التى أوقعتِنِى فى حُبِّهِ
غرّتكِ رقّةُ خَصرِهِ ونَسِيتِ قوّةَ قَلبِهِ

* * *

قال أفلاطُون: العشقُ قوّة غريزية متولّدة من وساوِس الطَمع وأشباح التخيل للهيكل الطبيعى ، تُحدث للشُجاع جُبنا ، وللجَبان شجاعةً ، وتُكسب كل إنسان عكسَ طباعه .

وقال بعض الحكماء : الحسنُ مِغناطيسٌ روحانى لا يعلّلُ جذبه للقلوب بعلّة سوى الخاصية .

وقال بعض الحكماء : العشقُ إلهامٌ شوقىّ أفاضه الله على كل ذى رُوح ليتحصّل له به ما لا يمكن حصولُه لَه بغيره .

ذكر صاحبُ كتاب الأغانى فى أخبار علوية المجنونِ أنه دخلَ يوما على المأمون وهو يرقص ويصفّق بيديه ويغنى بهذين البيتين :

عَذِيرِى من الإنسان لا إن جفوتُهُ صفا لِى ولا إن صرتُ طوْعَ يديه
وإنى لمشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ يَروقُ ويَصْفو إنْ كدرْتُ عليه

فسمع المأمون وجميع من حضر المجلس من المغنين وغيرهم مالم يعرفوا، واستظرفه المأمون وقال : ادن ياعلوية ورددها ، فرددها عليه سبع مرات، فقال المأمون: ياعلوية خذ الخلافة وأعطنى هذا الصاحب . انتهى .

قال أبو نواس : دخلت خربة فرأيت قربة مملوءة ماء مسندة إلى حائط ، فلما توسطت الخربة أبصرت نصرانيا وفوقه سقاء ، فلما رآنى قام عن النصرانى وأخذ قربته وهرب، فقام النصرانى غيرَ وجل يشد سراويله فى وجهى وهو يقول: يا أبا نواس إياك أن تلوم أحدا على هذا الحال ؛ فإن لومك له إغراء ، قال فأخذت من كلامه هذا المعنى وهو قولى :

* دع عنك لَومى فإنّ اللومَ إغراء *

حدث عمرو بن سعيد قال : كنت فى نوبتى فى الحرس فى أربعة آلاف : إذ رأيت المأمون قد خرج ومعه غلمان صغار وشموع فلم يعرفنى ، فقال من أنت ؟ فقلت عمرو ـ عمرك الله تعالى ـ ابنُ سعيد، أسعدك الله، ابنُ مسلم، سلمك الله ، فقال: أنت تكلؤنا منذ الليلة ، فقلت: الله يكلؤك ياأمير المؤمنين، وهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين ، فتبسّم من مقالى ثم قال :

إنّ أخا الهيجاء من يسعى معَكْ ومَن يضرُّ نفسَه لينفعَكْ
ومَن إذا ريبُ الزمانِ صدمَكْ بدّد فيك شملَه ليجمعَكْ

ثم قال لغلامه : ياغلام أعطه أربعمائة دينار ، فقبضها وانصرف .

قال المأمون ليحيي بن أكثم : ما العشق ؟ فقال : سوانح تسنح للمرء يهيم بها قلبُه ، وتتأثر بها نفسُه ، فقال له ثمامة — وكان حاضرا — اسكت يايحيي، فإنما عليك أن تجيب فى مسئلة طلاق أو مُحرِم قتل صيدا ، فأما هذا فمن مسائلنا،فقال المأمون: قل ياثمامة . فقال : هو جليس ممتنع ، وصاحب مالك ، مذاهبه غامضة ، وأحكامه جارية ، يملك الأبدانَ وأرواحها ، والقلوبَ وخواطرها ،والعقولَ وألبابها،قدأعطى عِنان طاعتها ، وقوّة تصريفها . فقال له أحسنت ياثمامةوأعطاه ألف دينار ،وقال له: من يصف العشق يصفه مثلك ، فإنك طبيبه الحاذق . انتهى .

قال الدميرى فى كتابه حياة الحيوان ، نقلا عن ابن الأثير فى كامل التاريخ ، فى حوادث سنة ستمائة وثلاث وعشرين ، قال : كان لى جار وله بنت اسمها صفية ، فلما صار عمرها خمس عشرة سنة نبت لها ذكر وخرج لها لحية . قال جامع هــذا الـكتاب : ونظير هذا ما أورده رحمه الله حمد الله المستوفى فى كتاب نزهة القلوب ، وأورده بعض المؤرخين أيضا : أن بنتا كانت فى قميشة وهى من ولايات أصبهان ، فزوجت ، فحصل لها ليلة الزفاف حكة فى عانتها ، ثم خرج لها فى تلك الليلة ذكر وأنثيان وصارت رجلا ، وكان ذلك فى زمن السلطان الجايتواخدابنده . والله تعالى أعلم . انتهى .

* * *

كتب الصفى الحِلّى رحمه الله إلى بعض الفضلاء ، وقد بلغه أنه اطّلع على ديوانه وقال : لا عيب فيه سوى أنه خال عن الألفاظ الغريبة :

إنمـا الحيزَبونُ والدرديبسُ والطخا والنُّقاخُ والعَلطبيسُ
والعطاريسُ والشَّقحطبُ والصقــعَبُ والحربَصيصُ والعَيطموسُ
والحراجيحُ والعفنقسُ والعفـــلقُ والطرفسانُ والعسطوسُ
لغـــةٌ تنفِرُ المسامِــعُ منها حين تُروى وتشمئزُ النفوسُ

وقبيحٌ أن يُسلَكَ النافرُ الوحـشيُّ منها ويُتركَ المأنوسُ
إنَّ خيرَ الألفاظِ ماطرب السا مِع منهُ وطابَ فيهِ الجليسُ
إنَّ قولي هـذا كثيبٌ قديمٌ ومقالي عَقَنقلٌ قدموسُ
لم يجد شاديًا يُغنّى قِفا نَبْـك على العود إذ تُدار الكؤوسُ
أتُراني إنْ قُلتُ للحِبِّ يا عِلْـقُ دَرَى أنه العـزيزُ النفيسُ
أو تراهُ يَدرى إذا قلتُ خَبٌّ الـعيرُ أنى أقـولُ سارَ العِيسُ
درَستْ هـذهِ اللغاتُ وأضحَى مذهبُ الناسِ ما يقولُ الرئيسُ
إنّمـا هذهِ القلوبُ حَدِيدٌ ولذيذُ الألفاظِ مِغناطِيسُ

ولبعض الأكابر :

جميعُ الـكُتبِ يُدرِكُ مَن قَراها مَلالٌ أو فُتورٌ أو سآمَهْ
سوى هـذا الـكتابِ فإن فِيهِ بَدائِعَ لا تُمَلُّ إلى القيامَهْ

قال المحقق الزركشي فى شرحه على تلخيص المفتاح الذى سماه « مجلى الأفراح » وهو كتاب ضخم يزيد على المطوّل ، وقفت عليه فى القدس الشريف سنة ٩٩٢ وهذه عبارته : اعلم أن الألِف واللام فى الحمد لله قيل للاستغراق ، وقيل لتعريف الجنس ، واختاره الزمخشرى ، ومنع كونها للاستغراق قيل وهى نزغة اعتزالية ، ويشبه أن يقال فى تبيين مراد الزمخشرى : إن المطلوب من العبد إنشاء الحمد لا الإخبار به ، وحينئذ يستحيل كونها للاستغراق إذ لا يمكن العبد أن ينشئ جميع المحامد منه ومن غيره ، بخلاف كونها للجنس . انتهى كلام الزركشى .

ومن الـكتاب المذكور فى بحث اللفّ والنشر ما صورته : قال الزمخشرى فى قوله تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُـكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ وابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ » قال: هذا من باب اللفّ ، وترتيبهُ : ومن آياته منامُـكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصَلَ بين القرينتين الأوليين بالقرينتين الأخريين، لأنهما زمانان ، والزمان

و لو قيل فيه كشيء واحد ، مع إعادة الذنب على الاتحاد ، ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما ، والظاهر الأول لتكرره في القرآن . أقول: ما ذكره الزمخشري مشكل من جهة الصناعة ؛ لأنه إذا كان المعنى ما ذكره يكون النهارُ معمول ابتغاؤكم ، وقد تقدّم عليه ، وهو مصدر ، وذلك لا يجوز ، ثم يلزم العطف على معمولي عاملين فالتركيب لايسوغ . انتهى كلام الزركشي .

الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا صنف رسالة في العشق وقال : إنه لا يختص بنوع الإنسان ، بل هو سار في جميع الموجودات من الفلكيات ، والعُنصريات ، والمواليد الثلاث : المعدنيات ، والنباتات ، والحيوان ، انتهى .

* * *

كان لبهرام جور ولد واحدٌ ، وكان ساقط الهمة دنيء النفس ، فسلط عليه الجوارى والقينات الحسان حتى عشق واحدة منهنّ ، فلما علم الملك بذلك قال لها : تجنّي عليه وقولى له أنا لا أصلحُ إلا لعالى الهمة أبيّ النفس ، فترك الولد ما كان عليه حتى ولى الملك وهو من أحسن الملوك رأيا وشهامة .

ابن خفاجة :

لقد جُبتُ دون الحيّ كلّ تَنوفةٍ ... يحومُ بها نَسر السماء على وَكرِ (١)
وخضت ظلامَ الليل يسودُّ فحمُه ... ودُستُ عرينَ اللّيث ينظرُ عن جمرِ
وجئت دبار الحيّ والليلُ مطرف ... يُنَمنم ثوبَ الأفق بالأنجم الزّهرِ
أشيمُ بها برقَ الحديدِ وربّما ... عثرت بأطرافِ المثقّفةِ السُّمرِ
فلم ألقَ إلا صَعدةً فوق لامةٍ ... فقلتُ قضيبٌ قد أطلّ على نهرِ

(١) التنوفة : الأرض الواسعة والفلاة لاماء بها ولا أنيس .

ولا شِمتُ إلّا غُرّةً فوقَ أشقرٍ   فقلتُ حُبابٌ يستديرُ على خمرِ
وسرت وقلبُ البرق يخفُق غَيرة   هناك وعينُ النجم تنظر عن شزْرِ

لبعضهم :

تحرّسُ الطّرف بين الجدّ واللعب   أفنى المدامعَ بين الحزن والطرَبِ
كم ذا أردّدُ فى أرضِ الحمى قدَمى   تَرُدُّدَ الشكّ بين الصّدق والكذبِ
كأنى لم أعرّسْ فى مضارِبها   ولم أُحطّ بها رحْلِي ولا قتَبِي
ولم أغازلْ فتاة الحيّ مائِسَةً   فى روضها بين دُرّ الحلى والذهبِ
تُبدى النّفارَ دَلالاً وهى آنِسةٌ   ياحُسْنَ معنَى الرِّضا فى صُورةِ الغضبِ

لجامع الكتاب :

وَثورَيْن حاطَا بهذا الورَى   فثورُ الثُّريّا وثورُ الثَّرى
وهُم تحتَ هذا ومِن فَوق ذَا   حميرٌ مسرّحةٌ فى قُرى

ملخص من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى من المجلد الخامس منه، وهو مما وقفت عليه فى القدس الشريف :

أعشى همْدَان هو عبد الرحمن بن عبد الله ، بينه وبين همْدَان ثلاثة عشر أبا وهمدانُ بن مالك بن زيد بن نزار بن واسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان .

وكان الأعشى شاعراً فصيحا ، وهو زوج أخت الشعبى الفقيه ، والشعبى زوج أخته ، وكان ممن خرج على الحجاج وحاربه مرات ، فظفر به وأتى به إليه أسيرا ، فقال له الحجاج : الحمد لله الذى أمكننى منك ، ألست القائل كذا ؟ ألست القائل

كذا ؟ وذكر له أبياتا كان قد قالها فى هجو الحجاج وتحريض النـاس على قتاله ، ثم قال له : ألست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنت أصبتُهم   فاليومَ أصبرُ للزمان وأعرفُ
وإذا تُصِبْك من الحوادثِ نَـكبةٌ   فاصبِرْ فـكلّ غَيـابة تتـكشّفُ

أما والله لتـكونن نـكبةٌ لا تنـكشف غيابتها عنك أبدا ، يا حرسيّ اضربا عنقه ، فضربت عنقه .

وكان قد أسِر فى بلاد الديلم . ثم إن بنتا للعِلْج الذى أسره أحبته وصارت إليه ليلا ومكنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانِي مرات، فقالت له : أنتم معشر المسلمين هكذا تعملون بنسائـكم ؟ فقال نعم ، فقالت : بهذا العمل نصرتم. ثم قالت : أفرأيت إن خلصتك تصطفينى لنفسك؟ فقال: نعمْ، وعاهدها . فلما كان الليل حلّتِ قُيودَه ، وأخذت به طَريقا تعرفها وهربت معه . فقال فى ذلك شاعر من أمراء المسلمين :

فمن كانَ يَفدِيه من الأسر مالُه   فهمْدانُ يَفديهـا الغداةَ أيُورها

* * *

الصفى الحلّى :

ما مِلتُ عن العَهْد وحاشاىَ أمِين   بل كنت على البعـد قويًّا وأمين
لا تحسبنّى إذا قسا الهجرُ ألين   بل لو كشف الغطاء ما ازددتُ يقين

القاضل الأديب جمال البلغاء علىُّ بنُ المغربى، والمصراعُ الأوّل هذيانٌ جرى على لسانه وهو محموم (١) .

---

(١) هذه القصيد اشتملت على كثير من الألفاظ التى يستعملها السحرة والمشعوذون فى تعاويذهم، وكثير منها لا يتفق مع اللغة العربية.

دن ددن ددن ربى　　أنا على بنُ المغربى
صنــاجِق تهنّى　　عســاكرى تأهّبى
هاقد ركبتُ للسيــــر فى البلاد فاركَبى
أنا الذى أسدُ الشّرى　　فى الحرب لا تحفِلُ بى
إذا تمطّيتُ وقد　　رفعت فيهم ذنبى
أنا امرُؤ أنــكرُ ما　　يعرفُ أهلُ الأدب
ولى كلامٌ نحوُه　　ليس كنحوِ العربِ
وأقصِــدُ التّثليثَ فى　　نتفِ سِبال قُطْرُب
فإن سألتَ مذهَبى　　فهاكَ عينَ مذهبى
آ كُلُ ما أحبُّه　　ورغبتى فى الطيِّب
وألبسُ القطنَ ولَا　　أ كرهُ لُبس القَصبِ
وليس عِشقِى مثلَ عِشـ　　ـق الجاهل الغِرّ الغَبى
أُحب مَن يُحبّنى　　لَا من غـدا مُعذِّبى
وكلُّ قصــدى خَلوةٌ　　أ كونُ فيها معْ صَبِى
فَنجتلى بنتَ الـكُرو　　مِ أو بُنىَّ العِنب
ونَبتدى نأخـذ فى الشّـ　　ـكوى وفى التّقلبِ
حتّى إذ ما جادَ لى　　برشفِ ذاكَ الشّنبِ
حكّمته فى الراسِ إذْ　　حكّمنى فى الذّنبِ
ونلت ما أرومُه　　منـه ببذل الذّهب
هــذا هو المذهبُ إنْ　　سألتنى عن مذهَبِى
ما أنا ذا ترَفّضٍ　　كلّا ولا تنصُّبِ

ولا هَوى نفسِيَ فى الـــجِـدالِ والتعصُّبِ
ولا جلستُ جانبا فى الجمعِ فوقَ الرُّكَبِ
بين امرئٍ مصدِّقٍ وآخرٍ مكذِّبِ
كلَّا ولا فاخرتُ بالنّـ فسِ ولا بالنّسَبِ
ما قلتُ قطّ ها أنا ولمْ أقلْ كانَ أبى
ولم أزاحم أحـدًا علَى عَلِيّ منصبِ
ولا دَخلتُ قطُّ فى عمرِىَ بيتَ الـكُتب
كلَّا ولا كرّرتُ در سِى فى ظَلَامِ غيهبِ
ولا عَرفْتُ النّحوَ غيـــرَ الجرِّ بالمنتصب
كلّا ولا اجتهدتُ فى حفظ لُغاتِ العربِ
ولا عرفتُ من عَرو ضِ الشِّعرِ غيرَ السَّبب
ولا بَحثْتُ منـــه فى الـــمُجْتثّ والمقتضَبِ
كلّا ولا اشتغلتُ بالنّـ جوم والتطبُّبِ
وليسَ فى المنطق والـــحكمةِ أضحَى أرَبى
وأينَ مِنِّى البحثُ فىالـــبَسيطِ والمُرَكَّبِ
والسِّحرَ ما عرفتُهُ معرفة المجرِّبِ
ولا رَبطْت ضِفدعَ الـماء بصُوفِ الأرنب
ولا كتبتُ إسمَ مَن أهوى بماء الطُّحْلُبِ
ولا سَحَرْتُ باللُّبا نِ معْ قُشور المَحْلَب
ولا طَلَبْتُ السِّيمِيا ء من فَتًى يسخَرُ بِى
ولستُ آتى قطّ فِى فصلِ الشِّتا بالرُّطَب

والكيمياء لم أكن أنفقُ فيهـا نشبي
وليسَ فى التقطير والتكليس أضحى تعبي
ولا طمِعْتُ فى المحال قطّ مثلَ أشعب
كلّا ولا تَخرقْتُ للنـاسِ لأجلِ الطلب[1]
ولا ضَرَبتُ مندَلًا لجاهلٍ يمرُّ بي
ولا حملت طاسةً أقرعُها بالقُضُب
كلّا ولا أظهرتُ فى المندَل رأس قهزَبِ
ولا دعوتُ الشَّيْصَبا نَ دعوةً لم تُجَب[2]
كلّا ولا ذَكَّرتُه عهدَ سُليمانَ النبي
ولم أقل لامْرأةٍ فى حَلْقتى قومى آذهبي
ولم أقلْ ينكحُكُمُ ابنُ الزنا مخبِّبي
أريد أن أطردَه عنِّى إلى ذى لعب
أوهِمُهُم كَىْ لا يرو حَ جمعهُم فى شعب
ولا كتَبْتُ هـذيا نَ سَهلَبِ بن سَهْلَبِ
فى كاغدٍ بأحمرٍ وأسودٍ مكتتـب
أقولُ هذا للسّلا طين وأهلِ الرّتَب
يصْلُح للمَحْبوسِ أوْ لمن غدا فى الكُرَب
أردُّ يا قومُ به مسافراً لم يؤُب

---

(١) المخرقة: إظهار الخرق توصلا الى حيلة، والفعل مخرق. والمخرق: المموه، وهى مما استدركه شارح القاموس عليه .

(٢) الشيصبان : الشيطان ، وقبيلة من الجن .

كتبت فيـــه دعـــوةً عـــن ذى العُلا لم تحجَب
والسّرّ فى طِلّسْمـــه الـ مبغّضِ المحبّـــبِ
ولا اتّخذت حَيّـــة لأجعلنهـــا سببى
كلّا ولا خاطبتُكم بلفظ أهلِ المغرب
أقول هذا مقصدِى إليكم من يثربِ

* * *

لجامع هذا الكتاب : وهو ما كتبه إلى بعض الأصحاب ، وكان فى المشهد الأقدس الرضوى :

ياريح إذا أتيت أهل الجمع أعنى طنبا فقل لأهل الربع(١)
ما حل بروضةٍ بهائيكمُ إلا سقى رياضهـا بالدمع

وقال ـ وهو مما كتبه إلى بعض الإخوان بالنجف الأشرف ـ :

ياريح إذا أتيت أهل النجف فالثم عـــنى ترابهـا ثم قف
واذكر خبرى لدى عُرَيْب نزلوا واديه وقص قصتى وانصرف(١)

الصفى الحلى :

قيلَ إنَّ العقِيق قَد يُبطِلُ السّحْـ رَ بتختيمه لسرٍّ حقيقى
وأرى مُقلتَيْــك تنفُث سحرا وعلى فيــك خاتمٌ من عقيق

وله ـ وقد أشرف على المدينة المشرفة صلوات الله على الحالّ فيها :

هـــذه قبّةُ مولَا ىَ وأقصى أمـــلى
أوقفـــوا المحَمل كى ألـ ثم خُفَّ جمـــلى

(١) هذه الأبيات الأربعة وردت فى النسخ المطبوعة والمخطوطة غـير موزونة . وقد اختلفت النسخ فى بعض الألفاظ اختلافا لا يؤدى إلى صحة الوزن.

لجامع الكتاب :

إنَّ هـذا الموتَ يكرهُه ... كلُّ مـن يَمشِى على الغبرَا
وبعين العقـل لو نظرُوا ... لرأوهُ الراحـةَ الكبرى

وله ـ لما حج البيت الحرام وشاهد تلك المشاعرَ العظام ـ :

يا قـومُ بمـكة أنا ذا ضيفُ ... ذى زمزمٌ ذى منى وهذا الخيفُ
كم أعرُك مُقلتى لأستيقن هـل ... فى اليقظـة ما أراه أم ذا طيفُ

قال : ومما كتبت إلى والدى طاب ثراه ، وهو فى هراة سنة ٩٨٩ .

ياساكنى أرضِ الهراةِ أما كفَى ... هذا الفراقُ بلى وحقِّ المصطفى
عودُوا علىَّ فربعُ صبرى قد عفا ... والجفنُ من بعـد التباعد ما غفا
خيالُـكم فى بالِى ... والقلبُ فى بَلبَال(١)

إن أقبلتْ من نحوكم ريح الصبا ... قلنا لهـا أهلًا وسهلا مَرْحبا
وإليـكمُ قلبُ المتيم قد صبـا ... وفراقُـكم المروح منـه قد سبا
والقلبُ ليس بخـالى ... مـن حُبِّ ذات الخالِ

ياحَبّذا ربعُ الحمى من مربعِ ... فغزاله شبَّ الغضى فى أضلُعِى
لم أنسه يومَ الفِراق مُودِّعى ... بمدامعٍ تجرى وقلبٍ موجَعِ
والصـبّ ليس بسَالى ... عـن ثغره السَّلسالِ

من كلام بعض أصحـاب القلوب : إنما بَعثَ يوسفُ على نبينا وعليه أفضـل الصلاةوالسلام قميصه من مصر إلى أبيه ، لأنه كان سبب ابتداء حزنه لما جاءوا به ملطخا بالدم ، فأحب يوسف أن يكون فرحُه من حيث كان حزنه .

قال الحسن بن سهل للمأمـون : نظرت فى اللذات فرأيتها مملولة خلا سبعةٍ :

---

(١) البلبال : شدة الهم والوساوس .

خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الوطيء ، والنظر إلى الحَسَن من كل شيء . فقال له : أين أنت من محادثة الرجال؟ قال صدقت ، هي أولاهن .

* * *

مما أنشده الشلي :

خليلي إذا دامَ همُّ النفوسْ ... على ما تراه قليلًا قتلْ
فياساقَ القوم لا تنسَني ... ويا ربة الخدرِ غنّى زَجَلْ
لقد كان شيء يسمى السرورْ ... قديما سمعنا به ما فعلْ

التهامي :

هل أعارتْ خيالَكَ الريحُ ظَهراً ... فهو يغدُو شهرا ويرتاحُ شهرا
زارني في دمشقَ من أرض نجدٍ ... لكَ طيفٌ سرى فكلُّك أسرى
وأراد الخيالُ لثمي فصيَّرْ ... تُ لثامي دون المراشِف سترا
واختلسنا ظباءَ نجد بأرض الشام بعد الرقادِ بدراً فبدراً
فاصرفِ الكاس من رُضابِكَ عنّي ... حاشَ لله أن أرشّف خمرا
قد كفاني الخيالُ منك ولو زر ... تَ لأصبحتُ مثل طيفك ذِكرا

وله أيضا :

هي البدرُ لكن تستسِرُّ مدَى الدهر ... وكان سِرَارُ البدر يومين في الشهر (١)
هلاليّة كل الأهلّة دُونها ... وكلُّ نفيسِ القدرِ ذو مطلب وعرِ
لها سيفُ طرْف لا يُزايلُ جفنه ... ولم أر سيفا قط في جفنه يَفرِي

(١) السرار — بفتح السين وكسرها — : آخر ليلة من الشهر .

ويقصر ليلى إن ألمت لأنها صباحٌ وهل لليل بُقْيا مع الفجر
أقول لما والعيسُ تحدجُ للنوى أعِدّى ابُعْدى مااستطعتِ من الصَّبْرِ
سأنفق رَيْعانَ الشَّبيبة دائبا على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أنّ لياليًا تمر بلا نفع وتُحسَبُ من عُمْرى

وله من أبيات يرثى بها ولده :

أتى الدهرُ من حيثُ لا أتقِى وخانَ من السَّبَبِ الأوثق
فقل للحوادثِ من بعدِه أسِيفى بما شئت أوحلّقى(١)
أمِنتُك لم تبقِ لى ماأخاف عليه الحمامَ ولا أتقى
وقد كنتُ أشفق مما دهاه فقد سكنتْ لوعةُ المشفق
ولما قضى دون أترابه تيقنتُ أن الردى ينتقى
يَعِزّ على حاسدى أننى إذا طرقَ الخطبُ لم أطرق
وأنىَ طودٌ إذا صادمتْ رياحُ الحوادث لم يُفلَق

وله أيضا :

هل الوجد إلا أن تلوحَ خيامُها فيقضى بإهداء السلام ذِمامُها
وقفتُ بها أبكى وترزُمُ أيْنقى وتصْهل أفراسى ويدعُو حَمامُها
ولو بكت الوُرقُ الحمائم شجوَها بعيْنى محا أطرافَهنّ انسجامُها
وفى كبِدى أستغفِرُ الله غُلةٌ إلى بَرَدٍ يَثْنى عليه لثامُها
وبردُ رِضابٍ سلسلٍ غيرَ آسنٍ إذا شربتْهُ النفسُ زادَ هُيامُها(٢)

(١) أسيفى: أى اضربى بالسيف. فهو استعمل الضرب بالسيف فى مطلق الضرب. وقوله أو حلقى : أى ارتفعى . . . يقول لحوادث الدهر : اضربى أو ارتفعى وكنى عن الضرب ، فأنا لا أخافك بعد ما أخذت ابنى ، فإنك لم تترك لى ما أخاف عليه .

(٢) الهيام : كالجنون من العشق .

عَلى حِين شيبٍ قد ألم بمفرق ... وعاد رُهام الشَّعر وهو ثَغام[1]
طلائعُ ضَعف قد أغارت على القُوَى ... وثار بميدان المزاج قَتامُ
فلَا هى فى الجمال مقيمةٌ ... ولا أنا فى عَهد المجونِ مُدامُ
تقطّعت الأسبابُ بَينى وبينها ... ولم يبقَ فينا نسبةٌ ولئامُ
وعادَتْ قَلوصُ العزْم عنى كليلةً ... وقد جُبَّ منها غاربٌ وسَنامُ
كأنّى بها والقلبُ زُمّتْ ركابُه ... وقُوّض أبياتٌ له وخِيامُ
وسِيقت إلى دار الخمولِ حُمُوله ... يَحنُّ إليها والدموع رِهام[2]
حَنين عجولٍ غرّها البَوُّ فانثنت ... إليه وفيها أنّةٌ وضِغام[3]
تولت ليالٍ للمسرّات وانقضتْ ... لكلِّ زمانٍ غايةٌ وتمامُ
فسُرعان ما مرت وولت وليتها ... تدوم ولكن ما لهن دوامُ
دُهور تقضّت بالمسرات ساعةٌ ... ويومٌ تولّى بالمساءة عامُ
فلله دَرُّ الغم حيث أمدنى ... بطول حياةٍ والهمومُ سهامُ
أسيرُ بتيماء التحيّر مفرداً ... ولى معَ صحبى عشرةٌ وندام[4]
وكم عشرةٍ ما أورثت غير عُسرة ... ورُب كلام فى القلوب كُلامُ
فما عشت لا أنسى حقوقَ صنيعه ... وهيهات أن يُنسى لدىَّ ذِمامُ
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت ... عليه فئامٌ إثر ذاك قيامُ
خبت نارُ أعلامِ المعارِف والهُدى ... وشبَّ لنيرانِ الضلالِ ضِرامُ
وكان صريرُ العلم صرحاً ممرّداً ... يناغِى القبابَ السبعَ وهى عِظام

---

(١) رهام الشعر — بالضم — : أكثره . والثغام: البياض . يقول: عاد أكثر الشعر أبيض .
(٢) رهام : جمع رهمة — بكسر الراء وهى المطر الضعيف ، شبه دموع عيونهم به .
(٣) البو : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتدر عليه اللبن .
(٤) الندام : جمع نديم .

مَتينا رفيعا لا يُطارُ غـــرابُهُ عزيزاً منيعـا لا يـــكاد يُرام
يلوح سَنا برقِ الهـدى من بُروجه كبرق بدا بين السحاب يُشام(١)
لجرّت عليـه الراسياتُ ذُيولهـا لخرّت عُروشٌ منه ثم دِعامُ
وسِيق إلى دار المهانة أهـلُهُ مَساق أسير لا يزالُ يُضام
كذا تحـكم الأيامُ بين الورَى على طرائقَ منهـا جائر وقَوام
فمـا كلّ قيل قيلُ عـلم وحكمـةٍ وما كل أفراد الحـديدِ حُسامُ
وللدهر تاراتٌ تمر على الفـــتى نعيمٌ وبؤسٌ صحةٌ وسَقامُ
ومن يك فى الدنيـا فلا يعتبنّها فليس عليها معتَبٌ ومَلامُ
أجِـدَّك ما الدنيا وماذا متاعُها وماذا الذى تبغيهِ فهو حُطام
تشكّلَ فيها كلُّ شىء بشكل ما يُعـانِدهُ والناسُ عنه نيامُ
ترى النقصَ فى زىِّ الـكمالِ كأنمـا على رأسِ ربات الحجالِ عِمامُ
فـدعها ونُعماهاَ هنيئا لأهلهـا ولاتك فيها راعيا ، وسَوامُ
تَعافُ العرانينُ السماط على الطوى إذا ما تصدى للطعام طَغَامُ(٢)
على أنها لا يُستطاعُ منالُها لما ليس فيه عُروةٌ وعصامُ
ولو أنتَ تسعى إثرها ألفَ حِجّةٍ وقد جاوز الطُّبيين منك حِزامُ(٣)
رجعتَ وقد ضلّت مساعيك كلها بخُفَّىْ حُنَين لا تزال تُلامُ
هب آن مقاليدَ الأمور ملـكتَها ودانت لك الدنيا وأنت هُمامُ
ومُتعت باللذاتِ دهرا بِغبطَة أليسَ بحتم بعد ذاك حِمامُ

(١) يشام ـ بالياء التحتية ـ أى ينظر إليه بين السحاب .

(٢) السماط : ما يمد عليه الطعام .

(٣) الطبى ـ بضم الطاء وكسرها ـ حلمة الثدى من ذوات الظلف والحافر، وجاوز الحزام الطبيين : مثل يضرب لاشتداد الأمر وتفاقمه .

فبينَ البَرايا والخلودِ تباينٌ ... وبين المنايا والنُّفوسِ لزامُ
قضيةٌ انقادَ الأنامُ لحكمها ... وما حاد عنها سيّدٌ وغلام
ضَروريّةٌ تقضى العقولُ بصدقها ... سل آن كان فيها مريةٌ وخِصامُ
سلِ الأرضَ عن حالِ الملوكِ التى خلَتْ ... لهم فوقَ فرق الفرقدين مُقامُ
بأبوابهمْ للوافدين تراكُم ... بأعتابهم للعاكفين زِحامُ
تُجبْكَ عن أسرار السّيوف التى جرت ... عليهمْ جواباً ليسَ فيه كلامُ
بأن المنايا أقصدتْهم نبالُها ... وما طاشَ عن مرمًى لهنّ سهام
وسيقوا مَساق الغابرين إلى الرّدى ... وأقفرَ منهمْ منزلٌ ومُقامُ
وحَلّوا محلًّا غير ما يَعْهَدونه ... فليس لهم حتى القيامِ قيامُ
ألَمَّ بهم ريبُ المنونِ فغالهم ... فهم بين أطباقِ الرّغام رَغام

هذا آخر ما انتخبته منها ، وهى اثنان وتسعون بيتاً فى غاية الجودة وزيادة السلاسة . انتهى .

* * *

لجامع الكتاب قالها عن لسان الحال :

أنا الفقير المعنّى ... ذو رقّةٍ وحَنينِ
للناس طرا خَدُومٌ ... إذا همُ استخدمونى
يعلو مقامى قدراً ... إذا همُ لمسونِى
ولستُ أسلو هواهُ ... يوماً ولو قطّعونى
هذا ومن سوء حظّى ... وحسرتى وشُجونى
أن لستُ أذكر إلّا ... عَقِيبَ رَفع الصحون

قال الزمخشرى عند قوله تعالى « إن كيدكن عظيم » استعظم كيد النساء لأنه وإن كان

فى الرجال أيضا إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة، ولهن فى ذلك رفق. ثم قال: والقصيرات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من الشواهق . انتهى .

عن بعض العلماء أنه قال : أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول : « إن كيدَ الشّيطانِ كان ضَعِيفاً » وقال سبحانه فى النساء « إن كيدَكُن عظيمٌ » انتهى .

إذا قيل : كم يتحصل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء كانت مهملة أو مستعملة ، فاضرب ثمانية وعشرين فى سبعة وعشرين ، فالحاصل جواب .

فإن قيل : كم يتركب منها كلمة ثلاثيةٌ بشرط ألا يجتمع حرفان من جنس ، فاضرب حاصلَ ضرب ثمانية وعشرين فى سبعة وعشرين فى ستّة وعشرين يكن تسعة عشر ألفا وستّمائة وستة وخمسين .

وإن سئلتَ عن الرباعيّة فاضرب هذ المبلغ فى خمسة وعشرين ، والقياس فيه مطرد فى الخماسى فما فوق . انتهى .

نستعلم مِساحة الأجسام المشكلة المساحة كالفيل والجمل ، بأن يُلقى فى حوض مربع ويعلّم الماء ، ثم يُخرج منه ويعلم أيضا ، ويمسح ما نقص فهو المساحة تقريبا . انتهى .

كان يحيى بن مَعاذ كثيرا مايقول: أيها العلماء إن قصورَكم قيصريّة، وبيوتَكم كِسرَوية ، ومواكِبَكم قارونية ، وأوانيَكم فرعونيّة ، وأخلاقَكم نُمروذية ، وموائدَكم جاهلية، ومذاهبَكم سلطانية، فأين المحمديّة ؟

القاضى أبو الحسن فى الغيم والبرق :

من أين للعارِض السّارِى تلهّبُهُ   وكيفَ طبّق وجهَ الأرض صيِّبُه

هل استعارَ جُفونى فهى تُنجِده   أم استعار فؤادى فهو يُلهِبُه

لبعضهم :

للهِ أيامٌ تقضّتْ لنا   ما كان أحلاها وأهناها

مرّت فلم يَبْقَ لنا بَعْدَها   شيء سوى أنّا مُنِحْناها

قُبّة الشافعى رضى الله تعالى عنه قبةٌ عظيمة البناء ، واسعة الفضاء ، قصدت زيارتها فى هذه السنة وهى السنة ٩٩٢ وفى رأس ميل القبة سفينة صغيرة من حديد معدّة لوضع الحب لأجل الطير ، وأنشد بعضُ الشعراء لما زار القبة ورأى ذلك الميلَ والسفينةُ فى رأسه :

قُبّة مولاى قد علاها   لعُظْم مقدارها السّكينهْ

لو لم يكن تحتها بحارٌ   ما كان من فوقها سفينَهْ

الشافعى رضى الله عنه :

تحكّموا فاستطالوا فى تحكّمهم   عما قليلٍ كأنّ الحكمَ لم يكن

لو أنصفوا أُنصِفوا لكن بَغَوْا فبَغَى   عليهمُ الدهرُ بالأحزان والمحن

فأصبحوا ولسانُ الحال ينشدُهم   هذا بذاك ولا عتب على الزّمنِ

لغيره :

وَلاؤكم مذهبى والحبّ منهاجى   فهل لمنهاج هذا الصّبّ من هاجى

ياسادةً لا أداجى فى محبتهم   لو قطّعوا بسُيوف الصدّ أوْداجِى

لى فى حِمى ربعِكم بالرّقمتين رَشا   عَنّى غَنىٌّ وإنى أىُّ مُحتاجِ

لمّا تجلّى من نورِ طلعتِهِ   ليلُ الدُّجى بسراج منهُ وهّاجِ

* * *

عن على الرضا عليه السلام ، وقد ذكر عنده عرفةُ والمشعرُ الحرام فقال : ما وقف أحد بتلك الجبال إلا استجيب له فأما المؤمنون فيستجاب لهم فى آخرتهم ، وأما الكفار فيستجاب لهم فى دنياهم . انتهى .

قيل لابن المبارك : إلى متى تكتب ؟ فقال لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد . انتهى .

قال ابن الجوزى فى كتاب صفوة الصفوة فى حوادث سنة [٦٤٠] : فى هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة، وكان مدّة الطاعون أربعةَ أيام، فمات فى اليوم الأوّل سبعون ألفا ، وفى اليوم الثانى أحد وسبعون ألفا ، وفى اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفا ، وأصبح الناس فى اليوم الرابع موتى إلا آحادا . انتهى .

وعن عبد الله رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا ، وخط وسطه خطا خارجا منه ، وخط خطوطا صغارا إلى جنب الخط وقال : أتدرون ماهذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال هذا الإنسان الخط الذى فى الوسط، وهذا الأجل محيط به ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض التى حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا، وذلك الخط الخارج الأمل . انتهى .

كان ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات صاحب جامع الأصول والنهاية فى غريب الحديث من أكابر الرؤساء محظيا عند الملوك وتولى لهم المناصب الجليلة ، فعرض له مرض كف يديه ورجليه ، فانقطع فى منزله ، وترك المناصب والاختلاط بالناس ، وكان الرؤساء يغشونه فى منزله ، فحضر إليه بعض الأطباء والتزم بعلاجه، فلما طببه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع للطبيب شيئاً من الذهب وقال : امض لسبيلك ، فلامه أصحابه على ذلك وقالوا هلا أبقيته إلى حصول الشفاء ؟ فقال لهم :

لأنى متى عوفيت طلبت المناصب ودخلت فيها وكلفت قبولها ، وأما مادمتُ على هذه الحال فإنى لا أصلح لذلك فأصرف أوقاتى فى تكميل نفسى ومطالعة كتب العلم، ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بدّ منه ، فاختار رحمه الله تعالى عطلة جسمه ليحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب ، وفى تلك المدّة ألّف كتاب جامع الأصول ، والنهايةَ وغيرَهما من الكتب المفيدة . والله أعلم .

فى تفسير النيسابورى عند قوله تعالى فى سورة الجاثية . « وسخّر لكم مافى السّموات ومافى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » ماصورته: قال أبو يعقوب النهر جورى سخر لكُم الكون ومافيه لئلا يُسخَّر منك شيء ، وتكون سُخرت لمن سَخَّر لك الكل ، فمن ملكه شيء من الكون وأسرته زينة الدنيا وبهجتها فقد جحد نعمه ، وجهل فضله وآلاءه عنده ، إذ خلقه حرّا من الكل عبدا لنفسه ، فاستعبده الكل ولم يشتغل بعبودية الحق بحال . انتهى .

عن أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن فقير أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وعنده رجل غنى فكف الغنى ثيابه عنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماحملك على ماصنعت أخشيت أن يلصق فقره بك أو يلصق غناك به» ؟ فقال : يارسول الله ، أما إذا قلت هذا فله نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم للفقير: أتقبلُ منه . قال لا ، قال ولم ؟ قال : أخاف أن يدخلنى ما دخله . انتهى .

* * *

روى أنه كان فى جبل لُبنان رجل من العبّاد منزويا عن الناس فى غارٍ فى ذلك الجبل ، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحر بالنصف الآخر ، وكان على ذلك مدّة طويلة لاينزل من ذلك الجبل أصلا ، فاتفق أن انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالى ، فاشتدّ جوعه وقل هجوعه ، فصلى العشاءين وبات تلك الليلة فى انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسر له شيء ، وكان فى أسفل ذلك الجبل

قرية سكانها نصارى ، فعندما أصبح العابد نزل إليهم واستطعم شيخا منهم فأعطاه رغيفين من خبز الشعير . فأخذهما وتوجه إلى الجبل ، وكان فى دار ذلك الشيخ النصرانى كلب جرب مهزول، فلحق العابدَ ونبح عليه وتماق بأذياله، فألقى إليه العابد رغيفا من ذينك الرغيفين ليشتغل به عنه فأكل الكلبُ ذلك الرّغيف ولحق العابد مرّة أخرى وأخذ فى النباح والهرير ، فألقى إليه العابد الرغيف الآخر فأكله ولحقه تارة أخرى ، واشتدّ هريره ، وتشبث بذليل العابد ومزقه فقال العابد : سبحان الله إنى لم أر كلبا أقل حياء منك ، إن صاحبك لم يعطنى إلا رغيفين وقد أخذتهما منى ، ماذا تطلب بهريرك وتمزيق ثيابى؟فأنطق الله تعالى ذلك الكلب: لست أنا قليل الحياء اعلم أنى رُبيت فى دار ذلك النصرانى أحرسُ غنمه وأحفظ داره ، وأقنع بما يدفعه لى من عظام أوخبز ، وربما نسينى فأبقى أياما لا آكل شيئا بل ربما يمضى علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئا ولا لى ، ومع ذلك لم أفارق داره منذ عرفت نفسى ، ولا توجهت إلى باب غيره، بل كان دأبى أنه إن حصل شىء شكرت وإلا صبرت. وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان منك تحمل، حتى توجهت من باب رازق العباد إلى باب نصرانى ، وطويتَ كشحك عن الحبيب ، وصالحت عدوّه المريب ، فأيّنا أقلّ حياء أنا أم أنت ؟ فلما سمع العابد ذلك ضرب بيديه على رأسه وخرّ مغشيا عليه . انتهى .

مات لأبى الحسين بن الجزار حمارٌ فكتب له بعض الأصحاب :

مات حمارُ الأديب قلتُ لهم مضى وقد فات فيه مافاتا
من مات فى عزّه استراح ومَن خلّف مثل الأديب ماماتا

فأجابه الجزار :

كم من جَهول رآنى أمشى لأطلبَ رزقا
فقال لى صرتَ تمشى وكلّ ماش ملقّى

فقلت مات حِمارى تعيشُ أنت وتبقى

من كلام الأستاذ الأعظم الشيخ محمد البكرى الصدّيقى خلّدت أيام إفادته ، وهو مما كتبته عنه بمصر المحروسة سنة ٩٩٢ .

بين أهلِ القلوبِ والحقّ حالُ هـــوسرٌ يدِقّ عنهُ المقالُ
ماالشخص إلى عُـلاهم طريقٌ لا ولافى ميدانهم من يُجال
احذَرْ أهل القلوب وسلّم أمْرهم إنهم فحـول رجال
لا يكن منكَ ذرّةٌ بنكير فسيوفُ الأقوال منها صِقال
وشَباها يشب نار انتقام ليس يُطفَى لوقدها إشعالُ
مُرهَفات بُتر تقُدّ وتَفْرى سلّها فتيةُ الورى الأبطالُ
فإذا ما رأيت نُـكرا فأوّل ليزول الإنـكار والإشكالُ
لا تُرد وسعة المقـال لحال ربّ حالٍ يضيق عنها المقالُ
لو ترى القومَ فى الدياجى سُكارى وعليهم أديرت الجريال
كل بسط من بَسطهم مستفادٌ كل عطف لسُكرهم ميّال
شاهدوا الحق من مرائى نُفوس جلّ عن كشفها الرفيع مثالُ
إنمـا العين بالحقيقة للعيـــن تجلت فمـا هناكَ خيـال
تحت أستار عـزةٍ وجـلالٍ ماسواها جميعُها أسمالُ
يالقومى من سَـكرة بمُـدام مالعقل النُّدْمان منها خبالُ
هاتِهـا هاتِها على كل حالٍ واسقِنيها فمـــا عليك مقالُ
لا تُبالى بعاذل فى هـواها لم يذقها فقوله بطّال
فشمالٌ والـكأس فيها يمـينٌ ويمينٌ لا كأسَ فيها شِمال

* * *

الذى بقسطنطينية فى يومنا هذا من العمارات ، من تقرير بعض الثقات وخطه سنة ٩٩٢ اثنتين وتسعين وتسعمائة :

محلات حارات المسلمين	الجوامع	مساجد الحارات
عدد	عدد	عدد
٢٢٥	٤٠٠	٤٤٩٤
الأبنية العالية	مكتب خانه	الخانقاهات
عدد	عدد	عدد
٥٠	١٩٥٢	١٥٠
الزوايا التى فيها المشايخ والعبّاد	العيون التى عليها الفرون	المدارات لأجل الرحى
عدد	عدد	عدد
٢٨٥	٣٤٥٤٨	٥٨٥
للمواضع المقسمة التى يجلب إليها الأشياء	الحمامات	حارات النصارى
عدد	عدد	عدد
١٢	٨٧٤	٤٨٥
حارات اليهود	الـكنائس والبيع	
عدد	عدد	
٢٨٥	٧٤٢	

فسبحان مالك الملك ذى الجلال والإكرام .

* * *

لما دنا موت الشِّبلى قال بعض الحاضرين وهو محتضر : أيها الشيخ قل : لا إله إلا الله ، فأنشده الشبلى رحمه الله تعالى :

إنّ بيتاً أنت ساكنُه   غير مُحتاج إلى السُّرج

كتب ابن دقيق العيد إلى ابن نُباتة فى سفره :

كم ليلة فيكَ وصلتُ السُّرى | لا نعرف الغمضَ ولا نستريحْ
واختلف الأصحاب ماذا الذى | يُزيل من شكواهم أو يُريحْ
فقيـــل تعـريسُهمُ ساعةً | وقيل بل ذِكراك وهو الصحيحْ

فأجابه ابن نباتة بقوله :

فى ذمّـة الله وفى حفظـــه | مَسْراك والعـودُ بعزم نجيحْ
لو جاز أن تسلُك أجفاننـا | إذن فرشنا كلّ جفنٍ قريحْ
لـكنّها بالبعـــد معتـــلّةٌ | وأنت لا تسلك إلا الصَّحيحْ

* * *

للشيخ محمد البـكرى الصدّيقى وهو مما كتبتهُ عنه بمصر المحروسة :

شربنا قهوةً مـــن قشر بُنّ | تُعـــينُ على العبادةِ للعبادِ
حكت فى كفِّ أهل اللطف صرفا | زَباداً ذائبـــا وسْط الزّبادى

سئل محمد بن سيرين عن الرجل يُقرَأ عليه القرآنُ فيَصْعَق ، فقال [: ميعاد ما] بيننا و بينه أن يجلس على حائط ثم يقرأ عليه القرآن من أوّله إلى آخره ، فإن سقط فهو كما قال : انتهى .

لبعضهم :

إنّ الوجُودَ وإن تعدّد ظاهرا | وحياتـكم مافيـــهِ إلا أنتمُ
أنتم حقيقةُ كلّ موجود بدا | ووجودُ هذى الكائناتِ توهمُ
فى باطنى من حُبكم مالو بدا | أفتى بسفك دمى الذى لا يَعلمُ
نعّمتمونى بالعذاب وحبّــذا | صبٌّ بأنواعِ العذابِ مُنعّمُ

للشيخ محيي الدين بن عربى من قصيدة :

لقد كنتُ قبل اليوم أنـكِر صاحبى | إذا لم يـكن دينى إلى دينه دانِى

وقد صار قلبي قابلا كلَّ صورة ... فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائف ... وألواحُ توراةٍ ومُصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجّهت ... ركائبهُ فالحب دينى وإيمانى

غيره :

قد قال لى العاذلُ فى حبّه ... وقولُه زورٌ وبهتان
ما وجهُ من أحببتَهُ قِبلةٌ ... قلت ولا قولُك قرآنُ

لله درّ من قال :

لو كنتَ تعلمُ ما أقول عذرتنى ... أو كنتُ أعلم ما تقولُ عذلتُكا
لكنْ جهلتَ مقالتى فعذلْتنى ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

قال كثيرٌ من المفسرين عند قوله تعالى « بسم الله » إن لفظ اسم ممكن أن يكون مقحما كما فى قول لبيد رضى الله عنه : « ثم اسمُ السلام عليكما » الآتى فى الأبيات وكان قد بلغ مائةً وخمسا وأربعين سنة ولذلك قال :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولِها ... وسؤالِ هذا الناسِ كيفَ لبيدُ

ولما احتُضر قال يخاطب ابنتيه :

تمنّى ابنتاىَ أن يعيشَ أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ
فقوما وقولَا بالذى تعلمانه ... ولا تخمِشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ
وقولا هو المرءُ الذى لا صديقَهُ ... أضاعَ ولا خانَ الخليلَ ولا غدرْ
إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ... ومن يَبْكِ حولًا كاملًا فقد اعتذرْ

ونازع فى ذلك بعض فضلاء العربية وقال : لوجاز إقحام الاسم لجاز أن نقول: ضرب اسمُ زيد ، وأكلت اسمَ الطعام . ثم الحقُّ أن السلام اسمٌ ، من أسماء الله

تعالى ، والكلام إغراء ، والمعنى ثم الزما اسمَ الله ، فكأنه قال عليكما باسم الله ، وتقديم المُغرَى به ورد فى اللغة ، قال الراجز :

* يا أيها المائحُ دلوِي دونكَا *

أى دونك دلوى . ويقال . إن المراد اسم الله حفيظ عليكما ، كما يقول الناظر إلى شىء يعجبه: اسم الله عليه يعوّذه بذلك من السوء . ملخص من حاشية السيوطى على البيضاوى ، انتهى

* * *

قال فى حياة الحيوان عند ذكر الحجل : إن بعض مقدّمى الأكراد حضر على سماط بعض الأمراء وكان على السِّماط حجلتان مشويتان ، فنظر الكردى إليهما وضحك ، فسأله الأمير عن ذلك ، فقال : قطعت الطريق فى عنفوان شبابى على تاجر ، فلما أردت قتله تضرّع فما أفاد تضرّعه ، فلما رأى أنى قاتله لا محالة التفت إلى حجلتين كانتا فى الجبل ، فقال اشهدا عليه أنه قاتلى ، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكّرت حُمقه ، فقال الأمير : قد شهدتا ، ثم أمر بضرب عنقه فضربت . انتهى .

ابن الخراط :

فى غلام على خدّه ثلاث خالات كنقط الشين :

فى خدّه الروضُ فلا تحسبوا ثلاثَ شامات بدت عن حقيق
بل كاتبُ الحسن على خدّه نقّط بالعَنبر شينَ الشّقيق

القراطى :

لم يبكِ حين بكيتُ من هِجرانه متحسّرا
لكن حكى لى خدُّه المصقولُ صورةَ ماجرى

جمال العارفين الشيخ محيي الدين بن عربي قدّس سرّه :

مَرَضي من مريضةِ الأجفانِ　　علّلاني بذكرها علّلاني

شدَتِ الوُرقُ في الرياض وناحت　　شجوُ هذى الحمامِ مما شجاني

ياطلولا برامةٍ دارساتٍ　　كم حوت من كواعبٍ وحسان

بأبي طفلةً لعوباً تهادى　　من بناتِ الخدور بين الغواني

طلعت في العيان شمسا فلمّا　　أعلنت أشرقت بأفق جَناني

ياخليليَّ عرِّجا بعناني　　لأرى رسمَ دارِها بعياني

وإذا ما بلغتما الدارَ حُطّا　　وبها صاحبايَ فلتبكيان

وقفا بي على الطُّلول قليلا　　نتباكَى أو أبكِ مما دهاني

واذكرا لي حديثَ هندٍ ولُبنى　　وسُليمى وزينبٍ وعِنان

ثم زيدا من حاجرٍ وزَرودٍ　　خبراً عن مراتعِ الغزلان

طال شوقي لطفلة ذاتِ نثرٍ　　ونِظام ومِنبرٍ وبيان

من بنات الملوكِ من دارِ فُرس　　من أجلّ البلاد من أصفَهان(١)

هي بنتُ العراقِ بنتُ إمامٍ　　وأنا ضدُّها سهيلُ اليماني

هل رأيتم ياسادتي أو سمعتمُ　　أن ضِدَّين قطُّ يجتمعانِ

لو تَرونا برامةٍ نتعاطى　　أكؤساً للهوى بغير بَنان

والهوَى بيننا يسوقُ حديثا　　طيّبا مُطربا بغير لسان

لرأيتم ما يَذهلُ العقلُ فيه　　يمنٌ والشآمُ معتنقان

كذَب الشاعرُ الذى قال قبلي　　وبأحجارِ عقلِه قد رماني

(١) أصفهان : بفتح الفاء ، وقد تبدل فاؤها باء ، فيقال أصبهان ، بفتح الباء.

أيها المنكح الثريا سهيلًا عمرَكَ الله(١) كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يماني

آخر :

أعظمُ ما لاقيتُه من مُعضِلاتِ الزمنِ
وجهٌ قبيحٌ لامني في حُبِّ وجهٍ حسنِ

البدر البستكي :

وقالوا ياقبيحَ الوجهِ تهوى مليحاً دونه السُّمْرُ الرشاق
فقلتُ وهل أنا إلا أديبٌ فكيفَ يفوتني هذا الطِّباقُ

النواجي :

غالَطني اللَّاحي على من هِمت فيه وعذلْ
وقال يَحكي وجهُه بدرَ الدُّجى قلتُ أجلْ

* * *

في التضمين لبعضهم :

إن كنتَ تعجز أن تفوهَ بوصفه حسناً ومثلُك من يفوق قريضُه
سلْ عن سَوادِ الشَّعْر نَرجِسَ طرفه يخبرْك بالليل الطويل مريضُه

لجامع الكتاب :

يا بدرَ دُجى خياله في بالي مذ فارقني وزاد في بَلْبالي(٢)

---

(١) قال في القاموس في معنى عمرك الله : تحلفه بالله ، وتسأله بطول عمره .
(٢) البلبال — بفتح الباء —: شدة الهم والوساوس . وبكسر الباء: المصدر .

أيامُ نَواكَ لا تسل كيف مضت والله مضَت بأســوأ الأحوال

وله أيضا :

يا عاذل كم تُطيلُ فى إتعــابى دعْ لومك وانصرفْ كفانِى مابِى
لا لَوْم إذا أهيمُ بالشّوق فلى قلبٌ ماذاق فُرقة الأحباب

وله أيضا :

كم بِتُّ من المسا إلى الإشراقِ فى فُرقتكم ومُطربى أشواق
والهمُّ مُنادِمِى ونُقلى سَهرى والدّمع مُدامتِى وجَفنى السّاقى

وله مما كتبه إلى والده بالهراة ـ طاب ثراه من قزوين سنة ٩٨١ وأجاد :

بِقَزوينَ جِسمى وروحِى ثوتْ بأرض الهراةِ وســكّانها
فهذا تغرّب عن أهــلِهِ وتلكَ أقامت بأوطانِهـــا

أنشد الشيخ شمسُ الدين محمد الفالاتى لصاحبه شمس الدين الحلى المشهور بالسبع، وقد غابت زوجته بإيهام أنها ذاهبة إلى الحمام ، وبقيت ثمانية أيام ، وكان اسمها السّت ، وكان له زوجة أخرى اسمها رابعة :

بحق واحدْ بلا ثانى منير الشّمس طلِّق ثلاثَهْ وخلّى رابعهْ بالخمسِ
ذِى السّتْ ياسبع [غابَتْ] يوم ثامن أمسِ تَسْعى لغيركْ فما شِرْ غِيرْها ياشمسِ (١)

ابن الوردى فيمن طال شَعره إلى قدميه :

كيفَ أنسى جميلَ شعْرِ حبيبِى وهو كان الشفيعَ فىّ لديهِ
شَعَرَ الشَّعْرُ أنه رامَ قتــلِى فرمَى نفسَه على قدَميهِ

---

(١) فى هذا البيت تحريف فى المطبوعة ، وأثبتناه وفق مافى المخطوطة .

وله فيمن وصل شعره إلى ردفه[1] :

ذُؤابتُه تقول لعاشقيه ... قِفُوا وتأمّلوا قلقى وذُوبوا
فإنى قد وصلتُ إلى مكانٍ ... عليه تَحسُد الحدقَ القلوبُ

الصورى :

بِالذى ألهمَ تعذيبى ... ثناياك العِذابا
والذى ألبس خَدّيك ... مِن الوردِ نقابا
والذِى أودعَ فى فيك ... من الشَّهد شَرابا
والذِى صيّر حظّى ... منك هَجراً واجْتنابا
ما الذِى قالته عينا ... ك لِقلبى فأجَابا

* * *

ابن الزين فى أعمى :

قد تعشّقتُ فاترَ اللحظِ أعمى ... طرفُه من حيائه ليسَ يَلْمَحْ
لا تَعِيبَنَّ نرجِسَ اللَّحظِ منهُ ... فَهوَ فى الُحسنِ نَرجِسٌ لم يُفتّحْ

غيره فى محموم :

لا أحسُدُ الناس على نِعمةٍ ... وإنما أحسُد حُمّاكا
فما كفاها أنها عانقتْ ... قَدّكَ حتّى قبّلتْ فاكَا

وجد مكتوبا على قبر :

قَدْ أناخت بك رُوحى ... فاجعل العفوَ قِراها
فهىَ تخشاك وترجو ... ك فلا تَقطعْ رَجاها

(١) كانت فى المطبوعة « قدميه » وهو لا يتناسب مع معنى البيت الثانى .

مرض ابن عنين فكتب إلى السلطان هذين البيتين :

انظُر إلىّ بعين مولًى لم يزلْ يُولى النّدَا وتلافَ قبل تَلافِي[1]
أنا كالذى أحتاج ما تحتاجه فاغنَم دُعائى والثناء الوافى

فحضر السلطان إلى عيادته وأتى إليه بألف دينار وقال له : أنت الذى ، وهذه الصلة ، وأنا العائد . قال بعضهم : قول الملك وأنا العائد ، يمكن حملُه على ثلاثة أوجه : الأوّل عائد الموصول ، الثانى أن يكون من العيادة ، الثالث أن يكون من العود بالصلة مرة أخرى . انتهى والله أعلم .

لإبراهيم بن سهل ، وكان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه :

تنازعُنى الآمالُ كهلًا ويافِعا ويُسعدنى التعليلُ لو كان نافعا
وما اعتنقَ العَليا سِوى مفردٍ غدا لهول الفلَا والشوقِ والنُّوقِ رابعا
رأى عزَماتِ الحقّ قد نزَعتْ به فساعدَ فى الله النَّوى والنَّوازعا
وركباً دعتْهم نحوَ يثربَ نيـةٌ فما وَجدَتْ إلا مُطيعاً وسامِعاً
يُسابقُ وخْدَ العيس ماسودّ منهمُ فيُفنونَ بالشّوقِ المَدا والمَدامِعا
قلوبٌ عرفنَ الحق بالحق وانطوت عليها جنوبٌ ما ألِفْنَ المضاجعا
خذوا القلبَ يا ركبَ الحجاز فإننى أرى الجسمَ فى أسر العلائق كانِعا[2]
معَ الجمراتِ ارمُوه يا قومُ إنه حصاةٌ تلقّت من يدِ الشوق صارِعا
ولا ترجِعوه إن قفلتُم فإنّما أمانتُكم أن لا تردُّوا الوَدائعا

---

(١) تلاف : فعل أمر معطوف على انظر معناه أدرك . و « تلافى » فى آخر البيت بمعنى إتلافى أو تلفى مصدر تلف أو أتلف ، وهو من التلف وهو الضياع . ومعناه أدركنى قبل أن أضيع .

(٢) العلائق : الأشغال التى يهم الإنسان بها . وكانعا فى أسرها ، من كنع : انقبض وخضع ، أى منقبضا وخاضعا لا يمكنه الإفلات منها .

تخلّص أقوامٌ وأسلمنى الهوى | إلى عُلَقٍ سدّت علىّ المطامعا[1]
هُم دخلوا بابَ القَبول بفَرْعِهم | وحَسبىَ أن ألقَى لِسِنّى قارعا
أينفكّ عزمى عن قُيود الأناة أو | يفكّ الهوى عن طِينةِ القلبِ طابَعا
وتُسعِف ليتَ فى قضاء لُبانتى | ويَترك سوفَ فِعلُ عَزمى المضارِعا
إذا أشرف الإرشادُ خابت بصيرتى | كما يمحق الشمسُ السرابَ الخادعا
فلا الزجرُ ينهانى وإن كان مُرهِبا | ولا النّصحُ يَثنينى وإن كان ناصِعا
فيا مَن بِناه الحرفِ خامرَ طبعه | فصارَ لتأثيرِ العواملِ مانِعا
بلغتَ نصابَ الأربعين فزكّها | بفعلٍ تُرى فيه مُنيبا ورَابعا
وبادِرْ بِوادى السّم إن كنت راقيا | وعاجِلْ وقوعَ الفتقِ إن كنتَ راقِعا[1]
فما اشتبهتْ طُرُقُ النجاة وإنما | ركبتَ إليها من يقينِك ظالعا

* * *

كان بعض الحكماء يقول : لا تطلب من الكريم يسيرا فتكون عنده حقيراً .

نقل فى الإحياء عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : مودّة يوم صلة ، ومودّة شهر قرابة ، ومودّة سنة رحم ، من قطعها قطعه الله .

وكان الحسن يقول : كم من أخ لم تلده أمك .

قال أبو حيان: أعجب لعجمى ضعيف فى النحو، ردّ على عربى صريح محض قراءة متواترة موجودا نظيرها فى كلام العرب . وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء

---

(١) العلق : الأشغال . يريد أن الهوى أسلمه إلى أشغال كثيرة حالت بينه وبين الوصول إلى مطامعه .

(٢) أى عاجل الفتق بالرقع بمجرد وقوعه وقبل أن يتسع .

الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا ومغربا ، واعتمدهم المسلمون لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم . انتهى كلامه .

وقال المحقق التفتازانى : هذا أشد الجرم حيث طعن فى أسناد القراء السبعة وروايتهم ، وزعم أنهم يقرءون من عند أنفسهم ، وهذه عادته ، يطعن فى تواتر القراءات السبع ، وينسب الخطأ تارة إليهم كما فى هذا الموضع ، وتارة إلى الرواة عنهم ، وكلاهما خطأ لأن القراء ثقات ، وكذا الرواة عنهم . انتهى كلامه .

وقال ابن المنير : نبرأ إلى الله ، ونبرّئ حملة كلامه ؛ عما رماهم به ، فقد ركب عمياء ، وتخيل القراءات اجتهادا واختيارا لا نقلا وإسنادا . ونحن نعلم أن هذه القراءة قرأها النبيُّ صلى الله عليه وسلم على جبريل كما أنزلها عليه ، وبلغت إلينا بالتواتر عنه فالأوجه السبعة متواترة جُملا وتفصيلا ، فلا مبالاة بقول الزمخشرى وأمثاله ، ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل علمى القراءة والأصول لخيف عليه الخروجُ عن رتبة الإسلام ، ومع ذلك فهو فى عهدة خطيرة وزلة منكرة ، والذى ظنّ أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا غالط ، ولكنه أقل غلطا من هذا فإن هذا جعلها موكولة إلى الآراء ، ولم يقل به أحد من المسلمين . ثم إنه شرع فى تقرير شواهد من كلام العرب لهذه القراءة . قال فى آخر كلامه : ليس الغرض تصحيح القراءة بالعربية ، بل تصحيح العربية بالقراءة . انتهى كلامه .

ابن مكانس:

لله ظبيٌ فى الدُّجى زارنى   مُستوْفزاً ممتطيا للخطرْ
فلم يقِفْ إلا بمقدار أن   قلت له أهلا وسَهلا ومرّْ

النواجى :

شُغِفتُ به رشيق القد ألمَى   يعذبنى بهجرانٍ وبيْنِ
وقال احملْ مشيبا معْ سُهاد   فقلتُ له على رأسى وعينِى

لبعضهم :

ياغائب الشّخص عن عيني ومسكنُه   على الدوام بقلبِ الواله العانِي
أضحى المقدَّسَ لما أن حللت به   لكنه ليس فيه عينُ سلوان[١]

ولبعضهم فى اسم على :

اسم الذى تيّمنى أولُه   ناظِرهُ
إن فاتنى أولُه   فإنَّ لى آخرهُ[٢]

وفى اسم إبراهيم :

سماه إبراهيم مالكهُ   ولحسنه وصفٌ يصدّقُه
أضحى كإبراهيم يسكن فى   نارِ القلوب وليس تحرقُه

ولآخر فيه :

عجبتُ لنار قلبى كيفَ تبقى   حرارتُها وحُبُّك يحتويه
فيا نيرانَه كُونى سلاما   وبردًا إنّ إبراهيم فيهِ

سعد الدين بن عربى فيمن اسمه أيوب :

يلومُ عَلَى حُبِّه العاذلون   ولا سمعَ للعذل فيه ولَا
يُسمّى بأيّوبَ محبُوبُنا   ولكنَّ عاشقَه المُبْتَلَى

ابن نباتة فى موسى :

رأيتُ فى جلّقٍ غزالًا   تحارُ فى وصفه العيونُ
فقلتُ ما الاسم قال موسى   قلتُ هُنا تُحلَق الذقونُ

(١) عين سلوان : عين فى وادى جهنم فى أصل جبل بيت المقدس ماؤها قليل .

(٢) ناظره : عينه ، لأن أول اسم على حرف العين ، وبقى اللام والياء وهما آخره وقد كنى الشاعر عن آخر الغلام بلية الكبش ، يريد أن يحتفظ بها لنفسه ، وهى كناية فيها شىء من المجون السافر .

ابن العفيف فى مالك :

مالكٌ قد أحلّ قتلى برُمح القَدِّ منه وراح قلبى طعينَهْ
ليسَ يُفتِى سواهُ فى قتل صبٍّ كيفَ يُفتَى ومالك بالمدينه

ابن نباتة مضمنا فيمن اسمه فرج :

أقول لقلبىَ العانى تَصبَّرْ وإن بَعُدَ المساعفُ والحبيبُ
عسى الهَمُّ الذى أمسيتَ فيه يكونُ وراءه فرجٌ قريبُ

ولبعضهم فيمن اسمه فرج :

ياخَبيرا بالمُعمَّى خبرةً تعلُو وتصفُو
هاتِ قل لى أيُّما اسمٌ عندما يُقلبُ حَرفُ

عز الدين الموصلى فيمن اسمه سعيد :

اسم الذى شاقنى سعيدُ ولى شَقاءٌ به[1] يزيدُ
إذا اجتمعنا يقول ضِدّى هذا شَقى وذا سعيدُ

ابن نباتة فى صديق له عشق غلاما اسمه علم :

لى صديقٌ يسوءنى ما يقاسى من الألمْ
كيف تَخفى شجُونُه وهى نار على علمْ

برهان الدين القيراطى فيمن لقبه مشمش :

ومهفهفٍ فى خدِّهِ نارٌ تُهيجُ لى الهوَى
قد لقّبوه بِمشمِشٍ لكنّه مرُّ النّوى

(١) كانت بالأصل حبه بدل به ، وأصلحناها كما فى المخطوطة .

البها زهير :

أنا مَن تسمعُ عنــه وترَى　　لا تكذِّب فى غَرامى خبرَا

لى حبيبٌ كملت أوصــافُه　　حُقّ لى فى حبّه أن أعذَرَا

حين أضحى حبُّـه مشتهرا　　رُحتُ فى الوَجد به مُشتهرا

كل شىء من حبيبى حسَنٌ　　لا أرى مثلَ حبيبى لا أرى

أحورٌ أصبحتُ فيـه حائرا　　أسمرٌ أمسيتُ فيـــه أسمرا

وترانى باكيـــا مكتئبا　　وتراهُ ضاحكا مُستبشرا

أيها الواشونَ ما أغفلَكم　　لو علمتم ما جرى فيما جرَى

قد أذعتُم عن فؤادى سَلوةً　　إنَّ هـذا الحَديثٌ مفترَى

بَين قلبِى وسُلُوِّى فى الهوَى　　مِثلُ ما بين الثُّريَّا والثَّرى

* * *

ولبعضهم فى رجل صبغ لحيته ، وفى جبهته أثر يزعُم أنه من السجود :

قالتْ وقد أبصرتْ بِلحيتِه　　صبْغا وسجّادةً بجبْهتِه

هذا الذى كنتُ قبلُ أعرفُه　　يكذبُ فى وجْهِه ولْحِيَتــه

ولبعضهم :

أحرى المَلابسِ أن تلقَى الحبيبَ به　　يومَ اللقاءهو الثوبُ الذى نَصَعا[١]

الدهرُ لِى مأتمٌ إن غبتَ يا أملى　　والعيدُ ما كنت لى مرأى ومستَمعا

البها زهير[٢] :

فيارسولِى إلى من لاأبوحُ به　　إن المهماتِ فيها يُعرَفُ الرجلُ

(١) نصع لونه : اشتد بياضه. وفى المخطوطة : خلع .

(٢) فى الخطية: « لبعضهم » .

بَلغ سلامى وبالــغ فى الخطاب له | وقبِّل الأرضَ عـنى عند ما نصلُ
بالله عرّفه عنى إن خــلوتَ به | ولا تُطــلْ لحبيبى عنــدَه مَلَلُ
وتلكَ أعظمُ حاجاتى إليكَ فإن | تنجحْ فما خاب فيكَ القصدُ والأملُ
ولم أزلْ فى أمـورى كلما عرَضَت | على اهتمـامِك بَعدَ الله أتـكِلُ
فالناسُ بالناس والدّنيـا مكافأةٌ | والخـيرُ يُذكَر والأخبارُ تنتقِل

لجامع هذا الـكتاب :

لعينيك فضلٌ جزيلٌ علىّ | وذاكَ لأنّىَ يا قاتِلِى
تعلمتُ مـن سِحرها فعقدتُ | لسانَ الرقيبِ مـع العاذِلِ

فى إخراج الحرف المضمر :

أغنُّ عَنانِى لا أُفيقُ بُطلـه | ويُطمِعُنى فى أن يُفـك عناه
إذا قال آ تى[1] خاف غيًّا الحيلة | يظُنُّ الضنى إن جاء زالَ شفاء
جلا حيثُ أُضحى فى حَشى كل شـ | ـيِّق جلىّ خصال لاح ليس خفاء
يذودُ أُناسا ما يصدُّهم صـدا | يزيـدُ ضناهم ما يرى ويَشاء
وكلّ الورى تزهُو بعارضِ خالِه | لُغرته ضوء الصّباحِ إزاء

خليل بن المقدسى ومن خطه نقلت :

مذ عرفتُ الأيامَ أحمدت رأيى | فى انفرادِى وطابَ وقتِى وحالى
واعتزلتُ الورى وهــذا عجيبٌ | أشعرىٌّ يقــولُ بالإعتزال

فى القهوة :

يقولون لِى قهوةُ البُنّ هل | تُباحُ وتؤمَــــن آفاتُهـا

---

(١) كانت فى المطبوعة «إنى خاف». وفى المخطوطة آ تى، وهى أوضح فى المعنى. وكانت الأبيات على غير هذا الترتيب، فرتبناها كما فى المخطوطة.

فقلت نعم هى مأمونة ❊ وما الصّعبُ إلامُضافاتُها

لبعضهم:

قفْ واستمع ما قاله ❊ مَلِكُ الهوى لجليسه

تِككُ المِلاح يحلُّها ❊ من حلّ عُقدة كِيسه

الصاحب بن عباد فيمن اسمه عباس وهو ألثغ :

وشادِنٍ قلت له ما اسمهُ ❊ فقالَ لى بالغُنْج[1] عباثُ

فصرتُ من لثغتِه ألثغاً ❊ وقلتُ أينَ الكاثُ والطاثُ

* * *

[آخر فى ألثغ[2] :

رشأ من آل يافِث ❊ طرفه للسحر نافِثْ

ماله فى الحسن ثانٍ ❊ وهو للبدرين ثالثْ

يخط • السّين إلى ثا ❊ • الثانى والمثالث

قلت عِدنى بوِصال ❊ قال دعْ عنك الوثاوِثْ][2]

القاضى البيضاوى صاحب التصانيف المشهورة ، من مصنفاته كتاب الغاية فى الفقه ، وشرح المصابيح ، والمنهاج والطوالع، والمصباح فى الكلام وأشهر مصنفاته فى زماننا هذا تفسيره الموسوم « بأنوار التنزيل » واسمه عبد الله، ولقبه ناصر الدين، وكنيته أبو الخير بن عمر بن محمد بن على البيضاوى. وبيضاء: قرية من قرى شيراز، تولى قضاء القضاة بفارس . وكان زاهدا عابدا متورعا . دخل تبريز فصادف دخوله مجلس بعض الأجلاء والفضلاء ، فجلس فى أخريات الناس بصف النعال بحيث لم يعلم

(١) فى المطبوعة (بالفتح) ولا معنى لها . وغنج الجارية : دلها وغزلها .

(٢) الزيادة من المخطوطة .

أحد بدخوله . فأورد المدرس اعتراضات وتبجح، وزعم أن لا يقدر أحد من الحاضرين على جوابها . فلما فرغ من تقريرها ولم يقدر أحد من الحاضرين على التخلص منها شرع البيضاوى رحمه الله تعالى فى الجواب. فقال المدرس: لا أسمع كلامك حتى أعلم أنك فهمت ماقررته . فقال البيضاوى : أتريد أن أعيد كلامك بلفظه أم بمعناه ؟ فبهت المدرس وقال : أعده بلفظه ، فأعاده وبين أن فى تركيب ألفاظه لحنا . ثم إنه أجاب عن تلك الاعتراضات بأجوبة شافية بهرت عقول الحاضرين. ثم أورد لنفسه اعتراضات بعدد اعتراضات ذلك المدرس وطلب منه الجواب، فلم يقدر على حل واحد منها . فقام الوزير من المجلس ـ وكان حاضرا مشاهدا لذلك ـ وأجلس البيضاوى فى مكانه وسأله: من أنت؟ فقال له : أنا البيضاوى، وطلب منه قضاء شيراز فأعطاه ماطلب وأكرمه غاية الإكرام ، وخلع عليه الخلع السنية . وكانت وفاة البيضاوى سنة خمس وثمانين وستمائة ، وذلك فى تبريز . وقبره بها رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه فى الدنيا والآخرة .

قيس: هو مجنون ليلى ، واسمه أحمد ، وقيس لقبه، وحاله أشهر من أن يذكر، ومن شعره قوله :

وأدْنَيْتنى حتى إذا ماقتلتَنى ... بقولٍ يُحِلّ العصمَ سهلَ الأباطحِ
تجافيتَ عنى حين لا لىَ حيلةٌ ... وخلفتَ ماخلّفتَ بين الجوانحِ

لبعض الأعراب :

إلى الكوكب النَّسر انظرى كلَّ ليلةٍ ... فإنى إليـــه بالعشيّة ناظـــرُ
عسى يلتقى لحظى ولحظك عنده ... ونشكو إليـــه ماتُجِـــنّ الضمائرُ

بعض المتأخرين :

إذا رأيْتَ عارِضــا مسلسَلا ... فى وَجْنة كجنَّـــة ياعاذلى

فاعلَمْ يقيناً أنني من أمّــةٍ تُقادُ للجنّــة بالسلاسِل

ابن الوردي في مليح يلعب بالنرد مع مليحة :

مهفهفان لعبــا بالنرد أنــثى وذكرْ
قالت أنا قمرتـــه قلتُ اسكتي فهو قَمرْ

في مليح معبس :

لاتحسبوا من هِمْتُ في حبه معبّسَ الوجــه لقلب قسا
وإنما ريقتُــه خمــرةٌ فكلّما استنشقهـا عبسا

من تفسير النيسابوري عند قوله تعالى « اليومَ نختِمُ على أفواهِهم، وتُكلِّمنا أيديهم » ماصورته : وفي بعض الأخبار المروية المسندة تشهد عليه أعضاؤه بالذلة فتتطاير شعرة من جفن عينه ، فتستأذن في الشهادة له ، فيقول الحق جل شأنه : تكلمي ياشعرةَ عينه واحتجي لعبدي ، فتشهد له البكاء من خــوفه ، فيغفر له وينادي [مناد] هذا عتيق الله بشعرة . انتهى .

يقال أغنجُ بيت قالته العرب قول الأعشى :

قالت هُرَيْرَة لما جئتُ زائرَهــا وَيْلي عليك ووَيْلي منكَ يارجلُ

* * *

ذكر صاحب الأغاني : أن المأمون قال يوما لبعض جلسائه : أنشِدوني بيتا لملك يدل على أن قائله ملك ، فأنشده بعضُهم قولَ امرئ القيس :

أمِنْ أجلِ أعرابية حَلّ أهلُها جَنوبَ الحِمى عيناكَ تبتدِران

فقال : ليس في هـذا مايدل على [أنّ هذا القائل] ملك ، فإنه يجوز أن يقول هذا سوقي حضري . ثم قال: الشعرُ الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد ابن يزيد :

اسقِنى من سُلاف ريقِ سُلَيمى   واسقِ هذا النديمَ كأسا عُقارا

أما ترون إلى إشارته وقوله هذا النديم ، فإنها إشارة ملك . انتهى .

ذكر فى الكامل فى حوادث سنة ٢٨٥ أنه حدث بالبصرة ريح صفراء ثم خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الأمطار وسقط بَرَدٌ وزن كل واحدة مائة وخمسون درهما وفى هذه السنة حدث بالكوفة ريحٌ صفراء وبقيت إلى المغرب ، ثم اسودّت فتضرع الناس إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم حصل مطر عظيم ، ومطرت قرية من نواحى الكوفة تسمى أحمد أباد حجارةً سوداء وبيضاء فى أوساطها طين، وحمل منها إلى بغداد فرأته الناس وتعجبوا من ذلك غاية العجبِ فسبحان الفعال لما يريد . والله أعلم .

قال بعض العارفين: إذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له اسكن أنت وزوْجُك الجنة صدر منه ذنب واحد فأمر بالخروج من الجنة ، فكيف نرجو نحن دخولها مع مانحن مقيمون عليه من الذنوب المتتابعة ، والخطايا المتواترة .

ولبعضهم:

هويته أعجميّا فوقَ وجنته   لاميّة عوّذَتْهَا أحرفُ القسم
فى وصفها ألسنُ الأقلام قد نطقت   وطال شرحِىَ فى لامية العجم

غيره :

هـل مثلُ حديثها على السمع وردْ   هل أحسنَ من طلعتها الصبُّ وجد
واهاً لإنسان[1] فتن العقل به لو   حَثَّ على السجدة[2] إبليس سجد

الحاجرى من أبيات :

قد كنتُ لما كنت فى غبطة   أحبّ طولَ العمر حبا كثيرْ

(١) كانت فى المخطوطتين والمطبوعتين « واها لسان » وهى غير مفهومة .

(٢) فى المطبوعة : لو حدث بالسجدة ، وفى البيت زحاف على مافى النسختين . ومافى المخطوطة أوضح فى المعنى .

فاليومَ قد صِرت لِما حلّ بى أحسُدُ من مات بعمر قصيرْ

غيره:

مازلتُ عليه بالكرى مُحتالا حتى وافى خيالُه مختالا

لولا حذر انتباهَةٍ تفجعُنى فى القرب به قُمت له إجلالا

الحاجرى:

مُذْ صَدّ وعن وصالى حالَا لايبرح دمعُ مقلتى هطّالَا

يَدْعُو لِسانى يفعلُ اللهُ به قلبى وحشاشتى تُنادِى لالَا(١)

* * *

من تفسير النيسابورى عند تفسير قوله تعالى « أن تقول نفس ياحسرَتا على ما فرطتُ فى جنب الله » والآية فى سورة الزمر، مالفظه: كان أبو الفتح المنهى قد برع فى الفقه، وتقدم عند العوام وحصل له مال كثير، ودخل بغداد وفوّض إليه التدريس بالنظامية، وأدركه الموت بهمذان، فلما دنت وفاته قال لأصحابه: اخرجوا فخرجوا فطفق يلطم وجهه ويقول: ياحسرَتا على ما فرطتُ فى جنب الله، ويقول: ياأبا الفتح ضيعت العمر فى طلب الدنيا وتحصيل الجاه والمال، والتردّد إلى أبواب السلاطين، وينشد:

عجبتُ لأهل العلم كيف تغافَلوا يَجُرُّون ثوب الحرص عند المهالك

يدورُون حولَ الظالمين كأنهم يطوفون حولَ البيت وقتَ المناسِكِ

ويردّد الآية حتى مات. إلى هنا بلفظ النيسابورى، نعوذ بالله من الموت على هذه الحالة ونسأله جل شأنه أن يمن علينا بالتوفيق للخلاص من هذا الوبال. انتهى.

(١) فى المطبوعة: « أدعو بلسانى » والتصحيح من المخطوطة.

فى بعض التواريخ ، بعد إيراد جماعة ممن قتله العشق ، أو أدهشه أنشد المؤرّخ هذين البيتين :

إذا كان حبُّ الهائمين، من الورى بليلى وسَلمى يسلُبُ اللبّ والعقلَا
فماذا عسى أن يصنعَ الهائمُ الذى سَرى قلبه شوقًا إلى العالم الأعلَى

لبعضهم :

يا من له الرونَقُ البديعُ سرّك ما عشتُ لا أذيعُ
فاحكُم بما شئت فى فؤادى فإننى سامعٌ مطيعُ
وهو حَمولٌ لكل شىء يهوَى على أنه خليعُ

[لبعضهم(١) :

إذا حرّك الوجدَ السماعُ فإنّهُ مباح وإلا فالسماعُ حرامُ
ومن هزّه طيبُ استماع حديثكم فمالَ من الأشواق ليس يُلام
ولا عجبٌ أن شتّتَ الحبُّ جمعَه فليس لأحوال المحبّ نِظامُ
غُذِى بلبان الحبّ قِدما وما له سواه إذا آن الفطامُ فطامُ
يسير مع الأشواق أنّى توجّهتْ وليس له فى الكائنات مُقامُ]

أبو نواس :

كسّر الجرّةَ عمدا وسقى الأرضَ شرابا
صحتُ والإسلامُ دينى ليتنى كنتُ ترابا

وغيره :

حلفتْ مُهجتُه لا تهجَعُ أو ترى الشملَ بجمعٍ يُجمَعُ

---

(١) زيادة من النسخة المخطوطة .

وتُقضَّى في مِنى القلب المُنى ... ولنيل الوصلِ فيها يرجِع
والهُ يطمَع في عُرب الحِمى ... بالرضا لا خابَ ذاك المطمعُ
كاد أن تُحرقه نارُ الأسى ... ولهيبُ الشوق لولا الأدمُعُ
كلما لملعَ سَعْدٌ بالنّقى ... في الدّجى أو قال هـذا لَعلَعُ
قال يا سعدُ أعِد ذكر الحِمى ... إنه أطيبُ شيء يُسمعُ

***

قال الجاحظ : كنت مع محمد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وهو يريد الانصراف من سُرّ من رأى إلى مدينة السلام، والدجلة في غاية الزيادة، فأمر بالخمر فشربنا ، ثم أمر بشدّ السِّتارة بيننا وبين جواريه، وأمرهن بالغناء فغنت إحداهنّ :

كلَّ يوم عطيةٌ وعتابُ ... ينقضى دهرُنا ونحنُ غضاب
ليتَ شعري أنا خُصِصتُ بهذا ... دون غيري أم هكذا الأحبابُ

ثم سكتت ، فغنت أخرى :

وارحمتا للعاشقينْ ... ما إن يُرى لهمُ مُعينْ
فإلى مَتى همُ يُمدَو ... نَ ويُطردُون ويُهجرونْ
ويُعَذَّبونَ(١) من الأحـــبةِ بالجفاء ويَصنعونْ

فقالت لها إحداهن : يا فاجرة [ويصنعون ماذا ؟ قالت :] يصنعون هكذا ، وضربت بيدها السّتارة فهتكتها وبرزت علينا كالقمر ، وألقت نفسها في دجلة وكان على رأس محمد غلام رومى بديع الجمال ، وبيده مروحة يروّح بها فألقاها من يده. وألقى نفسه في الدجلة فوقها وهو يقول :

---

(١) في المطبوعة : ويذعنون . والتصحيح من المخطوطة .

لا خير بعدكِ فى البقـا والموتُ سترُ العاشقين

واعتنقا فى الماء وغاصا ، فطرح الملاحون أنفسهم فى إثرهما فـلم يقـدروا على إخراجهما وأخذهما المـاء وغابا . رحمهما الله تعالى .

كان ابن الجوزى يعظ على المنبر، إذ قام إليه بعض الحاضرين وقال: أيها الشيخ ماتقول فى امرأة بها داء الأبنة . فأنشد على الفور فى جوابه :

يقولون ليلَى بالعِراق مريضةٌ فياليتنى كنتُ الطَّبيبَ المُداويا

وكان له امرأة تسمى نسيم الصبا ، فطلقها وندم ، فحضرت يوما مجلس وعظه وحال بينه وبينها امرأتان ، فأنشد مخاطبا لهما :

أيا جَبَلَىْ نَعمان بالله خلّيـا نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إلىّ نسيمها

قال الفاضل الصلاح الصفدى فى شرح لامية العجم ماصورته: حضرت يوما فى صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الإمام علىّ بن صياد الفارسىّ وقد عقد مجلسا يتـكلم فيه على سورة الضحى، فاستطرد الـكلام إلى قول النبىّ صلى الله عليه وسلم ، « الإحسانُ أن تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تـكُن تَراه فإنه يراكَ » فقـال : ذهب بعض الصوفية إلى أن قال: فإن لم تـكن بمعنى إن غبت عن وجودك ولم تـكن رأيته ، وحسّن ذلك واستحسنه من حضر . فقلت إنّ هذا حسن لو ساعده الإعراب، فإن هذا شرط وجواب ، وهما مجزومان ، واللفظ الصحيح على ذلك التقدير : فإن لم تـكن تره بالجزم فاعترف .

ومن الـكتاب المذكور : سئل أبو الفرج ابن الجوزى : كيف ينسب قتل الحسين رضى الله تعالى عنه إلى يزيد وهو بالشام والحسين رضى الله عنه بالعراق ، فأنشد قول الرضى :

سهمٌ أصاب وراميـه بـذى سلَمٍ مَن بالعِراق لقد أبعَدت مَرْماكا

* * *

كتب إلىّ شيخ الإسلام الشيخ عمر ـ وهو المفتى بالقدس الشريف ـ أبياتا فى بعض الأغراض ، فأجبته ـ أدام الله مجده ـ بهذه الأبيات :

يا أيها المولى قد غدا ... فى الخَلق والخُلق عديمَ المثالْ
وحلّ من شامخ طودِ العُلا ... فى ذروة المجدِ وأوجِ الكمالْ
وعطّر الكونَ بمنظومة ... نِظامها يُزرى بعقدِ اللآلْ
كأنها بِكْرٌ بألحاظها ... سحرٌ به تسلب لُبّ الرجالْ
وروضةٌ ممطورةٌ مرّ فى ... أرجائها صُبحاً نسيمُ الشَّمالْ
لو لم يكنْ أسكرنى لفظُها ... لقلتُ حقًّا هى سحرٌ حلالْ
ياسادةً فاقوا الورَى عبدُكُم ... أحقَرُ من أن تُخطِروه ببالْ
أرضعتموه دَرّ ألطافكم ... وماله عنْ وُدّكم من فِصالْ
ومذ أناخ الركب فِى أرضكم ... سلا عن الأهل وعمٍ وخالْ
أنتم بنو اللطف وألطافكم ... على الورى مابرحت فى اتصالْ
فى قمة الفضل لكم مَنزِلٌ ... مامرّ فى وهْم ولا فى خيالْ
وعبدُكم أعجزَه مدحُكم ... فصار باللغز يُطيل المقالْ
ياسيداً قد حازَ من سائر الْ ... فنونِ حظًّا وافِراً لا يُنالْ
ما بلدةٌ أوّلها سورةٌ ... بل جبلٌ صعبٌ بعيد المنالْ
وما سوى آخرِها قد غدا ... إسماً وفعلاً وهو حرفٌ يُقالْ
وقلبُه فعلٌ وإسم لما ... يصيرُ منه الجسمُ مثلَ الخلالْ
وعجزُها إن يُنتقص نصفُه ... من صدرِها فهو طعامٌ حلالْ
وما سِوى أولها قلبُه ... أمرٌ به كل جميل الخصالْ
وقلبُها إن زال نصفٌ له ... يصيرُ ما قلبى غدا منهُ غالْ (١)

(١) من الغليان .

وإنْ تَزِدهُ النصفَ منـه يكنْ حاجب من يرمى بقلبى نبـــالْ
مولاى إن العبـدَ من شعره فى خجَل متّصـــل وانفعالْ
قال يرَاعى جـــينَ كلفتهُ تحريرَ هـذا العـذْر ماذا الخبالْ
يقابَلُ الدرُّ بهذا الحصـــا لاشك فى عقلك بعضُ اختلالْ

فـكتب رحمه الله فى الجواب :

حلّت وقد حيّت برفع النقابْ وابتسمت عن نظم دُر الحبابْ
وأسفرت إذ ما بدت تنجلى نخِلتُ بدراً قد بدا من سحابْ
تمايَسَتْ عُجبا ومالت قناَ وعطّرت بالطيب تلك الرّحابْ
وأسرعتْ نحوى وقد أبدعت وأودعت سمعى لذيذَ الخطابْ
وأرشفتنى من لَمَى لَفْظِها فرُحت سكرانَ بغير الشرابْ
مستغرقا فى بحر ألفاظِهـا كأنّنى ممـا عَرانى مُصابْ
وليسَ ذا مستغرَباً حيثما أبرزها بحرٌ خضمّ عُبابْ
فيـا إمامَ النظم أذكَرْتنى بهذه الغادة عصرَ الشبابْ
لحرّكتْ ساكنَ شوقى إلى أن رُحتُ سكرانَ بغير الشّرابْ
ألغزْتَ يامولاى فى بلدةٍ قدْ أمّها الدّاعى بنصّ الكتابْ
مضافها الروحُ بلا شُبهـــة مطهَّر من دنس الإرتيـابْ
إذا أزلتَ القلبَ من لفظهـا تَصِرْ فصيح العُرب لُبَّ اللبابْ
وإن تزِدها واحدا تُلفِهـا سفينةً تجرى بمـا يُستطابْ
كذاك إن زدت إلى قلْبها واواً تجد إسماً لمُولى الثوابْ
عساكَ إن جئتَ إلى حَيّهـا تُقدّسُ الذاتَ وتنفى الشّوابْ[1]

(١) يعنى الشوائب ، جمع شائبة ، وهى الأقذار والأدناس .

وتشرحُ الصدرَ بما ضُمِّنتـه   من دُرّ لفظ ومعانٍ عِذابْ
فاسلَمْ ودُم فى نعمـةٍ مُلغِزا   فى بلَدِ القُدس رفيعِ الجنابْ

وكتب فى آخر هذه الأبيات هذا المصراع :

* دامت مماليكَ ليومِ الحساب *

مما ينسب لجارِ الله الزّمخشرىّ رحمه الله تعالى :

العلم للرحمن جلّ جلالُهُ   وسِواه فى جهلاته يتغمغَمُ
ما للتّرابِ وللعلوم وإنّما   يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وللإمام الرازى :

نهايةُ إقدامِ العقولِ عِقالُ   وغايةُ سعى العالَمين ضلالُ
ولم نستفدْ من سعينا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا
وأرواحُنا محبوسةٌ فى جُسومنا   وحاصلُ دنيانا أذًى ووبالُ

لبعض المغاربة ، وكان يعشق غلاما أعور يسمى بركات :

بركاتُ يحكى البدرَ عنـد تمامه   حاشاهُ بل بدرُ السّما يحكيـه
لم تذوِ إحدى زهوتيهْ وإنمـــا   كملت بذاكَ بدائعُ التشبيـهِ(1)
فكأنّه رامٍ يُغمِّضُ طرفَه   ليُصيبَ بالسّهمِ الذى يَرميـــهِ

ابن دقيق العيد :

أتعبتَ نفسَـك بين ذِلّة كادح   طلبَ الحياةَ وبين حرصِ مؤمّل
وأضعتَ عُمرَكَ لا خَلاعةَ ماجنٍ   حصّلتَ فيه ولا وقارَ مُبجّـــل
وتركتَ حظ النفس فى الدنيا وَفى الـأخرى ورُحت عن الجميعِ بمعزِل

(1) يطلق الزهو على نور النبات وزهره. والشاعر شبه معشوقه بزهو النبات . وقال إن إحدى مقلتيه لم تذبل . وإنما أصيبت بالعور ليكمل تشبيهه بالقمر لما يرى فيه من المحو قبل تمامه .

لما كان الخلاف بين القوم فى أصالة أنوار ماعدا القمر من الكواكب واكتسابها غير مختص بالبعض ، بل واقعا فى الكل كما هو مشهور، وفى الكتب مسطور . وكان من المعلوم أن قول العلامة[1] بعد ذكر اكتساب نور القمر من الشمس ، اختلفوا فى أنوار الكواكب ، إلى هذا الخلاف الواقع المعروف بين الفريقين ، حملنا كلامه على العموم . فإن قلت فهلا جعلت الضمير فى قوله : والأشبه أنها ذاتية راجعا إلى البعض بنوع من الاستخدام ؟ قلت لايخفى ما فيه من البعد والتعسف ، فإن التعبير عن اختيار شق ثالث غير معروف أصلا ، فمثل هذه العبارة تشبه الرطانة كما يشهد به الذوق السليم .

فإن قلت : يمكن حمل كلامه ابتداء على بيان الخلاف فى البعض ، أعنى الخمسة المتميزة ، وتخصيصه نقل الخلاف بالبعض ليس بمعنى أنه لاخلاف فى غيرها حتى كان كاذبا فى دعواه ؛ إذ الخلاف فى الكل يستلزم الخلاف فى البعض ، قلت : عدم وجدان طريق إلى إثبات ذاتية أنوار الكل إنما يصلح وجها لتخصيص الدليل بالبعض ، لا لنقل الخلاف فى البعض ، والقول بأنه غير كاذب فى هذا النقل ، لأن الخلاف فى الكل يستلزم الخلاف فى البعض كلام مموّه لا يحسن صدوره عن ذى رويّة؛ إذ المحذور ليس لزوم كذب العلامة فى هذا النقل ، بل لزوم كون كلامه حينئذ كلاما مرذولا شديد الفجاجة كثير السماجة . ونظيره أن يقول بعض الطلبة : اختلف المعتزلة والأشاعرة فى [بعض] أفعال العباد هل هى صادرة عنهم حقيقة أو كسبا، والأصح الأوّل ، فيقال له : يا هذا ، الخلاف إنما هو فى كل أفعالهم فكيف نقلته فى بعضها ؟ فيجيب بأن الخلاف فى الكل يستلزم الخلاف فى البعض ،

---

(١) لم يذكر اسم هذا العلامة فى جميع النسخ التى عثرنا عليها .

وإنما نقلت الخلاف فى البعض لأنى لم أجد طريقا إلى إثبات صدور الكل حقيقة ، وهذا كلام لا يرتاب ذو مسكة فى تهافته وسخافته ، ومفاسد الكلام غير منحصرة فى كونه كاذبا ، بل كثير من مفاسده لا يقصر فى الشناعة عن كذبه .

فإن قلت فى كلام العلامة شواهد كثيرة دالة على أن كلامه مختص بالجنس المتميزة ، منها قوله : فإن قيل هذا إنما يصح فى الكواكب التى تحت الشمس ، وأما فى العلوية إلى آخره ، فإن المتبادر من العلوية فى مصطلحهم هو مافوق الشمس من السيارات ، لا جميع مافوقها منها ومن الثوابت . ومنها أن كلامه هذا مذكور فى ذيل بيان خسوف القمر واستفادة نوره من الشمس ، وحيث إنه من السيارات فيناسبه ذكر أحوالها لا أحوال بقية الكواكب .

ومنها أن قوله بعد هذا المبحث : اختلفوا فى أنه هل للكواكب لون والأكثر على أن الأظهر ذلك مثل كمودة زحل ، وزرقة المشترى والزُّهْرة ، وحمرة المريخ ، وصفرة عطارد ، وفى الشمس خلاف . وأما القمر فلونه ظاهر فى الخسوف لاريب أنه بيان للاختلاف فى ألوان السيارات فقط ، كما يشهد له التمثيل بها ، فيكون ماقبله بيانا للاختلاف فى أنوارها فقط أيضاً ، إذ لواحق الكلام تدل على المراد من سوابقه .

ومنها قوله : فإن قيل أحد الكواكب غير الشمس هو الذى يعطى الباقية الضوء ، قلنا : لوكان من الثوابت لرئى الكوكب القريب منه هلاليا ونحوه دائما إلى آخره ، إذ لو كان مراده العموم لكان للمعترض أن يقول: المستنير أيضاً من الثوابت ، فلا يختلف الوضع بالقرب والبعد ، فلا يتم الدليل ، قلت : أمتن هذه القرائن دلالةً وأثبتها شهادةً هى ما صدرت به كلامك ، والأمر فيه سهل ، فإنّ

حمل العلوية على معناه اللغوى ليس أمرا شنيعا لا يمكن الإقدام على ارتكابه ، ليلتجئ إلى حمل العبارة على ذلك المعنى السخيف فرارا من الوقوع فيه ، كيف وأمثال ذلك فى عبارات القوم أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى . وكم حملوا المصطلحات على معانيها اللغوية لأيسر حال وأدنى باعث ، فضلا عن مثل ما نحن فيه .

وأما شهادة ذكر كلامه هذا فى ذيل بحث استفادة نور القمر من الشمس فشهادة ضعيفة جدًّا؛ إذ ذكر استفادة كوكب واحد يناسبه ذكر الكواكب الأخر بأسرها أيضاً ، بل هذا أولى ، فإنه هو محل النزاع والخلاف .

وأما شهادة ذكر الألوان فمخروطة أيضاً ، فإن قوله : اختلفوا فى أنه هل للكواكب لون : لا ريب أنه إشارة إلى الخلاف المشهور بين القوم فى أنه هل لشىء من الكواكب غير القمر لون أم لا ، ولذلك عدوا فى ألوانها حمرة قلب العقرب أيضاً . وقول العلامة مثل كُمودة زحل ، وزرقة المشترى إلى آخره بتعداد السبع السيارات جميعا فى معرض التمثيل قرينةٌ ظاهرة على ذلك ، وإلّا فلا يخفى سماجة قوله اختلفوا فى أنه هل للسبع السيارة لون والأظهر ذلك مثل ألوان هذه السبعة ، ولو كان غرضه ما زعمتَ لكان ينبغى أن يقول : والأظهر ذلك لكُمودة زحل ، وزرقة المشترى بلام التعليل .

وأما حمل التمثيل على إرادة كل واحد ، فكأنه قال : والأظهر أن للسبعة ألوانا مثل كل واحد منها فلا يخفى سماجته ، ولعل عدم التعرض لذكر الثوابت لكون ألوانها لا تخرج عن الألوان الخمسة الموجودة فى السيارات فلا حاجة إلى ذكرها ؛ إذ المراد هو الإيجاب الجزئى وهو ظاهر .

وأما شهادة قوله : قلنا لو كان من الثوابت إلى آخره على العموم وإلّا ورد الاعتراض الذى ذكرته، فشهادة مقبولة لو كان معنى كلامه ما فهمته ، وليس كذلك

إذ معنى كلامه أن ذلك الكوكب الذى يعطى الباقيةَ الضوء إن كان من الثوابت لم تتغير الثوابت القريبة منه عن الهلالية ونحوها فى شىء من الأوقات ، بل تكون ملازمة لوضع واحد دائما لعدم تطرق البعد والقرب إليها ، وإن كان من المتحيرة لزم منه مالزم فى الاستفادة من الشمس من رؤية المستضىء تارة هلاليا وتارة نصف دائرة ونحوها بسبب اعتوار القرب والبعد عليه ، ولو كان معنى كلامه ما زعمت لم يكن للترديد الذى ذكره ثمرة ، بل كان لغواً محضاً ، وكان يجب الاقتصار على الشق الثانى فقط ، وهذا ظاهر على من سلك جادة الانصاف ، وخلع ربقة الاعتساف .

ثم مما يشهد شهادة مُعدّلة بأن كلام العلامة عام فى كل الكواكب : سيارها وثابتها قولُه فى أواخر المبحث : والفرق بأن العلوية والثوابت يستنير معظم المرئىّ منها إلى آخره تشريكه الثوابت مع العلوية فى استنارة معظم المرئى منها فى هذا المقام ، ينادى على ما هو القصد والمرام ، والقول بأن ذكر الثوابت إنما هو [لتشبيه] حال العلوية بحالها فى كونهما مشتركتين فى هذا الحكم لكونها فوق الشمس ، لا لإثبات عدم استنارتها من الشمس كلامٌ لا أظنك وكلّ ألمعىّ ترتابان فى عدم وثاقة أركانه ، فلا حاجة للتصدى لصدع بنيانه . والله الهادى .

إذا تقرّر هذا ، فلا بأس بتوضيح الكلام الذى أوردناه على تقدير إغماض العين عما أسلفناه ، [وقبول] كون [كلام] العلامة خاصا بالخمس المتحيرة لا غير ، وهو يستدعى تمهيد مقدمة هى أن نفوذ الشعاع فى الجسم على ضربين :

الأوّل نفوذ مرور وتجاوز عنه إلى ما وراءه كنفوذ شعاع الشمس فى بعض الأفلاك والعناصر منحدرا إلينا ، ونفوذ شعاع البصر فى بعض العناصر والأفلاك مرتقيا إلى الكواكب .

الثانى: نفوذ وقوف واجتماع من غير تجاوز إلى ماورائه، كنفوذ ضوء النار فى الجمرة والحديدة المحماة، وضوء الشمس فى الشفق والثلج ونحوهما، ونفوذ شعاع البصر فى القطعة الثخينة من الجمد والبلور والماء الصافى الذى له عمق يعتدّ به، والنفوذ الأول لا يستلزم تكيف الجسم بالضوء النافذ فيه، وإن كان شديدا، ولا انعكاسه عنه إلى ما يقابله. ولو فرض حصوله ففى غاية الضعف والقلة، بخلاف الثانى فإنه يوجب تكيف الجسم بالضوء وانعكاسه عنه تكيفا وانعكاسا ظاهرين، سيما إن كان ذا لون مّا كما نحن فيه، وعلى مثل هذا بنى الشيخ الرئيسُ جواب سؤال أبى الريحان له عن سبب إحراق الشعاع المنعكس عن الزجاجة المملوءة ماء دون المملوءة هواء، كما هو مذكور فى موضعه. وحينئذ أقول:

حاصل كلامى على العلامة أن القائل باستفادة أنوار الكواكب من الشمس له أن يجعل نفوذ شعاعها فيها من قبيل النفوذ الثانى، فتستنير أعماقُها به، كالكرة من البلّور الصافية أوِ التى لها لون مّا إذا أشرقت عليها الشمس ونفذ شعاعها فى جميع أعماقها نفوذ اجتماع، فإنه إذا نظر إليها من أى الجهات كان يرى كلّها مستنيراً، فلا يلزم فى اختلاف تشكلات الكواكب كما فى القمر، إذ لم يبق شىء من أجزائها مظلما، وهذا ظاهر لاسترة فيه. وليت شعرى كيف يورد عليه أنه لو نفذ شعاع الشمس فى أعماقها لكانت شفيفة لا محالة، فلا يمنع نفوذ شعاع البصر فيها، ولا يحجب ماوراءها إلى آخره، فإن هذا المورد إن أراد النفوذ بالمعنى الأول فنحن لم نقل به فى الكواكب، كيف وهى متكيفة بالضوء تكيفا ظاهرا، وهو منعكس عنها انعكاسا باهرا. وإن أراد بالمعنى الثانى لم يلزم كونها شفيفة بل غاية ما يلزم منه نفوذ شعاع البصر أيضاً فيها بهذا المعنى لا بالمعنى الأول، فكيف يلزم أن لايحجب ماوراءها عن الرؤية، على أن للمانع أن يمنع لزوم نفوذ شعاع البصر فى أعماق الجسم، كنفوذ شعاع الشمس فيه بهذا المعنى، وإن كنا غير

محتاجين فى إتمام كلامنا إلى هذا المنع . والقائل بأنه لو لم يكن شُعاع البصر ألطفَ من شعاع الشمس فلا يكون أكثف ، فكيف ينفذ الثانى دون الأول ، إن أراد بمعنى التبادل ، أى كيف ينفذ فيه شعاع الشمس تارة ولا ينفذ فيه شعاع البصر أخرى فحق ، لكن لا ينفعه ولا يضرنا ، وإن أراد معنى الاجتماع : أى كيف لا ينفذ شعاع البصر حال نفوذ شعاع الشمس ففيه نظر ظاهر ، لجواز أن يكون شدةُ الشعاع المكتسب القائم بالجسم وبنوره مانعا من نفوذ شعاع البصر فيه ، كما هو محسوس فى الثلج والبلور الثخين إذا أشرقت عليه الشمس ، فإن شعاع البصر يَكِلّ ويفرّق بمجرّد الوقوع على سطحها ولا يمكنه النفوذ فى أعماقها ، وهذا ظاهر ، ومنه يظهر أنه يكفى فى حجب السيارات ماوراءها مجرّدُ استضاءتها الباهرة للبصر لكنا ضممنا ألوانها الأصليةَ إلى أنوارها الكسبية ، وجعلنا المجموع موجبا للحجب ، نقلنا عن السيد السند بحصول زيادة الحجب بها فى الجملة . فاتضح بماتلوناه حالُ القول بأنه لو كان ضوء الخمس المتحيرة مستفادا من الشمس لما حجبت ماوراءها ، واستبان بما قرّرناه أنه على تقدير كون كلام العلاّمة مخصوصا بهذه الخمس فقط ، وكلامنا عليه باق بحاله . والحمد لله على جزيل أفضاله .

سعد الدين ابن عربى:

ترى يسمحُ الدهرُ الضنينُ بقربكم ... وأحظى بكم ياجِيرةَ العلَمِ الفردِ
إذا لم يكُن لى عندكم ياأحبّتى ... محلٌّ ولا قدر فإنّ لكم عندى

القيراطى :

حسناتُ الحدّ منهُ ... قد أطالتْ حسَراتى
كلّما ساء فِعالا ... قُلت إنّ الحسناتِ

غيره :

راحتْ وفودُ الأرض عن قبره ... فارغةَ الأيدى مِلاءَ القلوبْ

قد علمت مارُزِئتْ إنما يُعْرَفُ قدرُ الشمس بعدَ الغروبْ

الصلاح الصفدى :

صـــديقُك مهما جنَى غطِّه ولا تُخفِ شيئاً إذا أحسنـا
وكن كالظَّلام مع النارِ إذْ يُوارِى الدخانَ ويُبدى السنَا

الشيخ جمال الدين :

عانقته فسكرتُ من طيب الشّذى غصنٌ رطيبٌ بالنّسيم قد اغتَذى
نشوانُ ماشَرِبَ المُدامَ وإنمـا أضحى بخمر رُضـــابه مُتنبّـذا
أضحى الجمـالُ بأسره فى أسره فلأجل ذاك على القلوب استحْوذا
وأتى العذولُ يلومنى من بعـد ما أخذ الغرامُ علىّ فيـــه ماخذا
لا أنْتهـــى لا أنْثنى لا أرْعَوى عن حُبّه فليهذِ فيه من هَـــذا
والله ما خَطرَ السلوُّ بخاطرى مادُمتَ فى قَيد الحياةِ ولا إذَا
إنْ عِشتُ عشتُ على هواه وإن أمت وَجـــدا به وصبابةً ياحبذا

[لبعضهم (١) :

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ذا عَفاف وحياء وكرمْ
قـــوله للشىء لَا إن قلتَ لَا وإذا قلت نعم قال نعمْ]

الأرجانى :

أرى بين أيّامى وشَعْرىَ قد بدا لتعجيل إتلافى خلافٌ تجدّدَا
فقد أصبحتْ سُودا وشَعْرىَ أبيضاً وعهدِى بها بِيضاً وشَعْرِىَ أسوَدا

[دوبيت (١) :

قوم جعلوا حشاشتى مرعاهم ما أعذبهم عنـدىَ ما أحلاهمْ

(١) زيادة من المخطوطة.

كم ذاب فؤادى بهواكم كمداً لاأنسبهم إلى الجفا حاشاهمْ]

[ابن واصلة[1] :

من شاب قـــد مات وهو حىٌ يمشى على الأرض مشى هالكْ]

غيره :

يامن هَجروا وغيَّروا أحوالِي مالى جلد على جَفاكم مالِي
جُودوا بوصالـكم على مُدنفكم فالعمْر قد انقضى وحالِى حالِي

أسماء الأنبياء الذين ذكروا فى القرآن العزيز خمسةٌ وعشرون نبيا . وهم : نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . آدم . إدريس . نوح . هود . صالح . إبراهيم . لوط . إسماعيل . إسحاق . يعقوب . يوسف . أيوب . شعيب . موسى . هارون . يونس . داود . سليمان . إلياس . اليسع . زكريا . يحيي . عيسى . وكذا ذو الـكفل عند كثير من المفسرين .

نقل الإمام الرازى فى التفسير الـكبير اتفاق المتـكلمين على أن من عبد ودعا لأجل الخوف من العقاب ، أو الطمع فى الثواب لم تصح عبادته ولا دعاؤه . ذكر ذلك عند قوله تعالى « ادعو ربَّكم تضرُّعا وخُفيَةً » وجزم فى أوائل تفسير الفاتحة بأنه لو قال : أصلى لثواب أو لهرب من عقاب فسدت صلاته . انتهى .

النيسابورى أورد فى تفسير قوله تعالى : « ولا تَلمِزوا أنفسَكم ولا تنابَزُوا بالألقاب » نبذا من أوصاف الحجاج ، وذكر أنه قتلَ مائةَ ألف رجل صبرا ، وأنه وُجد فى سجنه ثمانون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، منهم ثلاثة وثلاثون ألفا ما وجب على أحد منهم قطع ولا قتل ولا صلب . انتهى .

إنسان يُطلق على المذكر والمؤنث ، وربما يقال للأنثى إنسانة . وقد جاء فى قول الشاعر :

---

(١) زيادة من المخطوطة .

لقد كستْنى فى الهوى   ملابسَ الصَّبِّ الغزِلْ
إنسانةٌ فتّانةٌ   بدرُ الدُّجى منها خجِلْ
إذا زنتْ عيني بها   فبالدُّموعِ تغتسِلْ

أورد هذه الأبيات الثلاثةَ صاحب القاموس وقال : هذا الشعر كأنه مولّد .

قال فى القاموس : الإنس : البشرُ كالإنسان ، الواحد إنسى . وقال فى فصل النون : والناس يكون من الإنس ومن الجن ، جمع إنس ، أصله أناس ، جمعٌ عزيز أُدخل عليه ال . انتهى كلامه .

قال مؤلف الكتاب : إن كلام القاموس صريح فى جواز إطلاق الإنس على الجن وهو بعيد جدا ، فليتدبر ذلك .

قال المحقق التفتازانى فى شرح الكشاف عند قوله تعالى فى سورة النساء «وإذا قِيل لَهُم تعالَوْا إلى ماأنزَلَ اللهُ » ما صورته : كان بنو حمدان ملوكا ، أوجُهُهُم للصَّباحَة ، وألسِنَتُهم للفصَاحة ، وأيديهم للسّماحة ، وأبو فِراس أوحدُهم بلاغةً وبراعة ، وفُروسّية وشجاعة ، حتى قال الصاحب بن عباد رحمه الله : بدئْ الشعرُ بملك وخُتم بملك ، يعنى امرأ القيس ، وأبا فراس . وقد أدركته حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، فأسرته الروم فى بعض وقائعها ، فازدادت رُوميّاتُه رقة ولطافة ، فمنها ماقال ـ وقد سمع حمامة بقربه تنوح على شجرة عالية ـ :

أقولُ وقد ناحَت بقُربى حمامةٌ   أيا جارتَا هل تشعُرين بحالِى
معاذَ الهوى ما ذُقتِ طارقةَ النّوى   ولاخطَرتْ منكِ الهُمومُ ببالِ
أيا جارتَا ما أنصفَ الدّهرُ بيننا   تعالَىْ أقاسِمْكِ الهمومَ تعالِى
أيضحكُ مأســورٌ وتبكى طليقةٌ   ويسكُتُ محزونٌ ويَندُب سالِ
لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مُقلةً   ولـكن دمعى فى الحوادِث غالِ

انتهى كلامه .

والغرض بالاستشهاد قوله : تعـالِى بكسر اللام ، وكان القياس تعالَى بالفتح . انتهى .

اختلطت غنم الغارة بغنم أهل الـكوفة فتورع بعض عبّاد الـكوفة عن أكل اللحم وسأل : كم تعيش الشاة ؟ قالوا سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين . انتهى .

قال بعض الحكماء : إذا شئت أن تعرف ربك فاجعل بينك وبين المعـاصى حائطا من حديد . انتهى .

من وصايا سليمان بن داود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام : يابنى إسرائيل لا تُدخِلوا أجوافـكم إلا طيبا ، ولا تُخرِجوا من أفواهكم إلا طيبا .

كتب بعض العباد يقول : لو وجدت رغيفا من حلال أحرقته ، ثم سحقته ، ثم جعلته ذَرورا لأداوى به المرضى . انتهى .

كتب الجنيد إلى الشيخ على بن سهل الأصفهانى : سل شيخك أبا عبد الله محمدَ بنَ يوسف البناء ما الغالب على أمره ؟ فسأله فقال : اكتب إليـه : « واللهُ غالبٌ على أمره » . انتهى .

ومن كلام سمنون المحب : أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسـه . انتهى .

وقال فى ذلك :

وكان فؤادى خاليا قبلَ حُبّـكم ... وكان بذكر الحقِ يلْهُو ويمرَحُ
إلى أن دعا قلبِى الهوَى وأجابه ... فلستُ أراه عن فِنائك يبرحُ
رُميتُ ببينٍ منكَ إن كنتُ كاذبا ... وإن كنتُ فى الدنيا بغيرِكَ أفرَحُ

وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غِبت عن عيني بعيني يملحُ
فإن شئتَ واصِلني وإن شئتَ لا تصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرك يصلحُ

من كلام أبي سهل الصُّعلوكي الصوفي : من تصدر قبل أوانه ، فقد تصدّى لهوانه .

ومن كلامه أيضا : قد تعدّى من تمنّى أن يكون كمن تمنّى .

قال بعض الأكابر من الصوفية : التصوّف كمثل البِرْسام[١] : أوله هذيانٌ وآخره سكونٌ فإذا تمكن أخرس .

وقال الشيخ العارف مجد الدين البغدادي : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت له : ما تقول في ابن سينا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هو رجل أراد أن يصل إلى الله بلا واسطتي ، فحجبته بيدي هكذا فسقط في النار . انتهى .

* * *

وقفت أعرابية على قبر أبيها وقالت : ياأبت إن في الله عوضا عن فقدك ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة من مصيبتك ، ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك خاليا مقفرا من الزاد ، محسوس[٢] المهاد ، غنيا عما في أيدي العباد ، فقيرا إلى ما في يديك ياجواد ، وأنت أي رب خير من نزل به المؤمّلون ، واستغنى بفضله المقلّون ، وولج في وسع رحمته المذنبون ، اللهم فليكن قِرى عبدك منك رحمتَك ، ومهادُه جنتك ، ثم بكت وانصرفت .

لما ماتت ليلى أتى المجنون إلى الحي وسأل عن قبرها فلم يهدوه إليه ، فأخذ يشم تراب كل قبر يمرّ به حتى شم تراب قبرها فعرفه وأنشد :

أرادوا ليخفوا قبرَها عن مُحِبِّها ... وطيبُ تراب القبر دلّ على القبر

(١) البرسام : مرض يجعل صاحبه يهذي بكلام لايفهم .
(٢) محسوس : محرق ، من حسه إذا أحرقه .

[مضت عـــنى تشدّ على اللثـــام ومدمعها كدمعى فى انسجام
فقلت لهـــا مـــتى ألقاكِ قالت قُبَيْل الصبح لـكن فى المنام][1]

ثم مازال يكرر البيت حتى مات ودفن إلى جنبها . انتهى .

فى مليح يحرث :

لله حرّاثٌ مليحٌ غـــدا فى كفه المحراثُ ما أجملَه
كأنه الزهرةُ قـدّامه ثورٌ يراعى مطلَع السنبلَه
[كل من لم يعشَق الوجهَ الحسنْ قرِّب الرحلَ إليه والرّسن[2]]

للإمام زين العابدين عليه السلام :

وإذا بُليتَ بعُسرة فاصبر لهـــا صبرَ الـكريم فإنّ ذلك أحزَمُ
لاتشكونّ إلى الخـــلائق إنمـا تشكو الرّحيم إلى الذى لا يَرحَم

لبعض الحـكماء :

لا تُبدينّ لعاذلٍ أو عاذرٍ حالَيْكَ فى السرّاءِ والضّراء
فلِرَحمـةِ المتوجِّعينِ مرارة فى القلبِ مثلُ شماتةِ الأعداءِ

لبعضهم :

لو جرى دمعُك يا هـــذا دما ما تقدّمت إلينا قَدَما
عنـدنا منك أمورٌ كلّها حـــيرةٌ فيها لدينا وعَمــا
نُحْ علينا أسفاً أو لا تَنُحْ واقرعِ السّنّ علينا نَدَما
لو أردناكَ لنـــا ما فُتنَا أو وَصَلْنا حبلَنا ماانصرما
أنتَ لو سالمتنا نلتَ المُنى كلُّ من سالمنا قـــد سَلِما

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

(٢) وجدت هذا البيت أثناء الـكتابة الفارسية .

محمود الوراق :

عَطِيَّتُه إذا أعطى سرورٌ وإن أخذَ الذى أعطى أثابا
فأىُّ النّعمتين أحقُّ شكرا وأحمدُ عند منقلَب إيابا
أ نعمته التى أهدَتْ سُرورا أم الأخرى التى أهدتْ ثوابا

ابن الوَردى فى مليح صياد:

لوجنة صيّادكم نسخة حريريَّة ملحة فى المُلَحْ
تقول لنَبْتِ العِذار اجتهد ومُدّ الشباكَ وصِدْ من سنَحْ

ابن نباتة فى مليح يصيد الكركى:

ومولَع بفخاخ يصفّها وشِراكِ
قالت لى العين ماذا يصيد قلت كراكى

[ابن العدوى فى شابين(١) فى مجلس ، أحدهما يغنى والآخر ساكت :

مجلسُكم مجلس هنىٌّ يجمل مال البخيل فيّا
وفيه ظبى يقول شيئا وآخر لا يقول شيا]

عبد الخالق بن أسد الحنفى فى مليح اسمه أحمد :

قال العواذلُ ما اسم مَنْ أضنى فؤادَك قلتُ أحمـــد
قالوا أتحمَدُه وقد أضنى فؤادَك قلتُ أحمد(٢)

النواجى فيمن اسمه أبو بكر:

حُبُّ أبى بكر بِهِ دمعِى كبَحْر فائضِ

(١) الزيادة من المخطوطة .

(٢) أحمد فى البيت الأول اسم علم على المحبوب . وفى البيت الثانى فعل مضارع وقف عليه بالسكون لضرورة الوزن

وكلُّ من يعذِلنى عليهِ فهوَ رافِضِى

شمس الدين ابن الصائغ فيمن اسمه على :

قال العذولُ عندما شاهدَنى فى شُغُلى
بمن فُتِنتَ فى الورى فقلتُ دعْنى بعلى

ولبعضهم وقد أخذ محبوبه واسمه على:

يا سادةً دمعُ عينى أضحى إليهم رَسولى
قلبى لديكم عَليلٌ باللهِ رُدُّوا على لِى

* * *

رُئِى الجنيد بعد موته فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : طارت تلك الإشارات ، وطاحت تلك العبارات ، وغابت تلك العلوم ، واندرست تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها فى السحر.

قال الخواص: المحبة محو الإرادات، واحتراق جميع الصفات والحاجات. انتهى.

العشق: انجذاب القلوب إلى مغناطيس الحسن، وكيفية هذا الانجذاب لا مطمع فى الاطلاع على حقيقتها، وإنما يعبّر عنها بعبارات تزيدها خفاء، وهو كالحسن فى أنه أمر يدرك ولا يمكن التعبير عنه، وكالوزن فى الشعر. وما أحسن قول بعض الحكماء: من وصف الحب ما عرفه . ولله در عبد الله بن أسباط القيروانى حيث يقول :

قال الخلىُّ الهوى مُحالٌ فقلتُ لو ذقتَه عرفتَهْ
فقال هل غيرُ شُغلِ قلب إن أنت لم ترضَه صرفتَهْ
وهل سوى زفرةٍ ودمعٍ إن هو لم يزدَجِرْ كففتَهْ
فقلتُ من بعدِ كلِّ وصفٍ لم تعرفِ الحبَّ إذ وصفتَهْ

لبعضهم :

أكثِرِ العـــذل أو فدعْ ليس فى سَلوتى طمعْ
لستُ أشـكو الهـوى ولو صنَع الوجـــدُ ما صنعْ
أنا قـــدرى مَذلّتى فى الهـــوى عزّ وارتفعْ
فى هـــوى مَنْ بحسنه كمُل الحسنُ واجتمعْ
قمـرٌ لو رأى سَنا وجهِه البـــدرُ ما طلعْ
كلّما صاحَ باسمه سائقٌ فى السُّرى شرعْ
قام يسعى لحبّـــه كُلّ من كَلّ وانقطعْ

السرى السقطى قال : خرجت من الرملة إلى بيت المقدس : فمررت بأرض مُعشبة وفيها غدير ماء ، فجلست آكل من العشب وأشرب من المـاء ، وقلت فى نفسى : إن أكن أكلت وشربت فى الدنيا حلالا فهو هذا ، فسمعت هاتفا يقول : ياسرى ، فالنفقة التى أوصلتك إلى هنا من أين هى ؟ انتهى .

قال قثم الزاهدُ : رأينا راهبا على باب بيت المقدس كالواله ، فقلت له أوصنى فقال : كن كرجل احتوشته السباعُ، فهو خائف مذعور ، يخاف أن يسهوَ فتفترسَه، أو يلهو فتنهشه، فليله ليل مخافة إذ أمن فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذ فرح فيه البطالون . ثم إنه ولّى وتركنى ، فقلت : زدنى ، فقال : إن الظمآن يقنع بيسير الماء . انتهى .

الحلاج من أبيات :

سقَونى وقالوا لا تُغنّى ولو سقوا جبالَ سَراة ما سُقيتُ لغنّتِ

سئل الصلاح الصفدى عن قول قيس :

أصلّى فلا أدرى إذا ما ذكرتُها أثنتَينِ صلّيتُ الضُّحى أم ثمانيا

ما وجه الترديد بين الاثنتين والثمانية ؟ فقال : كأنه لـكثرة السهو واشتغال

الفكر كان يعدّ الركعات بأصابعه ، ثم إنه يذهل فلا يدرى هل الأصابع التى ثناها هى الأصابعُ التى صلّاها أم الأصابع المفتوحة ؟

وأقول : لله در الصلاح الصفدى فى هذا الجواب الرائق الذى صدر عن طبع أرق من السحر الحلال ، وألطفَ من الخمر إذا شيبت بالزلال ، وإن كنا نعلم أن قيسا لم يقصد ذلك[1].

ابن العدوى فى مليح مخالف الوعد :

ووعدتَ أمس بأن تزور فلم تَزُرْ ... فغدوتُ مسلوبَ الفؤاد مشتّتا

لى مهجةٌ فى النازعات وعَبْرةٌ ... فى المرسلات ، وفكرةٌ فى هل أتى

قال الشيخ المقتول فى بعض مؤلفاته : اعلم أنك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكارك ، وسيظهر عليك من كل حركة فعلية أوقولية أو فكرية صور روحانية فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادةً لمَلَكٍ تلتذ بمنادمته فى دنياك وتهتدى بنوره فى أخراك ، وإن كانت تلك الحركة شهوية أو غضبية صارت تلك الصورة مادةً لشيطان يؤذيك فى حال حياتك ، ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك . انتهى .

* * *

لما احتُضِر ذو النون المصرى قيل له : ماتشتهى ؟ فقال أشتهى أن أعرفه قبل الموتِ بلحظة . ويقال إن ذا النون كان أصله من النوبة تُوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . رحمه الله تعالى . انتهى .

وفى الحديث : « وليس عند ربك صباحٌ ولا مساء » قال علماء الحديث: المراد أن علمه سبحانه حضورىّ لا يتصف بالمضىّ والاستقبال كعلمنا . وشبهوا ذلك

---

(١) لأن قيسا لم يقصد سهوه فى الصلاة حقيقة ، وإنما ضربه مثلا لما يلقاه من اشتغال قلبه بليلى.

بجبل كلُّ قطعة منه لون فى يد شخص يمده على بصر نملة، فهى لحقارة باصرتها ترى كل آن لونا ثم يمضى ويأتى غـيره فيحصل بالنسبة إليها ماض وحال ومستقبل، بخلاف من بيده الحبل، فعلمه سبحانه وتعالى ـ وله المثل الأعلى ـ بالمعلومات كعلم من بيده الحبل، وعلمنا به كعلم تلك النملة. انتهى.

قال الشيخ الثقة أمينُ الدين أبو على الطبرى عنـد قوله تعالى: « إنما التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملون السوءَ بجهالةٍ »: اختلف فى معنى قوله تعالى بجهالة على وجوه: أحدها أن كل معصية يفعلها العبد بجهالةٍ وإن كانت على سبيل العمد لأنه يدعو إليها الجهل ويزينها للعبد.

عن ابن عباس رضى الله عنهما، وعطاء ومجاهد وقتادة، وهو المروى عن عبد الله رضى الله عنهم قال: « كلُّ ذنب عمِلَه العبد وإن كان عالما فهو جاهلٌ حين خاطَر بنفسه فى معصيته » فقد حكى سبحانه قولَ يوسف الصديق عليـه وعلى نبينا أفضلُ الصلاة والسـلام لإخوته « هل علمتم مافعلتم بيوسُفَ وأخيهِ إذ أنتم جاهلون » فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم فى معصية الله، وثانيها أن معنى بجهالة أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشىء ضرورة. عن الفرَّاء. وثالثها أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه، وإما بأن يُفرطوا فى الاستدلال على قبحها. عن الجبائى. وضعّف الرُّمَّانى هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون، ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوبٌ توبةٌ لأن قوله تعالى « إنما التوبة » يفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم. انتهى.

[فى الـكلينى(١)، فى باب المعيشة فى باب عمل السلطان، عن أبى عبـد الله عليه السـلام، فى قول الله عز وجل « وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ

(١) الزيادة من المخطوطة.

ٱلنَّارُ » قال هو الرجل يأتى السلطان ، فيحبّ بقاءه إلى أن يدخل يده إلى كيسه فيعطيه] .

فى آخر المجلس السادس والسبعين من أمالى ابن بابويه : كتب هٰرون الرشيد إلى أبى الحسن موسى بن جعفر رضى الله عنهما : عظنى وأوجز ، قال فكتب إليه: ما من شىء تراه عينُك إلا وفيه موعظة . انتهى .

سئل الشيخ أبو سعيد عن التصوف ، فقال : استعمال الوقت بما هو أولى به . وقال بعضهم : هو الانقلاع عن العلائق ، والانقطاع إلى رب الخلائق . انتهى .

* * *

فى أواخر باب الإرادات من الكافى عن محمد بن سنان قال : سألته عن الاسم ماهو ؟ فقال [هو] صفة الموصوف . انتهى .

مرّ المجنون على منازل ليلى بنجد ، فأخذ يُقبّل الأحجار ويضع جبهته على الآثار ، فلاموه على ذلك ، فحلف أنه لا يقبل فى ذلك إلا وجهها، ولا ينظر إلا جمالها، ثم رئى بعد ذلك وهو فى غير نجد يقبل الآثار ويستلم الأحجار ، فليم على ذلك ، وقيل له : إنها ليست من منازلها ، فأنشد :

لا تقل دارُها بشرقىّ نجدٍ   كلُّ نجدٍ للعامريّةِ دارُ
فلها منزِلٌ على كل أرضٍ   وعلى كل دِمنةٍ آثارُ

للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى :

إذا تبدّى حبيبى   بأىّ عينٍ أراهُ
بعينِه لا بعينى   فما يراهُ سِواهُ

لبعضهم:

نجُبُ الأعمار بنا تَخِبُ   ما أسرعَ ما تصِلُ النُّجُبُ

والشمس تطـــير بأجنحة والليـلُ تُطايره الشهبُ
والدهرُ يجدُّ بفعل الجِـــدِّ فليس يليق بك اللعبُ
ما القصدُ سواك نخلِّ هوا ك فـكن رجلا فلكَ الطلبُ
العرشُ لأجلك مرتفع والفَرْشُ لأجلك منتصب
والجوّ لأَجلك منخرِق والريحُ تمور بهـــا السحُب
والزهرُ لِأجلك مبتسم والغيمُ لعُمرِك ينتحِب
وكأنّ سماء الدنيـــا البحـــرُ وحَبُّ كواكِبها حَبَبُ
وكأنّ الشمسَ سفينتُه وشراعُ ذَوائبها ذهَبُ
سلْ دهْرَك أين قرونُ الأَر ض يُجِبك بأَنهمُ ذهبوا
سارُوا عنا ســـيرا عجِلًا فـكأنّ مسيرَهم الخببُ
واستَوحشَت الأوطانُ لهم لما أنست بهمُ التُّرْبُ
ما أَفصحَهم ولقـد صَمَتوا ما أَبعدَهم ولقـــد قرُبوا
يا لاعبُ جِـدَّ بفعل الجِـــد فليْس الأمرُ به لعِبُ
واهجُر دنياك وزخرفهـــا فجميعُ مناصبها نَصَبُ
فـكأنكَ والأيامُ وقد فتحت بابا فيها النُّوبُ
وبقيتَ غريبَ الدار فلا رسلٌ تأتيك ولا كُتُبُ
وسَلاك الأهلُ وملَّ الصحـ ـبُ كأنهمُ لك ما صَحبوا
فإذا نُقر الناقورُ وصا حَ ويومئذٍ يومٌ عَجَبُ
فيُصيخُ السمعُ ويجثو الجمـــعُ ويجرى الدمعُ وينسكبُ
وجميعُ الناس قد اجتمعوا ثم افترقوا ولهم رُتبُ

ذا مُرتفعٌ ذا منخفض ذا مُنجزِمٌ ذا منتصبُ
فهناك المكسَب والخسرا ن وثَمّ الراحـةُ والتعَبُ

آخر :

نَسمات هواك لهـا أرجُ تحيا وتعيشُ بها المُهَجُ
وبنشر حديثك يُطوى الغمّ عن الأرواح ويندرجُ
وبِبَهْجة وجهِ جلالِ جما لِ كمالِ صِفاتِك أبتهجُ
لا كان فؤاد ليس يهيـــم على ذكراك وينزعجُ
[لا أعتبُ قلبَ الغافل عنـ لك فليس على الأعمى حرَجُ][1]
ما الناسُ سوى قوم عرفو كَ وغـيرُهُم هَمجٌ هَمجُ
قومٌ فعَلُوا خـيرا فعَلَوْا وعلى الدّرج العُليـا درجوا
[فَهِموا المعنى فهُم المعنى فبذكر الله لَهُم لَهِجوا][1]
دخلوا فُقراء إلى الدُّنيـا وكما دخلُوا منها خرجُوا
شربوا بكؤوس تفكّرهم من صِرْفِ هواه وما مزَجُوا
يا مُـــدّعيـا لطريقِهمُ قومٌ فطَريقُك منعوج
تهوَى ليـلى وتنـام الليـــلَ وحقِّك ذا طلبٌ سمِجُ

آخر :

عظُمت آياتُك يامالكُ فالمُلك بحكمك والملِكُ
[ولهيبـة أمرك شار الفُـ لكُ ودارَ بقدرتك الفلكُ][1]
وكذاكَ رحى الأيام تدو رُ بسير عجب لا دركُ
غُرر نفـلٌ تسع عشر بيضٌ درع ظُـلَمٌ حلكُ

(١) الزيادة من المخطوطة .

عميتَ أبصارُ وُلاة الشِّر ـ ك فقيد أسرَهم الشِّرْك
واغليلس ليل بلوغ الكيـــف فلم ترَ نحوك مُنْسَلِكُ
وأضاء نهارُك للعقلا ء فمذ وجَدوا وَجْداً سَلكوا
نطق العلماء بشرح الطر قِ فَمُذْ وصلوا لك إرتبكوا

آخر:

فى الدّهر تحيّرت الأممُ والحاصل منه لهم ألمُ
بعجائبـــه ومصائبـــه أمواجُ زواخرُ تلتطمُ
والمرْءُ يسير مسير الشمـــس فليس تقرُّ له قدمُ
قدمان له يسعى بهما فضُحًى ودُجًى ضوءٌ ظُلَمُ
والناسُ بحُلم جهالتهم فإذا ذهبوا ذهبَ الحُلُمُ
صمٌّ بكمٌ عمىٌ بُهُمٌ نعَمٌ قُسمت لهمُ نِعَمُ
فرِقوا فرَقاً فرَقوا فِرَقاً ومضوا طُرُقا لا تلتئِمُ (١)
ذا مُرتفِعٌ ذا منتصبٌ ذا منخفِضٌ ذا منجزِمُ
لا يفتكرون لما وجَدوا لا يعتبِرون لما عدِموا
أهواءَ نُفوسِهمُ عبَدوا . والنفسُ لعابدها صنمُ
واسمُ الإسلامِ على ذَا الخلـــقِ وليس المسلمُ عشرَهم
أو ليسَ المسلم من سَلِمتْ معه نفسٌ ويدٌ وفمُ

* * *

التوبة تهدم الحوبة . الفقر يُخرِس الفطِن عن حجته . الكامل من عُدّت

(١) فرقوا الأولى : فعل ماض من الفرق ، وهو الخوف ، وفرقا ، مصدر منه . وفرقوا : فعل ماض من الرق ، وفرقا : جمع فرقة .

هفواته . المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح . المفروح به هو المحزون عليه . الفِرار فى وقته ظفَر . أقرب رأييك إلى الصواب أبعدُهما عن هواك .

قال أُبو حنيفة رضى الله عنه لمؤمن الطاق: مات إمامُك، يعنى جعفرًا الصادق رضى الله عنه ، فقال له مؤمن الطاق: لـكن إمامُك من المنظرين إلى الوقت المعلوم. فضحك المهدى وأمر لمؤمن الطاق بعشرة آلاف درهم .

أهدى الشريف إلى الملك صلاح الدين بن أيوب هدايا، وكان الرسول يخرج منها واحدة واحدة ويَعرضها على الملك ، فأخرج مروحة من خوص النخل وقال : أيها الملك هذه مروحة، ما رأى الملك ولا أحد من آبائه مثلها، فاستشاط الملك غضبا وتناولها منه وإذا عليها مكتوب :

أنا مِن نخـــلة تُجاورُ قَبرا ساد من فيه سائرَ الناس طُرّا
شمَلتنى سعادةُ القبر حتى صِرتُ فى راحة ابن أيوب أُقرّا

فعرف أنها من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبّلها الملك ووضعها على رأسه ، وقال للرسول : صدقت صدقت . انتهى .

لقى الحجاج أعرابيا فقال له : ما بيدك؟ فقال عصاى أركزها لصلاتى، وأعدّها لعداتى ، وأسوق بها دابتى، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأثبُ بها على النهر، وتؤمننى العثر، وألقى عليها كسائى فيقينى الحر ويجنبنى القر ، وتدنى إلى ما بعد عنى ، وهى محمِل سُفرتى ، وعِلاقة أدواتى ، أقرع بها الأبواب، وألقى بها عقور الـكلاب، وتنوب عن الرمح فى الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران ، ورثتها عن أبى ، وسأورّثها ابنى من بعدى ، وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى . فبهت الحجاج وانصرف . انتهى .

من تاريخ ابن زهرة الأندلسى: أبو يزيد البسطامى خدم أبا عبد الله جعفر بنَ محمد الصادق رضى الله عنه سنين عديدةً ، وكان يسمية طيفورا السقاء ؛ لأنه كان

سقاء داره، ثم رخص له فى الرجوع إلى بسطام . فلما قرب منها خرج أهل البلد ليقضوا حق استقباله ، نخاف أن يدخله العجب بسبب استقبالهم ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، فأخذ من سفرته رغيفا وشرع فى أكله وهو راكبٌ على حماره ،فلما وصل إلى البلد وجاء علماؤها وزهادها إليه ووجدوه يأكل فى شهر رمضان قلّ اعتقادهم فيه ، وحَقُرَ فى أعينهم ، وتفرّق أكثرهم عنه . فقال يانفس هذاعلاجك.

ومن كلامه : لا يكون العبد محبا لخالقه حتى يبذل نفسه فى مرضاته سرا وعلانية ، فيعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو .

وسئل : ما علامة العارف ؟ فقال : عدم الفتور عن ذكره ، وعدم الملال من حقه ، وعدم الأنس بغيره .

وقال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبدفقير ، ولكن العجب من حبك لى وأنت ملك قدير .

وسئل : بأى شىء يصل العبد إلى أعلى الدرجات ؟ فقال : بالخرس والعمى والصمم .

ودخل عليه أحمد بن خضرويه البلخى ، فقال له أبو يزيد : يا أحمد كم تسيح ؟ فقال : إن الماء إذا وقف فى مكان واحد نتن ، فقال له أبو يزيد : كن بحرا حتى لا تنتن .

وقال : التصوّف صفة الحق ألبسها العبد .

وقال : من عرف الله فليس له مع الخلق لذة ، ومن عرف الدنيا فليس له فى معيشته لذة ، ومن انفتحت عين بصيرته بُهِتَ ولم يتفرغ للكلام .

وقال : لا يزال العبد عارفا مادام جاهلا ، فإذا زال جهله زالت معرفته .

وقال : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر .

وقيل له : هل يصل العبد إليه فى ساعة واحدة ؟ فقال نعم ، ولكن الربح بقدر السفر .

وسأله رجل : من أصحب ؟ فقال : من لا تحتاج إلى أن تكتمه شيئاً مما يعلمه الله تعالى منك .

قال جامع الكتاب : إن ملاقاة أبي يزيد البسطامى لأبى عبد الله جعفر ابن محمد الصادق عليهما السلام وكونه سقاء فى داره سلام الله عليه أوردها جماعة من أصحاب التاريخ، وأوردها الفخر الرازى فى كثير من كتبه الكلامية، وأوردها السيد الجليل رضى الدين على بن طاووس فى كتاب الطرائف، وأوردها العلامة الحلى رحمه الله فى شرحه على التجريد، وبعد شهادة أمثال هولاء بذلك لا عبرة بما فى بعض الكتب كشرح المواقف من أن أبا يزيد لم يلق الإمام عليه السلام ، ولم يدرك زمانه ، بل كان متأخرا عنه رضى الله عنه بمدة مديدة. وربما يرفع التنافى من البين بجعل المسمى بهذا الاسم اثنين : أحدهما طيفور السقاء الذى لقى الإمام عليه السلام وخدمه، والآخر شخص غيره . ومثل هذا الاشتباه يقع كثيرا ، وقد وقع مثله فى المسمى بأفلاطون ، فقد ذكر صاحب المِلَلِ والنِّحَلِ أن جماعة متعددين من الحكماء القدماء كل منهم كان يسمى أفلاطون .

* * *

فى استخراج الاسم المضمر : مره ليلقى أوّله ويخبرَ بعدد الباقى فاحفظه ، ثم ليخبر بما عدا ثانيه ، ثم بما عدا ثالثه وهكذا ، ثم اجمع المحفوظات واقسم الحاصل على عددها بعد إلقاء محفوظ واحد منها ثم انقص من خارج القسمة المحفوظ الأوّل فالباقى هو عدد الحرف الأوّل ، ثم انقص منه المحفوظ الثانى فالباقى هو عدد الحرف الثانى . وهكذا .

فى استخراج اسم الشهر المضمر ، أو البرج المضمر : مره ليأخذ لكل ما فوق

المضمر ثلاثة ثلاثة ، وله مع ما تحته اثنين اثنين ، ثم يخبرك بالمجموع فتلقى منه أربعة وعشرين وتعد الباقى من المحرم أو من الحمل ، فما انتهى إليه فهو المضمر .

فى استخراج العدد المضمر : مره[1] ايلقى منـــه ثلاثة ثلاثة ويخبرك بالباقى ، فتأخذ لـكل واحد منه سبعين ، ثم مره ليلقى منه سبعة سبعة ويخبرك بالبـــاقى ، فتأخذ لـكل واحد منه خمسة عشر ، ثم مره ليلقى منه خمسة خمسة ويخبرك بالباق ، فتأخذ لـكل واحد منه أحدا وعشرين ، ثم تجمع الحواصل وتلق من المجتمع مائة وخمسة ، فما بقى فهو المطلوب . انتهى .

* * *

الأرجوزة المشهورة للفاضل مجد الدين[2] بن مكانس رحمه الله تعالى :

هل من فتى ظريفِ معاشر لطيـــــفِ
يسمع من مقـــالى ما يُرْخص الـــــلآلى
أمنحــــه وصيَّهْ ســـارِيةً سريّهْ
تُنـــير فى الدياجى كلمـــة السراج
جالبـــةَ السّرّاءَ جليلةَ الأنْبـــاء
ماجنـــةً خليعــــهْ بليغةً مطيعـــــه .
رشيقةَ الألفاظ تسُهل للحفـــــاظ
جادت بهـــا القريحــــهْ فى معرِض النصيحـــه
أنا الشفيق النـــاصح أنا الجِـدّ المـــازح
اسلكْ مع الجماعه فى طرق الخلاعه

(١) كتب على هامش النسخة المطبوعة : هذه القاعدة لا تظهر فى جميع الأعداد فتأملها .

(٢) فى الخطية : مجدد الدين .

أجِدُّ الأكيـاس عهـد أبي نُواس
إن تبتغ الـكرامهْ وتطلُب السلامه
اسلُك مع الناس الأدبْ ترى من الدهر العجبْ
لِن لمُ الخطــابا واعتمـــد الآدابا
تنل بهـــا الطِّلابا وتسحَرِ الألبـــابا
البِسْ حُـــلا الخلاعه واخلَع ردا الرّقاعه
ولا تطاوِلْ بنشب ولا تفاخر بنَسَبْ
فالمرء ابنُ اليومِ والعقلُ زينُ القوم
ما أروض السِّياسهْ لصـــاحب الرّياسَهْ
إن شئت تُلفَى مُحسنا فلا تقـــل قطُّ أنا
وإن أردتَ لا تُهَنْ إذا ائتُمنت لا تخنْ
العز فى الأمانه والـكيسُ فى الفطانه
القصدُ بابُ البركه والخُرق داعى الهلـكَهْ
لا تُغضب الجليسا لاتوحِش الأنيســـا
لا تَصحبِ الخسيساَ لا تُسخطِ الرئيســا
لا تـكثر العِتابا تُنفِّرِ الأصحـــابا
فـكثرةُ المعـــاتبه تدعـــو إلى المجانبهْ
وإن حللت مجلسا بين سَرَاة رؤسا
اقصد رضا الجماعه وكن غلام الطاعه
ودارِهِمْ باللطــــف واحذَر وبالَ الشُخف
لا تلفظَنَّ كاذبا لاتُهمِل المـــلاعبا

قربُ الندامى يُلْجى للنَّرد والشّطرنجى
واختصر السؤالا وقلّلِ المقـــالا
ولا تـكن مُعربِدًا ولا بغيضا نـكِدا
ولا تـكن مقـداما تسطُو على الندامى
لا تُمسك الأقـداحا تُنغّص الأفراحا
لا تقطع الطّوافَه لا تهجرُ السُّلافه
لا تَحـــمل الطعاما والنقـــلَ والمُداما
فـــذاك فى الوليمـه شناعةٌ عظيمه
لا يرتضيها آدمِى غـير مُقِـلّ عادِم
وقُلْ من الـكلام مالاق بالمـدام
كرائق الأشعـــارِ وطيّب الأخبار
واترك كلام السَّفِلَة(١) والنـكتَ المبتـــذلَه
وقالت الأكياسُ إذا أريق الـكاس
بادرْهُ بالمنـــديل فى غاية التعجيـل
فشَمْـلةُ الـكرام سفنجة المـدام
وإن رقدت عنـدهم فلا تَشاكلْ عبـدَهم
فإن سلمت مرّه فلا تَعـد ياغِره
لا تأمنَنّ الثّانيـــه فإن تلك القاضيَهْ
والدّبّ فاحذره حذر فإنه إحـدى الـكُبَرْ
فيـالهـا فضيحهْ ومحنـةٌ قبيحهْ

---

(١) سفلة الناس ـ بكسر السين وسكون الفاء ، وسفلة ـ كفرحة ـ أسافلهم وغوغاؤهم .

فاعلها لا يكرم وإن رُزى لا يرحم
كم أسكن الترابا ذو غَيرة دبّابا
وكم فتى من دبه أصبح مفضى الثقبه
جازوه من جنس العمل وصار فى الناس مثل
ليس له من آسى كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره ومُثلةً وعبرهْ
إياك والتطفيلا فشؤمه وبيلا
تبًا لها من محنه وثلمةٍ وهُجنهَ
لا تقرب اللطاعهْ فإنها دِلّاعه
ولاتكن مبذُولا ولا تكن مَلولا
وإن دعاك إخوَهْ إلى ارتشاف القهوه
فلا تُصقّع ذَقنكا ولا تزرهم بابنكَا
ولا بجار الدّار ولا بشخص طارى
ولا بخيل تألفُه ولا صديق تصدِفه
ولا تقل لمن تحبْ ضيفُ الكرام يُصْطحب
فهذه أمثال غالبُها محال
سيّرها الأعرابُ الجاعةُ السّغابُ
قد وضعوها فى الورى طيزاً لأولاد الخرا
وإن حلت مشربَهْ مع سوقة لا كتبه
فاقلل من المدام فى مجلس العوَام
ولا تكن مِلحاحا واجتنبِ المزاحا

لأنهم إن مزحوا ابتدأوا وافتحوا
وذقننوا ومرخصوا وانصفعوا وانخمصوا
كن كابن حجاج ولا ترتد واصفع بالدلا
فكثرة المجون نوعٌ من الجنون
والأمر فيه محتمل وكل من شاء فعل
وآخر الأمر الرضا وكل مفعول مضى
وصية العوام ضربٌ من الإنعام
وإن صحبت ترْكى فاصبر لأكل الصّك
هذا إذا تلطّفا ولم يكن منه جفا
وإن يكن ذا عربدَه وعيشةٍ منكّده
يقوم فى الجلوس بالسيف والدبّوس
أبشرْ بقتل القوم وشؤم ذاك اليوم
إن رام منك المسْخره فانهض إلى المبادرَه
ومُسّ نحرَه وقد وإن خلصت لا تعد
واعمل له مُعْرّصاً وإلا قُتلت بالخصا
فاقبل كلامى واعتمد وصيتّى واوْصى وفد
ولا تخالف تندَمِ ولا تهزّر تعدَم
فالشؤم فى اللّجاج والحُرُّ لا يُداجى
وهذه الوصيّه للأنفس الأبيه
أختارُها لنفسى وإخوتى وجِنسى
لا تركب الجِمالا لا تصعد الجبالا

لا تَنكِح الفيلانا لا تقتُل الديدانا
لا تصحبِ السباعا لا تطلُع القِلاعا
لا تركب البحارا لا تسلُك القفارا
لا تَنزِل الأريافا لا تهجُر السُّلافا
لا تندُب الطلولَا ولا تكُن مَهبولا
إياكَ جوبَ الأوديَهْ إياك سوءَ الأغذيه
لا تأكل الضِّبابا لا تَلِجِ اليبَابَا
اتركه لأهل المغرب وللجياع الغرّب
أكّالة القنافذِ في البيد والفدافدِ
وثُب إلى الرياض وثبْةَ ذى انتهاض
أما ترى الرّبيعا وزهرَه المَريعا
من يَعْدُ عن طريقى غاب عن التوفيق
أما سمعت باسْمِى أما عرفت رَسْمِى
سل النّدامى عني وإن تشا فسلنى
أنا الفتى المجرّب أما الحريف الطيب(١)
أنا أبو المدام أنا أخو الكرام
كأننى إبليس للهو مِغناطيس
أمشى على أعطاف في طاعة الخلاف
أسعى إلى الأزهار في زمن النوّار
أروى عن الوُرُود في زمن الورود

---

(١) الحريف : صاحب الحرفة .

أغيب يا فلان إن قيل بان البانُ

تحت سماء الزّهر مع النجوم الزُّهر

كم ليــلة أرقتها مع غادة عَلِقتُها

وطفاء مثـــل الريم ترفل فى النّعيم

لم أنسها لما بكت مثلَ اللآلى وشكَتْ

بمُنْحِنِها ودلّها إذا سرى لى بعلها

قلت اتركيه وإلّا ما بالله يا بدر السما

واستوطنين دَارى تكفى أذى السِّرارى

يا طيبها من ليـله لو أنهـا طويلهْ

ساعاتها قصارُ وكلهـــا أنوارُ

بدا بها الهـلالُ يزينه الجمـــال

من جانب العِمامهْ كالحب فى العمامه

ولمعة السراج والصدع فى الزجاج

وجانب المـــرآة والنعل فى الفـلاة

وكشفاهِ الأكؤس والحاجب المقـوّس

قلت له حين وفَى ورقّ لى وانعطفا

كالغصن لدنٍ أعوجٍ والفخ أو كالدُّملجِ

معرّقا كالنون وهيئــةِ العُرجون

يشبه طوق الدُّره فى الصحو بين الخضرهْ

يا صفوة الأقمـار يا مبـدأ الأنوار

يا من يحاكى الغيبه والقينـة المنتقبـه

وزورق المسَّباحه والظُّفْر فى التفاحه
أصبحت فى التمثيل تشبه ناب الفيل
فياله حين وثبْ قربوسَ سرج من ذهبْ
أو قسمةَ السوار أو منجلَ الأغمار
أو مخلباً للطائر أو مثلَ نعل الحافر
يا مشبهَ القُلامه هُنّيت بالسلامه
والبدر والدرارى والخنَّس الجوارى
مَلْك لدى مسائه يختال فى إمائه
فى وجهه آثارُ كأنه دينـارُ
يشرق فى الدَّيجور كجامة البلور
بين الظّلام سارى كالوجه فى العِذار
لم يستطع تحسينَه وكلُّ حسن دونه
ووجنة الحبيب فى لونها الغريب
من صبغة الرحمن لا وردةَ الدِّهان
والزهر بالأنواء تمسَّك الأرجاء
والقرط طاب ريا سقيا له ورعيا
والنهر وسط الخضره كأنه المجرّه
والغيث فى انسكاب بنغمـة الرباب
فوق سمـاء النهر مثل الدرارى الزُّهر
والورق فى الأوراق قد شرحت أشواقى
حلت فوق طوْقى فى حُب ذات طوْقِ

حمامةٌ تطوقت واختضبت وانتطقت
تشدو على الأراك ساخرةً بالبـاكى
راسلها شُحرور أنطقـه السّرور
موشح بالغيهب موصولة بالذهب
وأحسن التّشبيبا واستنشد النّسيبا
وبادرِ التغـــزلا واستجْل كاسات الطّلى
فإنما الدنيـا فرصْ إن تركت عادت غُصصْ
فهاكها وصيّة تصحبها التّحية
يحملها الكرام إليك والسلام

ابن أبى الحديد :

فيك يا أُغلوطَة الفـكـ ـرِ غـدا الفـكرُ عليلا
أنت حيّرت ذوى اللـ ـب وبلبلت العُقولا
كلما أقبـل فـكرى فيك شِبراً فرّ ميلا

من كلام أفلاطون : انبساطك عورة من عوراتك فلا تبـــذله إلا لمـأمون عليه .

ومن كلامه : احفظ الناس يحفظك الله . ورأى رجلا ورث من أبيه ضِياعا فأتلفها فى مدة يسيرة ، فقال : الأرضون تبتلع الرجال ، وهذا الفتى يبتلع الأرضين .

من كلام سقراط : لا تظهر لصديقك المحبة دفعة واحدة ، فإنه متى رأى منك تغيراً عاداك .

من كلام فيثاغورس : إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس أن يقولوا إنك عديم العقل بدل قولهم إنك عاقل .

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف فى البحر ، ومائة ألف فى البر ، فأراد عبد الملك أن يكتب إليه جوابا شافيا فكتب إلى الحجاج أن يكتب إلى محمد بن الحنفية رضى الله عنه بكتاب يتهدده فيه ويتوعده بالقتل ويرسل ما يجيبه به ، فكتب الحجاج إليه، فأجابه ابن الحنفية رضى الله تعالى عنه : إن لله تعالى فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ، وأنا أرجو أن ينظر إلى نظرة يمنعنى بها منك . فبعث الحجاج كتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك ذلك إلى ملك الروم ، فقال ملك الروم : ما هذا منه ، ما خرج هذا إلا من بيت النبوة.

قال الشريف المرتضى ذو المجدين علم الهدى طاب ثراه : ذاكرنى بعض الأصحاب قول أبى دهبل :

فأبرزتُها بطحاء مكة بعد ما أصاتَ المنادى بالصلاة فأعتما

وسألنى إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه ، وأن أجعل ذلك كناية عن امرأة لا عن ناقة ، فقلت فى الحال :

فطيَّب ريَّاها المقامَ وضوَّأت بإشراقها بين الحطيم وزمزما
فيارب إن لقَّيْت وجهاً تحيةً فحى وجوهـا بالمدينة سُهَّما
تجافين عن مَسّ الدهان وطالما عصمنَ من الحنّاء كفا ومِعصما
وكم من جليدٍ لا يخامره الهوى شنَنّ عليه الوجـد حتى تتيّما
أهان لهنّ النفس وهى كريمةٌ وأ كفاً إليهنّ الحديث المكتّما
تسفَّهتُ لما أن مررت بدارها وعوجلتُ دون الحلم أن أتحلَّما
فعجت أعزى دارساً متنكّرا وأسأل مصروفا عن النطق أعجما
ويوم وقفنـا للوَداع وكلنا يَعُدّ مطيعَ الشوق من كان أحزما
نظرت لقلب لا يعنَّف فى الهوى وعينٍ متى استمطرتَها مطرتْ دَما

وتتبع الشيخ محيي الدين الجامي السيد فقال :

خفاء فضاء المأزمين وطاب من شذاها ثرى أم القرى فتبسما
ولاح لحادى الركب ضوء جبينها فيمم بالركب الحمى وترنما
رآها على بعد أخو الزهد فانثنى وصلى عليها بالفؤاد وسلما
رنت فصبا ركن الحطيم وزمزم إليها وباحا بالغرام وزمزما
من اللاء يسلبن الحليم وقاره ويقتلن باللحظ الكمى المعمما
ويورين نار الوجد فى قلب ذى النهى فيضحى وإن ناوى ذوى العشق مغرما
قضت مقلتا سلمى على القلب حبها فها هو منقاد إليها مسلما
أعان عليه الهجر ذا الليل والهوى وطال وأعنى وادلهم وأظلما
دعاه لميقات الغرام جمالها فهام بها شوقا ولبى وأحرما

[عروة] بن أذينة :

إن التى زعمت فؤادك ملها جعلت هواك كما جعلت هوى لها
فيك الذى زعمت بها وكلاكما أبدى لصاحبه الصبابة كلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها
لما عرضت مسلما لى حاجة أرجو معونتها وأخشى ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنى وقال لعلها معذورة من بعض رقبتها فقلت لعلها

الشيخ [شهاب الدين] السهروردى من أبيات :

أقول لجارتى والدمع جارى ولى عزم الرحيل عن الديار

ذريني أن أسير ولا تنوحى | فإن الشُّهب أشرفُها السَّوارى
وإنى فى الظلام رأيت ضوءاً | كأن الليــــل بُدِّل بالنهار
أأرضى بالإقامة فى فــلَاة | وأربعةُ العناصر فى الجوارى
إذا أبصرتُ ذاك الضوء أفنى | فلا أدرى يمينى من يَسارى

ابن الرومى فى الشيب:

ياشَبابى وأين مِــنّى شبابى | آذنتنى[1] أيامُه بانقضـــاب
لهفَ نفسى على نعيمى ولَهوى | تحتَ أفنانه اللِّدان الرِّطاب
ومُعَزٍّ عن الشباب مُؤسٍّ | بمشيب الأتراب والأصحاب
قلت لما انتحى يعدّ أساةً | من مصاب شبابه فمصاب
ليس تأسو كلومُ غيرى كُلومى | مابه مابه ومابىَ مابى

* * *

الشاعر المعروف بديك الجن : اسمه عبد السلام ، وكان من الشيعة ـ ومات سنة خمس وثلاثين ومائتـين ، وكان عمره بضعا وسبعين سنـة ، وكان له جارية وغلام قد بلغا فى الحسن أعلى الدرجات ، وكان مشغوفا بحبهما غاية الشغف ، فوجدهما فى بعض الأيام مختلطين تحت إزار واحد فقتلهما وأحرق جسديهما ، وأخذ رمادهما وخلط به شيئا من التراب ، وصنع منه كوزين للخمر ، وكان يحضرهما فى مجلس شرابه ويضع أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، فتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الجارية وينشد :

ياطلعةً طلع الحِمامُ عليهـــا | وجَنَى لها ثمرَ الردَى بيديْها
روّيتُ من دَمِها الثَّرى ولطالمـا | روّى الهوَى شفتَىَّ من شفتَيْها

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة (إذ تننى) والمعنى على آذنتنى أوضح .

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الفلام وينشد :

قبّلتُه وبه عليّ كرامةٌ   فله الحشى وله الفؤادُ بأسره
عهدى به ميْتا كأحسنِ نائمٍ   والحزنُ يسفحُ أدمُعى فى حجْره

برهانان مختصران على مساواة الزوايا الثلاث من المثلث لقائمتين ، لمؤلف الكتاب الشيخ أقل العباد بهاء الدين محمد العاملىّ .

ليكن المثلث ا ب ح ويخرج من نقطة ا إلى د و ه خط مواز لخط ب ح فنقول زاويتا ا ب ح و ب ح ا كقائمتين لكونهما داخلتين فى جهة و ، وزاويتا د ا ح و ا ح ب متساويتان لأنهما متبادلتان وزاوية ح مع مجموع زاوية ب ، وزاوية ا تساوى قائمتين أيضاً وذلك ما أردناه . ثم أقول بوجه آخر : يخرج من ا على الاستقامة إلى ه خط مواز لب ، فالزوايا الثلاث الحادثة كقائمتين والمتبادلتان متساويتان ، فالثلاث التى فى المثلث كقائمتين ، وذلك ما أردناه .

سئل المعلم الثانى أبو نصر الفارابى عن برهان مساواة الزوايا الثلاث من المثلث لقائمتين فقال : لأن الستة إذا نقص منها أربعة بقى اثنان ، معناه إذا نقص من ست قوائم أربع قوائم بقى قائمتان فيخرج ضلع ب ح فى مثلث ا ب ح إلى د و ه . ويخرج ب ا إلى ح وقد برهن فى ١٣ من أولى الأصول أن كل خط وقع على خط حدث عن جنبيه قائمتان أو مساويتان لهما ، فالزوايا الست الحادثة مساوية لست قوائم ، فيخرج من نقطة ا خط ا ز موازيا لب ح فداخلتا ه ح ر و ا ر ح كقائمتين كما فى شكل ٢٩ من أولى الأصول ، وزاويتا د ب ا و ح ا ر أيضاً كقائمتين ، لأن زاوية د ب ا تساوى زاوية ب ا ح لأنهما متبادلتان ، وحينئذ ا ر ح تساوى ا ح ب لأنها داخلة وخارجة ، والظاهر أن قوله لأن إلى قوله متبادلتان مستغنى عنه.

قال المحقق الطوسى فى التحرير فى بيان المصادرة : الثانى إذا قام عمودان متساويان على خط ووُصل طرفاهما بخط آخر كانت الزاويتان الحادثتان بينهما متساويتين ،

مثلا قام عمودا ا ب و حـ د المتساويان على ب حـ ووصل ا حـ فحدث بينهما زاويتان ب ا حـ و د ح ا فهما متساويتان ، ووصل ا د مساويا لب حـ ووصل د ب مقاطعا ا حـ على هـ فيكون فى مثلثى ا حـ د و ح د ر ضلعا ا ب و ب حـ وزاوية ا ب د القائمة مساوية لضلعى حـ د و د ب وزاوية حـ د ب القـــائمـــة كل لنظيره ، ومقتضى ذلك تساوى بقية الزوايا والأضلاع النظائر ، والتساوى زاويتى ا د ب و حـ ب د يكون ب هـ و د هـ متساويين ويبقى ا هـ و حـ هـ متساويين ، فتكون زاويتا ا هـ د و حـ هـ ب متساويتين ، وكانت زاويتا د ا ب و ب د حـ متساويتين فيكون جميع زاوية ب ا حـ مساويا لجميع زاوية د حـ ا انتهى كلام الشيخ الطوسى.

أقول : وبوجه آخر إذا كان مثلثا ا ب د و حـ ة ب متساويين فمثلثا ا هـ ب و حـ هـ د أيضا متساويان لمساواة زاويتى ب ا هـ و ب هـ ا وضلع ا ب لزاويتى د حـ هـ و د هـ حـ وضلع د حـ فيساوى ضلعا ا هـ و حـ هـ ضلعى ب هـ و هـ د فزاويتـا ا و حـ متساويتان بالمأمونى ، ويلزم ما أردناه .

ثم أقول بوجه آخر بشكل آخر : وننصف ب د على هـ ونصل ا هـ و حـ هـ فضلعا ا ب و ب هـ وزاوية ب كضلعى حـ د ود هـ وزاوية د فزاوية ب ا هـ و د حـ هـ متساويتان وكذلك ضلعا ا هـ و حـ هـ فزاويتا هـ ا د و هـ حـ د متساويتان بالمأمونى فمجموع زاوية ب ا حـ يساوى مجموع زاوية د حـ ا وذلك ما أردناه . وهذا الوجه أخصر من وجه التحرير بكثير كما لا يخفى . انتهى والله أعلم .

لبعض الأعراب :

ومن يك مثلى ذا عيـــالٍ ومقتراً — من المـال يطرحْ نفسَه كلَّ مَطرح
ليبلغَ عـــذرا أو يصيبَ رَغيبةً — ومُبلغُ نفس عـذرَها مثلُ منجحِ

* * *

ملتقطات من الباب الأخير من كتاب نهج البلاغة ، من كلام سيد الأوصياء عليه السلام : البشاشة حبالة المودّة ، إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . أفضل الزهد إخفاء الزهد. لاقربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض .المال مادّةالشهوات . نفَس المرء خُطاه إلى أجله . من لان عوده كثفت أغصانه . كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع . اتق الله بعض التقى وإن قل ، واجعل بينك وبين الله سترا وإن دق . إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة . أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه . كفى بالأجل حارسا . الحلم عشرة . قليل تدوم عليه خير من كثير مملول منه . إذا كان لرجل خَلة رائعة فانتظروا أخواتها . مصاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموضعه وهو أعلم بموقعه . انتهى .

لجامع الكتاب في الشوق إلى لَثْم عتَبة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين :

للشوق إلى طيبة جفني باكِ   لوأن مقامي فلكُ الأفلاكِ
يستحقرُ من مشى إلى روضتها   المشيَ على أجنحة الأملاكِ

قال جامع الكتاب أيضا : قد صمم العزيمة محمد المشتهر ببهاء الدين العامليّ على أن يبني مكانا في النجف الأشرف لمحافظة نعال زوّار ذلك الحرم الأقدس ، وأن يكتب على ذلك المكان هذين البيتين اللذين سخا بهما الخاطر الفاتر . وهما :

هذا الأفق المبين قد لاح لديك   فاسجد متذللا وعفّر خدّيك
ذا طور سنين فاغضض الطرف به   هذا حرمُ العِزّة فاخلَعْ نعليك

[نصائح] :

هذه كلمات تستحق أن تكتب بالنور على وجنات الحور : من أعز نفسه أذل فَلْسه . من سلك الجد أمن العثار . من كان عبدا للحق فهو حر . من بذل بعض عنايته

لك فابذل جميع شكرك له . من تأنى أصاب ما يتمنى . لا يقوم عز الغضب بذل الاعتذار . ماصين العلم يمثل بذله لأهله . ربما كانت العطية خطية ، والعناية جناية. لولا السيف كثر الحيف . لو صُوّر الصدق لكان أسدا ،ولو صوّر الكذب لكان ثعلبا . لو سكت من لا يعلم سقط الخلاف . من قاس الأمور فهم المستور. من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . من عاب نفسه فقد زكّاها . من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية مايكره. من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة . الفقر يُخرِس الفَطِن عن حجته . المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح . المفروح به هو المحزون عليه. أوّل الحجامة تحزيز القفا . الدهر أنصح المؤدّبين . أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار . المنية تضحك من الأمنية . الهدية تردّ بلاء الدنيا ، والصدقة تردّ بلاء الآخرة . الحرّ عبد إذا طمع ، والعبد حرّ إذا قنع . الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود. الأنام فرائس الأيام . اللسان صغير الجِرم عظيم الجُرم . يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم . مجالسة الثقيل حُمّى الروح. كلب جوّال خير من أسد رابض. ابتلاؤك بمجنون كامل خيرٌ لك من نصف مجنون . قد تكسد اليواقيت فى بعض المواقيت . اتبع ولا تبتدع . ارع من عظّمك من غير حاجة إليك . لا تشرب السم اتكالا على ماعندك من الترياق . لا تكن ممن يلعن إبليسَ فى العلانية ويواليه فى السر . لا تجالس بسفهك الحلماء ، ولا بحلمك السفهاء . صديقك من صَدَقَكَ لا من صدّقك . لا سرف فى الخير كما لا خير فى السرف .

كما قيل :

يامن سينأى عن بَنيــــه ... كما نأى عنــهُ أبوه
مثّل لنفسك قولَهم ... جاء اليقين فوَجّهوه
وتَحـلّلوا من ظلمه ... قبـــل الممات وحلّلوه

لبعضهم فيمن به داء الثعلب وفى أسنانه نبو :

أقول لمعشر جهلوا وغَضّوا ... من الشّيخ الكبير وأنكروهُ

هو ابن جَلا وطلاعُ الثنايا متى يضع العمامةَ تعرفوهُ

لمجير الدين بن تميم فى عبد اسمه عنبر لاط بسيده ، والبيت الأخير لابن المعتز فى تشبيه الهلال :

عاينتُ فى الحمام أسودَ واثباً من فَوق أبيضَ كالهلال المسفرِ
فكأنّما هو زورقٌ من فِضّة قد أثقلتهُ حُمولةٌ من عَنبرِ

ولمجير الدين فى زهر اللوز :

أزَهرَ اللوز أنت لكل زَهْر من الأزهار يأتينا إمامُ
لقد حسُنت بك الأيامُ حتى كأنّك فى فم الدنيا ابتسامُ

والبيت الأخير لأبى الطيب يمدح سيف الدولة :

ولمجير الدين المذكور :

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا من بركة طابت وراقت مَشْرعا
أبدت لعينى وجهَه وخيالَه فأرتنى القَمرَيْن فى وقتٍ معا

قال عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام : يامعشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا .

وقد عقد هذا المعنى بعضهم فقال :

أرى رجالا بأدْنى الدين قد قنِعوا ولا أَراهم رضُوا فى العيش بالدُّون
فاستغنِ بالدين عن دُنيا الملوك كمااســتغنى الملوكُ بدنياهم عن الدِّينِ

ابن عبد الجليل الأندلسى :

أتراهُ يترك الغزَلا وعليه شبَّ واكتهلَا
كلِفٌ بالغيدِ ماعَلِقت نفسُه السلوانَ مذعَقلا
غيرُ راضٍ عن سجية من ذاق طمَ الحبِّ ثم سلا

أيهـا اللوام ويحـكمُ　　إن لى عن لومكم شُغُلا
ثقلت عن لومـكم أذنٌ　　لم يجِدْ فيها الهوى ثِقَلا
تسمع النجوى وإن خفيت　　وهى لَيست تسمعُ العذَلا
نظرت عينى لشقوتها　　نظراتٍ وافقتْ أجَلا
غادة لمـا مَثَلْتُ لهـا　　تركتْنى فى الهوى مَثَلا
أبطلَ الحقَّ الذى بيدى　　سِحرُ عينيها وما بَطلَا
حسبتْ أنى سأحرِقُها　　مُذ رأت رأسى قد اشتعلَا
يا سُراة الحى مثلُكمُ　　يتلافى الحادثَ الجلَلا
قد نزلنا فى جِوارِكمُ　　فشكرنا ذلكَ النُزُلَا
ثم واجهنا ظبـاءكمُ　　فرأينا الهولَ والوهَلا
أضمنتم أمرَ جيرتـكم　　ثم ما أمّنتمُ السُبـلَا

لوالد جامع الـكتاب فى التورية والقلب :

كلّ مَلومٍ قلبُه مُولَمٌ　　وكل ساقٍ قلبُه قاسِى

ذكر بعض أئمة اللغة : أن لفظة بس فارسية نقلها العامة وتصرّفوا فيها فقالوا بسك وبسّى . وليس للفرس كلمة بمعناها سواها ، وللعرب حسب ، وبجل ، وقط مخففة ، وأمسك ، واكفف ، وناهيك وكافيك ، ومَه ، ومهـلا ، واقطع واكتف . انتهى .

ابن حجر العسقلانى من الاقتباس :

خاض العواذلُ فى حديث مدامعى　　لمـا جرى كالبحرِ سُرعة سيره
فحبسته لأصون سرّهوا كُمُ　　حـتّى يخوضوا فى حـديث غيره

القيراطى رحمه الله :

لهفى على ساكنِ شطِّ الفراتْ　　مرّر حُبِّيهِ علىَّ الحياهْ
ماتنقضى منعَجب فِكرتى　　من خَصلة فرّط فيها الوُلاهْ
ترك المحبين بلا حاكم　　لم يُقْعِدوا للعاشقين القُضاهْ
وقد أتانى خبَرٌ ساءنى　　مقالُها فى السرواسوأتاه

العفيف التلمسانى :

يَسأَلُ الربعَ عن ظباء المصلَّى　　ما على الربع لو أجاب سؤالَه
ومحالٌ من المُحِيل جوابٌ　　غير أن الوقوف فيه عُلالَه
هذه سُنّة المحبين من قبـ　　ـلُ على كل منزل لا محالَه
ياديار الأحباب لا زالت الأد　　مُعُ فى ترب ساحتيك مُذالَه
وتمشى النسيمُ وهو عليل　　فى مغانيك ساحبا أذيالَه
ياخليلى إذا رأيت رُبَى الجز　　عِ وعاينتَ روضَه وتِلالَه
قِف به ناشداً فؤادى فلى ثـ　　ـمَّ فؤاد أَخشى عليه ضلالَه
وبأعلى الكثيب ظبىٌ أغضُّ الـ　　ـطرف منه مهابةً وجلالَه
كلُّ من جئتَه أسائلُ عنه　　أظهر العِىَّ غِيرةً وتبالَه[1]
أنا أدرَى به ولكنّ صونا　　أتعامى عنه وأبدِى جَهالَه

دخل ابن النبيه على الصاحب صفى الدين فوجده قد حُمَّ بقشعريرة فقال :

تبًّا لُحمّاك التى　　أضنَتْ فؤادى ولَها
هلْ قد سُئِلتَ حاجة　　فأنت تهتزّ لها

الحلّى فى غلام وقعت عليه شمعة فأصابت شفته :

(١) أى أظهر البله وعدم المعرفة .

وذى هيَفٍ زارنى ليــلة فأضحى به الهمّ فى معزِلِ
فمالَت لتقبيــله شمةٌ ولم تخشَ من ذلك المحفلِ
فقلت اصحبى وقد حُـكِّمت صوارمُ لحظَيه فى مقتلى
أتدرون شمعتنا لمْ هوت لتقبيل ذا الرّشإِ الأكحل
دَرتْ أنّ ريقَه شَهْدةٌ فحنت إلى إلفِها الأولِ

من الاقتباس فى النحو وغيره :

مرِضْتُ ولى جيرة كلهم عن الرُّشد فى صحبتى حائدُ
فأصبحت فى النقص مثلَ الذى ولا صــلةٌ لى ولا عائد

ابن مطروح فى الاقتباس من علم الرمل :

حلا ريقُه والدرّ فيــه منضّدٌ ومن ذا رأى فى الشهد درًّا منضّدا
رأيتُ بخديْه بياضاً وحُمرة فقلتُ لى البشرى اجتماعٌ تجدّدا

لبعضهم فى الاقتباس من الفقه:

أنبتَ وردا ناضراً ناظرى فى وجنــةٍ كالقمَر الطالعِ
فلِمْ منعتم شَفتى لثمه والحق أن الزرعَ للزارع

أجابه والدى طاب ثراه :

لأنّ أهلَ الحب فى حيِّنا عبيدُنا فى شرعنا الواسعِ
والعبدُ لا مِلكَ له عندنا فزرعُه للسّيدِ المانعِ

صدر الدين بن الوكيل :

ياسيّدى إن جرى من مَدمَعى ودمى للعين والقلب مسفوحٌ ومسفوكُ
لا تخش من قوَدٍ يقتصّ منك به فالعينُ جاريةٌ والقلب مملوكُ

المحقق الطوسى :

مااللقياس الذى مازال مُشتهِرا للمنطقيين فى الشرطىّ تسديدُ
أما رأوا وجهَ من أهوى وطُرّته فالشمسُ طالعةٌ والليل موجُود

وله طاب ثراه :

مقدّماتُ الرقيب كيف غدتْ عنـــد لِقاء الحبيب مُتّصلَه
تمنعنا الجمعَ والخلوَّ معاً وإنمـا ذاك حكم منفصله

مصعب بن الزبير رضى الله عنهما :

تأنّ بحاجتى واشدُدْ قُواها فقد صارت بمنزلة الضّياع
إذا أرضعتَها بلِبـان أخرى أضرّ بهـا مشاركةُ الرضاع

قال مؤلف الـكتاب : مما أنشدنيه والدى طاب ثراه ، وكان كثيراً ماينشدهلى:

صِلْ من دنا وتناسَ من بَعُدا لاتُـكرِهنّ على الهوى أحداً
قد أكثرت حوّاء ماولدتْ فإذا جفـا ولدٌ نخذ وَلدا

لبعضهم :

تلاعُبُ الشَّعْر على رِدفه أوقع قلبى فى العريضِ الطّويلْ
ياردفَه جُرتَ على خَصره رِفقا به ما أنت إلا ثقيـلْ

أبو نصر الفارابى :

ماإنْ تقاعدجسمى عن لقائـكمُ إلا وقلبى إليكُم شيّق عَجِلُ
وكيف يقعُد مشتاق يحركه إليكُم الباعثان الشوقُ والأملُ
فإن نهضتُ فمالى غيركُمْ وطرٌ وكيف ذاك ومالِى عنكم بدلُ
وكم تعرّض لى الأقوامُ بعدكمُ يستأذنون على قلبى فماوصلوا

كتب بعض أمراء بغداد على داره :

ومن المروءة للفتى ماعاش دارٌ فاخِرَهْ
فاقنع من الدنيا بهـا واعمل لدار الآخرهْ
هاتيك وافيةٌ بمـا وعدتْ وهذِى ساخرهْ

ابن زولاق فى غلام معه خادم يحرسه :

ومن عجب أن يحرُسوك بخادم وخُدّام هذا الحسن من ذاك أكثرُ
عذارُك ريحانٌ وثغرُك جوهرٌ وخدُّك ياقوتٌ وخالُك عنبَرُ

كتبت بعض النساء وهى سكرى على إيوان كسرى أنو شروان :

ولا تأسفنّ على ناسكٍ وإن مات ذو طرَب فابكهِ
ونِكْ من لقيتَ من العالَمين فإنّ النّدامة فى تركهِ

الخباز البلدى وقد سافر محبوبه فى البحر :

سار الحبيبُ وخلّف القلبا يُبدى العزاء ويُظهر الكربْا
قد قلتُ إذ سار السفين به والشوقُ ينهَب مُهجتى نهْبا
لو أن لى عزا أصولُ به لأخذتُ كل سفينة غصْبا

لابن حمديس يشتمل على حروف المعجم :

مُزَرْفنُ الصُّدغ يسطُو لحظه عبثا بالخلق جذلانَ إنْ تَشكو الهوى ضَحِكا

الزرفين ـ بالضم والكسر ـ حلقة الباب ، وهو فارسى معرّبٌ وقد زرفن صُدغيه : جلعهما كالزُّرفين . قاموس .

لوالد جامع الكتاب طاب ثراه :

فاحَ ريحُ الصّبا وصاح الديكْ فانتبه وآنف عنك ما ينفيكْ

واخلع النعلَ فى الهوى وَلَهاً　　وادنُ منا فإننا ندنيكْ
واستملها سُلافة سلمت　　من أذى من بغى لهاتشريكْ
وأدِر مدحَها الفصيحَ وقـل　　كلّ مدح لغير تلك رَكيكْ
وتعشّق وكن إذاً فطنا　　كل شيء عشقته يُفنيك(١)
وانفِ عنكالوجودَوافنَ تجد　　نفحةً من قبولنا تُبقيكْ
إن تَسِرْ صوبنا تُسرَّ وإن　　متّ فى السير دوننا نحييكْ
وإذا هالك الجحيمُ فحُمْ　　فى حمانا فإننا نَحميكْ
وتخلّق بما خُلقت له　　فهومن مَوْردالردى مُنجيكْ
جُد بنفس تجد نفيسَ هذى　　كُف كَفًّا عن غيرنا نـكفيكْ
خلّ خِلّى مُناك لى بمنى　　واجعل النفس هدينا نَهديك
وانتصب رافعاً يديك بهـا　　واخفِض القَدر سا كنانُعليكْ
وابك تمحُو قبائحا كُتبت　　قبل أن تاق الذى يُبـكيكْ
تدعى غير ما وُصفت به　　والذى فيك ظاهرٌ من فِيكْ
تجترى والجليلُ مطّلعٌ　　ما كأنّ النُّهى إذاً ناهيكْ
تتلاهَى عن الهدى ولِهاً　　مُبتَلًى دائماً بما يُبليكْ
تلبس الـكبر تائهاً سفَهاً　　والنجاساتُ كائناتٌ فيكْ
وإذا ذكرتْ مواعظنا　　حدت عنها كأنّها تُنسيكْ

ولجامع الـكتاب محمد بهاءالدين العاملىّ، مضمنا المصراع المشهور للجامى وهو:

* فاح ريحُ الصّبا وصاح الديكْ *

يا نَديمى بمهجتى أفديك　　قُم وهات الـكؤوسَ من هاتيكْ
هاتِها هاتِها مُشعشعةً　　أفسدت نُسك ذى التقى النّسّيكْ

---

(١) فى المطبوعة : « يغنيك » بالغين.

قهـــوةً إن ضللت ساحتَها فسنا ضوء كأسها يهــديكْ
ياكَليمَ الفـــؤادِ داوِ بِهاَ قلبَك المبتـــلى لكى تشفيكْ
هى نار الكليم فاجتلِهــا واخلع النّعل واترك التشكيكْ
صاحِ ناهيــك بالمــدام فــدم فى احتساها مخالفا ناهيك
عمرك اللهَ قـــل لنا كرما ياحمــام الأراك مايبكيك
أترى غاب عنك أهـــلُ منى بعــد ما قــد توطّنوا واديك
إنّ لى بين رَبعهم رشأً طرْفُــه إن تمُتْ أسى يُحييك
ذا قَـــوام كأنه غصن ماس لما بدا به التحريك
لستُ أنساه إذ أتى سحـــرا وحدَه وحدَه بغير شريك
طرق البابَ خائفا وجِـــلا قلتُ من قال كل من يُرضيك
قلتُ صرّح فقال تجهلُ من سيفُ ألحـــاظه تحكّم فيك
بات يَسقى وبتّ أشربهــا قهـــوةً تترك المُقـــلّ مليك
ثم جاذَبْتُهُ الرداءَ وقـــد خا مرَتِ الخمرُ طرفَــه الفتّيك
قال لى ما ترُيد قلت له يامُنى القلب قُبلةً من فيك
قال خُـــذها فذ ظفرتُ بها قلتُ زدنى فقال لا وأبيك
ثم وسّدتُه اليمينَ إلى أن دنا الصبح قال لى يكفيك
قلت مهــلا فقال قم فلقـــد فاح ريحُ الصّبا وصاح الديكْ

١١ الشيخ حسن بن زين الدين العاملى :

ما أومض البرقُ فى داج من الظلل إلاوهاجت شجونى أو نمت عِللى
وازداد إضرامُ وجدى حين ذكّرنى لذيذَ عيش مضى فى الأزمُن الأُول
إذ كنتُ من حادثات الدهرفى دَعة مبلّغا من لدنه غاية الأمل

لله كم ليـــلة فى العمر لى سلفت ... العيشُ فى ظلها أصفى من العسَـــل
ألفيت فيها عيـــونَ الدهر غافلةً ... عنى وصَرفَ الليـــالى عادمَ المُقل
والجدُّ يسعى بمطلوبى فما ذهبت ... من بعـــد ذا بُرهةٌ حتّى تنبه لى
فصوّبَ الغدرَ نحوى كى يفلّ به ... صحيحَ حالى فأضحى منـــه فى فَلل
واستأصلت راحتى أيامُه وغـدا ... ربعُ اللّقا والتّدانى موحشَ الطلل
فصرتُ فى غمرة الأشجان مُنهمكا ... لا حولَ لى أهتدى منه إلى حِوَلى
أمسِى ونار الأسى فى القلب مضرَمهٌ ... لا ينطفى وقدُها والقلب فى شُغُل
كيف احتيالى ودهرى غيرُ معترف ... من جهله قيمةَ الأحـــرار بالزلل
حاذرت دهرى فلم تنجح مُحـاذرتى ... لما رمانى ولا تمت له حِيَلى
والحازمُ الشّهمُ من لم يُلف آونة ... فى غِرة من مُهَنّى عيشـــه الخضِل
والغِرّ من لم يكن فى طول مدّته ... من خوف صرف الليالى دائم الوجَل
فالدهر ظلٌّ على أهليـــه منبسطٌ ... وما سمعنا بِظِلّ غـــيرِ مُنتقل
كم غرّ مِن قبلِنا قوماً فما شعُروا ... إلا وداعى المنايا جاء فى عَجـل
وكم رمى دولةَ الأحـرار من سفه ... بكل خطب مهول فادح جَلَل
وظل فى نصرة الأشرار مجتهدا ... حتى غدوا دولة من أعظم الدول
وهـذه شيمةُ الدنيـا وسنتُها ... من قبل تحنُو على الأوغاد والسِّفَل
وتُلبس الحـــرّ من أثوابها حُللا ... من البَلايا وأثواباً من العِلـــل
يبيتُ منها ويَضحَى وهو فى كمد ... فى مدّة العمْر لايُفضى إلى جذَل
فاصبر على مُرّ ما تلقى وكن حذرا ... من غَدرها فهى ذات الختر والغيَل
واشدد بحبل التقى فيها يديك فما ... يجدى بها المرءَ إلا صالحُ العمل
واحرص على النفس واجهد فى حِراستها ... ولا تدعها بها ترعى مع الهمَل

وانهضْ بهامن حَضيض النقص مُنتضيا صوارمَ الحزم للتسويف والكسل
واركب غِمار المعالى كى تبلّغها ولا تكن قانعا من ذاك بالبلَل
فذِروة المجد عندى ليس يدركها من لم يكن سالكا مستصعَبَ السبل
وكن أبيّا عن الإذلال ممتنعا فالذل لا ترتضيه همةُ الرجل
وإن عَراكَ العنا والضيمُ فى بلد فانهض إلى غيرها فى الأرض وانتقل
واسعَد بنيل المنى فالحالُ معلِنةٌ بأنّ إدراكَ شأو العزّ فى النقُّل
وحيثُ يعييك نقصُ الحظ فاطو له كشحا فليس ازديادُ الجدّ بالحيل
ودارُنا هذه من قبلُ قد حَكمتْ على حُظوظ أهالى الفضل بالخلل
وكن عن الناس مهما اسطعْتَ مُعتزلا فراحةُ النفس تهوى كلَّ معتزل
ولو خبَرت الورى ألفيتَ أكثرَهم قد استحبوا طريقا غيرَ معتدل
إن عاهدوا لم يفوا بالعهد أو وعدوا فمُنجز الوعد منهم غيرُ محتمل
يحولُ صِبغُ الليالى عن مفارقهم فيستحيلوا وسوء الحالِ لم يحُلِ[1]
تباعدت عن هوى الأخرى نفوسُهم وفى اتباع الهوى حوشوا عن الفشل

وله أيضا رحمه الله :

أجهدنى حملُ النّصَبْ ونالنى فرطُ التعبْ
إذ مرَّ حالاتِ النوى علىّ دهرى قد كتَبْ
لا تعجَبوا من سَقمى إنّ حياتِى لعجَبْ
عاندنى الدهرُ فما يَودُّ لى إلا العطبْ
وما بقاء المرء فى بحر هموم وكُربْ
لله أشكو زمنــــا فى طرُق الغدرَ نصب

(١) فى المخطوطة : « يحول صنع الليالى عن عزائمها » .

فلستُ أغدو طالبا إلا ويُعييني الطلبْ
لو كنتُ أدرى علةً توجب هذا أو سببْ
كأنه يحسبني في سلك أصحاب الأدبْ
أخطأتَ يادهرُ فلا بلغتَ في الدنيا أربْ
كم تألفُ الغدرَ ولا تخافُ سوء المنقلبْ
غادرتني مُطَّرحا بين الرّزايا والنُّوَبْ
من بعد ما ألبستَني ثوبَ عناء ووصبْ
في غربة صماء إن دعوت فيها لم أُجَبْ
وحاكمُ الوجد على جميلِ صبري قد غلبْ
ومؤلم الشّوق لدى قلب المعنّى قد وجبْ
ففي فؤادي حُرقةٌ منها الحشى قد التهبْ
وكل أحبابيَ قد أودعتُهم وسْط التربْ
فلا يَلُمني لائمٌ إنسال دمعي وانسكبْ
واليومَ نائي أجلِي من لوعتي قد اقتربْ
إذ بان عنّي وطني وعِيل صبري وانسلبْ
ولم يدعْ لِي الدهرُ من راحلتي غيرَ القتبْ
لم ترضَ يا دهرُ بما صرفُك مني قد نهبْ
لم يُبق عندى فضةً أنفقها ولا ذهبْ
واسترجَعَ الصفوَ الذى من قبلُ كان قد وهبْ
وكم على حُرّ بغى فشاب منه واحدبْ

تبّت يداكَ مثلَ ما   تبّت يدا أبي لَهب

فما يُضاهيك سِوى   من نعتُها حَملُ الحطب

ومكرُك السّيّئ لا   يزال مقطوعَ الذّنب

وعنك لا يَبرح ما   كيدُك فيـــه قد ذهب

حتّام يا دهرُ أرى   منك البرايا في تعب

ما آن أن تُصلِح ما   صرفُك فينا قد خرب

ما حان إرجاعُ الذي   من قبل منا قد سُلب

شِقشقـــــة محملها   يكشف عن حال الغضب

إن الزّمان لم يزل   يفتك في أهل الحسب

وصرفه من جَوْره   لجرمهم قد انتصب

تُبصرُهُ أعيننا   فهم على حال عجب

وكل غُمر جاهلٍ   يبلُغ منـــه ماطلب

هــذا الذي حرك من   عزمي الذي كان وجب

لا غرو ياقلبُ فلا   تجزع فللأمر سبب

كلٌّ ابن أنثى هالك   وسوف يأتي من حدب

أوقفه العرضُ إذا   لم يدرِ من أين الهرب

وضاقت الصحف بما   عليـــه مولاه حسب

قد أحصيتْ أعمالهُ   وكاتب الحق كتب

لم يغن عنـــه ولدٌ   كلا ولا جـدّ وأب

ولم يكن ينفعه   في الحشر إلا ما كسب

وله رحمه الله تعالى :

فؤادى ظاعن إثرَ النياق   وجسمى قاطن أرضَ العراق
ومن عجب الزمان حياةُ شخص   ترحَّل بعضُه والبعض باق
وحل السُّقم فى بدنى وأمسى   له ليلُ النوى ليلَ المحاق
وصبرى راحلٌ عما قليل   لشدة لوعتى ولظى اشتياق
وفرط الوجد أصبح لى حليفا   ولمّا يَنْوِ فى الدنيا فِراق
وتعبث نارُه بالروح حينا   فيوشك أن يبلغها التراق
وأظمأنى النوى وأراقَ دمعى   فلا أروَى ولا دمعى بِراق
وقيّدنى على حالٍ شديد   فما حِرزُ الرُّقى منه بواق
أبَى اللهُ المهيمنُ أن ترانى   عيونُ الخلق محلولَ الوثاق
أبيتُ مدى الزمان ونارُ وَجدى   على جمر يزيد به احتراق
وما عيشُ امرئٍ فى بحر غمٍّ   يضاهى كربُه كربَ السّياق
يودّ من الزمان صفاء يوم   يلوذ بظلّه مما يُلاقى
سقتنى نائباتُ الدهر كأسا   مريراً من أباريق الفِراق
ولم يخطُر ببالى قبلَ هــذا   لفرط الجهل أن الدّهرَ ساق
وفاض الـكأسُ بعد البين حتّى   لعمرى قد جرت منهُ سَواق
فليس لداء ما ألقى دواء   يؤمِّل نفعُه إلا التّلاقى

[الشيخ الواعظ شمس الدين بن الـكوفى من بحر كان وكان(١) :

إلى من غفلٌ وتوانى   الركبُ فاتك صحبتُهْ
وفى الدجى جدى بيهم   الحادى وحثّ النوقْ
حثِ المطايا لعلّكَ   بمن تقدّم تلتحق

(١) الزيادة من المخطوطة .

من لا يحثّ المطايا ما يبصر المعشوقْ
فناقتك تتضمخْ من شدة السيْر بالدما
تصل إلى موطنها مُضمّخهْ بخَلوق
يا ذا مطّلب قد بلغت الأرب، وقدزال التعب
إلفْ ألفت فالناقه لها عليك حقوق
يابدر تِمْ تجلّى وتيّم الخلقْ منظرهْ
جميع من فى العالم إلى لقاك مشُوقْ
فبالنبى محمــــد وحق مولانا على
ما تيّم القلب إلّا قوامك المشوقْ

وله أيضاً:

وحق طيبْ وِصالك وحق أيام الرضا
وحق هزة عطفك إذا تثنيت دلالْ
ما أصغى إلى عـذالى ولا أراقب فى الهوى
أنا من الموت ما أفزع أفزع من العذالْ
فديت أهــل المحبه أجسامهم قد نحفت
وألوانهم قد حالت وحالهم ما حالْ
إن كنت ممن تعرف حق الهوى وحقوقْنا
وإلّا دعْه وتنحَّى لذا المقام رجالْ

وله أيضا يخاطب الغيث:

أىْ غيث نِسقى ونَسقى نحن القلوب ونتَ الشجر

وكل واحـد ينبّتْ ما قد سقى أوراقْ
فأوراقْ نبتك قوتْ الأبدانْ ياغيث السما
وأوراقْ نبتى قوتْ الأرواحْ والعشّاق

لما حلات نطاقكْ نثرت عقـد اللؤلؤْ
ودُرْ عقـدى يُنثَر وما حلات نِطاقْ

لا تعتبوا للعـاذِلْ إن لامْ فيمن تعشقو
فما رأى حُسن وجهُ ولا بِوصـلُو ذاق

حبيبنا يتعرض لنـا إن أعرضْنا عنو
يغار على من يحبّو فدّيت ذِى الأخلاقْ

غررت فى السير ياذا لمـا علت عن النقى
ومتى ذكرت سليمى قدحت فىّ حراقْ

يامن يعرض بليلى أشفق على أهل الهوى
فتحتْ قولك معانى فيها الدّما ستراقْ

كم لى أبهرج حالى الدمع يكشف بغيتى
وعنـد أهـل المعارفْ ماللنفـاق نَفَاقْ

والله وباللهْ وتاللهْ ما كان فُراق لشهوتى
إيشْ أقدرْ أعمـلْ إنى فى باب بدر رواقْ

وله أيضاً :

يامن عصى وتجرّا ارجع إلى من قد سترْ
أراك تعصى ولطفُو دايمْ وراكْ وراكْ

متى قصدتُو فتح لكْ في الحال أبواب الرّضا
ولو قصدت بذى الحالهْ يوما أباكَ أباكْ(١)

لطفو ترى فى المضايقْ يصلْ وإن كنتْ منقطعْ
عنو وغيرُو يقطعْ فيما عَراكَ عُراكْ(٢)

لا فى بلدكْ مَع أهلكْ تقعدْ ولا مكّهْ تصِلْ
ولا بِوادِى بَوادِى تحتَ الأراكِ أراكْ

قالْ لِى حَبيبِى مالكْ مثل السِّواكْ من الضّنَا
فقلتْ ما خَــلّانِى مثلَ السِّواكِ سواكْ

قالْ لىْ تقلعْ علىّ فقلتُ لُو ياسيّــدى
اللهْ وكلّ العالمْ تدرى أنّى أهواكْ

فقال نعليْك إخلعْ إن أردْت وادى قدسنا
وذا هوانا يقولْ لكْ اخلع حِذَاكْ حِذَاكْ](٣)

ابن زريق البغدادى:

هذه قصيدة ابن زريق الـكاتبِ البغدادى :

لا تعذليه فإن العذل يولعــــه قد قلتِ حقا ولـكن ليس يسمعهُ
جاوزتِ فى لومه حدّا أضرّ به من حيثُ قدّرتِ أن اللومَ ينفعهُ
فاستعمِلى الرفق فى تأنيبه بدلا مِن عذله فهو مُضنى القلب موجَعُه

(١) كلمة أباك الأولى معناها الوالد . وكلمة أباك الثانية معناها أبى وامتنع: يعنى لوقصدت والدك امتنع عن إجابة طلبك .
(٢) عراك الأولى : بمعنى أصابك . وعراك الثانية: جمع عروة .
(٣) يقصد بكلمة حذاك الأولى : النعل . وبالثانية ظرف المـكان ، يعنى بجوارك .

قد كان مضطلعا بالخطبِ يحمِله | فضلّمت من خطوب الدهر أضلعه
يكفيه من لوعةِ التفنيد أنّ له | من النوى كلّ يوم ما يروّعه
ما آب من سَفَر إلا وأزعجه | رأىٌ إلى سفر بالبَيْن يجمعه
تأبى المطالبُ إلا أن تجشّمه | للرّزق كدْحا وكم ممن يُودِّعه
كأنما هو من حِلٍّ ومرتحَلٍ | موكَّلٌ بفضاء الأرض يذرعه
إنّ الزمانَ أراه فى الرّحيل غِنًى | ولو إلى السّدّ أضحى وهو يُزْمعه
وما مُجاهَدةُ الإنسان واصلةٌ | رزقاً ولا دعةُ الإنسان تقطعُه
قد وزّع اللهُ بين الخلق رزقَهم | لم يخلُق اللهُ من خلق يضيّعه
لكنهم كلِفوا حِرصا فلست ترى | مسترزقاً وسوى الغايات تُقنعه
والحرصُ فى الرزق والأرزاقُ قد قسمت | بغىٌ ألا إنّ بغىَ المرء يصرعُه
والدهرُ يُعطى الفتى من حيث يمنعُه | إرثا ويمنعُه من حيثُ يُطمعُه
أستودعُ اللهَ فى بغدادَ لى قمرا | بالكرخ من فلك الأزرار مطلَعُه
ودّعتُه وبودّى لو يُودّعُنى | صفوُ الحياة وأنّى لا أودّعُه
كم قد تشفّع بى أن لا أفارقَهُ | وللضرورة حالٌ لا تشفّعُه
وكم تشبّث بى خوفَ الفراق ضُحى | وأدمُعى مستهلّاتٌ وأدمُعه
لا أكذبُ اللهُ ثوبُ الصّبر منخرقٌ | عنّى بفرقته لكن أرقّعه
إنى أوسّع عُذرى فى جنايته | بالبيْن عنى وجُرمى لا يوسِّعُه
رزقتُ مُلكا فلم أحسنْ سياستَه | وكلُّ من لا يَسوسُ الملك يُخلَعُه
ومن غدا لابساً ثوبَ النعيم بلا | شكر عليه فإن الله ينزعُهُ
اعتضتُ من وجهِ خِلّى بعد فُرْقته | كأسا أجرّع منها ما أجرّعُه
كم قائلٍ لِىَ ذقتَ البين قلت له | الذنبُ والله ذنبى لستُ أدفعُه

ألا أقمتَ فكان الرشدُ أجمعُهُ　　او أنني يومَ بان الرشدُ أتبعُهُ
إنى لأقطعُ أيامى وأنفدُهـا　　بحسرة منـه فى قلبى تقطّعُه
بمن إذا هجعَ النُّوّامُ بتُّ له　　بلوعةٍ منـه ليلى لستُ أهجعُهُ
لا يَطمئن لجنبى مضجعٌ وكذا　　لا يطمئنُّ له مذ بنتُ مضجعُه
ما كنت أحسبُ أنّ الدهر يَفجعُنى　　به ولا أنّ بى الأيامَ تفجعُه
حتى جرى البينُ فيما بيننا بيدٍ　　عسراء تمنعُنى حظى وتمنعُه
قدْ كنتُ من رَيبِ دهرى جازعاً فرقاً　　فلم أوقَّ الذى قد كنت أجزعُه
بالله يا منزلَ العيشِ الذى دَرست　　آثارُه وعفَتْ مُذ بنتُ أربعُه
هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتَنـا　　أم الليالى متى أمضَتـه تُرجعُه
فى ذمّة الله من أصبحتَ منزلَه　　وجاد غيثٌ على مغناكَ يُمرعُه
مَن عنده لِيَ عهـدٌ لا يضيّعُه　　كما له عهدُ صدق لا أضيّعُه
ومن يُصدّع قلبى ذكرُه وإذا　　جرى على قلبه ذكرى يُصدّعُه
لأصبرَنّ لدهر لا يُمتّعنى　　به ولا بى فى حال يُمتّعُه
علماً بأنّ اصطبارى مُعقِبٌ فرجاً　　فأضيقُ الأمر إن فكّرتُ أوسعُهُ
عسى الليالِى التى أضنتْ بفُرقتنا　　جِسمى ستجمعُنى يوماً وتجمعُه
وإن تَغُلْ أحداً منا منيتُهُ　　فـما الذى بقضاء الله يصنعُهُ

[ولغيره من بحر كان وكان(١) :

الحقْ جـل جلالُه　　مالِكْ ودنياهْ مزْرعهْ
ونحن زرعُو الفـانى　　وقـدرتو أكّارْ
ونهر الآمالْ يجْرى　　وريح الآجال تختلف

---

(٢) هذه الزيادة من النسخة الخطية .

وحاصد الموتْ يحصدْ بمنجَل الأقـــدارْ
أجسامْنا كالسنابل مجمـوعها يفـــترقْ
وما عليـه الخضره غـــداً عليه صفارْ
ابيضْ يازرعْ راسَك ماعُدت بالمـاء تنتفعْ
بقى قليلَ وتهـــدم وشُربكْ من الأنهارْ
تُحْصَدْ تُداسْ تُذرّى تجمع تُعبًّا بعـــد ذا
تبقى قليلْ وتَخرجْ من بعد للبازَار[1]
ودى سماكْ وأرضكْ كمثل طَاقين الرّحاَ
فالطّاقْ الاسفلْ ساكِنْ والمــرتَفِـعْ دَوّارْ
وذانهارَكْ وليَلكْ كمثل بغلينْ دايرهْ
أسودْ وإسْمو غاسِقْ أبيض وإسمو نهارْ
كل يدور بنُوبَه وعينهْ قــد شَدّها
ما يَهتدى إيشْ ينْحقْ بِهـذه الأحجارْ
هـــذا مدار الدنيا كم طحن حبًّا قـوى
حــتى يُذرّى وعمرو ما احتاج إلى نقّار[2]
قالوا للأكّار رأسكْ يغلى من الحزْ والتعبْ
تَزرع وتسقى وتحصدْ وتحمل الأخْطارْ
فقال إن لم يغــلى راسى من التعبْ

(١) البازار: كلمة تركية معناهاالسوق.
(٢) النقار: من ينقر الرحابحديدة ليجدد تضاريسها التى انبرت من كثرة الدوران. والأكار: الحراث .

فني الشتاء مايغلى   قدري بجرّ النار
غداً يقام الحاصلْ   ومن زرع شيْ يحصده
هذا لقمْ أوكارهْ   وذاك عشر أكوار (١)

ومن بحر كان وكان :

مثلْ أنا أضربو لكْ   والله قد ضرب المثلْ
وفي المعاني جوهرْ   يحتاج إلى نقّاد
جسمك ضرير يمشي   والنفس مقعد بصيرْ
صاحبْ ضرير المُقعَدْ   على صفاً ووِدادْ
فقال هذا المُقعدْ   رأيتْ لي شجرةْ ثمرْ
وليس أقدر أصعد   ألقطْ من الاعوادْ
قال الضريرْ تعالَ   أحملكْ تلقطِ الثمرْ
والقسم بيني وبينكْ   بما نقصْ أوزادْ
فجاء هذا يحمل   هذاك والتقط الثمرْ
وكل منهم ضم قسمو   ونحوُ بيتو عادْ
يانايمْ الليلْ مالكْ   تزاحمْ أصحاب السهرْ
متى رأيت الثعلبْ   يزاحم الآساد
يضجرك شغل الدنيا   تجلبْ حديث الآخرهْ
دع الهوى لاصحابُو   أين أنتْ والعبّادْ

---

(١) الأكوار جمع كارة ، وهو مقدار من الطعام

إن كنت بالذى وحده تريد تلحق مَن وصل
دا الحين تقدر تعملْ كلّ البلدْ زُهّادْ

وللآخر :

طول الدُّجى انتَ ساهِدْ لمــا تريد وتشتهى
وعندَ وقتَ صلاتَكْ عندكْ كَسَلْ ونُعاسْ
والعقل مع شَهَوَاتَكْ كمثل شيخ وصِبْيَتُو
إذا دعاهم قالوا دعوه ذا قد ناس
ويلَكْ على من تخْفى ويلكْ وتَحْسبْ تنطلى
نحنَا نشاهِدْ فِعلكْ ونِحْسِبِ الأنفاسْ

ولآخر :

يا سادةً أوْحَشُونى وهم حضور بخاطرى
أحزنتُم القلبَ مِنّى وأفرحتُمو الشّمات
ما كان قط بظنّى أنْ ترحلوا عن ناظِرى
وتتركونى مُعنّى معــثّر الخطوات
كان الحى يجمعْنا فَديتْ أيامَ الحِمى
ليلاتْ كنّا وكُنتمْ يا طيبها ليلاتْ
ليلات أنس كانتْ ألَذْ من طِيب السكَرى
البينْ مشغُول عنّا والوقْتْ فى غَفلاتْ
من يُومْ ودّعتمونى ودّعتْ لَذّاتِ الهوى
وقلت للنفسْ موتى قــد ماتتِ اللذّاتِ

لم يبق للعيش معنى — من بعدكم وحياتكم
أنس الخلايق وحشة — والاجتماع اشتات
يطلبكم القلب منى — والعين تطلبكم منو
ومن غريمو معسر — يلح فى الطلبات
متى يقول المبشر — اليوم يوم الملتقى
وأقول للقلب منى — قد رد لى مافات
وأغلق أبواب حزنى — وأفتح أبواب المنا
ونجتمع بالمنازل — كسالف العادات
وأشتكى ما لاقى — قلبى بأيام الجفا
وما رزانى زمانى — وذقت من نكبات
يزورنا الجار لوّل — ونصطلح بعد الغضب
والغيبت يطوى فراشه — وتغفر الزلات
يقول هذى الساعة — جئنا بقنا على الصفا
هيهات أن تتكرّر — من بعدها هيهات]

لجامع الكتاب :

يا ساحراً بطرفه — وظالماً لا يعدل
أخربت قلبى عامداً — كذا يراعى المنزل !

وله وقد أشرف على مدينة سر من رأى :

أسرع السير أيها الحادى — إن قلبى إلى الحمى صادى
وإذا ما رأيت من كثب — مشهداً العسكرىّ والهادى

فالثم الأرضَ خاضعا فلقد   نلتَ والله خير إسعاد
وإذا ماحللتَ ناديَهم   ياسقاهُ الإلهُ من نادى
فاغضُض الطَّرفَ خاضعا ولهاً   واخلَع النعلَ إنه الوادى

وله وقد أشرف على المشهد الأقدس الرضوى :

هذه قُبَّـــةُ مولا   ىَ بدت كالقبسِ
فاخلع النعلَ فقــد جُز   تَ بوادى القــدُسِ

لوالد جامع الكتاب :

ما شَممتُ الوردَ إلا   زادنى شوقا إليْك
وإذا ما مال غصــنٌ   خلتُه يحنُو عليْك
لستَ تدرى ما الذى قد   حلّ بى من مُقلتيك
إن يكن جسمى تناءى   فالحشى باقٍ لديْك
كل حُسن فى البرايا   فهو منسوبٌ إليك
رُشِق القلبُ بسهم   قوسُه من حاجبيْك
إنَّ ذاتى وذواتى   يا مُنايا فى يدَيْك
آهِ لو أُسقى لأشفَى   خمرةً من شَفتيْــك

لبعضهم فى الباذنجان :

وباذِنجٍ بُستان أنيــقٍ رأيتُه   وألوانه تحكى بقــلة وامِق
قلوبَ ظباءٍ أفردَت عن كبودِها   على كلِّ قلبِ عاشق كفُّ باشِق

من كتاب الحماسة :

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهم   قالوا لأمِّهمُ بولى على النـــار

فضيِّقت فرجها بخلا ببولتها فلا تبول لهم إلا بمقدار

أين هو من قول مهيار الديلمى ، وكان مجوسيًا فأسلم على يد السيد المرتضى :

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطباً على النيران

لبعضهم :

صروف الدهر تبكوينى فلا تدرى بتكوينى

وأيامى تلونى بتغيير وتلوينى

وعمرى كله فانٍ بلا دنيا ولا دين

فلا عزُّ ذوى العقل ولا عيش المجانين

ويا قلبى الذى قد مات وماتوا من يعزونى

أنا من جملة الأموا ت لكن غير مدفون

أرى عيشى لا يحلو وأيامى تعادينى

وكم أنشر آمالى وصرف الدهر يطوينى

أقول اليوم واليوم ولكن من يخليني

من خط العلامة جمال الدين الحلى رحمه الله تعالى :

أيها السائل عن السبب الملحق أهل الحياة بالأموات

هو برد يطفى حرارة طبع وسكون يأتى على الحركات

ما أفاد الرئيس معرفة الطب ولا حكمه على النيرات

ما شفاه الشفاء من علة المو ت ولم ينجه كتاب النجاة

من كلام السيد الرضى عليه السلام:

كم قلت للنفس الشَّعاع أضمّها ... كم ذا القراعُ لكلّ باب مُصمتِ
قد آن أن أعصى المطامعَ طائعا ... لليأس جامعَ شملِيَ المتشتتِ
أعددتُكم لدفاع كلّ مُلِمّة ... عنّى فكنتم عونَ كلّ مُلِمّةِ
فلأرحلنّ رحيلَ لا متلهّفٍ ... لفراقكم أبداً ولا مُتلفّتِ
ولأنفُضنّ يدىّ يأسا منكمُ ... نفضَ الآنامل من تُراب الميّتِ
وأقول للقلب المنازع نحوكم ... أقصِرْ هواكَ لك اللّتيّا والتِي
يا ضيعةَ الأمل الذى وجهتهُ ... طمعاً إلى الأقوام بل يا ضيْعتِي

وله طاب ثراه :

بقلبي للنوائب خافقاتٌ ... عِماقُ القعر مُؤيسةُ الأواسِي
أقارعُ سعيها لو كان يُجدى ... قِراعِي للنوائب أو مِراسِي
وما زال الزمانُ يحيفُ حتّى ... نزعتُ له على مَضض لباسِي
نَضى عَنى السّوادَ بلا مُرادِى ... وأعطانى البياضَ بِلا التِماسِي
ولمْ يَلبَثن غربانُ الليالى ... نَعيقا أن أطرْنَ غراب راسِي
وددتُ بأنّ ما تجنى المواضِي ... بدالٌ لى بما جنتِ المَوَاسى

وله أيضا نفعنا الله به :

ما أسرع الأيام فى طيّنا ... تَمضى علينا ثم تَمضى بنا
فى كلّ يوم أمل قد نأى ... مرامُه عن أجل قد دنا
أنذرَنا الدهرُ وما نرعوى ... كأنما الدهرُ سِوانا عَنى
فمابثٌ والموتُ فى جِدّه ... ما أوضح الأمر وما أبينا

والناسُ كالأجمال قد قُرِّبت   تنتظرُ الحىَّ لأن يظعنا
تدنو إلى العُشبِ ومن خلفِها   مغامزٌ تطرُدُها بالقنا
إنَّ الأولى شادُوا مبانيهم   تهدَّموا قبلَ انهدام البِنا
لا مُعدِمٌ يحميه إعدامُه   ولا يَقى نفسَ الغنىِّ الغِنى

وله أيضا رضى الله عنه :

عارضا بى ركبَ الحجازِ أسائلـــــهُ متى عهدُه بأعلامِ جَمعِى
واستملا حديث من سكن الخيـــفَ ولا تكتباه إلا بدمعى
يا غزالًا بين النقا والمصلَّى   ليس يُبقى على نبالِكَ دِرعى
كلما سُلَّ من فؤادىَ سهمٌ   عاد سهمٌ لكم مضيضُ الوقعِ
مَن مُعيدٌ أيامَ سلع على ما   كان فيها وأين أيامُ سَلعِ

وله طاب ثراه : ١١

أأبقى كذا نِضوَ الهموم كأنما   سقتنى الليالى من عَقابيلها سُمّا
وأكبرُ آمالى من الدهر أننى   أكونُ خليًّا لا سروراً ولا همّا
فلا جامعا مالًا ولا مُدرِكاً عُلا   ولا مُحرِزا أجرا ولا طالباً علما
كأرجوحةٍ بين الخصاصة والغنى   ومنزلةٍ بين الشقاوةِ والنُّعمى

وله نوَّر الله ضريحه :

قد حَصلنا من المعاش كما قد   قيل قِدْما لا عطرَ بعد عروسِ
ذهب القومُ بالأطايب منهـــا   ودعتنا إلى الدنىِّ الخسيس
لا جميلًا بذكره يحسُن الذكـــرُ ولا عامراً خرابَ الكيسِ
وإذا ما عدمتُ فى الدهر هذيـــن فسِيّان نهضتى وجُلوسى

جلسةٌ فى الجحيم أحرى وأولى — من رَحيلٍ يُفضى إلى تدنيسِ
ما افتخارُ الفتى بثوبٍ جديدٍ — وهوَ من تحتِه بعِرضٍ دنيسِ
والغِنى ليسَ باللُّجيْن ولا التبْـ — ـرِ ولكن بعزّة فى النفوسِ
قد فعلتُ الذى به ينجحُ السَّمـ — ـىُّ فمن لى بحظىَ المنحوسِ

* * *

رثى السيد الأجل والد جامع الكتاب بقصيدة مطلعها :

جارتِى كيف تُحسِنين ملامى — أيُداوى كَلمُ الحشى بِكلام

وطلب منى القولُ على طرزها ، فقلت مشيرًا إلى بعض ألقابه الشريفة :

خلِّيانى بلوعَتى وغرامِى — ياخليلَىَّ واذهَبَا بسلام
قد دعانى الهوى ولبّاه لُبّى — فدَعانى ولا تُطيلا ملامى
إنّ من ذاق نشوةَ الحُب يوماً — لا يبالى بكثرة اللُّوّام
خامَرتْ خمرةُ المحبّة عقلى — وجرتْ فى مفاصلى وعِظامى
فعلى الحلم والوقار صلاة — وعلى العقلِ ألفُ ألفِ سلام
هل سبيلٌ إلى وُقوفٍ بوادى الـ — ـجِزْع ياصاحِبَىَّ أو لِمَام
أيها السائلُ الملحُّ إذا ما — جئتَ نَجدا فعُجْ بوادى الخُزام
وتجاوزْ عن ذى المجازِ وعرّجْ — عادِلا عن يمين ذاك المقام
وإذا ما بلغتَ حُزوى فبلِّغ — جيرةَ الحىّ يا أُخىّ سلامى
وانشُدنْ قلبىَ المعنّى لديهم — فلقدْ ضاع بين تلك الخِيام
وإذا مارَثوا لحالِى فسلهُم — أن يَمُنّوا ولو بطيف مَنام
يانزولا بذى الأراك إلى كم — تنقضى فى فِراقكم أعوامى

ماسرت نَسمة ولا ناح فى الدوْ ح حَمامٌ إلّا وحانَ حِمامى
أين أيامُنا بشرقىّ نجدٍ يارعاها الإلٰهُ من أيّام
حيثُ غصنُ الشباب غضٌّ وروض الـ ـعيش قد طرّزَتْه أيدى الغَمام
وزمانى مُساعِدِى وأيادِى اللـ ـهْوِ نحوَ المُنى تجرُّ زِمامى
أيّها المرتقِى ذُرا المجدِ فرْدا والمرجّى للفادِحات العِظام
ياحليفَ العُلا الذى جُمعت فيـ ـهِ مزايا تفرّقتْ فى الأنام
نِلتَ فى ذِروة الفخار محلّا عَسِرَ المرتقى عزيزَ المرام
نسبٌ طاهرٌ ومجــد أثيلٌ ونجارٌ عال وفضلٌ سامى
قد قَرنّا مقالَكم بمقالٍ وشفَعنا كلامَكم بكلام
ونظمنا الحصَى مع الدرّ فى سمـ ـط وقُلنا العبيرُ مثلُ الرغام
لم أكن مُقدِما على ذا ولكنّ امتثالا لأمركم إقدامى
عمرَكَ اللهَ يانديمىَ أنشِد جارتى كيفَ تُحسنين مَلامى

من لطيف قول بعضهم :

تولّع بالعشق حتى عشِق فلما استقلّ به لم يطقْ
رأى لُجّة ظنّها مَوجةً فلما تمكّن منها غرِقْ

لابن حجاج فى المجون :

جلست وبابى على مدْرجَه فمرت بنا ظبيةٌ مزعَجَهْ
كأن شمائل أعطافِها من الغُصن والدِّعص مُستخرجَه
يرَى خصرُها وهو مستحكم على كفلٍ دائمِ الرّجرجه
فسلمتُ وارتعتُ من ردها وبعضُ الجوابات مستسمَجَهْ

[فأغضتْ على حَنَق طرفَها وحَيّت بأ كحاله أدعَجه][1]
وقالت أتزْنى بُعَيْدَ المشيبْ فقلت فمُربَتُنا مُحوِجه
فمنّ لهـا يافعٌ راقَها معانيهِ واستحسنتْ مَنهجَه
رأتْ لحيـتى وهىَ مبيضّة فقالت بـكم هذِه الثّجنَجهْ
فقلتُ وأخرجت أيرى لهـا بعشرين مَعْ هذه المثْلجه
وكنتُ غُلاما أحب المُزاح فقامَ المشومُ وما أزعجـه
فما زلتُ أفرُكه والخبيـثُ لا يسمع القولَ والمَجمجه
فقلتُ فديتُكَ إلا دخلتَ وكانت معوّجةَ الهمْلجة
فقالت كما مال غصنُ الأراك فجئنا إلى حُجرة مُسرَجه
فقلت الطعامَ فجاء الغلامُ بمـا قد شواه وما لَهوجَه[2]
وحطّت عن البدرِ فضلَ اللثام وورد التخفرِ قد ضَرّجَه
ودار الشرابُ فظلت تـكيلُ علىّ وتشربهـا مزوجه
إلى أن لوتْ جيدَها وانثنت من السّـكر كالناقة المخدَجه
وقامت تُغنّى على نفسها متى تُركبُ النـاقةُ المسرَجه
فقُمت وأيرى مثلُ القَناة وقُمصى على كتفى مُدرجَه
فلما توتّر يافوخُه وسَـكْرج أو قاربَ السكرجه
خَتمتُ بخُصيىَّ بابَ آستها كما يختم الـكيّسُ الأسرِجه
فقامت تضايق أى لا أطيـق هذا فقلتُ دعى الغَنْججه
فلمّا رأتْ أنه لا خَـلا صَ قالت فلا تُدخِل النيرجه
ترفّق به عندَ وقتِ الدخول وكن حذِراً قبل أن تُخرِجه

---

(١) الزيادة من المخطوطة.

(٢) فى المخطوطة : « وما طهوجه ».

أبو دلامة لما وعدته الخيزران بجارية فى طريق الحج ، فتأخرت فى إعطائه إياها ، فأرسل إليها مع أم عبيدة الحاضنة جارية المتوكل :

أبلغِى سيدتى بالله يا أمَّ عُبيدَهْ
أنها أرشدها اللهُ وإن كانت رَشيدَهْ
وعدتنى قبل أن تخرُج للحجّ وليده
فتأنيتُ وأرسلتُ بعشرين قصيدَهْ
كلما أخلُص أخلفتُ لها أخرى جديده
ليس فى بَيتى لتمهيد فراشِى من قَعيدَهْ
غيرَ عجفاء عجوزٍ ساقُها مثلُ القديده
وجُهها أقبحُ من حُوتٍ طرىّ فى عَصيدَهْ

فلما قرئت عليها ضحكت أشدّ ضحك ، واستعادت البيت الأخير ، وبعثت إليه بجارية . انتهى .

أبو البركات :

لا واخضرارِ العذارِ فى وَجهِهِ الجلّنارى
وطُرّة كظلام وغُرّة كنهَار
وخمرة من رُضاب بفيهِ زادت خمارى
لا قرّ فى الهَجر بعد الوَصل منه قرارى
ظبىٌ تنفر نَومى بأنسه والنِّفار
يَحارُ طرفى لسحر فى طرْفه واحورارِ
فخَصرُه مثلُ دِينى وردفُه أوزارِى
كم قدَ جرَرت إليهِ فى اللهوِ فضلَ الإزار

وكم لبستُ غرامى وكم خلعتُ عِذارى
وكم ركِبتُ إليهِ كواهلَ الأخطارِ

الصفى الحلى يعاتب بعض أصحابه :

وعدتَ جميلا فأخلفته وذلك بالحرّ لا يجملُ
وقلتَ بأنك لى ناصرٌ إذاقابلَ الجحفلَ الجحفلُ
وكم قدنصرتك فى كرّة تكسّر فيها القنا الذبّل
ولستُ أمُنّ بفعلى عليك فأعجلُ بالقول إذ أعجلُ
كما قاله البازُ فى عِزّه به حينَ فاخرهُ البُلبلُ
وقال أراك جليسَ الملوك ومِن فوق أيديهم تُحمَل
وأنتَ كماعلمُوا صامتٌ وعن بعض ماقلتَه تنكُلُ
وأخبسُ معْ أننى ناطقٌ وحالىَ عندهمُ مُهمَلُ
فقال صدقتَ ولكنهم بذاعرَفوا أيّنا الأكملُ
لأنّى فعلتُ وماقلتُ قط وأنتَ تقولُ وما تفعلُ

ابن الدمينة وهو من شعراء الحماسة :

ألا ياصَبا نجدٍ متى هِجتَ من نجْد لقد زادنِى مَسْراك وجداً على وجدِ
لئن هَتفتْ ورقاءُ فى رونق الضّحى على فَنَنٍ غضّ النّبات من الرّندِ
بكيتَ كما يبكى الوليدُ ولم تكنْ جَزوعاوأبديتَ الذىلم تكن تُبدى
وقد زَعموا أنّ المحبّ إذا دنا يُملُّ وأن النأىَ يَشفى من الوَجْدِ
بكلّ تداوينا فلم يُشفَ ما بنا على أنّ قُربَ الدّار خيرٌ من البُعدِ
على أن قُربَ الدارِ ليس بنافِع إذا كانَ مَن تَهْواهُ ليس بذِى وُدِّ

أبو الفرج على بن الحسين بن هند ، من الحكماء الأدباء ، ذكره الشهرزورى فى تاريخ الحكماء ، نسب إليه قوله :

ما للمُعيلِ وللمَعالى إنّمــا　　يسمو إليهنّ الوحيدُ الفارد
فالشمسُ تجتازُ السماءَ فريدةً　　وأبو بنات النعش فيها راكد

أبو عبدالله المعصومى كان أفضل تلامذة الشيخ الرئيس. [قال الشهرزورى](١) : ومن شعره :

حديثَ ذوى الألبابِ أهوى وأشتَهى　　كما يشتهى الماء المبرَّدَ شاربُهُ
[وأفرحُ أنْ ألقاهُم فى نديِّهمْ　　كما يفرحُ المرء الذى آبَ غائبُه(١)]

ابن الرومى فى حسن التورية :

ورُوميّةٍ يوما دعتنى لوصلهــا　　ولم أكُ من وصل الأغانى بمحروم
فقالت فدتك النفسُ ماالأصلُ إننى　　أريدُ وصالا منك قلتُ لها رومى

قيل لسقراط : إنك تستخف بالملِك ، فقال : إنى ملكتُ الشهوة والغضب ، وهما ملكاه ، فهو عبدٌ لعبدى .

الصلاح الصفدى :

أنفقتُ كنزَ مَدائحى فى ثغره　　وجمعت فيه كلَّ معنى شارد
وطلبتُ منه أجرَ ذلك قُبلةً　　فأبى وراحَ تغزّلى فى البارد

ابن نباتة المصرى :

لا تخَفْ عيْلَةً ولا تخش فقرا　　يا كثيرَ المحاسن المختاله
لك عينٌ وقامة فى البرايا　　تلك غزّالةٌ وذى فتّاله

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

وله :

سـألته عن قومه فانثـنى ... يعجب من إفراط دمعى السخى
وأبصر المسك وبدر الدجى ... فقال ذا خالى وهـذا أخى

ابن حبوش :

ومقرطق يغنى النديم بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ... فى وجنتيه ومقلتيه وريقه

ابن مليك :

مدحتكم طمعـا فيما أؤملـه ... فلم أنل غـير حظ الإثم والتعب
إن لم تـكن صلة منكم لذى أدب ... فأجرة الخط أو كفارة الـكذب

الأبيوردى :

ومدائح مثـل الرياض أضعتهـا ... فى باخل أعيت بهـا الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الـــممدوح ... قالوا شاعر كذاب

ابن أبى حجلة :

قل للهـلال وغيم الأفق يستره ... حكيت طلعة من أهواه فابتهج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ... ذكرت ثم على ما فيك من عوج

السيد الرضى رحمه الله تعالى :

أراك عن شاك قليـل العوائد ... تقلبه بالرمل أيدى الأباعد
تراعى نجوم الليـل والهم كلما ... مضى صادر عنى بآخر وارد
توزع بين الدمع والنجم طرفه ... بمطروفة إنسانهـا غـير راقد

وما يَطيبها[1] الغمضُ إلا لأنه طريقٌ إلى طيف الخيال المُعاودِ
هى الدارُ ما شوقى القديمُ بناقصٍ إليها ولا دمعى عليها بجامدِ
أما فارقَ الأحبابَ بعدى مفارقٌ ولا شيَّعَ الأظعانَ مثلى بواجدِ
تأوَّبنى داءٌ من الهمِّ لم يزلْ بقلبىَ حتى عادنى منهُ عائدى
تذكرتُ يوم السِّبط من آل هاشمٍ وما يومُنا من آل حَرْبٍ بواحدِ
بنى لهمُ الماضون أُسًّا لفعلهم فعلّوا على بنيان تلكَ القواعدِ
رمونا كما ترمى الظماء عن الروى [يَذُودُوننا] عن إرث جدّ ووالد[2]
لئن رقد النّصار عما أصابنا فما الله عمّا نيلَ منّا براقد[3]
طبعنا لهم سَيْفاً فكنّا بحدّه ضوارب عن أيمانهم والسّواعِد
ألا ليس فعلُ الأولين وإن عَلا على قُبح فعل الآخرين بزائد
يريدون أن نرضى وقد مَنعوا الرِّضا ليسر بنى أعمامنا غير قاصد
كذبتُك إن نازعْتنى الحقَّ ظالمًا إذا قلتُ يوما إننى غيرُ واجد

لبعضهم وأجاد :

إذا سَمح الزمانُ بِمَىَّ ضنتْ وإن سَمحتْ يَضِنّ بها الزّمانُ

غيره :

والذى بالبين والبُعد ابتلانى ماجرى ذكرُ الحمى إلّا شَجانى
حبّذا أهلُ الحمى من جِيرة شفّنى الشوقُ إليهم وبرانى

(١) يطيبها : يدعوها ، والغمض : النوم .
(٢) ترمى : تذاد وتفصل . والظماء : جمع ظمآى وهى العطشانة . والروى : جمع رياء ، من الرى ضد العطش .
(٣) نصار : جمع ناصر . ويجمع أيضا على أنصار .

كلما رُمت سُلوًّا عنهمُ جذبَ الشوقُ إليهم بعِنان
أحسُد الطيرَ إذا طارت إلى أرضهم أو أقلعتْ للطيرانِ
أتمنى إن أكن صحبتَها نحوَهُم لو أنني أعطى الأماني
ذهب العمرُ ولم أحظَ بهم وتقضَّى في تمنيهم زماني
لا تزيدوني غراماً بعدكمْ حلَّ بي من بعدِكُم ما قد كفاني
يا خليليَّ اذكرا العهدَ الذي كنتُما قبلَ النَّوى عاهدتُماني
واذكراني مثلَ ذِكري لكُما فمنَ الإنصاف ألا تنسَياني
واسألا مَن أنا أهواهُ علَى أيِّ جُرم صدَّ عنِّي وجفانِي

لبعضهم :

لم أقلْ للشّباب في ذمّة اللـــه ولا حفظه غداةَ استقلّا
زائرٌ زارنا أقامَ قليـــلًا سوّد الصحْف بالذنوب وولّى

لبعضهم :

قبَّلتُها وظـــلامُ الليـل منسدلٌ ولِمَّتي كبياض القُطن في الظُّلَمِ
فدَمْدَمَت ثم قالت وهي باكيةٌ من قبل موتي يكونُ القطنُ حشْو فمِي

ابن الوليد :

ياعُنُقَ الإبريق من فضة ويا قوامَ الغُصُن الرَّطْبِ
هبْكَ تجاسرتَ وأقصيْتَني تقدِرُ أن تخرجَ من قلبي

لبعضهم :

قالت أرى مِشْكةَ الليلِ البهيم غدت كافورةً غيرتْها صبغةُ الزّمن
فقلتُ طِيبٌ بطيب والتبـدّلُ من رَوائح الطّيب أمرٌ غـــيرُ ممتَهن

قالت صدقتَ ولكن ليس ذاكَ كذا المسك للعُرس والكافور للكفنِ

يمين الدولة :

لما رأيتُ البياضَ لاح وقد دنا رحيلى ناديتُ : واحزَنى
هــذا وحقّ الإله أحسبُهُ أولَ خيط سَدّى من الكفن

البها زهير :

صديقٌ لى سأذكره بخير وإن حققتُ باطنَه الخبيثا
وحاشا السامعين يُقال عنه وبالله اكتمُوا ذاكَ الحديثا

الصابى :

ولقد زارنى على ظَمأ النفـــسِ إليه فقلتُ أهلًا وسهلا
وسقانى من الحديث بكأسٍ هى أشهى من المُدام وأحلَى
لستُ أدرى أحِلُّه فى سوادِ الـــعين ضنًا به وشُحًا وبُخلا
أمْ سوادُ الفؤادِ منى وما أر ضاهُا خِيفةً عليه مَحَلا

المعتز بالله :

بلوتُ أخلّاء هـذا الزمان فأقللْتُ بالهجْر منهم نَصيبى
وكلّهم إن تصفحتَهم صديقُ العِيان عدوّ المَغيب

أبو نواس يعتذر من أمر وقع منه حال السكر :

كان منى على المدامة ذنبٌ فاعفُ عنّى فأنت للعفو أهل
لا تؤاخِذْ بما يقولُ فى السكر فتى ماله على الصَّحْو عقلُ

آخر :

شربْنا على الدأب القديم قديمةً هى العلّةُ الأولى التى لا تُعلَّل

فلو لَم تكن فى حيّز قلتُ إنّها ... هى العلةُ الأولى التى أتعلّل

الشيخ عبد القادر :

يقول حبيبى وقد زارنى ... فبت لطلعته أشهدُ
إذا كنت تسهرُ ليلَ الوصال ... فليلَ الصُّدودِ متى ترقُدُ

الحاجرى :

أتانى الغلامُ وما قصرا ... يدير المُدامة مستبشرا
ويا حبّذا الراحُ من شادنٍ ... سكرتُ به قبل أن أسكَرا
غزالٌ غزا طرفُه فى القلوبْ ... فلله كم عاشق أسهَرا
نديمىَّ حُثَّا كِبارَ الكؤوسْ ... فإنّ المؤذّن قد كبّرا
معتّقةً من بنات القُسوس ... تجلّ عن الوصف أن تُسطرا
لحَانى العذولُ على شُربها ... فأضحى ولوعى بها أكثرا
وقال أتشربُها منكَرا ... فقلت نعم أشربُ المنكَرا
إليك عَذولى فإنى فتًى ... أرى فى المدامة ما لاترى
سأجعلُ روحى وروحَ النديم ... فِداها وأرواحَ كلّ الورى

موفق الدين على بن الجزار ملغزا فى ٧٦٣

مااسم شىء يوليك نفعا إذا ما ... أنت أوليتَه فِعالا عسوفا
هو فردُ الحروفِ إن جاء طرداً ... وهو زَوْجٌ إذا عكستَ الحرُوفا

وله فى ٩ ٤٢٩ ١ :

وذى هيَف كالغصن قدًّا إذا بدا ... يفوقُ القنا حُسنا بغير سِنانِ

وأعجبُ ما فيه يرى الناسُ أكله	مُباحاً قُبيل العصر فى رمضان

وله فى ١٢٦٣١ و ٩١٤٣١٦ (٦ ٢١٠ ، ٤ ١ ٩) :

ذَكرٌ وأنثى ليس ذَامن جنس ذَا	مُتجاورَان بغير حَبْس مُقفَل
فتراهما لا يَبْرزانِ لحاجةٍ	إلا لقطع رؤوس أهلِ المنزِلِ

وله فى ٢٣٢ :

وما شىء يعَدّ من اللئام	له وصفُ الأماثل والكرام
وجملته تجرّ وكلّ حرف	يُجرّ إذا نظرتَ بلازِمام

وله فى ٨١٢٦٣١ (٣١ ٦٣٢) :

ومضروبٍ بلا ذنبٍ	مليح القدِّ ممشوقِ
حكى شكل الهلال على	رشيق القَدِّ معشوق
وأكثرُ ما يرى أبدا	على الأمشاطِ فى السُّوق

***

قال بعضهم : رحم الله من أطلق ما بين كفّيه، وحبس ما بين فكّيه. وفى هذا المضمون قال البستى :

تكلّم وسدِّد ما استطعتَ فإنما	كلامُك حىٌّ والسكوتُ جماد
فإن لم تجد قولا سديداً تقولُه	فصَمتُك عن غير السَّديد سَداد

أبو السعادات الحسينى النحوى يرثى :

كلٌّ حى إلى الفناء يؤول	فتزودْ إنّ المُقامُ قليلُ
نحن فى دارِ غُربةٍ كلّ يوم	ينقضى جيلٌ ويحدثُ جيلُ

وكأنا في ذاك ركبان : ركبٌ مُزمِعٌ رحلةً وركبٌ قفولُ
والليالي في صرفها تتلافا نَا بنصح لو أنه مقبولُ
كيف أنجو من المنيَّة والشيـــبُ بفَوْدَيَّ صارمٌ مسلولُ
أين ربُّ الإيوان كِسْرَى أنوشَرْ وانَ مَلْكُ الملوكِ غالته غُولُ
أينَ من طبَّقت صواهلُهُ الأر ضَ وكادت لها الجبالُ تزولُ
قشَعتهُم ريبُ المنون عن الأرْ ضِ كما تقشعُ الغثاء السُّيولُ
ولقد قطّع القلوبَ وقدْ أذْ رى مصونَ الدموع رزءٌ جليلُ
نابنا فهو في العيون سُهادٌ دائمٌ وهو للقلوب غليــلُ
من يكن صبرهُ جميلا فما صَبْ رى عليـه ياصاحبيَّ جميلُ
ليته باقيا وحُزني عليـه إن حزني من بعده لطويلُ
وعجيبٌ أنى أُعزِّى محبّيـه وحظِّى من المصاب جزيلُ
يالنَفس نفيسةٍ ألِفتْ جنـــةَ عَدْن يزُفُّها جبريلُ
فارقتْ ماء دجلةٍ أولَ الليـــل وأضحتْ شرابُها سلسبيلُ

أبو أيوب سليمان بن منصور :

بقيتُ غداة النوى حائرا وقد حان ممن أُحب الرحيلُ
فلم تبقَ لى دمعةٌ فى الشُّئو ن إلّا غدت فوق خدّى تسيلُ
فقـال نصيحٌ من القوم لى وقد كاد يقضى علىَّ العويلُ
ترفَّق بدمعك لا تُفنِه فبينَ يديك بكاءٌ طويلُ

عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس :

ورَدْنا دماءً من أميّةَ عذبةً وكلنا لهم فى القتل بالصَّاع أصوُعا

وما في كثير منهم بقليلنا ... وفاءٌ ولكن كيف بالثأر أجمعا

إذا أنت لم تقدر على الشيء كلّه ... وأُعطِيتَ بعضا فليكن لك مقنعا

رعَينا نفوسا منهم بسُيوفنا ... فصاح بهم داعي الفناء فأسمعا

قضينا لهم دَينا وزدنا عليهم ... كما زادَ بعدَ الفرضِ مَن قد تطوّعا

وكان لهم من باطلِ الملكِ عارضٌ ... فلما تراءت شمسُ حقٍ تقشّعا

فليتَ عليّ الخيرِ شاهدَ أسهُما ... أصابتْهم لم تُبقِ في القوسِ منزعا

مما ينسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام :

عتبتُ على الدنيا فقلت إلى متى ... أ كابدُ همًّا بُؤسُه ليس ينجلي

أ كلّ شريفٍ من عليّ نجارُه ... حرامٌ عليه العيشُ غيرَ محلَّلِ

فقالت نعم يا ابنَ الحسين رميتُكم ... بسهمي عنادٍ منذُ طلَّقني علي

[لكاتبه في الغزل(١) :

لِعَينيْكَ فضلٌ جزيل عَلَيّ ... وذاك لأنِّيَ ياقاتِلِي

تعلّمتُ من سحرها فعقدت ... لسانَ الرقيب مع العاذلِ]

صاحب الزيج :

وإنّا لتُصبحُ أسيافُنا ... إذا ما اهْتزَزْن ليوم سَفوكْ

منابرُهُنّ بطونُ الأكفِّ ... وأغمادُهن رءوسُ الملوكْ

صالح بن إسماعيل العباسي :

غابوا فغابَ الصَّبرُ من بعدِهم ... يَطويه عنّي بُعدُهُم طيّا

بأيّ وجه أتلقاهمُ ... إذا رأوني بعدهم حيّا

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

واخجَلِى منهم ومن قولِهم ، مافعلَ البينُ به شيّا

لبعضهم :

نُرَاعُ من الجنائز مُقبلاتٍ ونَسهُو حين تَخْفَى ذاهباتٍ
كرَوْعة ثُلَّةٍ لمغارِ ذئب فلما غاب عادتْ راتِعاتٍ

الصلاح الصفدى :

أضحى يقولُ عِذارُه هل فيكمُ لى عاذرُ
الوردُ ضاعَ بخدّه وأنا عليه دائرُ

وله :

بسْهم أجفانِه رمانِى فذُبتُ من هَجره وبَينِهْ
إن متّ مالى سواه خصمٌ لأنه قاتــــلى بعينِهْ

لجامع الكتاب متسليا به من طول الإقامة بقزوين :

قد اجتمعتْ كلُّ الفلاكان فى الأُرد فقُوموا بنانعدُو فقوموا بنانعدُو (١)
فمختلطاتُ الهمّ فيها كثيرةٌ فليس لهـا رسمٌ وليس لهـا حدٌّ
وأشكالُ آمالى أراها عقيمةً ومعكوسةً فيها قضاياىَ ياسعدُ
فقم نرتحلْ عنهم فلا عَدْل فيهم ولكن لديهم عُجمةٌ ما لها حـدٌّ
فمن قِـــلّةِ التمييز حالىَ سيّئٌ وفِعلىَ مُعتلٌّ وهَمِّىَ مُمتـدٌّ
[كأنّ على الأبصار منهم غِشاوةً ومن بين أيديهم ومن خلفهم سَدٌّ](٢)

(١) هذا البيت اختلفت فيه النسخ. فجاء فى بعضها « الأرض » بدل « الأرد » و « نغدو » بدل « نعدو » وكلها غير مفهوم .
(٢) الزيادة من المخطوطة .

كتب بعضهم على هدية أرسلها :

يا أيّها المـولَى الذى عمت أياديه الجليلَةْ
اقبَل هـدية من يرى فى حقّك الدنيا قليلهْ

القاضى ناصح الدين الأرجانى :

تمتعتما يامُقلتىّ بنظرَة فأوردتمـا قلْبىَ أشرّ الموارِدِ
أعيْنىّ كُفا عن فـؤادى فإنّه من البغى سعى اثنينِ فى قتْلِ واحِدِ

كتب بعضهم على هدية وأرسلها :

أرسلتُ شيْئا قليلا يقِلّ عن قدر مثلِكْ
فابسُط يدَ العـذرِ فيه واقبَلْه مِنّى بفضْلِكْ

مجنون ليلى :

وشُغِلتُ عن فَهم الحديثِ سِوى ما كان عنكِ فإنه شُغلِى
وأُدِيمُ نحو مُحـدّثى نظرى أن قدْ فهِمت وعندكم عَقلى

لمحبوبته ليلى :

لم يكن المجنونُ فى حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانَا
لـكنّ لى الفضلَ عليه بأنْ بَاحَ وأنّى مُتّ كِتمَانَا

ولها :

باح مجنونُ عامر بهواهُ وكتمت الهوى فمتُّ بوَجْدى
فإذا كان فى القيـامة نُودى مَن قتيلُ الهوى تقدمْتُ وحدِي

[وكتب بعضهم على هدية أرسلها(١) :

أرسلتُ شيئاً قليلاً . يقلّ عن قدر مثلكْ
فابسُطْ يدَ العذر فيه واقبَلْه منى بفضلكْ]

لجامع الكتاب بهاء الدين محمد العاملى رحمه الله تعالى :

أهوى قمراً به البها قد جُمعا كَم خيّبمن بوصلِه قد طَمِعا
لا يَسمع قِصّتى إذا فُهتُ بها يَخشى أن يرقّ لى إن سَمِعا

وله :

ما أجملَ مَن أحبّ ما أجملَهْ ما أجهلَ من يلُومُ ما أجهلَهْ
كم جرّعنى مُدامة من غُصص ما أحملَ ذا الفؤادِ ما أحملَهْ

وله :

لم أشكُ من الوحدة بين الناسِ إن شرّدنى الزمانُ عن جُلّاسى
فالشوق لقُربهم قَرينى أبدا والهمُّ جليسى وبه استئناسى

وله بغير نقط :

واها لصبٍّ وصلُكم علّه وعدلُكم وصدُّكم علّه(١)
كم حصّل صدّكم وما أمّله كم أمّل وصلكم وما حصّله

وله أيضا :

يا بدرَ دجى بوصلِه أحيانى إذ زارَ وكم بهجره أفنانِى
بالله عليكَ مَجّانٌ سفكَ دمى لا طاقة لى بليلة الهِجران

---

(١) الزيادة من المخطوطة .
(٢) علله الأولى بمعنى عالجه من علته . والعدل من المعدول . وعلله الثانية : أصابه بعلة .

وله وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام :

وليــــلةٍ كان بها طالعى | فى ذروة السعدوأوج الـكمال
نُصيِّر طيب الوصل من عمرها | فلم تـكن إلا كحل العقال
واتصل الفجر بها بالعِشا | وهكذا عمر ليالى الوصال
إذا أخذت عيناى فى نومها | وانتبه الطالع بعــد الوبال
فزرته فى الليــــل مستعطفا | أفديه بالنفس وأهل ومال
وأشتكى ما أنا فيه من الـــبلوى وما ألقاه من سوء حال
فأظهر العطف على عبده | بمنطق يزرى بِعقد اللآل
فيالها من ليــــلة نلت فى | ظلامها مالم يكن فى خيال
أمست خفيفات مطايا الرّجا | بها وأضحت بالعطايا ثقال
سقيتُ فى ظلمائها خمرةً | صافيةً صرفا طهوراً حلال
وابتهج القلب بأهل الحمى | وقرّت العين بذاك الجمال
ونلت ما نلت على أننى | ما كنتُ أستوجبُ ذاك النوال

* * *

بنى الشاه شجاع رباطا بمكة المشرفة عندباب الصفا ، وأمر أن يكتب على باب داره من شعره هذين البيتين :

ببابِ الصّفا بيتٌ أحلّ به الصفا | لمن هو أصفى فى الوِداد من القَطْر
تباعده الأعذار بالملك والعـدى | وليس بصب من تمسك بالعذر

لبعضهم :

لئن نحن التقينا قبل موت | شَفينا النفس من ألم العتاب
وإن ظفرت بنا أيدى المنايا | فـكم من حسرة تحت التراب

[كان لأعرابى جارية يحبها حبا شديدا ، فقال له عبدالملك : أتشتهى أن تكون الخليفةوتموت أمتك ؟ قال لا . فقال : ولم ؟ قال : تموت الأمة ، وتضيع الأمّة . فقال له ما تتمنّى ؟ فقال : العافية . قال : ثم ماذا ؟ قال : رزق فى دعة لا يكون لأحد فيه مِنّة . قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمول ، فإنى رأيت لحوق البوار بذوى النباهة أسرع .

قال جالينوس : رؤساء السلاطين ثلاثة : شوائب الطبيعة ، ووساوس العامة ، ونواميس العادة] .

ومن كلام بعض الحكماء : لا تبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام .

الخازن الأمين الذى يعطى ما أُمر به طيبةً به نفسه أحدُ المتصدّقين .

قيل : البصر سهم مسموم من سهام إبليس . انتهى .

[قصيدة فى وصف هراة وما اشتملت عليه]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلىِّ العالى ذى المجد والإفضالِ والجلال
ثم الصلاة والسلام السامى على النّبىّ المصطفى التّهامى
وآله الأئمةِ الأطهارِ ما اختلف الليل مع النهارِ
يقول راجى العفو يومَ الدين المذنبُ الجانى بهاء الدين
تجاوزَ الرحمنُ عن ذنوبه وأسبل السِّترَ على عُيوبه
بُليتُ فى قَزوين وقتا برمَدْ مفرِّحٍ للقلب من فرط الكمَدْ
يمنعُ من صرفِ النهار فيما يُرضى اللبيبَ الحاذقَ الفهيما
من بحث أو تلاوةٍ أو ذكرِ أو درسٍ أو عبادة أو فكر
حتّى سئمتُ من لزوم منزلى والنفسُ عن أشغالها بمعزل

ولم يكن من عادتى البطاله لأنها من شيم الجهاله
فرمت شيئاً مشغلا لبالى عما أقاسيه من البلبال
فلم أجد أبهى من الأشعار وليس نظم الشعر من شعارى
وكنت فى فكر بأى وادى ألقى جياد الفكر فى الطراد
فبينما الأمر كذا إذ سألا منى بعض الأصدقاء العقلا
أن أصف المراة فى أبيات جامعة للنشر والشتات
معربة عنها على الحقيقه مطربة لكل ذى سليقه
فقلت والجفن بأدمعى سخى على الخبير قدسقطت ياأخى
ثم نظمت هذه الأرجوزه بديعة رائقة وجيزه
قضيت فى نظمى لها نهارى كما يقضى الليل بالأسمار
سميتها إذ كملت بالزاهره فهاكها مائة بيت فاخره

مقدمة فى وصفها على الإجمال :

إن المراة بلدة لطيفه بديعة شائقة شريفه
أنيقة أنيسة بديعه رشيقة آنسة منيعة
خندقها متصل بالماء وسورها سام إلى السماء
ذات فضاء يشرح الصدورا ويورث النشاط والسرورا
حوت من المحاسن الجليله والصور البديعة الجميله
ما ليس فى بقية الأمصار ولم يكن فى سالف الأعصار
لست ترى فى أهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها فى الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء

كذلك الباعات[1] والمدارسْ   فالمـا فيهنّ من مجانسْ

فصل فى وصف هوائها:

هواؤها من الوباء جُنّهْ   كأنّه من نفحات الجنّة
فيبسُط الروحَ وينفِي الكَرْبا   ويشرحُ الصدرَ ويشفى القلبا
لا عاصفٌ منـه تملّ الحرّه   ولا بطىء السير فرد مرّه
بل وسطٌ يهُب باعتدال   كغادة ترفُل فى أذيال
فمن رماه الدهرُ بالإفلاس   حتى عن المسكن واللّباس
فلا يُصاحبْ بلدةً سِواها   لأنّه يكفيه فى هواهـا
جُبَيْبة واحـدة فى القرّ   وشربةٌ باردةٌ فى الحرّ
فهذه فى حرّها تُرويه   وتلك عنـد بردها تكفيه

فصل فى وصف مائها :

لو قيلَ إن المـاء فى الهَراة   يعدلُ ماء النيـل والفراتِ
لم يكُ ذاك القولُ بالبعيد   فكَمْ على ذلك من شَهيد
تراهُ فى الأنهار جارٍ صاف   كأنه لآلئُ الأصـداف
لَا يحجُب الناظرَ عن قَراره   بل يطلعنّه على أسراره
تظنّ غوْرَ عُمقه شبرين   من الصّفا وهو على رُمحيْن
خفيفُ وزنٍ رائقُ الأوصاف   ما مثلُه ماء بلا خـلاف
يَهضِمُ ما صادف من طعام   كأنما أكلْتَه من عامِ

فصل فى وصف نسائها :

نساؤُها مثلُ الظباء النافرَهْ   ذواتُ ألحاظ مِراضٍ ساحرَهْ

(١) يريد البياعات ، جمع بياعـة ، وهى السلعة .

يَسْلُبنَ حِلمَ الناسكِ الأوّاه   يُسلِمنَ جسمَــه إلى الدّواهِى
من كُلّ خَوْد عــذبةِ الألفاظ   تقتل من تشاء بالألحاظِ
أضيقُ من عيشِ اللبيبِ ثَغْرُهَا   أضعفُ من حال الأديب خَصرُها
فاتــكةٌ قد شهدت خَــدّاها   بما بِنَا تفعله عيناها
ترنو بطرْف ناعسٍ فتّاك   يفسِدُ دِينَ الزاهدِ النسّاك
والصدغُ واوٌ ليس واوَ العطف   والثدى رُمانٌ عزيزُ القطف
والجسمُ فى رقتِه كالمـاء   والقلبُ مثــلُ صخرة صمّاء
ولفظُها وثغرُها والرِّدفُ   سحرٌ حلالٌ أقحوانٌ حِقْفُ
وقدُّها ونهدُها والخـــــدُّ   غُصنٌ ورمانٌ طرىّ وردُ
والشَّعرُ والرُّضابُ والأجفانُ   صوارمٌ مُدامةٌ ثُعبانُ
غِيدٌ حميداتٌ خِصالُهنّ   طُوبَى لمن نال وِصالَهنّ

فصل فى وصف ثمارها على الإجمال :

ثمارُها فى غاية اللّطــــافهْ   لا ضررٌ فيها ولا مخافَهْ
عديمةُ القشور عنـد الجسِّ   تــكادُ أن تذوبَ حالَ المسِّ
تخالُ فى أغصانها الدّوانى   أشربةَ الحسن بلا أوَان
مَعْ أنها بهذه الـكيفيّه   رخيصةٌ عنــــدهمُ زريّه
يطرحها البقّالُ فوق الخضْر   حتى إذا ما جاء وقتُ العصر
وقد بَقى شىءٌ من الثمار   يطرحُه فى معلفِ الحمار

فصل فى وصف عنبها :

ولستُ بِالمحسنِ وصفَ العنب   فإنه قد نالَ أعلى الرُّتب
أدقّ من فـكر اللّبيب بِزْرُهُ   أرقُّ من قلب الغَريب قِشْرُهُ

أبيضه فى لُطفـه والطول | يَحكى بنَانَ غادة عُطبول
أحمرُ أشهى إلى القلب الصّدى | من لثم خـدٍّ ناصعٍ مُوَرّد
أسودهُ أبهى لدى الظريفِ | من غَمز طرْفٍ ناعسٍ ضَعيف
أصنافهُ كثيرةٌ فى العَـدّ | ليس لها فى حسنها من حَـد
فمنـهُ نخرىٌّ وطائـفى | وكُشمشىّ ثم صاحـبىّ
وغـيرها من سائر الأقسام | فـوق الثمانين بلا كَلام
معْ هـذه الأوصافِ والمعـانى | فى أرخصِ الأسعارِ والأثمـان
ترى الذى مامثـلُه فى الفقرِ | يبتاعُ منـه الوِقْر بعـد الوِقْر
وربما يعلِفـه الحمـيرا | إنْ لم يُصادف عنده شعيرا

فصل فى وصف بطيخها :

بطّيخُها من حسنه يَحيرُ | فِى وَصْفه ذو الفطنة الخبـيرُ
جَميعُه حلوٌ بغير حـدّ | أحلى من الوصال بعد الصّدّ
مهما يقولُ الواصفون فيهِ | فإنه نزرٌ بـلا تمويه
يُباع بالبخس القليلِ النزْرِ | لأنه وافٍ بغـير حَصر
يأتى به المرء من الصحارِى | فلا يفى بأجرة المُـكارى

فصل فى وصف المدرسة المرزاء :

وما بُنى فيها من المـدارسِ | ليس لها فى الحسْن من مُجانِس
أشهرُها مدرسةُ المرزاء | مُدرسةٌ رفيعةُ البناء
رشيقةٌ رائقـةٌ مكينهْ | كأنّها فى سعةٍ مدينهْ
فى غاية الزينة والسّداد | عديمةُ النظير فى البلاد

بالذّهبِ الأحمرِ قد تزخرفتْ   كأنّها جنّةُ عدنٍ أُزلفت
فى صحنها نهرٌ لطيفٌ جارٍ   مرصّفٌ جنباه بالأحجار
فى وسْطه بيتٌ لطيف مَبنى   كأنه بعضُ بيوت عَدْن
من الرُّخام كلُّهُ مبنىٌّ   كأنما صانعُه جنّىٌّ
وكلّ ما يقوله النبيلُ   فى وصفها فإنه قليلُ

فصل فى وصف كازركاه :

وبقعة تُدعى بكازركاهِ   ليس لها فى حسنها مُباهِى
هواؤها يُحيى النفوسَ إنْ بَدا   وماؤها يجلُو عن القلب الصَّدا
والسَّروُ فى رياضها المطبوعَهْ   كخُرّدٍ أذيالُها مرفوعَهْ
فيها البساتينُ بغير حصر   يقصدها الناسُ بُعَيْد العصر
من كل صِنف ذكرٍ وأنثى   وحُرّةٍ وأمَةٍ وخُنثى
لاهمّ عندهُم ولا نكاد   كأنهم قد حُوسبوا وعادوا
تراهمُ كالخيلِ فى الطّراد   وكلُّ شخص منهمُ يُنادى
لاشىء فى ذا اليوم غيرُ جائزِ   إلا نكاحُ المرء للعجائز

خاتمة فى التحسر من فراقها وبعد رفاقها :

ياحبذا أيامُنا اللواتى   مضتْ لنا ونحنُ فى المراةْ
نَسترقُ اللذاتِ والأفراحَا   ولا نَمَلُّ الهزلَ والمُزاحا
وعيشُنا فى ظلّها رغيدُ   والدهرُ مُسعِف بما نُريد
واها على العَوْد إليها واها   فما يَطيب العيْشُ فى سواها
سُقيتِ يالياليَ الوِصالِ   بصوبِ غيثٍ وابلٍ هطَّالِ

وأنتِ يا سنوالفَ الأيَّام عليكِ مـنى أطيبُ السلام

تمت الأرجوزة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

في كتاب عجائب المخلوقات ، في وصف التفاح :

هُو رُوحُ الرُّوح في جوهرها ولهـا شوقٌ إليـه وطربْ
ودواءُ القلب يَشفى ضعفَه ويُجلِّى الحزنَ عنهُ والكُرَبْ

* * *

[ولبعضهم(١) :

لى حَبيبٌ حبُّهُ وسْط الحشا لو يَشا يمشى على عَيْنى مشا]

قال بعض العارفين : في تفسير قوله تعالى « ولقد نعـلم أنك يَضيقُ صدرُك بما يقولون ، فسبِّح بحمدِ ربك » أى استرحْ من ألم ما يقال فيك بحسن الثناءعلينا.

وقريب من هذا ما ينقل أنّه صلى الله عليه وسلم كان ينتظردخول وقت الصلاة ويقول « أرِحْنا يابلالُ » أى أدخل علينا الرّاحةَ بالإعلام بدخول وقت الصلاة ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وآلِهِ « قرةُ عينى في الصلاة » .

ومما ينخرطُ فى هـذا المسلك على أحد الوجهين ما رُوى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يابلال أبرِدْ أبرِدْ » أى أبرد نار الشوق إلى الصلاة بتعجيل الأذان، أو أبرد : أى أسرع كإسراع البريد. وهذا المعنى هوالذى ذكره الصّدوق قدس الله روحه ، والمعنى الآخرمشهورٌ وهو أن غرضه تأخير صلاة الظهر إلى أن تنكسر سَوْرة الحرّ ويبرد الهواء . انتهى .

رجع أبو الحسين النورى من سياحة البادية وقد تناثر شعْر لِحيْته وحاجبيه ، وأشفار عينيه ، وتغيرت صفته ، فقيل له : هل تتغير الأسرار بتغير الصفات؟ فقال : لو تغيرت الأسرار بتغيُّر الصفات لهلك العالم ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

كما تَرى صيّرنى قطعُ قِفارِ الدِّمَن
شَرّقَنى غرّبنى أزعجنى عن وَطنى
إذا تغيّبتُ بدَا وإن بدا غيبنى

وقام يصرُخ ، ورجع من وقته ودخل البادية :

وقيل له يوما : ما التصوّف ؟ فأنشد :

جوعٌ وعُرى وحفَا وماء وجه قد عفا
وليس إلّا نفَسٌ يُخبر عما قد خفَى
قد كنتُ أبكى طرَباً فصرتُ أبكى أسَفا

كان إبراهيمُ بنُ أدهم مارًّا فى بعض الطرق فسمع رجلا يغنى بهذا البيت :

كلُّ ذنبٍ لك مغفُو رٌ سوى الإعراضِ عنى

فغشى عليه .

وسمع الشبلى رجلا ينشد :

أردنا كُم صِرفا فإذْ قد مزجتمُ فبعدا وسُحقا لانقيم لكم وَزنا

فغشى عليه :

وكان على ابن الهاشمى أعرجَ مُقعداً ، فسمع فى بغداد يوما شخصاً يُنشد :

يامُظهرَ الشّوق باللسانِ ليس لدعواكَ من بيان
لو كان ماتدّعيه حقا لم تذق الغمضَ إذ ترانى

فقام وتواجَدَ صحيح الرِّجْلين ، ثمّ جلس مُقعدا كما كان . انتهى .

السيد الجليل أمير قاسم أنوارالتبريزى ، والمدفون فى ولاية جام قدّس الله روحه صحب أول أمره الشيخَ صدرَ الدين الأردبيلى ، ثم صحب بعده الشيخ صدر الدين

عليا اليمنى، وكان عظيم المنزلة توفى سنة ٧٣٧ ودُفن فى ولاية جام، فى قرية يقال لها خرجوا. وكان كثيرا ما يجالس المجذوبين ويكالمهم. حكى عن نفسه قال: لما وصلتُ إلى بلاد الروم قيل لى: إن فيها مجذوبا فذهبتُ إليه، فلما رأيته عرفته، لأنى كنت رأيته أيام تحصيل العلم فى تبريز، فقلت له كيف صرت فى هذا الحال؟ فقال: إنى لما كنت فى مقام التفرقة كنت دائما إذا قمت فى كل صباح جذبنى شخص إلى اليمين وشخص إلى اليسار، فقمت يوما وقد غشينى شىء خلصنى من جميع ذلك. وكان السيد المذكور رحمه الله تعالى كلما ذكر هذه الحكاية جرت دموعه. انتهى.

من كلام بعض الأعلام: الويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه، ففارق ما عمر غير راجع إليه، وقدم على ما خرب غير منتقل عنه. انتهى.

قال أويس القَرنى رضى الله عنه: أحكَمُ كلمة قالها الحكماء قولهم: صانعْ وجها واحدا يكفكَ الوجوهَ كلها. انتهى.

وجد فى بعض الكتبِ السماوية: إذا أحبَّ العالِم الدنيا نزَعْتُ لذةَ مُناجاتى من قلبه. انتهى.

الأيام خمسة: يوم مفقود. ويومٌ مشهود. ويوم مورود. ويوم موعود. ويوم ممدود: فالمفقود أمسُك الذى فاتك مع ما فرطت فيه. والمشهود يومُك الذى أنت فيه، فتزود فيه من الطاعات. والمورود هو غُدك لا تدرى هل هو من أيامك أم لا. والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا، فاجعله نصب عينيك. والممدود هو آخرتك وهو يوم لا انقضاء له، فاهتم له غاية اهتمامك، فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلَّد. انتهى.

من كلام بعض الأعلام: إن الله نصب شيئين: أحدهما آمِرٌ، والآخر ناه: فالأوّل يأمر بالشر وهى النفس «إن النفّس لأمّارةٌ بالسوء» والآخر ينهى عن الشر، وهى الصلاة «إن الصلاة تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر» فكلما أمرتك النفس بالمعاصى والشهوات، فاستعن عليها بالصلاة. انتهى.

روى أن بعض الأنبيـــاء عليه وعلى نبينا أفضلُ الصـــلاة والسلام ناجى ربّه ، فقال : يارب كيف الطريق إليك ؟ فأوحى الله إليه : اترك نفسك وتعـــال إلىّ . انتهى .

فى المثل : حدّث المرأة حديثين ، فإن لم تفهم فاربع : يمكن أن يكون فاربع بمعنى فأربع مرات . ويمكن أن يكون أمرا بمعنى كف واسكت ، ويمـــكن أن يكون بمعنى اضربها بالمربعة يعنى العصا . انتهى .

قيل لبعض الصالحين : إلَام تبقى عزَبًا ولا تتزوج ؟ فقال : مشقةُ العزوبة أسهلُ من مشقّة الـكدّ فى مصالح العيال . انتهى .

قال بعض الملوك لوزيره يوما: ما أحسن الملكَ لو كان دائما،فقال الوزير: لو كان دائما ما وصل إليك . انتهى .

قال بعض الملوك لبعض العلمـــاء ـ وقد حضر العـالمَ الوفاةُ ـ أوص بعيالك إلىّ ، فقال العالم : إنى لأستحى من الله سبحانه وتعالى أن أوصى بعبيد الله إلى غير الله . انتهى .

قيل لبعض الصوفية : مالك ! كلما تـكلمت بكى كل من يسمعك ، ولا يبكى من كلام واعظ البلد أحد ؟ فقـال : ليست النائحة الثّـكلى كالمستأجَرة .

الهمّ نصف الهرم . التودد نصف العقل . قلت : إذا كان التودد نصفَ العقل فالتباغض كل الجنون . انتهى .

ابن الرومى ، لما سُمّ ودب فيه السمّ واشتد شربه للماء أنشد :

أشربُ المـاء إذا ما التهبتْ ... نارُ أحشائى كأحشاءِ اللّهَبْ

فأراه زائدا فى حُرقـــتى ... فـــكأنّ الماء للنار حَطبْ

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

إنّ الذين بنَوْا فطـال بناؤهم   واستمتعوا بالمال والأولاد
جرتِ الرياح على محل دِيارهم   فكأنهم كانوا على ميعادِ

* * *

أودع تاجر من تجار نيسابور جاريته عند الشيخ أبى عثمان الحيرى ، فوقع نظر الشيخ عليها يوما فعشقها وشُغف بهـا ، فكتب إلى شيخه أبى حفص[1] الحداد بالحال ، فأجابه بالأمر بالسفر إلى الرى إلى صحبة الشيخ يوسف ، فلما وصل إلى الرىّ وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف أكثر الناسُ فى ملامته وقالوا : كيف يسأل تقىٌّ مثلُك عن بيت شقىّ فاسق ، فرجع إلى نيسابور وقص على شيخـه القصّـة ، فأمره بالعود إلى الرى وملاقاة الشيخ يوسف المذكور ، فسافر مرة ثانية إلى الرىّ وسأل عن منزل الشيخ يوسف ، ولم يبال بذم الناس له وازدرائهم به ، فقيـل له : إنه فى محلة الخمّارة ، فأتى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعظمه ، وكان إلى جانبه صبى بارع الجمال ، وإلى جانبه الآخر زجاجة مملوءة من شىء كأنه الخمر بعينها ، فقال له الشيخ أبو عثمان : ما هذا المنزل فى هذه المحلة ، فقال : إن ظالما شرى بيوت أصحابنا وصيرها خمارة ، ولم يحتج إلى شراء دارى . فقال له ما هذا الغـلام وما هذا الخمر ؟ فقال : أما الغلامُ فولدى من صلبى ، وأما الزجاجة فخل . فقال : ولمَ توقع نفسك فى مقام التهمة بين الناس ؟ فقال : لئلا يعتقدوا أننى ثقـة أمين ويستودعونى جواريَهم فأبتَـلَى بحبّهن ، فبكى أبو عثمان بكاء شديدا ، وعلم قصد شيخه . فهكذا أحوال أهل الله تعالى نفعنا الله بهم . انتهى .

سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلا يحلف : والذى احتجب بسبع سموات ما كان كذا ، فقال له : ويلك ، إن الله لا يحجبه شىء ، فقال له الرجل : هل أكفّر

(١) فى المخطوطة: أبى جعفر .

عن يمينى ؟ فقال لا ، لأنك حلفتَ بغير الله ، والحالف بغير الله لايلزمه كفارة . انتهى .

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أبُنَىّ إنّ من الرجال بهيمةً　　فى صُورة الرجل السميعِ المبصرِ
فطِنٌ لكل رزيّة فى ماله　　وإذا أُصيبَ بدينهِ لم يشعُرِ

ومنه أيضا :

اغتنم ركعتين زلفى إلى اللـ　　ـه إذا كنت فارغا مُستريحا
وإذا ماهَمَمْتَ باللّغو فى البا　　طِل فاجعَلْ مكانه تسبيحا

كتب بعضهم إلى شخص تأخر وعده :

أبا أحمدٍ لستَ بالمنصفِ　　إذا قلتَ قولًا فلِمْ لا تفى
فأنجِز لنا كلّ ماقد وعدتَ　　وإلا أُخِذتَ وأُدخلتَ فِى

أول من ورد من السادات الرَّضويّةِ إلى قُمّ أبو جعفر محمد بن موسى بن محمد ابن على بن موسى الرضا عليهم السلام ، وكان وروده إليها من الكوفة سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين ، ثم ورد إليها بعده أخواته : زينب وأم محمد وميمونة بناتُ موسى بن محمد بن على بن موسى الرضا ، وتوفى هو فى ربيع الآخِر سنة ٢٩٦ ست وتسعين ومائتين ، ودفن بمدفنه المعروف فى قُمّ ، ثم تُوفّيت بعده أختهُ ميمونة ، ودفنت بمقبرة قابلان بقبة ملاصقة بقبة الست فاطمة رضى الله عنها . وأما أم محمد فمدفونة فى القبة التى فيها الست فاطمة رضى الله عنها بجنب ضريحها ، وفى تلك القبة أيضاً قبرُ أم إسحاق جارية محمد بن موسى ، ففى هذه القبة المقدّسة ثلاثةُ قبور : قبر الست فاطمة رضى الله عنها ، وقبر أم محمد بنت موسى بن محمد رضى الله عنهم ، وقبر أم إسحاق جارية محمد بن موسى . انتهى .

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

فلم أر كالدنيا بها اغترّ أهلها ‌ ‌ ‌ ‌ ولا كاليقين استوحش الدهرَ صاحبُه

أمرّ على رسم الديار كأنما ‌ ‌ ‌ ‌ أمرّ على رسم امرئ ما أناسبُه

فوالله لولا أنني كلّ ساعة ‌ ‌ ‌ ‌ إذا شئتُ لاقيتُ امرأ مات صاحبهُ

جواب لولا محذوف ، وتقديره لما خف حزنى . وقد وقع فى شعر الحماسة التصريح بهذا المحذوف فى قول نهشل :

وهوّن وجدى عن خليلىَّ أننى ‌ ‌ ‌ ‌ إذا شئتُ لاقيتُ امرأ مات صاحبهُ

هذا وشارح الديوان القاضلُ الميبدى جعل لولا فى هذا البيت للتحضيض فخبط خبط عشواء . انتهى .

من أحب عمل قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله . من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه .

سانحة : أيها المغرور بالجاه والإماره ، لا تنظر إلينا بعين الحقاره .

سانحة : الدنيا لا تُطلبُ لِذاتها ، بل للتمتع بلذّاتها ، والعاقل لا يطلبها إلا لبذلها لصالح يرجو إعانته ، أو صالح يخاف إهانته .

سانحة: قد فسد الزمان وأهله، وتصدى للتدريس من قل عِلمهُ وكثُر جهلُه، فانحطت مرتبة العلم وأصحابه ، واندرست مراسمه بين طلّابه .

لجامعه من سوانح سفر الحجاز :

قد صرفنا العُمر فى قيل وقالْ ‌ ‌ ‌ ‌ يانديمى قُم فقد ضاق المجالْ

واسقِنى تلك المدامَ السلسبيلْ ‌ ‌ ‌ ‌ إنها تهدى إلى خير السّبيلْ

واخلع النعلين ياهـذا النديمْ ‌ ‌ ‌ ‌ إنها نارٌ أضاءت للكليمْ

هاتها صهباء من خمر الجنانْ دع كئوسا واسقنيها بالدِّنانْ
ضاقَ وقتُ العمرِ عن آلاتِها هاتها من غير عصر هاتها
قم أزِلْ عنى بها رسمَ الهمومْ إن عُمرى ضاع فى عِلم الرّسومْ
أيّها القوم الذى فى المدْرسهْ كل ما حصلتموه وسوسَهْ
فكرُكم إن كان فى غير الحبيبْ ما لكم فى النّشأةِ الأخرى نَصيبْ
فاغسلوا بالرّاح عن لوحِ الفؤادْ كلّ علم ليس يُنجِى فى المَعادْ

* * *

[سوانح]

سانحة : قد جرى ذكرى يوما من الأيام فى بعض المجالس العالية ، والمحافل السامية ، فبلغنى أن بعض الحضّار ممن يدّعى الوفاق ، وعادته النفاق ، ويظهر الوداد ودأبُه العناد ، جرى فى ميدان البغى والعدوان ، وأطلق لسانه فى الغيبة والبهتان ، ونسب إلىّ من العيوب ما لم تزلْ فيه ، ونسى قوله تعالى: «أيحبّ أحدكُم أنْ يأ كل لحمَ أخيه » فلما علم أنى قد علمت بذلك ، ووقفت على سلوكه فى تلك المسالك، كتب إلى رقعة طويلة الذيل ، مشحونة بالندم والويل ، يطلب فيها منى الرضا ، ويلتمس الإغماض عما مضى ، فكتبت إليه فى الجواب : جزاك الله خيرا فيما أهديتَ إلى من الثواب وثقلت به ميزان حسناتى يوم الحساب ، فقد روينا عن سيد البشر ، والشفيع المشفع فى المحشر ، صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : « يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضعُ حسناته فى كفة وسيئاته فى كفة فترجح السيئاتُ ، فتجىء بطاقة فتقع فى كفة الحسنات فترجح بها ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة ؟ فما من عمل عمِلته فى ليلى ونهارى إلا استُقبلت به ، فيقول عز وجل : هذا ماقيل فيك وأنت منه برىء » فهذا الحديث النبوى قد أوجبَ بمنطوقه علىّ أن أشكر ما أدّيته من النعم إلىّ فأ كثر الله خيرك، وأجزل ميرك، مع أنى لو فرضت أنك شافهتنى بالسفاهة والبهتان، وواجهتنى بالوقاحة

والعدوان ، ولم تزل مصرًا على إشاعة شناعتك ليلا ونهارا ، مقيما على سوء صناعتك سرا وجهارا ، ما كنت أقابلك إلا بالصفح الجميل والصفاء ، ولا أعاملك إلا بالمودة والوفاء ، فإن ذلك من أحسن العادات وأتم السعادات ، وإن بقية مدة الحياة أعز من أن تصرف فى غير تدارك مافات ، وتتمة هذا العمر القصير ، لا تسع مؤاخذة أحد على التقصير ، على أنى لو صرفت العِنانَ إلى مُجازاة أهل العدوان ، ومكافأة ذوى الشنآن ، لوجدت إلى تدميرهم سبيلا رحيبا ، وإلى فنائهم طريقا قريبا . انتهى .

سانحة : مُصاحب الملك محسود بين الأنام ، من الخاص والعام ، لكنه فى الحقيقة مرحوم ، لما يرد عليه من الهموم الخفية التى لا يطلع الناس عليها ، ولا تصل أنظارهم إليها ، ولذلك قال الحكماء : صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، بينما هو فرسه ، إذ هو فريسته ، فلا تكن مغرورا من جليس الملك وأنيسه بما تشاهد من ظاهر حاله ، وانظر بعين الباطن إلى توزع باله وسوء مآله ، وتقلب أحواله . انتهى .

سانحة : أيها الطالب الراغب ، إنى أكلمك على قدر عقلك وعرفانك ؛ لأن شأن الأسرار المكنونة من فوق مرتبتك وشأنك ، فلا تطمع فى أن أكشف لك الأمر المكتوم ، وأن أسقيَك من الرحيق المختوم ، إذ لا طاقة لك على شرب ذلك ، ولا قدرة لأمثالك على سلوك تلك المسالك . ثم إذا ترقيت عن مرتبة العوام ، وصرت قريبا من درجة أولى البصائر والأفهام ، فأنا أسقيك من شراب أصحاب المرتبة الوسطى ، ولا أتركك محروما من هذا الإعطا ، فكن قانعا بما فى الحباب من ذلك الشراب ، ولا تكن طامعا بما فى الأباريق والأكواب . انتهى .

سانحة : قد تهب من عالم القدس نفحة من نفحات الأنس ، على قلوب أصحاب العلائق الدنية والعوائق الدنيوية ، فتتعطر بذلك مشام أرواحهم ، وتجرى روح

الحقيقة فى رميم أشباحهم ، فيدركون قبح الانغماس فى الأدناس الجسمانية ، ويذعنون بخساسة الانتكاس فى مهاوى القيود الهيولانية[١] ، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد وينتبهون من نوم الغفلة عن المبدأ والمعاد ، لكن هذا التنبه سريع الزوال ، ووحىء الاضمحلال ، فياليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية ، تميط عنهم أدناسَ عالَم الزور ، وتطهرهم من أرجاس دار الغرور . ثم إنهم عند زوال النفحة القدسية ، وانقضاء هاتيك النسمة الأنسية ، يعودون إلى الانتكاس ، فى تلك الأدناس ، فيتأسفون على ذلك الحال الرفيع المنال ، وينادى لسان حالهم بهذا المقال ، إن كانوا من أصحاب الكمال . انتهى .

سانحة : لو لم يأت والدى قدس الله روحه من بلاد العرب إلى بلاد العجم ، ولم يختلط بالملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدِهم وأزهدِهم ، لكنه طاب ثراه أخرجنى من تلك البلاد ، وأقام فى هذه الديار ، فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة ، واتصفت بصفاتهم الدنيئة . ثم لم يحصل لى من الاختلاط بأهـــل الدنيا إلا القيل والقال ، والنزاع والجدال ، وآل الأمر إلى أن تصدى لمعارضتى كل جاهل ، وجسر على مباراتى كل خامل . انتهى .

سانحة : إذا أغارت جيوشُ الضعف على مملكة القوى ، فعليك بالعزلة عن الخلق والانزوا ، واسأل ربك التوفيق ، ولا تبال إذا عُدم الرفيق الشفيق . انتهى .

سانحة : العُزلة عن الخلق هى الطريق الأقوم الأسدّ ، كما ورد فى الحديث « فِرَّ من الخلق فِرارَك من الأسد » فطوبى لمن لا يعرفونه بشىء من الفضائل والمزايا ، لأنه سالم مِن الآلام والرزايا . فالفرار الفرار عنهم ، والبدار البِدار إلى الخلاص منهم ،

---

(١) نسبة إلى الهيولى . وأصلها القطن . وشبه الأوائل طينة العالم به . ونفحات القدس تخفف وطأة الهيولى عن النفوس الطاهرة ، لأن الهيولى كالقيد للنفس .

وبهذا يظهر أنّ الاشتهار بالفضائل من جملة الآفات ، وأن خمول الاسم أمان من المخافات فاحبس نفسك فى زاوية العزلة . فإن عزلة المرء عزٌّ له . انتهى .

الشيخ الجليل أبو الحسن الخرقانىّ اسمه على بن جعفر ، كان من أعاظم أصحاب الحال ، توفى ليلة عاشوراء ٤٢٥ ومن كلامه فى ذم العلماء الذين صرفوا أوقاتهم فى تصنيف الكتب ، قال : إن وارث النبىّ صلى الله عليه وسلم وآله من اقتدى به فى الأفعال والأخلاق ، لا من لا يزال يسوّد بأقلامه وجوه الأوراق . وقيل له ما الصدق ؟ فقال ما يكاد يقوله القلب قبل اللسان . انتهى .

على بن القاسم السجستانى :

خليلَىَّ قوما فاحملا لىَ رسالةً　　وقولا لدنيانا التى تتصنَّع

عرفناكِ ياخدّاعة الخلقِ فاعزُبى　　ألسنا نرى ماتصنعين ونسمعُ

فلا تتجلَّىْ للعيون بزينة　　فإنّا متى ما تُسفرى نتقنَّعُ

نُغطّى بثوب اليأس منكِ عيوننَا　　إذا لاح يومًا من مخازيك مطمَعُ

رتعْنا وجُلنا فى مراعيكِ كلِّها　　فلم يَهنِنا فيما رعيناهُ مَرتع

* * *

سانحة : إنّ ذرات الكائنات تنصحك ليلا ونهارا بأفصح لسان ، وتعظك سرا وجهارا بأبلغ بيان ، لكن لا يفهم نصائحها الغبىّ البليد ، ولا يعقل مواعظَها إلا من ألقى السمع وهو شهيد . انتهى .

سانحة : إلى كم تكون فى طلب اللذات الفانيةِ الدنيويّة ، وأنت مُعرض عما يثمر السعادات الباقية الأُخروية ، فإن كنت من أصحاب العقول وأرباب المعقول ، فاقنع من الدنيا كل يوم برغيفين ، واكتف منها كل سنة بثوبين ، لئلا تسقط من البين ، وتجيء يوم القيامة بخفى حنين . انتهى .

لجامعه من سوانح سفر الحجاز :

يا نديمى ضاعَ عُمرى وانقضَى … قُم لإدراكِ زمانٍ قد مضى
واغسِل الأدناسَ عنى بالمُدامْ … واملأ الأقداح منها يا غلامْ
واسقنى كأسا فقد لاح الصباحْ … والثريا غرَبتْ والديكُ صاحْ
زوِّج الصهباء بالماء الزُّلالْ … واجعلنْ عقلى لها مَهراً حلالْ
هاتِها من غير مهلٍ يانديمْ … خمرةً يحيا بها العظمُ الرميمْ
بنتَ كرم تجعلنَّ الشيخ شابْ … من يذُق منها عن الكونين غابْ
خمرةً من نارِ موسى نورُها … دنُّها قلبى وصدرى طورُها
قُم ولا تُمهلْ فما فى العُمْرِ مهلُ … لا تصعِّب شربهاَ فالأمرُ سهْلُ
قل لشيخ قلبُه منها نفُورْ … لا تَخف فاللهُ توّابٌ غفُورْ
يامُغنى إنَّ عندِى كلَّ غمْ … قم وألقِ النّاىَ فيها بالنَّغمْ
غنِّ لى دوْرا فقد دار القدحْ … والصَّبا قد فاحَ والقُمرِى صدَحْ
واذكرنْ عندى أحاديثَ الحبيبْ … إن عيشى من سِواها لا يطيبْ
واحذَرنْ ذِكرَى أحاديثِ الفراقْ … إن ذكرَ البُعدِ مما لا يُطاقْ
ردّ لى روحى بأشعار العرَبْ … كى يَتمَّ الحظ فينا والطَّربْ
وافتتح منها بنظْم مُستطابْ … قلتَه فى بعض أيّام الشّبابْ
قد صرفنا العُمرَ فى قيلٍ وقال … ياندِيمى قُم فقد ضاق المجالْ
ثم أطرِبْنى بأشعار العجَمْ … واطردَنْ همًّا على قلبى هجمْ
وابتدِى منها ببيتِ المثْنوى … للحكيم المولوىِّ المعنوِى
بشنوازنى جون حكايت ميكند … وازجدايى هاشكايت ميكند
قُم وخاطِبْنى بكلِّ الألسِنَه … علَّ قلبى ينتبِهْ من ذِى السِّنَهْ

إنه فى غفـــلةٍ عن حالهِ — خابطٌ فى قيلهِ مع قالهِ
كل آن فهو فى قَيْد حديدْ — قائلًا من جهـــلهِ هل مِن مزيدْ
تائِهًا فى الغىِّ قد ضلَّ الطريقْ — قطّ من سُكر الهوَى لا يستفيقْ
عاكفا دهراً على أصنـــامِهِ — تهزأ الكفارُ من إســـلامِهِ
كم أنادى وهو لا يُصغى التنادْ — وافُؤادِى وافُؤادِى وافُؤاد
يابَهائىُّ اتخذ قلبـــا سواه — فهـــو ما معبُودُه إلا هواه

مما أنشده عمرو بن معديكرب رضى الله عنه فى وصف الحرب :

الحرب أوّلُ ما تكون فتيـــةً — تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتّى إذا استعرَتْ وشبَّ ضِرامُها — عادت عجوزا غيرَ ذاتِ حليـــلِ
شمطاء جزّتْ رأسَها وتنكّرت — مكروهةً للثم والتقبيـــلِ

الشيخ محيى الدين بن عربى قدس الله سره العزيز :

بان العزاء وبان الصبرُ مذ بانوا — بانُوا وهم فى سواد القلب سكّانُ
سألتُهم عن مَقيل الركبِ قيل لنا — مقيلُهم حيثُ فاح الشيحُ والبانُ
فقلتُ للريح سيرى والحَقِى بهمُ — فإنهم عنـــدَ ظِلّ الأيكِ قُطّانُ
وبلّغيهم سلاماً من أخى شجَن — فى قلبه من فراق الإلفِ أشجانُ

[للشيخ محيى الدين بن عربى(١) :

مرضى من مريضـــة الأجفان — عللانى بذكرهـــا عَلّلانى
هفّت الوُرق فى الرياض وناحت — نوحُ هـــذا الحمام مما شَجانى
يا طُلولًا برامــــة دارساتٍ — كمْ حوتْ من كواعبٍ وحِسانِ

(١) الزيادة من النسخة الخطية .

بأبى طفلةً لعوباً تهــادى ... من بنات الخدور بين الغوانى
طلعت فى العيان شمساً فلما ... أفلتْ أشرقتْ بأفْق جَنانى
يا خليــلىّ عرجا بِعِنانى ... لأرى رسمَ دارها بعِيانى
وإذا ما بلغتما الدار حُطّــا ... وبها صاحِبِىَّ فلتبـكيانى
وقفا بى على الطلول قليلا ... أتبا كى فلأَبكِ ممّا دهانى
واذكرا لى حديث هندٍ ولبنى ... وسُلَيْمى وزينبٍ وعنان
ثم زيدا عن حاجر وزرودٍ ... خَــبراً عن مَراتع الغِزلان
طال شوقى لطفلةٍ ذات نثرٍ ... ونظامٍ ومنــبر وبيانِ
من بنات الملوك من دار فُرسٍ ... من أجلِّ البلاد من أصْفَهانِ
هى بنت العراقِ بنت إمامِى ... وأنا ضدُّها سليل يمــانى
هل رأيتُمْ يا سادتِى أو سمعتم ... أن ضدين قَطّ يجتمعانِ
لو ترانا برامةٍ نتعاطى ... أكؤساً للهوى بغير بنَانِ
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيِّباً مطرباً بغــير لسانِ
لرأيتم ما يذهَلُ العقلُ منــه ... يَمنٌ والعراقُ مُعتنِقانِ
كذب الشاعر الذى قال قبلى ... وبأحجارِ عقـله قد رمانى
أيهـا المنكحُ الثّريا سُهيلًا ... عمرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هى شاميّةٌ إذا ما استهلّت ... وسهيل إذا استهلّ يمانِى

البحترى :

بنىّ استزدْ فضلا من العمْر تغترف ... بسجليْك من شهد الخطوب وصابها
تُشذّ بنا الدنيــا بأخفض سعيها ... وسمّ الأفاعى بلّة من لُعابهــا
يُسَرُّ لعُمرانِ الديار مُضلّــلٌ ... وعُمرانُها مستأنفٌ من خرابِهــا

ولم أرتضِ الدّنيا أوان مجيئها   فكيفَ ارتضيها فى أوانِ ذهابها

لبعض القدماء فى ذكر الأوطان :

ألا قل لدار بين أكثبةِ الحمى   وذاتِ الهوى جادت عليكِ المواضبُ

أجِدّكِ لا آتيكِ إلا تفلّقت   دموعٌ أضاعتْ ماحفظتُ سواكبُ

ديار تَنَسَّمْتُ الهواءَ بجوّها   وطاوَعنِي فيها الهوَى والحبائبُ

ليالِيَ لا الهجرانُ محتكِمٌ بها   على وصل من أهوى ولا الظنُّ كاذبُ

* * *

[شكر المنعم واجب] :

يقول الفقير محمد بهاء الدين العاملي عفا الله عنه : مما استدل به أصحابنا قدس الله أسرارهم ، وأعلى فى الفِردوسِ قرارَهم ، على أن شكرَ المنعم واجبٌ عقلا ، وإن لم يَرد به نقل أصلا، أن من نظر بعين عقله إلى ماوُهب له من القوى والحواس الباطنة والظاهرة ، وتأمل بنور فطرته فيما ركب فى بدنه من دقائق الحكم الباهرة، وصرف بصيرته نحو ماهو مغمور فيه من أنواع النعماء وأصناف الآلاء التى لا يحصر مقدارها ، ولا يقدر على انحصارها ، فإنّ عقله يحكم حكما لازما بأن من أنعم عليه بتلك النعم العظيمة ، والمنن الجسيمة ، حقيق بأن يُشكرَ ، وخليق بأن لا يُكفر ، ويقضى قضاء جازماً بأن من أعرض عن شكر تلك الألطاف العظام ، وتغافل عن حمد هاتيك الأيادى الجِسام، مع تواترها ليلا ونهاراً ، وترادفها سرا وجهاراً ، فهو مستوجبٌ للذم والعتاب ، بل مستحق لأليم النكال وعظيم العقاب .

ثم إن الأشاعرة بعد ما لفقوا دلائل سقيمة ، ظنوها حججا قاطعة على إبطال الحسن والقبح العقليين، ورتبوا قضايا عقيمة حسبوا أنها براهين ساطعةٌ على حصرها فى الشرعيين ، أرادوا تبكيت أصحابنا بإظهار الغلبة عليهم على تقدير موافقتهم

فى القول المنسوب إليهم ، فقالوا إننا لو تنزلنا إليكم وسلمنا أن الحسن والقبح عقليان ، وأننا وأنتم فى الإذعان بذلك سيّان ، فإن عندنا ما يزيّف قولكم بوجوب شكر المنعم بقضية العقل ، ولدينا ما يقتضى تسخيف اعتقادكم بثبوت ذلك من دون ورود النقل ، فإن ما جعلتموه دليلا من خوف العتاب ومظنة العقاب مردود إليكم ، ومقلوب عليكم ، إذ الخوف المذكور قائم عند قيام العبد بوظائف الشكر ولطائف الحمد ، فإن كل من له أدنى مسكة يحكم حكما لا ريب فيه ولا شك يعتريه ، بأن الملك الكريم الذى ملك الأكناف شرقا وغربا ، وسخر الأطراف بُعدا وقُربا ، إذا مدّ لأهل مملكته من الخاصّ والعام مائدة عظيمة لا مقطوعة ولا ممنوعة على توالى الأيام ، مشتملة على أنواع المطاعم الشهية ، مشحونة بأصناف المشارب السنية ، يجلس عليها الدانى والقاصى ، ويتمتع بطيباتها المطيعُ والعاصى ، فحضرها فى بعض الأيام مسكين لم يحضرها قبل ذلك قط ، فدفع إليه الملك لقمة واحدة فقط ، فتناولها ذلك المسكين ، ثم شرع فى الثناء على ذلك الملك المسكين ، يمدحه بجليل الإنعام والإحسان ، ويحمله على جزيل الكرم والامتنان ، ولم يزل يصف تلك اللقمة ويذكرها ، ويعظم شأنها ويشكرها ، فلا شك فى أن ذلك الشكر والثناء يكون منتظما عند سائر العقلاء ، فى سلك السخرية والاستهزاء ، فكيف ونعم الله سبحانه علينا بالنسبة إلى عظيم سلطانه جل شأنه ، وبهر برهانه ، أحقر من تلك اللقمة بالنسبة إلى ذلك الملك بمراتب لا يحويها الإحصاء ، ولا يحوم حولها الاستقصاء . فقد ظهر أن تقاعدنا عن شكر نعمائه تعالى مما يقتضيه العقل السليم ، والكف عن حمد آلائه عز وعلا مما يحكم بوجوبه الرأى القويم والطبع المستقيم .

ولا يخفى على من سلك مسالك السداد ، ولم ينهج مناهج اللجاج والعناد ، أن لأصحابنا أن يقولوا إنّ ما أوردتموه من الدليل ، وتكلفتموه من التمثيل ، كلام مخيل عليل ، لا يروى الغليل ولا يصلح للتعويل . فإن تلك اللقمة لما كانت حقيرة المقدار .

فى جميع الأنظار، عديمة الاعتبار فى كل الأصقاع والأقطار ، لاجرم صار الحمدُ والثناء على ذلك العطاء منخرطا فى سلك السخرية والاستهزاء ، فالمثال المناسب لما نحن فيه أن يقال : إذا كان فى زاوية الخمول وهاوية الذهول مسكين أخرس اللسان، مؤوف الأركان ، مشلول اليدين ، معدوم الرجلين ، مبتلى بالأسقام والأمراض ، محروم من جميع المطالب والأغراض ، فاقدٌ للسمع والإبصار ، لا يفرق بين السر والإجهار ، ولا يميز بين الليل والنهار ، بل عادم للحواسّ الظاهرةِ بأسرها ، عار عن المشاعر الباطنة عن آخرها ، فأخرجه الملك من متاعب تلك الزاوية ، ومصاعب هاتيك الهاوية ، ومنّ عليه بإطلاق لسانه ، وتقوية أركانه ، وإزالة خلله ، وإماطة شلله ، وتلطف بإعطائه السمع والبصر ، وتعطف بهدايته إلى جلب النفع ودفع الضرر، وتكرم بإعزازه وإكرامه، وفضّله على كثير من أتباعه وخدامه . ثم إنه بعد تخليص الملك له من تلك الآفات العظيمة، والبليات العميمة ، وإنقاذه من الأمراض المتفاقمة، والأسقام المتراكمة ، وإعطائه أنواع النعم الغامرة ، وأصناف التكريمات الفاخرة ، طوى عن شكره كشحا ، وضرب عن حمده صفحا، ولم يظهر منه مايدل على الاعتناء بتلك النعماء التى ساقها ذلك الملك إليه ، والآلاء التى أفاضها عليه ، بل كان حاله بعد وصولها كحاله قبل حصولها ، فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ، مستوجب للإهانة والخذلان . فدليلكم حقيق بأن تستروه ولا تسطروه، وتمثيلكم خليق بأن ترفضوه ولا تحفظوه، لأن الطبع السليم يأباها، والذهنَ القويم لا يرضاها . والسلام على من اتبع الهدى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين

البحترى :

أخيَّ متى خاصمتَ نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدُقِ

أرى عِللَ الأشياء شتى ولا أرى التـ جمُّع إلا علـة للتفرّق

أرى الدهر غُولا للنفـــوس وإنما بقى اللهُ فى بعض المواطن من يَقِى
فلا تُتْبِـع الماضى سؤالَكَ لِمْ مضَى وعرِّج عن البـاقِى وسائله لِمْ بَقِى
ولم أرَ كالدنيا حليـــلة صاحبٍ محبٍّ متى تحسُنْ بعيْنَيْـــه تطلق
تراها عيانا وهى صَنعةُ واحـــد فتَحسبها صُنْعَىْ لطيف وأخـــرقِ

* * *

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قيل إن السبب فى خروج البُحترى من بغداد هذه الأبيات ، فإن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوى حيثُ قال : « فتحسبها صنعَى لطيف وأخرق » وكانت العامّة حينئذ غالبةً على البلدة ، فخاف على نفسه وقال لابنه أبى الغوث قم يابنى حتى نطفئ هذه الثائرة بخرجة نَلم بها شعثنا ونعودُ ، فخرج ولم يعد. انتهى .

من كلام أوميرس : اتّهم أخلاقَك السيئة . فإنّها إذا وصلت إلى حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار ، والماء للسمك ، وإذا عزلتها عن مآربها ، وحُلت بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب ، وهلكت كهلاك السمك عند فقدان الماء . اهـ .

لما كانت الحاسّةُ الجليدية إذا كانت مؤوفة برمد ونحوه فهى محرومةٌ من الأشعة الفائضة عن الشمس ، كذلك البصيرةُ إذا كانت مؤوفة بالهوى واتّباع الشهوات ، والاختلاط بأبناء الدنيا ، فهى محرومة من إدراك الأنوار القدسية ، محجوبة عن ذوق اللذات الأنسية . اهـ

من كتاب رياض الأرواح . وهو مما نظمه الفقيرُ بهاء الدين العاملى ، عامله الله بلطفه الخفى :

ألا يا خائضا بحرَ الأمانى هداك اللهُ ما هـــذا التّوانى

أضعت العُمرَ عِصيانا وجَهْـلا ** فمهـلّا أيهـا المغرورُ مهلَا
مضى عمرُ الشباب وأنت غافـلْ ** وفى ثوب العَمى والغّى رافـلْ
إلى كم كالبهائم أنت هائمْ ** وفى وقت الغنائم أنت نائمْ
وطرفُكَ لايُرى إلا طَموحَا ** ونفسُكَ لم تزل أبدا جمـوحَا
وقلبكَ لايُفيق من المعـاصى ** فويلك يوم يؤخـذُ بالنواصى
بلالُ الشَّيب نادى فى المفـارِقْ ** بحىّ على الذّهابِ وأنت غارِقْ
ببحر الإثم لا تَصغى لواعـظْ ** ولو أطرى وأطنبَ فى المواعِظْ
وقلبُكَ هائم فى كل وَادى ** وجهـلُكَ كلّ يوم فى ازدياد
على تحصيـل دُنيـاكِ الدنيّهْ ** مجـدّا فى الصّباح وفى العشيةّ
وجهـلُ المرءِ فى الدنيا شديدُ ** وليس ينـال منهـا ما يُريد
وكيف يَنالُ فى الأخرى مرامَه ** ولم يجهـد لمطلبها قُـلامَهْ

إشارة إلى حال من صرف العمر فى جمع الكتب وادخارها :

على كتب العلوم صرفت مالكَ ** وفى تصحيحها أتعبت بالكَ
وأنفقت البياضَ مـع السّواد ** على ماليس ينفعُ فى المعـادِ
تظـل من المساء إلى الصّباح ** تطالعُها وقلبُك غـير صاح
وتُصبح مولَعـا من غـير طائلْ ** لتحرير المقـاصد والدلائلْ
وتوضيح الخفـاَ فى كلّ باب ** وتوجيهِ السؤالِ مع الجوابِ
لعمرى قَد أضلتك الهـدايه ** ضـلالا ما له أبدا نِهايَهْ
وبالمحصول حاصلُك النـدامَهْ ** وحرمانٌ إلى يوم القيـامَهْ
وتذكرة المواقف والمقـاصِدْ ** تسدّ عليك أبوابَ المقـاصِدْ
وبالإرشاد لم يحصـل رشادُ ** وبالتبيـان مابان السّدادُ

فلا تُنجى النجاةُ من الضّلاله ولا يَشفى الشفـــاء من الجهاله
وبالإيضاحِ أشكلتِ المـــدارك وبالمصباح أظلمتِ المسالكْ
وبالتلويحِ مالاحَ الدليـــــلُ وبالتوضيح ما اتضح السّبيلُ
صرفت خُلاصـــة العمْر العزيزِ على تنقيح أبحاثِ الوجيزِ
بهذا النّحو صرفُ العمْر جَهلُ فقُم واجهد فمـا فى الوقت مهلُ
ودعْ عنك الشُّرُوح مـع الحواشى فهنّ على البصائر كالغَواشِى

إشارة إلى نبذ من حال من تصدى للتدريس فى زماننا هذا :

مرادُك أن تُرى فى كل يومِ وبين يديك قَــومٌ أىّ قوم
كلابٌ عادياتٌ بل ذئابُ ولـكن فـوق أظهرهم ثيابُ
إذا ما قلت أصغوا للمقـــالِ وإن حدثتَ بالأمر المُحـــال
فليس لهم جميعـا من بضاعـهْ سوى سمعاً لمولانا وطـــاعهْ
وإن شمرت عن ساق الإفادَهْ جلست لهم على عالى الرِّفادَهْ
وأسست السؤالَ لمن تـكلّمْ ودلّست الجوابَ لـكى يُسَلَّمْ
وقورت المسائل والمطـــالِبْ واستَ بِذَا لوجهِ الله طالِبْ
وسُقت لهم كلاما فى كلام وقلبُك من ظـــلامٍ فى ظلام
وإن ناظرتَ ذا نظر دقيـــقِ وفـكرٍ فى مطالبه عميق
عدلْتَ به عن النهج القـــويم وزُغت عن الصراط المستقـــيمَ
تـكابرهُ عـلى الحقِّ الصريح فإن فاجَأكَ فى نقـــل الصحيح
طفِقْتَ تروغ عن نهــج السبيلِ وتقـــدحُ فى الـكلام بلا دليلِ
وأوّلْتَ المـــرادَ من العبـارهْ بتأويـــل كشَاج فى خِيـارَهْ
وعبتَ أئمـــةً قالوا بذا كا وفى تجْهيلهم فغرْت فا كاَ

وأزعجتَ العظامَ الدراساتِ وبعثرتَ القبورَ الطامساتِ
لئن لم ترتدعْ عن ذى الظُّلامَهْ فبئس الحالُ حالكَ فى القيامَهْ

* * *

قيل للربيع بن خيثم: ما نراك تغتاب أحداً، فقال: لستُ عن حالى راضيا حتى أتفرغ لذم الناس، ثم أنشد:

لنفسىَ أبكى لستُ أبكى لغيرها لنفسِىَ من نفسِى عن الناس شاغلُ

لجامعه من سوانح سفر الحجاز:

كان فى الأكراد شخصٌ ذو سدادْ أمُّه ذاتُ اشتهارٍ بالفسادْ
لم تُخيِّبْ من نوالٍ راغبا لم تنفِّرْ عن وصالٍ طالبا
دارُها مفتوحةٌ للداخلين رجلُها مرفوعةٌ للفاعلِينْ
فهى مفعولٌ بها فى كل حالْ فعلُها تمييز أفعالِ الرّجالْ
كان ظَرفا مستقرّا وكرُها جاء زيدٌ قام عمرٌو ذكرُها
جاءها بعضَ الليالى ذو أملْ فاعتراهُ الإبنُ فى ذاك العمَلْ
شَقّ بالسِّكِّين فوراً صَدرَها فى محاق الموت أخفى بَدرَها
مكّنَ الغيلانَ من أحشائها خلّص الجيرانَ من فحشائها
قال بعضُ القومِ من أهل الملامْ لِمْ قتلتَ الأمَّ يا هــذا الغلامْ
كان قتــلُ المرء أولى يا فتى إن قتلَ الأم شىء ما أتى
قال يا قومِ اتركوا هــذا العتابْ إن قتلَ الأم أدنى للصوابْ
كنتُ لو أبقيتُها فيما تُريدْ كل يومٍ قاتلًا شخصاً جديدْ
إنها لو لم تذق طعمَ الحسامْ كان شغلى دائما قتلَ الأنامْ
أيها المأسورُ فى قيد الذنوبْ أيها المحروم من سرّ الغيوبْ

أنتَ فى أسْرِ الـكلابِ العاوِيَهْ من قُوى النفس الـكفور الجانيهْ
كلَّ صُبح معْ مساء لا تزال مع دواعِى النفس فى قيلٍ وقالْ
كلُّ داعٍ حية ذاتُ انتقامْ قل مع الحيات ما هذا المقام
إن تـكن من لسع ذِى تبغى الخلاص أو تَرُمْ مِنْ عضٍّ هاتيك المناصْ
فاقتلِ النفسَ الـكفورَ الجانيَهْ قتلَ كردىٍّ لأمٍّ زانيَهْ
أيها الساقى أدر كأسَ المدامْ واجعلنْ فى دورها عيشى مُدامْ
خلِّص الأرواحَ من قيد الهُموم أطلق الأشباحَ من أسر الغُمومْ
فالبهائىُّ الحزينُ الممتحَنْ من دواعى النفس فى أسر المِحَنْ

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: «أقربُ ما يكون العبدُ إلى الله إذا سأله، وأبعد ما يكون من الناس إذا سألهم» . انتهى .

من كلام بعض الأعلام : من ازداد فى العلم رشدا ، ولم يزدد فى الدنيا زهدا ، فقد ازداد من الله بعدا . انتهى .

قال الجنيد : دخلت على بعض أكابر الطريق فوجدته يكتب ، فقلت له : إلى متى هذه الـكتابة فمتى العمل ، فقال يا أبا القاسم : أو ليس هذا عمل ، فسكتّ ولم أدر بماذا أجيبه . انتهى .

قيل لعبد الله بن المبارك : إلى متى تـكتُبُ كل ما تسمع؟ فقال: لعل الـكلمةَ التى تنفعنى لم أكتبها بعد . انتهى .

من كلام بعض الأكابر : إذا لم يـكن العالم زاهدا فى الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه .

من كلامهم: من لم يكن مستعدًّا لموته، فموته موتُ الفجأة، وإن كان صاحبَ فراش سنة ١٠ ﻫ .

لعضد الدولة :

وقالوا أفِقْ من لذّة اللّهو والصّبا   فقد لاح شيبٌ فى العِذار عجيبُ
فقلتُ أخـلّائى ذرُونى ولذّتى   فإنّ الكرى عند الصباح يطيبُ .

مجنون ليلى :

إذا رمتُ من ليلى على البعد نظرةً   لأُطفِى جَوًى بين الحشا والأضالعِ
تقولُ رجال الحى تطمعُ أن ترَى   بعينَيكَ ليلى مُتْ بداء المطامعِ
فكيف ترَى ليلى بعينٍ ترى بها   سواهاَ وما طهرّتَها بالمدامعِ
وتلتذّ منها بالحديثِ وقد جرَى   حديثُ سواها فى خُروقِ المسامعِ

* * *

من كلامهم : من طلب فى هذا الزمانِ عالما عاملا بعلمه بقى بلا علم. ومن طلب طعاما بلا شُبهة بقى بلا طعام . ومن طلب صديقا بغير عتب بقى بلا صديق. انتهى.

قال رجل لحكيم : ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحِمل الثقيل ؟ فقال : لأن الحِمل الثقيل يشارك الروحُ الجسدَ فى حمله ، والرجل الثقيل ينفرد الروح بحمله . ا ه

الآيات الثلاث التى أوصى والدى قدّس الله سرّه بتأملها، والتدبر فى مضمونها ، والتفكير فى مدلولها :

الأولى : « إن أكرمَكم عندَ الله أتقاكم » الثانية : « تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يُريدونَ عُلوًّا فى الأرضِ ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين » الثالثة : « أو لم نعمِّرْكم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكُم النّذير » . ا ه

فى كلام القدماء من الحكماء : شر العلماء من لازم الملوكَ ، وخيرُ الملوكِ من لازم العلماء . اهـ

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أأنعمُ عيشا بعـــد ماحَلّ عارضى		طلائعُ شيب ليس يغْنى خِضابُها
أيابُومةً قد عشّشت فوق هامتى		على الرغم منّى حين طارَ غُرابها
رأيتِ خرابَ العُمْر منى فزرتِنِى		ومأواكِ من كلّ الديارِ خرابُها
إذا اصفرّ لونُ المرء وابيضّ رأسُه		تنغّص من أيامه مستطابُها
فدَع عنك فضلاتِ الأمورِ فإنّها		حرامٌ على نفس التقىّ ارتكابُها
وما هى إلا جيفةٌ مستحيـلةٌ		عليها كلابٌ همُّهُنّ اجتذابُها
فإن تجتنبْها كنتَ سِلما لأهلها		وإنْ تجتذبها نازعتْك كِلابُهـا
فطُوبى لنفس أوطنتْ قعرَ دارِهَا		مُغلّقةَ الأبواب مُرخَى حِجابُها

قصيدة الفوز والأمان ، فى مدح صاحب الزمان رضى الله عنه :

لصاحب الكشكول :

سرى البرقُ من نجدٍ فجدّد تذكارِى		عُهوداً بحُزْوى والعُذيبِ وذى قارِ
وهيّج من أشواقنـا كلّ كامنٍ		وأجّج فى أحشائنا لاعجَ النّارِ
ألا ياليُيَيْلاتِ الغُويْر وحاجرٍ		سُقيتِ بهامٍ من بنى المزن مِدرارِ
ويا جيرةً بالمأزمَيْن خيامُهم		عليكُم سلامُ الله من نازح الدّارِ
خليلَىّ مالِى والزمانِ كأنمـا		يطالبُنى فى كُلّ آنٍ بأوتارِ
فأبعـد أحبابى وأخلَى مرابعى		وأبدلنى من كل صَفو بأكدارِ
وعادلَ بى من كانَ أقصى مرامِه		من المجدِ أن يسمُو إلى عُشرمعشارِى

ألم يدر أنّى لا أزالُ لخطبه   وإن سامنى خسفاً وأرخص أسعارى
مَقامِى بفَرْق الفرقدَين فما الذى   يُؤثّره مسعاهُ فى خفض مِقدارى
وإنى امرؤ لا يُدرِكُ الدهرُ غايتى   ولا تصلُ الأيدىُ إلى سرّ أغوارى
أخالطُ أبنــاء الزمانِ بمقتضى   عقولِهمُ كى لا يفوهُوا بإنكارى
وأظهرُ أنى مثلُهم يستفزُّنى   صروفُ الليالى باختلال وإمرارِ
وإنّى ضارِى القلبِ مستوفز النُّهى   أسَرُّ بيُسر أو أساء بإعسارِ
ويُضجرنى الخطبُ المهولُ لقاؤه   ويُطربُنى الشادِى بعودٍ ومزمارِ
ويُصمى فؤادِى ناهدُ الثدىِ كاعبٌ   بأسمر خطّارٍ وأحورَ سحّارِ
وإنى سخىٌّ بالدّموع لوقفــةٍ   على طَلَل بالٍ ودارسِ أحجــارِ
وما علموا أنى امرؤٌ لا يَروعُنِى   توالى الرّزايا فى عشىٍّ وإبكارِ
إذا دُكَّ طودُ الصّبر من وقع حادثٍ   فطودُ اصطِبارِى شامخ غيرُ منهار
وخطب يُزيل الرَّوعَ أيسرُ وقعه   كوُودٍ كوخز بالأسنّــة سعّــار
تلقيتُــه والحتفُ دون لقــائه   بقلب وَقورٍ بالمزاهزِ صبّار
ووجهٍ طليـق لا يُمـلُّ لقاؤُه   وصدرٍ رحيب فى ورود وإصدارِ
ولم أبدِه كى لا يُســاءَ لوقعــه   صديقِى ويأسى من تعسُّره جارِ
ومعضـلةٍ دهماء لا يَهتـدى لها   طريقٌ ولا يُهدَى إلى ضوئها السّارى
تَشيبُ النواصى دون حلّ رمُوزِها   ويُحجم عن أغوارِها كلُّ مغوارِ
أجلتُ جيـادَ الفـكر فى حلباتِها   ووجهت تلقـاها صوائبَ أنظارى
فأبرزتُ من مستورها كلّ غامض   وثقفتُ منهـا كلَّ أصور موّارِ
أأضرَعُ للبلوى وأغضِى على القذَى   وأرضى بما يَرضى به كل خوّار ؟
وأفرحُ من دهرى بلذة ساعةٍ   وأقنعُ من عيشى بقُرص وأطمارِ

إذن لا وَرَى زندى ولا عزّ جانبى ... ولا بزغتْ فى قمّة المجد أقمارى
ولا بُلّ كفٌّ بالسّماح ولا سرتْ ... بطيب أحاديثى الركابُ وأخبارى
ولا انتشرتْ فى الخافقين فضائلى ... ولا كان فى المهدىّ رائقُ أشعارى (١)
خليفةِ ربّ العالمين وظلّه ... على ساكنِ الغبراء من كلّ ديار
هو العُروةُ الوثقى الذى مَنْ بذيله ... تمسّك لا يخشى عظائم أوزارِ
إمامُ هدًى لاذ الزمانُ بظلّه ... وألقى إليه الدهرُ مقودَ خوّارِ
ومقتدرٌ لو كلف الصمّ نطقَها ... بأجدارها فاهت إليه بأجدار
علومُ الورى فى جنب أبحُرِ علمه ... كغُرفةِ كفٍّ أو كغمسةِ منقارِ
فلو زار أفلاطونُ أعتابَ قُدْسه ... ولم يُعشه عنها سواطعُ أنوار
رأى حكمةً قُدسيّة لا يشوبُها ... شوائبُ أنظارٍ وأدناسُ أفكار
بإشراقها كلُّ العوالمِ أشرقتْ ... لما لاح فى الكونين من نورها السّارى
إمامُ الورى طودُ النُّهى منبعُ الهدى ... وصاحبُ سر الله فى هذه الدار
به العالم السّفلىُّ يسمو ويعتلى ... على العالَم العُلوىّ من دون إنكارِ
ومنه العقولُ العشر تبغى كمالَها ... وليس عليها فى التعلّم من عارِ
هُمامٌ لو السبعُ الطِّباقُ تطابقت ... على نقض ما يقضيه من حُكمه الجارى
لنُكّس من أبراجها كلّ شامخٍ ... وسُكّنَ من أفلاكِها كلُّ دوّارِ
ولانتثَرتْ منها الثّوابتُ خيفةً ... وعاف السُّرى فى سُورها كلُّ سيّار
أيا حُجّةَ الله الذى ليس جاريًا ... بغير الذى يرضاه سابقُ أقدارِ
ويا مَن مقاليد الزمان بكفّه ... وناهيك من مجد به خصّهُ البارى

(١) من هنا تخلص إلى مدح صاحب الزمان الذى أشار إليه فى ترجمة القصيدة، وهو المهدى المنتظر. والشيعة أشد تمسكا بفكرة المهدى من جميع الطوائف الإسلامية الأخرى. وكثير من العلماء لا يصدق بفكرة المهدى المنتظر.

أغث حوزةَ الإيمان واعمُر ربوعه ... فلم يبق منهـا غيرُ دارِس آثار
وأنقذ كتـابَ الله من يد عُصبةٍ ... عصَوْا وتمادَوا فى عُتوّ وإصْرار
يَحيـدون عن آياته لرواية ... رواها أبُو شعيُونَ عن كعب الأحبار
وفى الدّين قدقاسُواوعاثوا وخَبّطوا ... بآرائهم تخبيطَ عشواء معشـار
وأنعش قلوباً فى انتظارك قُرّحَتْ ... وأضجرَها الأعداء أيّة إضجـار
وخلّص عبـادَ الله من كل غاشمٍ ... وطهِّر بلادَ اللهِ من كل كَفّار
وعجلّ فَداكَ العـالَمُون بأسرهم ... وبادِر على اسمِ اللهِ من غير إنظارِ
تجدْ من جنود اللهِ خـيرَ كتائب ... وأكرمَ أعوان وأشرفَ أنصار
بهم من بنى همدانَ أخلصُ فتيةٍ ... يخوضون أغمارَ الوغى غير نـكّار
بكلّ شديد البأسِ عبـلٍ شمرْدلٍ ... إلى الحتف مقدامٍ على الهول مصبارِ[1]
تحاذرُه الأبطـالُ فى كل موقف ... وترْهَبُه الفرسانُ فى كل مضمار
أياصفوةَ الرحمن دونك مِدحةً ... كدرٍّ عقود فى ترائب أبـكار
يُهنّى ابنُ هانى إنْ أتى بنظيرها ... ويعنو لها الطائىُّ من بعد بشار
إليـكَ البهائىُّ الحقـيرُ يَزفُّها ... كغـانية ميّاسةِ القَدّ معطارِ
تغارُ إذا قيست لطافةُ نظمهـا ... بنفحة أزهـارٍ ونسمةِ أسحارِ
إذا رُدِّدتْ زادت قبولا كأنهـا ... أحاديثُ نجـد لا تُمَلُّ بتـكرار

تمت القصيدة الموسومة بوسيلة الفوز والأمان، فى مدح صاحب الزمان.

وله عفى الله عنه :

مضى فى غفـلةٍ عُمْرى ... كذلك يذهبُ الباقى

---

(١) العبل: الضخم. والشمردل: الفتى — بتشديد الياء — السريع، الحسن الخلق — بفتح الخاء — والمصبار: صيغة مبالغة، من الصبر.

أدِرْ كاسا وناولْهـا ألا ياأيهـا الساقى
ألا ياريحُ إن تمرُرْ بأهل الحىّ من حُزوَى
فبلّغهم تحيـاتى ونبئهم بأشـواقى
وقـل أنتم نقضتم عَهْـدكم ظلمـا بلا سبب
وإنىّ ثابتٌ أبدا على عهـدى وميثاقى

* * *

من كلامهم : إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم أنه لص ، وإياك أن تخدع بما يقال إنه يرد مظلمةً أو يدفع عن مظلوم ، فإن هذه خدعة إبليس اتخـذها فخا ، والعلماء سلّما . انتهى .

قال بعض الحـكماء : إذا أوتيت علما فلا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيانة الرجُل فى العلم أشد من خيانته فى المال » .

ذكر عند مولانا جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه ، قولُ النبى صـلى الله عليه وسلم « النظر إلى وجه العالم عبادة » فقال : هو العـالم الذى إذا نَظرت إليه ذكّرك الآخرة ، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلماء أُمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطانَ ، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذورهم » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : « تعلّموا العلم ، وتعلّموا له السكينة والحلم ، ولا تـكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمُـكم بجهلـكم » .

وعن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « مثل عالم السوء

مثلُ صخرة وقعت فى فم النهر لا هى تشرب الماء ، ولا هى تترك المـــاء ليخاص إلى الزرع . انتهى .

من الـكلام المرموز للحكماء : إن زمن الربيع لا يُعدَم من العالم ، معناهُ إن تحصيل الـكمالات مُيسّر فى كل وقت، سواء كان وقت الشّباب، أو وقتَ الـكهولة، أو وقت الشيخوخة، فلا ينبغى التقاعد عن اكتساب الفضائل فى وقت من الأوقات. وما أحسن ما قال من قال :

هذا زمن الربيع عالج كبدى ‏ ‏ يا صاح لا تُخلِ من الراح يدى
فالبلبل يتلو ويقولُ انتبهوا ‏ ‏ العمرُ مضى وما مضى لم يَعُدِ

* * *

قال رجل : أصعب الأشياء أن ينال المرء ما لا يشتهيه ، فسمع كلامه بعضُ الحـكماء فقال : أصعب من ذلك أن يشتهى ما لا يناله .

قيل لسقراط : أى السباع أحسن ؟ فقال المرأة .

كتب بعض الحـكماء على باب داره : لا يدخل دارى شر . فقال له بعض الحـكماء : فمن أين تدخل امرأتك .

قال بعض الحـكماء : المرأة كلها شرّ ، وشر ما فيها أنه لابد منها . انتهى .

كتب رجل من أبناء النعمة ـ وقد أساء إليه زمانه ـ إلى بعض الأمراء :

هـــذا كتابُ فتًى له هِمَمٌ ‏ ‏ ألقت إليك رجاءه هِمَمُهْ
فَلّ الزمانُ يدَىْ عزيمتـــه ‏ ‏ وطواه عن أكفائه عُدْمُهْ
وتنوا كلته ذوو قرابتـــه ‏ ‏ وهوَتْ به من حالق قَدَمُهْ
أفضى إليك بسره قلمٌ ‏ ‏ لو كان يَعقِلُه بـكى قلمُهْ

لجامعه وهو مما كتبه إلى السيد الأجل قدوة السادات العظام ، السّيد رحمة الله،

قدس الله روحه ، وذلك فى دار السلطنة قزوين سنة ١٠٠١ ألف وواحدة :

أحبتنا إن البعـــاد لقتّالُ   فهلْ حيلةٌ للقرب منكم فيحتالُ
أفى كلّ آنٍ للتنائى نوائبٌ   وفى كل حين للتهاجر أهوالُ
أيا دارنا بالأيك لا زالَ هامياً   بربعك مسكىُّ الغـلالة هطّالُ
ويا جيرتى طالَ البعادُ فهل أرى   يُساعدُنى فى القُرب حظٌّ وإقبالُ
وهل يُسعفُ الدهرُ الخؤونُ بزورة   على رغم أيامى بهـا يسعدُ البالُ
خليليّ قد طال المقامُ على القذى   وحالَ على ذا الحالِ يا قومُ أحوالُ
يمرّ زمانى بالأمانى وينقضِـى   على غير ما أبغى ربيعٌ وشوّالُ
إلى كم أرى فى مربع الذل ثاويا   وفى الحال إخلالٌ وفى المال إقلالُ
ونجمىَ منحوسٌ وذِكرىَ خاملٌ   وقدرى منجوس وجَدّىَ بطّالُ
فلا ينعشَنْ قلبى قريضٌ أصوغُه   ولا يشرحنْ صدرى فَعولٌ وفعّال
ولا ينعَمن بالى بعِـلم أفيدُه   ومعضلةٍ فيها غُموض وإشكالُ
أُميطُ جلابيبَ الخفا عن رُموزها   لتُرفَع أستارٌ ويذهبَ إعضالُ
ويلمعَ نورُ الحق بعـد خفائه   فيُهدَى به قومٌ عن الحق ضُلّالُ
سأغسِل رجسَ الذلّ عنى بنهضة   يَقلُّ بهـا حِلٌّ ويكثُر ترحالُ
وأركبُ متن البيد سيراً إلى العُلا   وما كلُّ قوّالٍ إذا قال فعّالُ
أأقنع بالمرّ النقيـعِ وأرتوِى   وبالقُرب مِنّى سلسبيلٌ وسَلسالُ
إذنْ لا تندّت فى السّماحَة راحتِى   ولا ثار لى يوم الكريهة قسطالُ
ولا همّ قلبى بالمعـالى ونيلها   ولا كانَ لى عن موقف الذّل إجفالُ

* * *

ومن كلام أرسطوطاليس : إذا أردت أن تعرف هل يضبُطُ الإنسان شهواته فانظر إلى ضبطه منطقه . انتهى .

منه :

ليست النفس فى البدن ، بل البدن فى النفس ؛ لأنها أوسع منه . انتهى .

القاضى نظام الدين من كتاب دوبيت :

أنتم لظلامِ قلبى الأضواء   فيكم لفؤادى جُمّعت أهواء
يروِى الظمأَ ادكارُكم لا الماءُ   داويتُ بغيركم فزاد الداء

وله :

مالى وحديث وصل من أهواه   حسبى بشفاء علتى ذكراهُ
هذا وإذا قضيت نحبى أسفا   يكفى أنى أعدُّ من قتلاهُ

وله :

وافى فجذبتُ عِطفَه الميادا   شوقا فطلبت قُبلة فانقادا
حاولتُ وراء ذاك منه نادى   لا تطلبْ بعد بدعةٍ إلحادا

وله :

وقالوا انتهَ عنه إنه ما صَدقا   ما أجهلَ من بوعده قد وثقا
لا لا فنتيجةُ الهوى صادقةٌ   مع كذب مقدماتِ وعدٍ سبقا

وله :

أوصيتُك بالجِدّ فدع من ساخَرْ   فاخِر بفضيلة التقى من فاخَرْ
لا ترجُ سوى الرب لكشف البلوى   لا تدعُ مع الله إلهـا آخرْ

* * *

أرسل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه مع عبد له كِيساً من الدراهم إلى أبى ذرّ

الغفارى رضى الله عنه وقال له : إن قبل هذا فأنت حر ، فأتى الغلام بالكيس إلى أبى ذر وألح عليه فى قبوله فلم يقبل . فقال له : اقبله فإن فيه عتقى ، فقال: نعم ، ولكن فيه رقى . انتهى .

أول مقامات الانتباه هو اليقظة من سِنة الغفلة . ثم التوبةُ وهى الرجوع إلى الله بعد الإباق . ثم الورع والتقوى ، لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات، وورع أهل الطريقة عن الشبهات . ثم المحاسبة ، وهى تعداد ما صدر عن الإنسان بينه وبين نفسه ، وبينه وبين بنى نوعه . ثم الإرادة ، وهى الرغبة فى نيل المراد مع الكد . ثم الزهد ، وهو ترك الدنيا ، وحقيقته التبرّى عن غير المولى . ثم الفقر ، وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد . والفقير من عرف أنه لا يقدر على شىء. ثم الصدق ،وهو استواء الظاهر والباطن . ثم التصبروهو حمل النفس على المكاره . ثم الصبروهو ترك الشكوى وقمع النفس . ثم الرضا، وهوالتلذذ بالبلوى . ثم الإخلاص،وهوإخراج الخلق عن معاملة الحق . ثم التوكل ، وهو الاعتماد فى كل أموره على الله سبحانه وتعالى ، مع العلم بأن الخير فيما اختاره . انتهى .

من خطبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: أيها الناس ، إنما أنتم خلفُ ماضين ، وبقيةُ متقدمين . كانوا أكثر منكم بسطة، وأعظمَ سطوة . أزعجوا عنها أسكن ما كانوا إليها ، فغدرت بهم أوثق ما كانوا بها ، فلم تغن عنهم قوّة عشيرة ، ولا قُبل منهم بذلُ فدية . فأرحِلوا نفوسكم بزاد مبلغ قبل أن تؤخذوا على فجأة ، فقد غفلتم عن الاستعداد ، وجف القلم بما هو كائن .

ومن خطبة له عليه السلام : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا ، وتزودوا للرحيل قبل أن تُزعجوا، فإنما هو موقف عدلٌ ، وقضاء حق. ولقد أبلغ فى الإعذار من تقدم فى الإنذار .

ومن خطبة له كرم الله تعالى وجهه : أيها الناس، لا تكونوا ممن خدعته الدنيا العاجلة ، وغرته الأمنية ، واستهوته البدعة ، فركن إلى دار سريعة الزوال ، وشيكة الانتقال ، إنه لم يبق من دنياكم هذه فى جنب مامضى إلا كإناخة راكب ، أو صَرّة حالب ، فعلام تعرّجون ، وماذا تنتظرون ، فكأنكم والله بما أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن ، وبما تصيرون إليه من الآخرة لم يزل، فخذوا الأهبة لأزوفِ النقلة . وأعدّوا الزاد لقرب الرحلة . واعلموا أن كل امرئ على ما قدّم قادم ، وعلى ما خلّف نادم .

ومن خطبة له عليه السلام : أيها الناس حَلّوا أنفسكم بالطاعة ، والبَسوا قناع المخافة ، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم ، وسعيكم لمستقرّكم . واعلموا أنكم عن قليل راحلون ، وإلى الله صائرون، ولا يغنى عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتموه ، أو حسن ثواب حزتموه ، إنكم إنما تُقْدمون على ما قدّمتم ، وتُجازَوْن على ما أسلفتم ، فلا تخدعنّكم زخارف دنيا دنية ، عن مراتب جِنان علية ، فكأنْ قد انكشف القناع ، وارتفع الارتياب ، ولاقى كل امرئ مستقرّه ، وعرف مثواه ومنقلبَه .

قال بعض الحكماء : إذا أردت أن تعرف من أين حصّل الرجل المال ، فانظر فى أى شى ينفقه . انتهى .

كان بعض العلماء يبخل ببذل العلم ، فقيل له تموت وتُدخلُ علمَك معك فى القبر ، فقال ذاك أحب إلى من أجعله فى إناء سوء . انتهى .

من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة .

ومن كلامه رضى الله تعالى عنه : الدنيا دارُ بلاء ، ومنزلٌ قُلَعَةٌ وعناء . قد نزعت عنها نفوس السعداء ، وانتُزعت بالكره من أيدى الأشقياء ، فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها . هى الغاشّة لمن انتصحها ، والمغوية لمن أطاعها ، والهالك من هوى فيها [والفائزُ من أعرض عنها] طوبى لعبد اتقى فيها

ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته ، من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة ، فيصبح فى دمن غبراء مدلهمة ظلماء ، لا يستطيع أن يزيد فى حسنة ، ولا أن ينقص من سيئة ، ثم ينشر فيحشر ، إما إلى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لا ينفد عذابها .

كان الشيخ على بن سهل الصوفى الأصبهانى ينفق على الفقراء والصوفية ويحسن إليهم ، فدخل عليه يوما جماعة منهم ولم يكن عنده شىء ، فذهب إلى بعض أصدقائه والتمس منه شيئا للفقراء ، فأعطاه شيئا من الدراهم واعتذر له من قلتها ، وقال : إنى مشغول ببناء دار وأحتاج إلى خَرْج كثير ، فاعذرنى ، فقال له الشيخ على المذكور : وكم يصير خرجُ هذه الدار ؟ فقال لعله يبلُغ خمسمائة درهم ، فقال الشيخ : ادفعها لى لأنفقَها على الفقراء ، وأنا أسلمك دارا فى الجنة ، وأعطيك خطى وعهدى ، فقال الرجل : يا أبا الحسن ، إنى لم أسمعْ قط منك خلافا ولا كذبا ، فإن ضمنتَ ذلك فأنا أفعل ، فقال ضمنت ، وكتب على نفسه كتابا بضمان دار له فى الجنة ، فدفع الرجل الخمسمائة درهم إليه وأخذ الكتاب بخط الشيخ ، وأوصى أنه إذا مات أن يُجعل فى كفنه ، فمات فى تلك السنة ، وفعل ما أوصى به ، فدخل الشيخ يوما إلى مسجده لصلاة الغداة ، فوجد ذلك الكتابَ بعينه فى المحراب ، وعلى ظهره مكتوب بالخضرة قد أخرجناك من ضمانك ، وسلمنا الدار فى الجنة إلى صاحبها ، فكان ذلك الكتاب عند الشيخ برهة من الزمان يستشفى به المرضى من أهل أصبهان وغيرهم ، وكان بين كتب الشيخ ، فسرق صندوق كتبه وسرق ذلك الكتاب معها . والله أعلم . انتهى .

***

رأيت فى بعض التواريخ الموثوق بها أن الشيخ على بن سهل كان معاصرا للجنيد ، وكان تلميذ الشيخ محمد بن يوسف البناء ، كتب الجنيد إليه : سل شيخك : ما الغالب

على أمره ، فسأل ذلك من شيخه محمد بن يوسف المذكور ، فقال اكتب إليه: والله غالبٌ على أمره . انتهى .

قال جامع هذا الكتاب محمد الشهير ببهاء الدين العاملي عفا الله عنه رأيت فى المنام أيام إقامتى بأصفهان كأنى أزور إمامى وسيدى ومولاى الرضا ، وكأن قبته وضريحه كقبة الشيخ على بن سهل وضريحه ، فلما أصبحت نسيت المنام . واتفق أن بعض الأصحاب كان نازلا فى بقعة الشيخ ، فجئت لرؤيته ، ثم بعد ذلك دخلت إلى زيارة الشيخ ، فلما رأيت قُبته وضريحه خطر المنامُ بخاطرى ، وزاد فى الشيخ اعتقادى . انتهى .

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، نقله الشيخ المفيد فى الإرشاد : كل قول ليس لله فيه ذكر فهو لغو ، وكل صمت ليس فيه فكر فسهو ، وكل نظر ليس فيه اعتبار فلهو .

ومن كلامه : عليه السلام : أفضل العبادة الصبر ، والصمت، وانتظار الفرج .

ومن كلامه : الصبر على ثلاثة وجوه : فصبر على المصية ، وصبر عن المعصية ، وصبر على الطاعة .

ومن كلامه : ثلاثة من كنوز الجنة : كِتمان الصدقةِ ، وكتمان المصيبة ، وكِتمان المرض .

ومن كلامه : إرجافُ العامة بالشىء دليل على مقدّمات كونه .

ومن كلامه : ضاحك معترف بذنبه خيرٌ من باك يُدِل على ربه .

ومن كلامه : الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقرّ ، فخذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرِجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، فللآخرة خلقتم ، وفى الدنيا حبستم . إن

المرء إذا هلك قالت الملائـكة: ماقدم ؟ وقالت الناس: ماخلف ؟. فلله آباؤكم قدّموا بعضا يكن لـكم ، ولا تتركوا كُلًّا يكن عليكم ، فإنما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه .

ما كان يدعو به بعض الحكماء : اللهم أهّلنا بالإنابة إليك ، والثناء عليك ، والثقة بما لديك ، ونيل الزلفى عندك ، وهون علينا الرحيل عن هذه الدار الضيقة ، والفضاء الحرج والمقام والرخص ، والعرصةالمحشوة بالغصة، والساحةالخاليةعن الراحة بالسلامة ، والربح والغنيمة إلى جوارك ، حيث قلت « فى مَقعَد صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدر » ويجد ساكنه من الرَّوح والراحة ما يقول معه « الحمد لله الذى أذهبَ عنا الحَزَن » واحسم مطامعنا عن خلقك ، وانزع من قلوبنا الميل إلى غيرك ، واصرف أعيننا عن زهرة عالمك الأدنى برحمتك وفضلك وجودك يا كريم . انتهى .

كان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه : ياعباد الله بحق أقول لـكم : إنـكم لا تدركون من الآخرة إلا بترك ما تشتهون من الدنيا،دخلتم إلى الدنيا عُراة ، وستخرجون منها عراة ، فاصنعوا بين ذلك ما شئتم . انتهى

من كلام بعض الوزراء : عجبت ممن يشترى العبيد بماله ، ولا يشترى الأحرار بفعاله .

من كانت همته ما يدخل فى بطنه ، كانت قيمته ما يخرج منه .

* * *

من كلام معروف الـكرخى : كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله . انتهى .

لجامعه بهاء الدين محمد العاملى عفا الله عنه :

يا كراماً صبرُنا عنهم مُحالْ ... إنَّ حالى من جفاكم شرُّ حالْ(١)
إن أتى من حيِّكم ريحُ الشَّمال ... صرتُ لا أدرِى يمينى من شِمالْ

حبَّذا ريح سرى من ذى سلمْ ... عن رُبا نجد وسَلع والعَلمْ
أذهبَ الأحزانَ عنَّا والألم ... والأمانى أُدركت والهمّ زالْ

ياأخلائى بحُزوَى والعقيقْ ... ما يُطيقُ الهجرَ قلبى مايُطيقْ
هل لمشتاقٍ إليكم من طريقْ ... أم سَددتم عنه أبوابَ الوصال

لاتلومونى على فَرْط الضَّجرْ ... ليس قلبى من حديدأو حَجرْ
فاتَ مطلوبى ومحبُوبى هجَرْ ... والحشا فى كل آنٍ فى اشتعالْ

من رأى وجدِى لسكان الحجونْ ... قال ما هذا هوى هذا جُنونْ
أيهـا اللُّوّام ماذا تبتغونْ ... قلبىَ المضنى وعقلى ذو اعتقال

يانزولا بين جمع والصّفـا ... يا كرامَ الحى يا أهل الوفا
كان لى قلب حمولٌ للجفا ... ضاع منى بين هاتيك التِّلال

يا رعاك الله يا ريحَ الصّبـا ... إن تجُز يوما على وادى قُبا
سل أهيْلَ الحى فى تلك الرُّبا ... هجرُهم هذا دلالٌ أم مَـلالْ

جيرةٌ فى هَجرنا قد أسرفوا ... حالُنا من بعدهم لا يوصف
إن جفَوا أو واصلوا أوأتلفوا ... حُبُّهم فى القلب باق لا يزالْ

هم كرام ما عليهم من مزيد ... من يَمُتْ فى حبهم يمضى شهيدْ
مثلَ مقتول لدى المولى الحميد ... أحمدىّ الخلق محمودُ الفِعالْ

(١) هذه القصيدة فى صاحب الزمان وهو المهدى المنتظر .

صاحبُ العصر الإمامُ المنتظرْ ... من بما يأباه لا يَجرى القدرْ
حجة الله على كلّ البشرْ ... خيرُ أهل الأرض فى كل الخصالْ

مَنْ إليه الكونُ قد ألقى القياد ... مُجريا أحكامَه فيما أراد
إن تزل عن طوعه السبعُ الشدادْ ... خرّ منها كلُّ سامى السَّمك عالْ

شمسُ أوجِ المجد مصباحُ الظلامْ ... صفوةُ الرحمن من بين الأنام
الإمامُ ابنُ الإمام ابن الإمام ... قُطبُ أفلاكِ المعالى والكمالْ

فاق أهلَ الأرض فى عزٍّ وجاه ... وارتقى فى المجد أعلى مرتقاه
لو ملوكُ الأرض حلّوا فى ذُراه ... كان أعلى صفِّهم صفَّ النعالْ

ذو اقتدارٍ إن يشأ قلبَ الطباعْ ... صيّر الإظلام طبعاً للشعاع
وارتدى الإمكانُ بُرْدَ الامتناع ... قدرةٌ موهوبةٌ من ذى الجلالْ

يا أمينَ الله يا شمسَ الهُدى ... يا إمام الخلق يا بحرَ النّدى
عجّلنْ عجّلْ فقد طال المدى ... واضمحلّ الدينُ واستولى الضّلال

هاكَ يا مولى الورى نعم المُجير ... من مُواليك البهائىِّ الفقير
مدحةً يعنو لمعناها جَرير ... نظمُها يُزوى على عِقد اللآلْ

يا ولىَّ الأمر يا كهفَ الرّجا ... مسّنى ضرٌّ وأنت المُرتجى
والكريمُ المستجارُ الملتجا ... غيرُ محتاج إلى بَسط السؤالْ

* * *

كتب بعض الحكماء إلى صديق له : أما بعد ، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك ، واستحى من الله بقدر قربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك ، والسلام . انتهى .

من كلام عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم: إن مُرتكب الصغيرة ومرتكبَ الكبيرة سيان ، فقيل : و كيف ذلك ؟ فقال : الجرأة واحدة ، وما عفّ عن الذُّرّة من يسرق الذّرة . انتهى .

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه [لبعض الناس] . أتحب أن تغلب شرّ الناس؟ قال له نعم ، فقال : إنك لن تغلبه حتى تكون شرا منه . انتهى .

قيل لفيثاغورس : من الذى يسلم من معاداة الناس؟ قال: من لم يظهر منه خير ولا شرّ . قيل و كيف ذلك ؟ قال لأنه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار . انتهى .

كان أنوشروان يُمسك عن الطعام وهو يشتهيه ويقول : نترك ما نحب لئلا نقع فيما نكره . انتهى .

من أمثال العرب وحكاياتهم عن ألسنة الحيوانات : لقى كلب كلبا فى فمه رغيف محرق ، فقال : بئس هذا الرغيف ما أردأه ، فقال له الكلب الذى فى فمه الرغيف : نعم . لعن الله هذا الرغيف ولعن الله من يتركه قبل أن يجد ما هو خير منه . انتهى .

قيل لبعض أكابر الصوفية : كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت أسفا على أمسى، كارها ليومى ، متهما لغدى . انتهى .

قال حكيم : ما رأيت واحدا إلّا ظننته خيرا منى ؛ لأنى من نفسى على يقين، ومنه على شك . انتهى .

سئل الشبلى : لم سمى الصوفى ابن الوقت ؟ فقال لأنه لا يأسف على الفائت ، ولا ينتظر الوارد .

فائدة : التجريد سُرعة العود إلى الوطن الأصلى ، والاتصال بالعالم العقلى ،

وهو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام « حبُّ الوطن من الإيمان » وإليه يشير قوله تعالى : « يَا أَيَّتُهَا النَّفسُ المطمئنَّةُ ارجعي إلى رَبِّكِ راضيةً مرضِيَّةً » وإياك أن تفهم من الوطن دمشقَ وبغداد وما ضاهاهما فإنهما من الدنيا : وقد قال سيد الكل فى الكل صلى الله عليه وسلم : « حب الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة » فاخرج من هذه القرية الظالم أهلُها وأشعر قلبك قوله تعالى « ومن يخرجْ من بيته مُهاجرا إلى الله ورسوله ثم يُدركهُ الموتُ فقد وقع أجرُه على الله، وكان الله غفورا رحيما ». انتهى.

روي أن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام رأى عصفورا يقول لعصفورة: لم تمنعين نفسَكِ منى ؟ ولو شئتِ أخذت قبة سليمان بمنقارى فألقيتها فى البحر، فتبسم سليمان عليه السلام من كلامه، ثم دعا بهما وقال للعصفور : أتطيق أن تفعل ذلك ؟ فقال يارسول الله المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته ، والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة : لم تمنعينه من نفسك وهو يحبك ؟ فقالت يارسول الله: إنه ليس مُحبًّا ولكنه مدّع ؛ لأنه يحب معى غيرى ، فأثر كلامُ العصفورة فى قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاء شديدا ، واحتجب عن الناس أربعين يوما يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبته ، وأن لا يخالطها بمحبة غيره . انتهى .

من خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم : « أيها الناسُ أكثروا ذكر هاذم اللذات ، فإنكم إن ذكرتموه فى ضيق وسّعه عليكم ، وإن ذكرتموه فى غنى بغّضه إليكم ، إن المنايا قاطعاتُ الآمال ، والليالى مُدنيات الآجال ، وإن العبد بين يومين : يوم قد مضى أحصى فيه عملهُ فختم عليه ، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه ، وإن العبد عند خروج نفسه ، وحلول رمسه ، يرى جزاء ما أسلف ، وقلة غناء ما خلف. أيها الناس إن فى القناعة لغنى ، وإن فى الاقتصاد لبُلغة وإنّ فى الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء وكل آت قريب » . انتهى .

* * *

احتضر بعض المسرفين ، وكان كلما قيل له قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يارُبَّ قائلة يوما وقد تَعِبَتْ ... أين الطريقُ إلى حمَّام منجاب

وسبب ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت يوما إلى حمام معروف بحمام منجاب ، فلم تعرف طريقه وتعبت من المشى ، فرأت رجلا على باب داره فسألته عن الحمام فقال هو هذا وأشار إلى باب داره ، فلما دخلت أغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال السرور والرغبة ، وقالت له اشتر لنا شيئاً من الطيب ، وشيئاً من الطعام ، وعجل العوْد إلينا ، فلما خرج واثقا بها وبرغبتها ، خرجت وتخلصت منه . فانظر كيف منعته هذه الخطيئةُ عن الإقرار بالشهادة عند الموت ، مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة بيته وعزمه على الزنا فقط من غير وقوعه منه . انتهى .

قال معاوية رضى الله عنه لابن عباس رضى الله عنهما ـ بعد أن كُفَّ بصره ـ : مالكم يابنى هاشم تصابون فى أبصاركم ؟ فقال كما أنكم يابنى أميّة تصابون فى بصائركم . انتهى .

قدّم قومٌ غريمهم إلى الوالى وادعوا عليه بألف درهم ، فقال الوالى : ما تقول ؟ فقال : صدقوا فيما يقولون ، ولكنى أسألهم أن يمهلونى لأبيع عقارى وإبلى وغنمى ثم أوفيهم، فقالوا: أيها الوالى قد كذب ، والله ماله شئ من المال لا قليل ولا كثير ، فقال: قد سمعت شهادتهم بإفلاسى فكيف يطالبوننى؟ فأمر الوالى بإطلاقه. انتهى .

كان فى بغداد رجل قد ركبته ديون كثيرة وهو مفلس ، فأمر القاضى بأن لا يقرضه أحد شيئا، ومن أقرضه فليصبر عليه ولا يطالبه بدينه ، وأمر بأن يُركب على بغل ويُطاف به فى الجامع ليعرفه الناس ويحترزوا من معاملته ، فطافوا به فى البلد ، ثم جاءوا به إلى باب داره ، فلما نزل عن البغل قال له صاحب البغل

أعطنى أجرة بغلى ، فقال : وأى شىء كنّا فيه من الصباح إلى هـــذا الوقت يا أحمق . انتهى .

أبو الأسود الدؤلى :

ذهب الرجالُ المقتدى بفعالهم ... والمنكِرون لـكل أمر منكَرِ
وبقيتُ فى خَلَف يُزيّن بعضُهم ... بعضا ليدفع مُعوِرٌ عن مُعورِ
فطنٌ لـكل مصيبةٍ فى ماله ... وإذا أصيبَ بِدِينـــه لم يشعُرِ

القاضى المهذب :

وترى المجَرَّةَ والنجومَ كأنما ... تَسقى الرياضَ بجدول ملآنِ
لو لم تـكن نهراً لما غاصت به ... أبدا نجومُ الحوتِ والسرطانِ

لله در القائل فى الشيب :

قُواكَ وهَتْ عندوقت المشيب ... وما كان من دأْبها أن تَهِى
وباينتَ نفسَك لـــا كبرتِ ... فلاهى أنتَ ولا أنت هِى
ولا زلت مستغرقاً فى الذنوب ... وما قُلتَ قد حان أن أنتهِى
متى يشتهى الجائعون الطعام ... فما تَشتَهى غير أن تَشتهِى

لبعضهم :

إذا ماالمنايا أخطأتك وصادفت ... حميمكَ فاعلم أنها ستَعُودُ

كتب رجل إلى رجل تخلى للعبادة وانقطع عن الناس : بلغنى أنك اعتزلت الخلق، وتفرّغت للعبادة ، فما سبب معاشك ؟ فـكتب إليـه : يا أحمق بلغك أنى منقطع إلى الله تعالى سبحانه ، وتسألنى عن معاشى . انتهى .

قال بعض العارفين : الوعدُ حقّ الخلق على الله تعالى فهو أحق من وفى ،

والوعيد حقه سبحانه على الخلق فهو أحق من عفا . وقد كانت العرب تفتخر بإيفاء الوعد وخلف الوعيد . قال الشاعر :

وإنى إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلفُ إيعادى ومُنجزُ موعدِى

أبو الحسن التهامى :

عَبَسْنَ من شَعر فى الرأس مُبتسمٍ ... ما نفّر البيضَ مثلُ البيضِ فى اللِّمم
ظنّتْ شبيبتَه تبــقَى وما علمت ... أن الشبيبةَ مِرقاةٌ إلى الهرَم
ماشابَ عَزمى ولا حَزمى ولا خُلُقى ... ولا وفائى ولا دِينى ولا كرَمى
وإنما اعتاضَ رأسى غيرَ صِبغته ... والشيبُ فى الرأس غيرُ الشيبِ فى الهِمَمِ
وصلُ الخيال ووصلُ الخوْدِ إن بخلتْ ... سيّان ما أشبه الوجدانَ بالعـدم
والطيفُ أفضـلُ وصلا إنّ لذته ... تخلو عن الإثم والتَّنغيصِ والنّدمِ
لاتحمَـد الدّهرَ فى ضراء يصرفُها ... فلوْ أردت دوامَ البُؤس لم يدُمِ
فالدّهرُ كالطيفِ بؤساهُ وأنعُمـه ... عن غـير قصد فلا تحمَدْ ولا تلُمِ
لا تحسَـبَنْ حسَبَ الآباء مكرُمةً ... لمن يقصِّر عن غاياتِ مجـدِهِم
حُسنُ الرجالِ بحُسناهم وفخرُهُمُ ... بطَوْلِهِمْ فى المعالى لا بطُولِهِمِ
ما اغتابنى حاسـدٌ إلا شرُفتُ به ... فحاسدى مُنعِمٌ فى زىّ مُنتقمِ
فاللهُ يكلأُ حُسّادى فأنعُمُهمْ ... عندى وإن وقعتْ من غير قصدهمِ

قال بعض الحكماء : الدنيا إنما تراد لثلاثة : العز، والغنى ، والراحة ، فمن زهد فيها عزّ ، ومن قنع استغنى ، ومن ترك السعى استراح . انتهى .

حكى عن بعض أصحاب الحقيقة أن البسطامىّ مرّ بكلب قد ترطّب بالمطر ، فنحّى ثوبه عنه ترفعا ، فأنطق الله الكلب بلسان فصيح وقال : إنّ نجاسة ثوبك منى يُطهِّرها الماء ، ولكن تنحية ثوبك عنى لا يطهرها الماء . انتهى .

[كلمات أ ب ج د]

كلمات أبجد ثمانية : أربعة رُباعية الحروف ، وأربعة ثلاثيّة ، ولكل كلمة رقم هندى على الترتيب ، ولكل حرف من كل كلمة رمز سندى ، فللحرف الأول سا، وللثانى ل ، وللثالث ما ، وللرابع ا ، لكنا نكتفى عن رقم الكلمة الأولى بصفر إن قصد حرف تاليها ، وبرمز حروفها إن قصد حرفها، ونجعل رقم متلوّ كل كلمة دالا عليها متصلا رمز حرفها المطلوب بالرقم المذكور ، فعلامة الألف سا، وعلامة الدال ا ، وعلامة الواو ٢ ، وعلامة الكاف سا ، يوصل رمز كل منها برقم متلو كلمته ، وعلامة الفاء ما كما عرفت ، فتكتب أحمد هكذا : سا ٤ ٣ ا ، وتكتب على هكذا : عل سل ٢ ، وتكتب جعفر هكذا : ما عل ما ٢ ، وتكتب غانم هكذا : لا سا ٣ ٢ ، لأن متلو كلمة الغين المعجمة سابعة الكلمات ، ومن هذا يظهر أنه لا حاجة إلى رقم الكلمة الثامنة ، كما لا حاجة إلى رقم الكلمة الأولى إن قصد حرفها؛ إذ الثامنة غير متلوة ، والأولى غير تالية. وإذا تمت الكلمة فيمد حرفها الآخر السندى ليحصل الاطلاع على آخر الكلمة ، ولا يخلط بما بعدها ، اللهم إلا أن يكون فى آخر السطر فتكتب زيد بن خالد هكذا : ٢ ٢ ا ٣ ا ل ٣
٤ ساسل ا .

وقف أعرابى على قبر هشام بن عبد الملك ، وإذا بعض خدامه يبكى على قبره ويقول : ماذا لقينا بعدك ؟ فقال الأعرابى : أما إنه لو نطق لأخبرك أنه لقى أشد مما لقيتم . انتهى .

[لبعضهم :

أهوى عليّا أميرَ المؤمنين ولا أرضى بسب أبى بكر ولا عمرا

ولا أقول إذا لم يعطيا فَدَكاً ... بنتَ النبيِّ رسولِ الله قد كفرَا
الله يعــلم ماذا يأتيانِ بهِ ... يومَ القيامة من عُذرٍ إذا اعتذرَا

ولبهاء الدين محمد العاملى فى جوابه(١) :

يا أيها المدعى حب الوصى ولم ... يَسمح بسبٍّ أبى بكر ولا عمرَا
كذبت والله فى دعوى محبتـــه ... تبّت يداكَ ستصلى فى غدٍ سقرا
وكيف تهوى أمير المؤمنين وقد ... أصبحتَ فى سب من عاداه مفتكرا
فإن تـكن صادقا فيما نطقت به ... فابرأ إلى الله ممن خان أو غدرا
وأنـكر النص فى خُم وبيعته ... وقال إن رسول الله قد هجرا
أتيت تبغى قيام العـــذر فى فدك ... أتحسب الأمر بالتمويهِ مُستترا
إن كان فى غصبِ حقِّ الطُّهرِ فاطمةٍ ... سيقبل العذرُ ممن جاء معتذرا
فـكل ذنب له عذرٌ غـــداةَ غدٍ ... وكل ظالم يُرى فى الحشر مغتفرَا
فلا تقولوا لمن أيامهُ صُرِفتْ ... فى سبِّ شيختِـكُم قد ضلَّ أو كفرَا
بل سامحوه وقولوا لا نؤاخِـــذُهُ ... عسى يكون له عذر إذا اعتذرا
فـكيف والعذر مثلُ الشمس متضحٌ ... والأمرُ منـكشفٌ كالصبح إذ ظهرا

(١) هذه الزيادة غير موجودة فى النسخ المطبوعة. وأرجح أنها تركت لما اشتملت عليه من طعن فى مقام خليفتى رسول الله أبى بكر وعمر ، وقد حملنى على ذكرها أمانة العلم ، وفى ذكرها تحميل مسئوليتها للمؤلف ، وتبيين معتقده الفاسد ، وتطرفه فى هذا التشيع المنحرف الذى مازال له أنصار يجاهرون به ويدعون له .

ولا يستغرب من قوم يدعون الوهية سيدنا على ، أو يرون أنه أحق بالرسالة من سيدنا محمد — أن يروا خطأ أبى بـكر وعمر فيما رأياه فى قسمة تركة رسول الله ، فإن ذلك أخف مايحملونه من كره لهذين الصاحبين الجليلين اللذين تحمل لهما الأمة الإسلامية أجل احترام وتقدير .

ولا يضيرنا أن يصرح العاملى بهذا الرأى المتطرف فإن لـكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت. ومقام أبى بكر وعمر فوق أن يتأثر بمثل هذه الآراء المتطرفة التى أصبحت لاينظر إليها إلا من هذه الناحية الخاطئة البغيضة .

لكنّ إبليسَ أغواكم وصيّركم عُمياً وصُمّاً فلا سمعا ولا بصرا]

أبو فراس الحمداني يصف نفسه :

وَقورٌ وأحداثُ الزمان تنوشني وللموتِ حَوْلِي جيئةٌ وذهابُ
صَبورٌ وإن لم تَبْقَ مني بقيـــةٌ قؤول ولو أن السيوفَ جوابُ
وألحظ أحوالَ الزمان بمُقْـــلة بها الصدقُ صِدقٌ والكِذاب كِذابُ
تغابيت عن قومي فظنّوا غَبـــاوةً بمفرق أغبـــانا حصًى وتُراب

ومنها :

إذا الخِلُّ لم يهجُرْك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عِتابُ

***

بنى بعض ملوك بني إسرائيل دارا تكلف في سعتها وزينتها ، ثم أمر من يسأل عن عيبها فلم يعبها أحد إلا ثلاثة من العبّاد قالوا إن فيها عيبين الأولُ أنها تخرب ، والثاني أنه يموت صاحبها ، فقال : وهل يسلم من هذين العيبين دار ؟ فقالوا نعمْ : دار الآخرة ، فترك ملكه ، وتعبد معهم مدة ، ثم ودعهم ، فقالوا له : هل رأيت منا ما تكره ؟ فقال لا ، ولكنكم عرفتموني ، فأنتم تكرمونني ، فأصحبُ من لا يعرفني . انتهى .

سئل بعض الزهاد عن مخالطة الملوك والوزراء ، فقال : من لا يخالطهم ولا يزيد على المكتوبة أفضلُ عندنا ممن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ويحج ويجاهد في سبيل الله ، ويخالطهم . انتهى .

لجامعه من السوانح : غفلة القلب عن الحق من أعظم العيوب وأكبر الذنوب ، ولو كانت آنا من الآنات ، أو لمحةً من اللمحات ، حتى إنّ أهل القلوب عدّوا الغافل

فى آن الغفلة من جملة الكفار ، وكما يعاقب العوامّ على سيئاتهم ، كذلك يعاقب الخواص على غفلاتهم . فاجتنب الاختلاط بأصحاب الغفلة على كل حال، إن أردت أن تكون من زمرة أهل الكمال . انتهى .

سانحة : يامسكين عزمك ضعيف ، ونيتك متزلزلة ، وقصدك مشوب ، ولهذا لا ينفتح لك الباب ، ولا يرتفع عنك الحجاب ، ولو صممت عزيمتك ، وأثبتّ نيتك ، وأخلصت قصدك لا نفتح لك الباب من غير مفتاح ، كما انفتح ليوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما صمم العزم وأخلص النية فى الخلاص من الوقوع فى الفاحشة ، وجدّ فى الهرب من زليخا . انتهى .

سانحة : أيها الغافل شاب رأسك ، وبردت أنفاسك ، وأنت فى القيل والقال ، والنزاع والجدال ، فاحبِسْ لسانك عن بسط الكلام ، فيما لا ينفعك يوم القيامة . انتهى .

من مجموع قديم فى مدح صاحب الديوان :

لله درّكمُ يا آلَ ياسينـــا ... يا أنجمَ الحق أعلامَ الهدى فينا
لا يقبل الله إلّا معْ محبتكم ... أعمالَ عبدٍ ولا يرضى له دينا
بكم أخففُ أعباءَ الذنوب بكمْ ... بكُم أثقّل فى الحشر الموازينا
الشمسُ رُدّت عليكم بعدما غربَتْ ... من ذا يُطيق لعين الشمس تطيينا
مهما تمسّك بالأخبار طائفةٌ ... فقولُه والِ من والاهُ يكفينا

لوالد جامع الكتاب فى معارضة البردة :

أسحرُ بابل فى جفنيك أم سقم ... أم السيوفُ لقتل العرب والعجم
والخالُ مركزُ دورِ للعِذار بدا ... أم ذاكَ نضحُ عِثار الخطّ بالقلم
أم حبّةٌ وضعتْ كيما تصيدُ بها ... طيرَ الفؤاد وقد صادتهُ فاحتكم

أنا الملومُ وقلبى مولَعٌ برَشا ساقٍ غدا قلبُه قاسٍ على الأمم
ذى أعينٌ إن رَنَتْ يوما إلى أحد ألبسنه كلّ مافيهنّ من سقم
قلبى غَضى وضلوعى مُنحنًى وله عقيقُ جفنى بسفحٍ نابَ عن دِيَم
وماسقانى رحيقاً بل حريقَ أسًى وكان من أملى منه شِفا ألمِى
أبكى فيبسِمُ منى كالغمام مَتَى يبكى على زهَرٍ فى الروض مُبتَسِم
والشمسُ ما طلعت إلا لتنظرَه وإن تَغبْ فحياء خجلة الفهم
بكيت والشملُ مجموع لخوف نوى فكيف حالى وشملى غيرُ ملتئم
وكلما مُتُّ هجرا عشتُ من أملى فكم أموتُ وكم أحيا من العدم
دمعٌ طليق وقلبٌ فى قيود هوى والرشدُ ضلّ بذاتِ الضالِ والسلمِ
وقد أقام قَوامُ القدّ لى حُجبا وبالعِذار بدا عُذرى فلا تلمِ
وجْدى عليكَ ونفسى فى يديكَ وذَا قلبى لديكَ فنَلْ ما شئت واحتكمِ
أصغى إلى العذل أجنى وردَ ذكرِك مما بين شوك ملامِ اللائمِ النّهمِ
إلى متى كلَّ آن أنت فى وله يسمو وقلبٌ بنيران العذاب رُمى
فدعْ سعادَ وسَلْمى واسعْ تحظ ففى السهام سهمٌ مُصيب فاستمِع كَلِمِى
إن الحياة منامٌ والمآلُ بنا إلى انتباهٍ وآتٍ مِثلُ منعدم
ونحنُ فى سفَرٍ نمضِى إلى حُفَرٍ فكلّ آن لنا قربٌ من العدَم
والموتُ يشملنا والحشر يجمعُنا وبالتّقى الفخرُ لا بالمال والحشَمِ
صُنْ بالتعفّفِ عزّ النفسِ مجتهداً فالنفس أعلى من الدنيا لذِى الهِممِ
واغضُض عيونك عن عيبِ الأنام وكن بعيب نفسِك مشغولا عن الأممِ
فإنّ عيبَك تبدو فيه وصمتُه وأنتَ من عيبهم خالٍ عن الوصمِ
جازِى المسىء بإحسان لتملكه وكن كعودٍ يفوح الطيبُ فى الضرمِ

ومن تطلّب خِلّا غير ذى عوج ... يكنْ كطالب ماء من لظى الفحم

وقد سمعنا حكاياتِ الصّديق ولمْ ... نخله خيالا الا كان فى الحلم

إنّ الإقامةَ فى أرضٍ تضامُ بها ... والأرضُ واسعةٌ ذلٌّ فلا تقم

ولا كمالَ بدار لا بقاء لها ... فيالها قسمةً من أعدلِ القِسَم

دارٌ حلاوتُها للجاهلين بها ... ومرُّها لذوى الألباب والهمم

أبغى الخلاصَ وما أخلصتُ فى عملٍ ... أرجو النّجاة وما ناجيت فى الظلم

لكنّ لى شافعاً ذو العرش شفّعه ... أرجو الخلاصَ به من زلّة القدم

محمدُ المصطفى الهادى المشفّعُ فى ... يوم الجزاء وخيرُ الخلقِ كلهم

لولا هُداه لكان الناسُ كلُّهم ... كأحرُفٍ مالها معنًى من الكلِم

لو لم يُرِدْ ذو المعالى جعلَه علما ... لم يُوجِدِ العالَمَ الموجودَ من عدم

لو لم تطأ رجلُه فوق التراب لما ... غدا طهورا وتسهيلا على الأمم

لو لم يكنْ سجد البدرُ المنيرُ له ... ما أثّر التُّربُ فى خديه من قِدَم

نصرتَ بالرعب حتى كاد سيفُك أن ... يَسطو بغير انسلالٍ فى رقابهم

كفاكَ فضلا كمالاتٌ خصصتَ بها ... أخاك حتى دعوه بارئ النسم

خليفةُ الله خيرُ الخلق قاطبةً ... بعد النبى وبابُ العلم والحكم

علم الكتاب وعلمُ الغيب شيمته ... وفى سلونىَ كشفُ الريب للفهِم

والبيضُ فى كفّه سود غوائلُها ... حمرٌ غلائلها تُدلى على القمم

بيضٌ متى ركعتْ فى كفه سجدتْ ... لها رءوسٌ هوت من قبلُ للصنم

ولا ألومُهم أن يحسدوك وقدْ ... علَتْ نعالُك منهم فوق هامهم

مناقبٌ أدهشتْ من ليس ذا نظرٍ ... وأسمعت فى الورى من كان ذا صمم

فضائلٌ جاوزتْ حدَّ المديح عُلا ... فكل مدحٍ شبيهُ الهجو للفهِم

سل عنه إذا فكرة وامدحه تلق فتى ملء المسامع والأفكار والكلم
واستخبرنْ خيبرًا مَن فرّ أو أحُدا وفى حنين تراه غير منهزم
من لم يكن بقسيم النار معتصما فماله من عذاب النار من عِصَم
من لم يكنْ ببنى الزهراء مقتديا فلا نصيب له فى دين جدهم
أولاد طه ونون والضحى وكذا فى هل أتى قد أتى مخصوص مدحهم
قد شرّف الإنسَ إذ هم فى عِدادِهم كالأرض إذ شرُفت والبيتِ والحرم
فإن يشاركْهمُ الأعداءُ فى نَسب فالتبرُ من حجرٍ والمسكُ بعض دمِ
هم الوُلاةُ وهم سفن النجاة وهمْ لنا الهداةُ إلى الجنات والنِّعم
نفوسُهم أشرقت بالنور وانكشفت لها حقائقُ ما يأتى من القِدم
ومن سرى نحوَهم أغناه نورُهُم عن الدليل ونجمِ الليل فى الظلم
فضائلٌ جعلت ليلَ الفخار ضُحًى وأخجلت كلّ ذى فخر وذى شِيَم
قد زينوا كلّ نظمٍ يُوصفون به كما يزينُ كلامُ الله للكلِم
عذابُ قلبىَ عذْبٌ فى محبتهم ومُرُّ ما مَرّ بى حلوٌ لأجلهم
رجوتُهم لعظيم الهول من قِدم وهل يرجّى سوى ذى الشأن والعظم
يامُظهرَ الملة العظمى وناصرَها لأنت مهديُّها الهادى إلى اللقم
ياوارثَ العلم يرويه ويُسنده إلى جُدود تعالوْا فى علوِّهم
مآثرُ الفخر فيكم غيرُ خافية والشمسُ أكبر أن تخفَى على الأمم
أوضحتمُ للورى طُرقَ الوصول كما صيّرتم العلمَ بين الناسِ كالعلَم
مولاى طال المدى والله واندرستْ معالمُ العلم والإيمانِ والكرم
فاسحب سحائب خيل فوقها أسدٌ تسطو ونيلًا عميما ساكبَ الديَم
ولا تقل قل أنصارى فناصرك آلباري ومن ينصر الرحمنُ لم يُضَم

يَفديكَ كل خبيرٍ عن عُلاكِ وهم ... كلُّ البرية من عُرْب ومن عجمِ
أقْصِرْ حسينُ فلن تُحصِى فضائلَهم ... لو أنّ فى كلِّ عضوٍ منكَ ألف فمِ
عليهمُ صلواتٌ لا انتهاء لها ... كمثل قدرِهمُ العالى وعلمهم

[أقوال متناقضة للبيضاوى]

قال الفاضل البيضاوى عند قوله تعالى فى سورة هود: « لِيبلوَكم أيُّكم أحسنُ عَملاً »: إن الفعلَ معلق عن العمل ، وقال فى سورة الملك نقيضَ ذلك. وصرح فى سورة هود بأن التوراة كانت قبل إغراقِ فرعونَ ، وقال فى سورة المؤمنين نقيض ذلك . وقال عند قوله تعالى فى سورة مريم « وكان رسولاً نبياً » : إن الرّسول لا يلزم أن يكون صاحبَ شريعةٍ ،وقال فى سورة الحج نقيض ذلك.وصرح فى سورة النمل بأن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام توجّه إلى الحج بعد إتمام بيتِ المقدسِ ، وقال فى سورة سبأ نقيض ذلك. انتهى.

من رسالتى الموسومة بالجوهر الفرد : وما سنح بخاطرى فى إبطال تركّب الجسم من الأجزاء التى لا تتجزأ سوى الوجوه الستة السابقة : أن نفرض مُثلثاً متساوى الساقين كل منهما ثمانية أجزاء ، وقاعدته سبعةٌ فما بين طرفَىْ ساقيه خمسةٌ من قاعدته لاشتراك طرفيها،والثامن الذى هو رأس المثلث مشترك أيضاً فبهما بين الساقين إذا كان واحداً ، فبين السادسين اثنان ، وبين الخامسين ثلاثة ، فبين الأولين سبعة ، وقد كان خمسة ، هذا خلف ، وإن كان أكثر فالفساد أشد ، فهو أقل من جزء فافهم.

وقد لاح لى وجهٌ ثامن وهو أن نفرض دائرة ونصل بين جزأين منها بالقطر، ثم بين ثمانية يتوسطها القطر وبين نظائرها أوتار ثمانية ، ونصل بين الطرفين

الأقصرين بخط مستقيم ، فهو تسعة أجزاء، ووتر القوس وهو تسعة أيضاً ، فقدساوت قاعدة القطعة قوسها ولنا وجه تاسع لطيف ذكرته فى لُغَزٍ موسوم برتبة الأصول ، فهذه وجوه تسعة فى إبطال الجزء، لم يسبقنى إلى شىء منها أحد . والله ولىّ التوفيق.

* * *

انتهى الجزء الأول من الكشكول حسب تجزئة المؤلف .

ويليه الجزء الثانى وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل صحيفة عالَم الإمكان

مِرآة لمشاهدة الآثار الملكوتية الخ

الكشكول

لبهاء الدين العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل صحيفة عالم الإمكان مرآة لمشاهدة الآثار الملكوتية . وصيّر نشأة نوع الإنسان مشكاة لمطالعة الأنوار اللاهوتية . والصلاة على أكمل نوع البرية وأفضل النفوس القدسية . أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانية . ومنبع رحيق الفُيوض السبحانية ، وآله الوارثين لمقاماته العلية ، المكرّمين بكراماته الخفية والجلية .

وبعد فهذا يا إخوانَ الدين وخلان اليقين ما غفلت حوادث الزمان عن المنع من تأليفه وتحريره ، وذهلت صوارف الدهر الخوّان عن الصرف عن ترصيفه وتقريره ، من شرح وافٍ بإظهار ما ألهمني الله سبحانه من حقائق كنوز الصحيفة الكاملة ، من كلام سيد العابدين ، وإمام الموحدين ، وقبلة أهل الحق واليقين ، مولانا وإمامنا زين العابدين ، أبي محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

سلامٌ من الرحمن نحوَ جنابهم فإنّ سلامي لا يليقُ ببابهم

كشفتُ به حجاب الاحتجاب عن خبايا كنوزها مع قلة البضاعة . ورفعت به أستار الاستتار عن خفايا رموزها بقدر الاستطاعة . مشيرا إلى ما يلوح من جواهر عباراتها ، ويفوح من زواهر إشاراتها ، مما هو منبع كلام أعلام الحقيقة والعرفان . ومعدن مقال أهل هذه الطريقة والإيقان . بل ما هو أقصى غايات أرباب المجاهدة . وأعلى نهايات أصحاب المشاهَدة ، مما لم يهتد إليه إلا واحد بعد واحد . ولم يطّلع عليه إلا وارد بعد وارد . وأسأل الله سبحانه أن يعينني على إتمام ما أرجوه . وأن يوفقني لإكماله على أحسن الوجوه ، وأن يجعلني ممن تزوّد في يومه لغده ، قبل أن يخرج الأمر من يده . وهو حسبي ونعم الوكيل .

اعلموا أيها الإخوان المقصورُ على إدراك الحقائق كدُّهم، المصروفُ فى اقتناص المعارف جدهم ، أنى استخرت الله سبحانه ووشحت صدر هـذا الشرح بعدة من الحدائق . ينطوى كل منها على نبذة من الحقائق ، تفيد المقتبسين لأنوار الصحيفة الـكاملة كمال البصيرة ، وتجعل أيدى الراغبين فى اجتناء ثمـارها غير قصيرة، وتزيل عن بصائرهم غشاوة الارتياب وتغنيهم عن الغوص فى هذا البحر العباب. وتشير إلى يسير من بدائع صنائع الله جل بثنائه فى أرضه وسمائه ، مما تضمن كلامُه الإشارة إليه . وتنبيه أرباب الألباب عليه . وتهدى إلى كشف الأستار عن بعض الأسرار ، طبق ماحققه المشاهدون من أهل العيان ، وشاهده المحققون من ذوى الإتقان . ويُومئ إلى التوفيق والتطبيق بين ماقادت إليه العقول الصحيحة السليمة. وتطابقت عليه النقول الصريحة القويمة ، إلى غير ذلك من فوائد لا يطلع على أسرارها إلا واحد بعد واحد . وفرائد لم يرتشف من أنهارها إلا وارد بعد وارد. انتهى .

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

أما بعد الحمد والصلاة ، فيقول الفقير إلى رحمة ربه الغنى ، محمد المشتهر ببهاء الدين العاملى ، عفا الله عنه : يامن صرف فى مطالعة النحو أياما ، وخاض فيه شهورا وأعواما ، أخبرنى عن اسم ثنائى الآحاد ، ثلاثى العشرات ، ثالثه آخرُ الحروف ، وهو بين الناس مشهور ومعروف ، فمن جملة حروفه حروف ربما تحلّى بحلية الأسماء ، فيجرى غالبا فى مضمار المضمرات ، ويسلك نادرا مسالك المظهرات ، فما دام فى ضمير الإضمار مكتوما ، يكون من ارتفاع المحل مجزوما ، وبسمة النصب والجزم موسوما ، ولا يزال دائما معمولا ، وعن رتبة العمل معزولا ، وربما انخرط فى سلك الحروف فيصير فى بعض الأحيان عاملا ، وفى بعضها عن العمل عاطلا ، ومعموله كمعمول أخواته الست[1] لا يكون إلا ظاهرا ، وربما عمل فى الضمائر نادرا . ومنها حرف هو رابع علائم الرفع فى ثلاثة ، وخامس علائم النصب[2] فى ستة ، ولا يقع فى أول شىء من الكلمات الثلاث ، ولكن يقع فى آخر ما يتصف به الإناث . إن جاوز الأفعال صار من الأسماء وارتفع محله ومقداره ، وإن خالط الأسماء عاد إلى الحروف واختلفت بالرفع والنصب آثاره ، وإن أسقطته من عدد الأسماء اللازمة الرفع[3] بقى

(*) تشتمل هذه الصفحة على لغز لم أجد فى النسخ التى اطلعت عليها من عرف به أو ذكر الاسم الذى يشير إليه .

وقد وجدت فى بعض النسخ تعليقات تفسر مايشير إليه ، وتذكر أعداد مايرمز إليه .

وقد ذكرتها على علاتها ، وتحريت فى نقلها قدر المستطاع . وأترك للقارئ بذل الجهد فى فهمها، من غير أن أتحمل مسئولية ما فيها من خطأ إن كان هناك خطأ ، مع اعتقادى أنها لاتخلو من فائدة تشير إلى حل الغامض ، وتعين على التفكير فى الوصول إلى النتيجة .

(١) المراد بها: حتى ، وواو القسم ، وباؤه ، وواو رب ، ومذ ، ومنذ .

(٢) هى الفتحة ، والكسرة ، وحذف النون ، والياء ، والألف .

(٣) هى ثمانية : الفاعل ، ونائبه والمبتدأ ، والخبر ، واسم كان وأخواتها ، وخبر إن وأخواتها ، واسم ما ، ولا المشبهتين بليس ، وخبر لا النافية للجنس .

عدد الجمل التى لها محل من الإعراب[١] وإن نقصته من عدد الأسماء اللازمة النصب[٢] ومن عدد المنبهات[٣] بقى عدد الجمل التى لها عن إعراب المحل غاية الاجتناب[٤] وإن أضفت إليه عدد الأسماء التى تنصب تارة ولا تنصب أخرى[٥] ساوى عدد ماهو عن المتبوعية ممنوع[٦] وبالتابعية أحرى. وإن زدت عليه عدد ما يعتمد اسم الفاعل عليه فى التقوّى على معموله ، ساوى عدد المواضع الموجبة لتأخير الفاعل عن مفعوله[٧] ومنها حرف ربما ينتظم فى سمط أخواته العشر ، فيتصف بالفصاحة فى بعض الأحيان وقد يندرج فى سلك أخواته الخمس[٨] بعد إحدى الست[٩] فينصب تاليَه عند أهل اللسان ، ومنها حرف إن جرى مجرى الأسماء فقد يكون محلّى بكل من الحلى الثلاث محلا ، فما دام مرفوعا فهو ملصق بعامله فى جميع الأطوار ، وما دام

(١) الجمل التى لها محل من الإعراب سبع :
الواقعة خبرا وموضعها رفع فى بابى المبتدأ وإن، ونصب فى بابى كان وكاد.
الواقعة حالا وموضعها نصب .
الواقعة مفعولا ومحلها النصب إن لم تنب عن فاعل .
المضاف إليها ومحلها الجر .
الواقعة بعد الفاء ، أو إذا جواباً لشرط جازم .
التابعة لمفرد.
التابعة لجملة لها محل .

(٢) هى أحد عشر : المفاعيل الخمسة ، والحال ، والتمييز ، واسم إن وأخواتها ، وخبر كان وأخواتها ، وخبر ما ولا العاملتين عمل ليس ، والمنصوب بنزع الخافض.

(٣) هى ألا ، وأما ، وها.

(٤) الجمل التى لامحل لها من الإعراب سبع :
الابتدائية . المعترضة بين شيئين . التفسيرية . المجاب بها القسم . الواقعة جواباً لشرط غير جازم . الواقعة صلة لاسم أو حرف . التابعة لما لامحل له .

(٥) هى : المستثنى ، وما أضمر عامله على شريطة التفسير ، وتمييز أسماء العدد .

(٦) هو الصفة ، والبدل ، وعطف البيان ، والتأكيد ، وعطف النسق .

(٧) إذا اتصل به ضمير الفاعل ، وإذا وقع الفاعل بعد إلا ، وإذا كان المفعول ضميرا والفاعل غير متصل .

(٨) هى حتى ، والواو ، والفعول ، ولام كى ، ولام الجحود .

(٩) هى : الأمر ، والنهى ، والنفى ، والاستفهام ، والتمنى ، والعرض .

منصوبا فهو مفترق عنه لئلا يسرى إليه الانكسار ، وبينهما فاصل يحفظه عن ذلك العار ، وهو فى البحر داخل فى عدد السمكات ، وفى أفعال النساء مانع لهما عن الحركات ، وإن جرى مجرى الحروف يكون فى أوائل بعض الكلمات للغياب ، وفى أواخر بعضها للانتساب ، وقد يتصل به الثانى فيعمل فى الأسماء بالنيابة عن الأفعال ، وعمل مقلوبه أيضا على هذا المنوال . لكنه قد يدخل فى سلسلة الأسماء فيختص من بين أخواته ، وقد يلج فى رتبة الحروف فيصير فى عدد أخواته الست الموجبة للإيجاب[١] . ومنها حرف [أى الخامس] معدود فى الأسماء غالبا ،وقد يعد فى الحروف نادرا[٢] ، فما دام فى الأسماء مدرجا ، وعن الحروف مخرجا، فهو عن الفتح عرى وبالخفض والضم حرى ، فيخفض مازال الأربعة من الحروف الجارة معمولا ويُضم مادام السبعة[٣] منها مدخولا ، ومتى صار بالحرفية موسوما ، ومن الاسمية محروما ، فقد يتصل ببعض الكلمات لإفادة المبالغات ،فيلبس المذكرين حلية المؤنثات وقد يبنى على السكون ، فيلزم السكون أينما يكون .

فهذه صفات حروف هذا الاسم قد فصلتها لك تفصيلا شافيا ، وقررتها لك تقريرا وافيا . وسأزيد فى التوضيح بما يقارب التصريح فأقول : إنه ظرف لحرف خص بالظرفية من بين أخواته ، وهو مع كمال ظهوره بعض المخفى فى حد ذاته ، ثم إنك إن نقصت من رابعه موجبات الانفصال[٤] بقى عدد مانعات حذف حرف الندا[٥] ، وإن أضفت إلى خمس أوله ما يوجد فى كل نعت من العشر المشهورة[٦] ،

---

(١) هى نعم ، وبلى، ولعل ، وجير ـ بكسر أوله وفتحه ـ، وأن .

(٢) هى الباء ، وفى ، وعلى ، وإلى.

(٣) هى من ، وعن، واللام ، وفى، وعدا ، وحاشا ، ورب .

(٤) هى ستة : تقديم المعمول على عامله . والفصل لغرض ، وحذف العامل، وكونه منصوبا ، وكونه حرفا، والمعمول ضمير مرفوع ، وكون المعمول مسنداً إليه صفة جرت على غير من هى له اهـ.

(٥) اسم الجنس ، والإشارة، والمستغاث ، والمندوب .

(٦) الإعراب ، والإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتعريف ، والتنكير .

حصل عدد رابط للجملة الخبرية بالابتدا . وإن نقصت من رابعه حروفَ الزيادة النحوية ، بقى عدد المواضع التى تعلق العامل فيها عن المعمول ، وإن أسقطت من طرفيه عدد أخوات كان[1] بقى عدد المواضع التى عود الضمير فيها على المتأخر لفظا ورتبة مقبول ، وإن نقصت من خمس ثالثه عدد موانع الصرف بقى عدد الأمور التى يتميز بها التمييز عن الحال[2] وإن زدت ثانيه على رابعه حصل عدد المواضع التى يجب فيها استتار الفاعل عن الأفعال . وإن نقصت رابعه من الحروف الجارة بقى عدد الأمور التى يفترق بها البدل عن عطف البيان ، وإن أسقطت عدد الأسماء العاملة المشبهة بالفعل من آخره بقى عدد الأشياء التى تمتاز بها الصفة المشبهة عن اسم الفاعل فى كل حين وزمان . ومما اختص بهذا الاسم الخماسى الحروف من الغرائب ، أنك إذا نقصت من حروفه حرفين بقى حرف واحد ، وهذا من أعجب العجائب . انتهى .

---

(١) وهى ثمانية : الضمير ، واسم الإشارة ، وإعادة المبتدأ ، وذكر مايشمله ، والألف واللام ، وكون الجملة نفس المبتدأ ، وإعادة المبتدأ بلفظ آخر ، وعطف ذات الضمير اﻫ .

(٢) هى جوده ، وعدم مجيئه جملة، وعدم جواز تقدمه على عامله اﻫ.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أقل الأنام بهاء الدين محمد العاملي عفا الله عنه : أيها الأصحاب الكرام ، والإخوان العظام ، إن لي حبيبا جالينوسيّ المشرب ، بقراطيّ المطلب ؛ مسيحيّ الأنفاس ، فلسفيّ القياس ، مشهوراً بين الأنام ، مقبولا بين الخاصّ والعامّ . صاحبٌ لا يعرف النفاق ، وخادم لا يحتاج إلى الإنفاق ، ومعلمٌ لا يطلب أجرة على التعليم ، ولا يتوقع التواضع والتعظيم . لباسُه من الجلود ، ليس متكبرا ولا حسود . باقٍ في سن الشباب على توالى الأزمان ، مقبول القول في جميع الملل والأديان . اسمه واحديّ المئات ، ثنائي الآحاد والعشرات . آخره نصف أوله ، ومنقوطه أكثر من مهمله ، أوله جبل عظيم ، وآخره في البحر مقيم . خماسي الحروف ، فإن نقصت منها حرفين بقي حرف واحد وهذا عجيب ، وعدد بعضها يساوي مجموع حاشيته وهذا أيضا غريب[1] . إن سقط أوله بقي شكل اللحيان ، وبزيادة خُمسى أوله مع ثانية يساوي عدد عظام الإنسان[2] . عدد علامات الامتلاء بحسب الأوعية[3] يعلم من ضعف رابعه لا ثانيه ، وكون الامتلاء دمويا يظهر من أكثر مبانيه . خمس أوله عدد المبردات[4] فإن نقصت منه ثانيه بقي عدد المسخنات[5] رابعه ينبيء عن الستّ

(١) لأن كل عدد يساوي نصف مجموع حاشيته ، أعني مافوقه وماتحته ، وليس في الحروف حرف بهذه الصفة إلا هذا الحرف .

(٢) عددها مائتان وثمانية وأربعون .

(٣) وهي أحد عشر : الثقل ، والكسل عن الحركات ، وحمرة اللون ، وانتفاخ العروق ، وتمدد الجلد ، وعلو النبض ، وانصباغ البول ، وثخنه ، وقلة الشهوة ، وكلال البصر ، والأحلام المشعرة بالثقل كأن يرى كأنه ثقيل .

(٤) هي الإفراط في الحركة والسكون ، والإفراط في الغذاء كثرة وقلة والغذاء والدواء الباردان ، وملاقاة المسخن بإفراط ، وشدة تخلخلات البدن ، وشدة تكاثفه ، وملاقاة ما يبرد بالفعل ، وإفراط الاحتباس ، والإفراط في الاستفراغ والسدد ، وشد العضو ، والهم المفرط ، والفزع المفرط ؛ والفرح المفرط ، واللذة المفرطة ، والصناعة المبردة ، والفجاجة .

(٥) أي الغذاء المعتدل قدرا ، والحركة المعتدلة والمائلة إلى الشدة ، والدلك والغمز المعتدلان ، ===

الضروريات[١] وخمس آخره يخبر عن أجناس أدلة النبضات . وقد تولد من هـذا الحكيم ولدان ، طبيبان لبيبان ، أحدهما أكبر والآخر أصغر . أما الأكبر فنصفه الأعلى أيبس الأعضاء اليابسات ، ونصفه الأسفل بعدد القوى والأعضاء الرئيسية وأجناس الحميات . شكله مع شكل النصرة الداخلة متساويان ، والسرطان فيه متوسط[٢] بين العقرب والميزان ، وسطاه بعدد ماللبحران الجيد من العلامات[٣] وآخراه بعدد الأمور التي يجب مراعاتها في الاستفراغات[٤] . وأما الولد الأصغر فزائد على أبيه بعدد غير المعتدل[٥] من المزاجات ، فإن زدت على آخريه أنواع الرسوب حصل عدد كل من المرطبات[٦] والمجففات ، وإن زدت على أحدهما مسطح آخره عادل بسائط مقادير النبض ومركبات الثنائيات . تم اللغز .

وتاريخ إتمامه لغز طبيبانه بي عديل . وفيه صنعة المعمى . والمراد أنه إذا سقط لفظ عديل من قولنا لغز طبيبانه بقي التاريخ أعني ١٠٠٢ انتهى .

= ووضع المحاجم بغير شرط ، والغذاء والدواء الحاران ، والحمام المعتدل ، والصناعة المسخنة ، وملاقاة المسخنات غير المفرطة ، والنوم والسير المعتدلان ، والغضب والهم غـير المفرطين ، وكذا الفرح ، والتكاثف غير المفرط في ظاهر البدن ، والتخلخل داخله ، والتعفن اهـ .

(١) الهواء ، ومايؤكل ويشرب ، والحركة والسكون البدنيان ، والحركة والسكون النفسانيان ، والنوم واليقظة والاستفراغ والاحتباس اهـ .

(٢) المراد توسط علامة السرطان بين علامتي العقرب والميزان .

(٣) وهي كونه بعد تمام النضج ، وفي يوم محمود كالسابع ، والإنذار بوم مناسبة كالرابع والسابع ، وكونه باستفراغ لا بانتقال ولا بإخراج ، وكون استفراغه من جهة مناسبة ، وبحمل الأعراض اللازمة ، وجريان النبض على ماينبغي ، وكذا القوة وأعقاب الراحة اهـ .

(٤) وهي الامتلاء ، والقوة ، والمزاج ، والسخنة ، والسن ، والوقت ، والبلد ، والصناعة ، والعادة اهـ .

(٥) وهو ثمانية : أربعة بسيطة ، وأربعة مركبة : حار ، بارد ، رطب ، يابس ، حار يابس ، حار رطب ، بارد يابس ، بارد رطب اهـ .

(٦) السكون ، والنوم ، واحتباس مايستفرغ ، واستفراغ الخلط المجفف ، وكثرة الغذاء ، والغذاء المرطب ، والدواء المرطب ، وملاقاة المرطبات ، وملاقاة مايبرد ، وملاقاة مايسخن تسخيناً لطيفاً ، والفرح المعتدل ، والمجففات ، والجماع ، والحركة ، والسهر ، وكثرة الاستفراغ ، وقلة الأغذية ، وكونها يابسة والأدوية المجففة ، والحركات النفسانية ، وملاقاة المجففات ، والمبرد المجمد اهـ .

من كلام أفلاطون الإلٰهى : لايكمل عقل الرجل حتى يرضى بأن يقال إنه مجنون . انتهى .

لبعضهم :

آهِ ياذُلّى وياخَجَلى   إن يكن مِنّى دنا أجلى
لو بذلتُ الروح مُجتهدا   ونفيت النوم عن مُقلى
كنت بالتقصير معترفا   خائفا من خيبة الأمل
فعلى الرحمن متّكَلى   لاعلى علمى ولاعملى

لبعضهم أيضا :

وبين التّراقى والتّرائب حسرةٌ   مكانَ الشجَى أعيا الطبيبَ علاجُها
إذا قلتُ هاقد يسر اللهُ سَوْغَها   أبت شِقوتى وازداد سدّ رتاجها

الرتاج ككتاب : البابُ العظيم وهو الباب المغلق ، وعليه باب صغير . انتهى .

[سلام عليكم من محبّ ودادُه   لكل ذوى الألباب والفضلِ صادقُ
ولكنّه من نحو عشرين حِجّةً   تراءى له من عالم الغيب شارِقُ
وشام وميضاً من نواحى تِهامة   وياحبذا من جانب الغَوْر بارقُ
فصار له شُغل عن الخلق شاغلًا   ورافقه الشوقُ الذى لا يُفارِقُ
يبيت له حادٍ إلى السّير سابقٌ   ويضحى له من كامِنِ الوجْد سائقُ
وهذا هو العذر الّذِى قلت عنده   مُخالطة من لم أرضَه أنت طَالِقُ
وآثرتُ عنها عُزلةً فى غُضونها   حقائق للمُغرَى بهـا ودقائق
وماذا عسى أن يَستفيقَ للائم   أخُو الوَجد أوأن يَسمع العذلَ عاشقُ]

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنما زهِد الناسُ فى طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم .

قال بعض الحكماء : ليس من احتجب بالخلق عن الله كمن احتجب بالله عنهم .

قيل لبعض الحكماء : قد شبت وأنت شاب فلم لا تخضب ؟ فقال : إن الثكلى لا تحتاج إلى الماشطة . انتهى .

سأل أميرَ المؤمنين عليه السلام بعضُ أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين ، هل نُسلّم على مُذنب هذه الأمة ، فقال : يراه الله للتوحيد أهلا ولا نراه للسلام أهلا .

وقال : لا تبدينّ عن واضحة ، وقد عمِلت الأعمال الفاضحة .

وقال عليه السلام : إنّ السببَ الذى أدركَ به العاجز مأموله ، هو الذى حال بين الحازم وطلبته .

وقال : إذا عظّمت الذنب فقد عظّمت حق الله ، وإذا صغرته فقد صغرت حق الله . وما من ذنب عظّمته إلا صغر عند الله ، وما من ذنب صغّرته إلا عظم عند الله .

وقال عليه السلام : لو وجدتُ مؤمنا على فاحشة لسترته بثوبى ، وقال بثوبه هكذا .

وقال عليه السلام : من اشترى ما لا يحتاج إليه ، باع ما يحتاج إليه .

وقال عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « ويخلُق مالا تعلمون » إن الله خلق إحدى وثلاثين قُبّة أنتم لا تعلمون بها ، فذلك قوله تعالى : « ويخلُق ما لا تعلمون » .

قال واليس الحكيم : محبةُ المال وتد الشر ، ومحبة الشر وتد العيوب .

وسئل فى أيام شيخوخته : ما حالك ؟ فقال : هو ذا أموت قليلا قليلا .

وقيل له : أى الملوك أفضل : ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال : من ملكَ غضبَه وشهوته فهو أفضلُ .

وقال : إذا أدركتِ الدنيا الهاربَ منها جرحته ، وإذا أدركت الطالبَ لها قتلته .

وقال : أعط حق نفسك فإن الحق يخصمك إن لم تعطها حقها .

وقال : سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، وغمها أن تغتم لما لم ترزق .

قال بعض الحكماء : الدليل على أن مابيدك لغيرك صيرورته من غيرك إليك .

ومن كلامه : عيشة الفقر مع الأمن خير من عيشة الغنى مع الخوف .

قال الكاظم عليه السلام لابن يقطين : اضمن لى واحدة أضمن لك ثلاثةً : اضمن لى أن لا تلقى أحدا من موالينا فى دار الخلافة إلا قمت بقضاء حاجته، أضمن لك أن لا يصيبك حد السيف أبدا ، ولا يُظلك سقف سجن أبدا، ولا يدخل الفقرُ بيتَك أبدا .

سأل رجل حكيما : كيف حالُ أخيك فلان ؟ فقال : مات ، فقال : وما سبب موته ؟ قال : حياته .

سمع أبو يزيد البسطامى شخصا يقرأ هذه الآية وهى قوله عز من قائل : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهمُ الجنة » فبكى وقال : من باع نفسه كيف يكون له نفس .

وقال بعض الحكماء : إنّ غضب الله أشدّ من النارِ ، ورضاه أكبر من الجنة.

كان بعض الأكابر يقول : ما أصنع بدنيا إن بقيتُ لم تبق لى ، وإن بقيَتْ لم أبق لها .

كان بشر الحافى يقول : لا يكره الموتَ إلا مريبٌ وأنا أكرهه .

قال المسيح : على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ليحذر من يستبطئ اللهَ فى الرزق أن يغضب عليه .

من كلام بعض الحكماء : أقربُ ما يكون العبد من الله إذا سأله ، وأقربُ ما يكون من الخلق إذا لم يسألهم .

قال بعض العبّاد : إنى لأستحيي من الله سبحانه وتعالى أن يرانى مشغولا عنه وهو مقبل علىّ .

قال بعض الحكماء : إن الرجلَ ينقطع إلى بعض ملوك الدنيا فيرى عليه أثره ، فكيف من انقطع إلى الله سبحانه وتعالى . وقال : نحن نسأل أهل زماننا إلحافا ، وهم يُعطوننا كُرها فلا هم يثابون ، ولا نحن يبارَكُ لنا .

وقال بعض الحكماء : لستَ منتفعا بما تعمل ما لم تعمل بما تعلم ، فإن زدت فى عملك فأنت مثل رجل حزم حُزمة من حطب وأراد حملها فلم يطق ، فوضعها وزاد عليها .

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « وأما السّائل فلا تنهر » ليس هو سائلَ الطعام ، وإنما هو سائل العلم .

قال بعض ولاة البصرة لبعض النسّاك : ادع لى ، فقال : إن بالباب من يدعو عليك .

قال بعض الحكماء : إذا أردت أن تعرف قدرَ الدنيا فانظر عند من هى .

وقال : حق على الرجل العاقل الفاضل أن يُجنِّب مجلسه ثلاثة أشياء : الدعابة ، وذكرَ النساء ، والكلام فى المطاعم .

قيل لإبراهيم بن أدهم : لم لا تصحب الناس ؟ فقال : إن صحبتُ من هو دونى آذانى بجهله ، وإن صحبت من هو فوقى تكبر على ، وإن صحبتُ من هو مثلى حسدنى ، فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ، ولا فى وصله انقطاع ، ولا فى الأنس به وحشة ، ياواحد ياأحد ، يافرد ياصمد ، يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ،

أسألك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ الرحمة وعترته أئمة الأئمة أن تصلى عليه وعليهم ، وأن تجعل لى من أمرى فرجا قريبا ، ومخرجا وحيّا ، وخلاصا عاجلا إنك على كل شىء قدير .

وفى الحديث : « إن فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذُن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

من كلام بعض الأكابر : ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن أَمِنَ الوعيد .

سئل بعض الرهبان : متى عيدكم؟ فقال: يوم لا نعصى الله سبحانه وتعالى فذلك عيدنا ، ليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة . وليس العيد لمن لبس الرقيق إنما العيد لمن عرف الطريق .

من كلام بعض الحكماء : لا تقعُد حتى تُقعَد ، فإذا أُقعِدت كنت أعز مقاما . ولا تنطق حتى تُستنطق ، فإذا استُنطِقت كنت الأعلى كلاما .

قال جامعه من خط جدى رحمه الله :

كم تذهب ياعمرىَ فى خُسران ... ما أغفَلنى عنك وما ألهانى
إن لم يكنِ الآن صلاحى فمتى ... هل بعدك ياعُمرىَ عمرٌ ثانى

لبعضهم :

يامن هَجروا وغيّروا أحوالى ... مالى جلدٌ على نَواكُم مالى
عُودوا بوصالكم على مُدنفكم ... فالعمْر قد انقضى وحالى حالِى

لجار الله الزمخشرى :

كثُر الشكُّ والخلافُ وكل ... يدعى الفوزَ بالصراط السويِّ
فاعتصامِى بلا إله سواهُ ... ثم حبى لأحمدٍ وعلىّ

فاز كلبٌ بحب أصحاب كهفٍ　　كيفَ أشقى بحبِّ آلِ النبيِّ

نعم ما قال :

أعينيَّ لِمْ لا تبكيان على عُمرى　　تناثَرَ عُمرى من لدىَّ ولا أدرِى
إذا كنتُ قدجاوزتَ خمسين حِجّةً　　ولم أتأهبْ للمعاد فما عُذرى

روى شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى طاب ثراه فى كتاب الأخبار بطريق حسن ، عن الباقر عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى المسجد ، فدخل رجل فصلى فلم يُتم ركوعه ولا سجوده ، فقال صلى الله عليه وسلم « نقرٌ كنقر الغُراب ، لئن مات هـذا وهـذه صلاته ، ليموتن على غير دينى » .

من كلام بعض أكابر الصوفية: إن فوتَ الوقت أشدُّ عند أصحاب الحقيقة من فوت الروح؛ لأن فوت الروح انقطاعٌ عن الخلق وفوتُ الوقت انقطاعٌ عن الحق.

قال أبو على الدقاق ، ـ وقد سئل عن الحديث المشهور ـ : «من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » : فإن تواضع بقلبه ذهب دينه كله .

لبعضهم :

لم أكن للوصال أهلًا ولـكن　　أنتَ صيّرتنى لذلك أهلا
أنت أحييتَنى وقد كنتُ ميتا　　ثم بدّلتنى بجهلى عقلًا

قال جامعه : مما نقله جدى رحمه الله ، من خطب السيد الجليـل الطاهر ، ذى المنـاقب والمفاخر ، السيد رضا الدين على بن طاوس روّح الله روحه ؛ من الجزء الثانى من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمـد بن داود القُمِّيِّ رحمه الله : إن أبا حمزة الثمالى قال للصادق رضى الله تعالى عنه : إنى رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين رضى الله عنه وأرضاه ليستشفوا به ، فهل ترى فى ذلك شيئا مما يقولون من

الشفاء ؟ فقال : يُستشفى بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال . وكذلك قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم وآله ، وكذلك قبر الحسن وعلى ومحمد ، فخذ منها فإنها شفاء من كل سقَم ، وجُنّة مما يخاف . ثم أمر بتعظيمها وأخذها باليقين بالبرء ، وبختمها إذا أخذت .

وفى الكتاب المذكور ، عن الصادق رضى الله تعالى عنه : من أصاب علة فتداوى بطين قبر الحسين رضى الله عنه شفاه الله من تلك العلة ، إلا أن تكون علة السام .

وفى الكتاب المذكور ، ماروى أن الحسين رضى الله تعالى عنه اشترى النواحى التى فيها قبرُه من أهل نينوى ، والفاخرية بستين ألف درهم ، وتصدق عليهم ، وشرط أن يرشدوا إلى قبره ، ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام .

وقال الصادق رضى الله عنه : حرمُ الحسين الذى اشتراه أربعةُ أميال فى أربعة أميال ، فهو حلال لولده ومواليه ، حرام على غيرهم ممن خالفهم ، وفيه البركة .

ذكر السيد الجليل ، السيد رضا الدين طاوس رحمه الله أنها إنما صارت حلالا بعد الصدقة ، لأنهم لم يفوا بالشرط .

قال : وقد روى محمد بن داودَ عدمَ وفائهم بالشرط فى باب نوادر الزمان .

وقال أيضا : جاء معه من خط جدى طاب ثراه فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صوم ثلاثة من كل شهر يعدلُ صومَ الدهر ، ويذهبُ بوحر الصدر » الوحر مشتق من الوحرَة بتحريك الواو والحاء والراء ، وهى دويبة حمراء تلصق باللحم ، فتكره العرب أكله للصوقها به ودبيبها عليه . انتهى .

قال الشاعر يذم قوما ويصفهم بالبخل :

رب أضيافٍ بقوم نزلوا ··· فقَروْا أضيافَهم لحماً وحِرْ

وسقَوْهم في إناء كَلِع لبناً من دمِ مِخْراطٍ فئِرْ

الإناء الكلع: هو ما تراكم عليه الوسخ، والمخراط: الناقة التي بها مرض ويكون لبنها معقدا وفيه دم. والفئر: ما شربت منه الفأرة.

في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يُحب أن يُؤخذ برُخَصِه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه، فاقبلوا رُخص الله، ولا تكونوا كبني إسرائيل حين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم».

في الحديث «خير الخيل الأدهمُ الأرثمُ الأقرح المحجّل طُلُق اليمين، فإن لم يكن أدهمَ فكميتٌ على هذه الشية» الأدهم: الأسود، والأقرح: الذي في جبهته بياض بقدر الدرهم، والأرثم: ما في أنفه وشفته العليا بياضٌ. والتحجيل: بياض قوائم الفرس قل أو كثر بعد أن لا يجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين. والطلق - بضم الطاء -: عدم التحجيل. انتهى.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك، وبالسداد سداد السهم وذهابه على الاستقامة نحو الغرض. انتهى.

قال بعض الأعلام: في هذا الحديث دلالةٌ ظاهرة على أنه ينبغي في الدعاء ملاحظة الداعي لمعانيه وقصدها على الوجه الأتم.

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه.

ومن كلامه - كرم الله تعالى وجهه -: احتجْ إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأنعم على من شئت تكن أميره.

مما يقرأ للأمر المهم والأوجاع منقول عن الصادق رضي الله عنه تقول ثلاث

مرات : الله الله ربى حقًا ، لا أشرك به أحداً ، اللهم أنت لها ولكل عظيمة ففرجها عنى . وإن قرأته للوجع فضع يدك حال قراءته على موضع الوجع .

قال بعض الأكابر من السلف : التوبة اليوم رخيصة مبذولة ، وغدا غالية غير مقبولة .

من شعر الحسن عليه السلام :

اغن عن المخلوق بالخالقِ   تغنَ عن الكاذب بالصادقِ
واسترزق الرحمن من فضله   فليس غيرُ الله من رازقِ

ومن كلام العرب ، وهو يجري مجرى أمثالهم قولهم : أعطنى قلبك والقنى متَى شئت ، يريدون الاعتبار بحسب المودة لا بكثرة اللقاء .

[معنى البلاغة]

قال بعض الكبار : البلاغة أداء المعنى بكماله فى أحسن صورة من اللفظ .

سأل رجل الجنيد رحمه الله : كيف حسُن المكرُ من الله سبحانه ، وقبُح من غيره ؟ فقال : لا أدرى ماتقوله ، ولكن أنشدنى فلان الطبرانى :

فديتك قدجبلتُ على هواكا   فنفسى لا تُطالبنى سِواكا
أحِبُّك لا ببعضى بل بكلّى   وإن لم يُبق حبُّك لى حَراكا
ويقبحُ من سواك الفعلُ عندى   وتفعله فيحسُنُ منك ذاكا

فقال له الرجل : أسألك عن آية من كتاب الله وتجيبنى بشعر الطبرانى ! فقال : ويحك أجبتك إن كنت تعقل . انتهى .

مما كتبه الشريف جمال النقباء أبو إبراهيم محمد بن على بن أحمد بن محمد بن الحسين

ابن إسحاق بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وهو أبو الرضا والمرتضى رحمه الله إلى أبى العلاء المعرى :

غير مستحسَن وِصالُ الغوانى ... بعد ستّين حِجةً وثمان
فصُن النفس عن طِلاب التّصا ... بى وازجُرِ القلبَ عن سؤال المغانى
إن شَرْخَ الشباب بدّله شيباً وضعفاً مُقلّبُ الأعيان
فانفض الكفَّ من حياء المحيا ... وامعن الفكر فى اطّراح المعانى
وتيمنْ بساعةِ البينِ واجْعل ... خير فألٍ تناعبَ الغِربان
فالأديبُ الأريبُ يعرفُ ماضُمِّـ ... ـن طَىّ الكتاب بالعُنوان
أترجّى مالا رحيباً وإسعا ... دَ سُعادٍ وقد مضى الأطيبان
غلّف الدهرُ عارضيك بشيبٍ ... أنكرت عرفه أنوف الغوانى
وتحامت حِماكَ نافرةً عنـ ... ـكَ نِفارَ المها من السرحان
وَردَ الغائبُ البغيضُ إليهـ ... ـن وولّى حبيبهن المُدانى
وأخو الحزم مُغرَم بحميد الذّ ... كر يومَ النّدى ويومَ الطّعان
همُّه المجدُ واكتسابُ المعالى ... ونوالُ العافى وفكُّ العانى
لا يُعـ ... ـير الزمان طرفاً ولا يحـ ... ـمِلُ ضيراً بطارقِ الحدثان

وهذه قصيدة طويلة جدًّا أوردها جميعها جدى رحمه الله فى بعض مجموعاته .

[صفات الخادم الممدوحة]

مما سنح بخاطر قلمى من الصفات المحمودة فى الخادم : خير الخُدّام من كان كاتمَ السر عادمَ الشر قليل المؤونة ، كثير المعونة ، صموت اللسان ، شكور الإحسان ، حلو العبارة ، درّاك الإشارة ، عفيف الأطراف ، عديم الإتراف .

عن ضرار بن ضمرة قال : دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين كرم الله وجهه فقال لى : صف أمير المؤمنين ، فقلت اعفنى ، فقال لا بد أن تصفه ، فقلت : أما إذ لا بدّ فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلًا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمةُ من نواحيه ، يستوحشُ من الدنيا وزهرتها ويأنسُ بالليل ووَحشته ، غزير العَبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما خشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله ، مع تقريبه لنا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيبةً له ، يعظم أهلَ الدين ، ويقرّب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيفُ من عدله . فأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغابت نجومه ، قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غُرّى غيرى ، إلىّ تعرضت ، أم إلىّ تشوّقت ، هيهات هيهات ، قد بتتّك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرُكِ قصير ، وخطركِ يسيرٌ ، وعيشُك حقير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك فكيف حزنك يا ضرار؟ فقلت: حزن من ذبح ولدها فى حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها . انتهى .

منقول من كتاب كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب فى يد رجُل فنزعه من يده وطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده» ، فقيل الرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك وانتفع به ، فقال : لا آخذ شيئاً طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو العميثل : لما حُجِبَ عن الدخول على عبد الله بن طاهر :

سأترك هذا البابَ ما دام إذنُه ... على ما أرى حتى يَخِفَّ قليلا
إذا لم أجد يوما إلى الإذن سُلّما ... وجدتُ إلى ترك اللقاء سبيلا

[ولبعضهم :

علَّلت باليأس نفسي عنك فانصرفت ... واليأسُ أحسنُ مرجوعا من الطمع
فكن على ثقة أنى على ثقة ... ألّا أُعلَّل بعد اليوم بالخُدَع
محوتُ ذكركَ من قلبي ومن أُذُني ... ومن لِسانى فقلْ ما شئتَ أو فَدع
إذا تباعد قلبي عنك مُنصرِفا ... فليسَ يُدنيك مِنّى أن تكون معى
اغتفر زلتى لتحرز فضل الشكر منّى ولا يفوتُك أجرى
لا تكلنى إلى التوسل بالعذر لعلّى ألّا أقومَ بعُذرى

جحظة الشاعر :

وقائلة لى كيف حالُك بعدَنا ... أفى ثوب مُثرٍ أنت أم ثوب مُقْتِرِ
فقلت لها لا تسأليني فإنّنى ... أروح وأغدو فى حرام مقتّر

الباجى الشاعر : اسمه سليمان ، كان من علماء الأندلس . والباجى : بالباء الموحدة والجيم . ومن شعره ما أورده ابن خلكان فى وفيات الأعيان :

إذا كنتُ أعلمُ علما يقيناً ... بأن جميع حياتى كساعَهْ
فَلِمْ لا أكونُ ضنينا بها ... وأجعلُها فى صلاح وطاعَهْ

لبعضهم :

توخّ من الطُّرْق أوساطَها ... وعدِّ عن الجانب المشتَبِهْ
وسمعَكَ صُن عن سماع القبيحْ ... كصون اللسان عن النطق بهْ

فإنك عنـــد سماع القبيح شريكٌ لقائله فانتبه

من الـكلمات المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام[1] : من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومَه . انتهى .

لقى الحسن البصرى رحمه الله تعالى الإمامَ علىَّ بن الحسين زينَ العابدين عليه السلام ، فقال له الإمام : يا حسن أطع من أحسن إليك ، فإن لم تطعه فلا تمص له أمرا ، وإن عصيته فلا تأكل له رزقا ، وإن عصيته وأكلت رزقه وسكنت داره فأعدّ له جوابا ، وليـكن صوابا .

دعاء منقول عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد أن لا يوقفَه الله على قبيح أعماله ، ولا ينشر له ديوانا ، فليدع بهذا الدعاء فى دبر كل صلاة وهو: اللهم إن مغفرتَك أرجى من عملى ، وإن رحمتَك أوسعُ من ذنبى ، اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلُغ رحمتَك فرحمتك أهلٌ أن تبلغنى لأنها وسعت كل شىء [وأنا شىء] ياأرحم الراحمين » .

فى الحديث « إذا وقع الذبابُ فى الطعام فامقلوه فإن فى أحـد جناحيه سُمّا وفى الآخر شفاء ، وإنه يقدّم السم ويؤخر الشفاء » قال أهل اللغة : إن معنى امقلوه : اغمسوه ، والمقل ـ بالقاف ـ الغمس .

فى القاموس عند ذكر كسكر أنها قصبةُ واسطَ ، وكان خراجُها اثنى عشر ألف ألف مثقال ، كأصبهان . انتهى .

عبدالله بن حنيف:

قد أرَحنا واسترحْنا من غـدوّ ورواح

(١) فى المخطوطة : إلى سيد الأوصياء .

واتّصــال بلئيم أو كريمٍ ذى سماح
بعفافٍ وكفافٍ وقُنوعٍ وصلاح
وجعلنا اليأس مِفتا حاً لأبواب النجاح

[من كلام جالينوس]

لما مات جالينوس وجد فى جيبه رُقعةٌ فيها مكتوب: أحمقُ الحمقى من يملأ بطنه من كل ما يجد ، وما أكلته فلجسمك، وماتصدقت به فلروحك، وماخلفته فلغيرك، والمحسن حى وإن نقل إلى دار البِلا ، والمسىء ميت وإن بقى فى الدنيا ، والقناعة تستر الخلة ، وبالصبر تدرك الأمور ، وبالتدبير يكثر القليل ، ولم أر لابن آدم شيئاً أنفعَ من التوكل على الله تعالى .

من كلام المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : لا يصعد إلى السماء إلا ما نزل منها .

وقال : أحق الناس بالخدمة العالم ، وأحق الناس بالتواضع العالم .

ابن سينا :

تعس الزمانُ فإنّ فى إحسانهِ بُغضاً لكل مفضّل ومبجّلِ
وتراه يعشق كلّ رذلٍ ساقطٍ عِشقَ النتيجةِ للأخسّ الأرذلِ

المعرى :

لا تطلُبنَّ بآلةٍ(١) لك رتبةً قلم البليغ بغير جد مغزَلُ
سكنَ السِّماكانِ السماء كلاهما هذا له رُمْحٌ وهــذا أعزلُ

---

(١) فى المطبوعة «بآية» .

آخر :

وإنى لأرجو الله حتى كأننى أرى بجميل الظن ما اللهُ صانعُ

كان سقراط الحكيم قليل الأكل ، خشن اللباس ، فكتب إليه بعض الفلاسفة: أنت تحسب أن الرحمةَ لكل ذى روح واجبةٌ ، وأنت ذو روح أفلا ترحمها بترك قلة الأكل وخشن اللباس ؟ فكتب فى جوابه : عاتبتنى على لبس الخشن ، وقد يعشق الإنسانُ القبيحةَ ويتركُ الحسناء ، وعاتبتنى على قلة الأكل ، وإنما أريد أن آكل لأعيش ، وأنت تريد أن تعيش لتأكل والسلام فكتب إليه الفيلسوف : قد عرفتُ السببَ فى قلة الأكل ، فما السبب فى قلة الكلام ؟ وإذا كنت تبخل على نفسك بالمأكل ، فلمَ تبخل على الناس بالكلام؟ فكتب فى جوابه: ما احتجتَ إلى مفارقته وتركه للناس فليس لك ، والشغل بما ليس لك عبثٌ ، وقد خلق الحق سبحانه لك أذنين ولسانا لتسمع ضعف ماتقول ، لاتقول أكثر مما تسمع . والسلام .

لبعضهم :

إلى الله أشكو أنّ فى النفس حاجةً تمر بهـــا الأيامُ وهى كما هيا

روى شيخ الطائفة : فى التهذيب فى أوائل كتاب المكاسب بطريق حسن أو صحيح ، عن الحسن بن محبوب، عن حريز قال : سمعت أبا عبدالله رضى الله عنه وأرضاه يقول : اتقوا الله وصوّنوا أنفسكم بالورع ، وقوة التقية ، والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان . واعلم أنّ من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طلبا لما فى يديه من دنياه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه ، فإن هو غلب على شىء من دنياه فصار إليه منه شىء نزع الله منه البركةَ ولم يؤجره على شىء من دنياه ينفقه فى حج ولا عتق ولا برّ .

أقول : قد صدق رضى الله عنه ، فإنا قد جربنا ذلك وجرّبه المجرّبون قبلنا ،

واتفقت الكلمة منا ومنهم على عدم البركة فى تلك الأموال ، وسرعة نفادها ، واضمحلالها ، وهو أمر ظاهر محسوس يعرفه كل من حصل شيئا من تلك الأموال الملعونة. نسأل الله أن يرزقنا رزقا حلالا طيبا يكفينا ويكف أكفنا عن مدها إلى هؤلاء وأمثالهم ، إنه سميع الدعاء ، لطيف لما يشاء . انتهى .

من كلام النبى فى وصية النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه : يا أباذر كن على عمرك أشحَّ منك على درهمك وديناركـ ، يا أبا ذر ، دع مالست منه فى شىء ، ولا تنطق بما لا يعنيك . واخزن لسانك كما تخزن رزقك .

وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه : من جُمع له مع الحرص على الدنيا البخلُ بها فقد استمسك بعمودَى اللؤم . من لم يتعاهد علمه فى الخلا ، فضحه فى الملا . من اعتز بغير الله سبحانه أهلكه العز . من لم يصن وَجهه عن مسئلتك فصن وجهك عن رده . لا تضيعن مالك فى غير معروف ، ولا تضعنّ معروفك عند غير عَروف ، ولا تقولن ما يسوءك جوابُه . لا تمار اللّجوجَ فى محفِل . لا يكونن أخوك على الإساءة إليك أقوى منك على الإحسان إليه .

قال حبر من بنى إسرائيل فى دعائه : يارب كم أعصيك ولم تعاقبنى ؟ فأوحى إلى نبى ذلك الزمان : قل لعبدى كم أعاقبك ولا تدرى؟ ألم أسلبك حلاوة مناجاتى .

نقل الراغب فى المحاضرات : أن بعض الحكماء كان يقول لبعض تلامذته : جالس العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء ، فإن العقل يقع على العقل .

سئل بعض الحكماء : ما الشر المحبوب ؟ فقال : الغنى .

كان بعض الحكماء يقول : تعجّبُ الجاهل من العاقل أكثر من تعجّبِ العاقل من الجاهل .

تحسر بعض الحكماء عند موته ، فقيل ما بك ؟ فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا

طويلا بلا زاد ، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ، ويقدم على حكَم عدل بلا حجة .

مر عبد الله بن المبارك برجل واقف بين مزبلة ومقبرة ، فقال له : ياهذا إنك واقف بين كنزين من كنوز الدنيا : كنز الأموال ، وكنز الرجال .

كان الربيع بنُ خيثم يقول : لو كانت الذنوب تفوح ما جلس أحد إلى أحد .

كان أبو حازم يقول : عجبت لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة ويتركون العمل لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة .

وكان يقول : إنْ عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوى عنا .

قال المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : لو لم يعذِّب الله الناس على معصيته لكان ينبغى أن لا يعصوه شكراً لنعمته .

لما اجتمع يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع ولده يوسف عليه السلام قال : يابنى حدثنى بخبرك ، فقال : ياأبت لاتسألنى عما فعل بى إخوتى ، واسألنى عما فعل الله سبحانه وتعالى بى .

قال هارون الرشيد للفضيل بن عياض : ما أشد زهدك ! فقال : ياأمير المؤمنين أنت أزهد منى ؛ لأنى زهدت فى فان ، [لا يبقى] وأنت زهدت فى باق لا يفنى .

كان بعض الحكماء يقول : لا شىء أنفس من الحياة ، ولا غبنَ أعظم من إنفادها لغير حياة الأبد .

لبعضهم :

جربتُ دهرى وأهليه فما تركتْ ... لى التجاربُ فى وُدِّ امرئْ غرضاَ

وقد عرضتُ عن الدنيا فهل زمنى ... معطٍ حياتى لغِيرى بعد ما عرضاَ

[وقد تعوضت عن كلٍّ بمُشْبِهِه(١) ... فما وجدت لأيامْ الصِّبا عِوضا]

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

ابن الخياط الشامى ، وهو صاحب الأبيات المشهورة التى أولها :

خُذا من صَبا نجدٍ أمانا لقلبه   فقد كادَ ريَّاها يطــيرُ بلُبّه

وله :

وبالجزْع حىٌّ كلما عنّ ذكرهُم   أمات الهوَى منّى فؤادا وأحياهُ

تمنيتُهم بالرقمتيْن ودارُهم   بوادى الغضا يا بُعدَ ما أتمناهُ

شهاب الدين السهروردى صاحب كتاب العوارف :

تصرمت وَحشةُ التنــائى   وأقبلت دولةُ الوصــالِ

وصار بالوصل لى حَسودا   من كان فى هجركم رثَى لِي

وحقكم بعــد إذ حصلتمُ   بكل ما فات لا أبالِي

وما على عادمٍ أجاجاً   وعنــده أبحُر الزُّلالِ

دخل سفيان الثورى على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله، فقال إذا تظاهرت الذنوبُ فعليك بالاستغفار، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث وأى ثلاث .

ورد فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عجبت ممن يحتمى عن الطعام مخافةَ المرض كيف لا يحتمى عن الذنوب مخافة النار » .

لبعضهم :

مثلُ الرزق الذى تطلبــه   مَثَلُ الظل الذى يمشى معَكْ

أنتَ لا تدركُه متبعــاً   فإذا وليّتَ عنــهُ تبِعكْ

عبد الله بن القاسم الشهرزورى :

لمعتْ نارُهم وقد عسعس الليـــلُ وملّ الحادِى وحار الدليلُ
فتأملتُها وفكرى من البيـــن عليلٌ ولحظُ عينى كليلُ
وفؤادى ذاك الفؤادُ المعنى وغرامى ذاك الغرامُ الدخيـــلُ
ثم قابلتُها وقلتُ لصحبى هـذه النارُ نارُ ليلى فميلوا
فرمَوْا نحوها لحاظا صحيحا تٍ فعادت خواسئاً وهى حُول
ثم مالُوا إلى الملام وقالوا خُلَّبٌ ما رأيت أمْ تخييـــل
فتجنبتهم وملتُ إليهـــا والهوى مركبى وشوقى الزميل
ومعى صاحبٌ أتى يقتفى الآ ثارَ والحبُّ شأنه التطفيل
وهى تَعلُو ونحن ندنو إلى أنْ حجزت دونها طلولٌ مُحول
فدنونا من الطّلول فحالتْ زفراتٌ من دونهـــا وعَويل
قلتُ من بالديار ؟ قالت جريحٌ وأسيرٌ ، مكبّلٌ وقتيـــل
ما الذى جئت تبتغى قلت ضيفٌ جاء يبغى القِرى فأين النزول
فأشارت بالرّحب دونك فاعقِرْ ها فما عندنا لضيف رحيل
من أتانا ألقَى عصا السير عنه قلتُ من لى بذا وكيفَ السبيل
فحططنا إلى منـــازل قوم صرعتْهم قبل المذاق الشَّمول
درس الوجدُ منهمُ كلَّ رسم فهو رسمٌ والقوم فيه حُلول
منهمُ من عفا ولم يَبْقَ للشكـــوى ولا للدّموع فيه مَقيـــل
ليس إلا الأنفاسُ تخبر عنه وهو عنهـــا مبرأٌ معزول
ومن القوم من يشير إلى وجْـــد تبقى عليه منهُ القليـــل
قلت أهلَ الهوى سلام عليكم لى فؤادٌ عنكم بكم مشغول

لم يزل حافزٌ من الشّوق يحدُو بي إليكم والحادثاتُ تحول
جئتُ كي أصطلي فهل لي إلى نا رِكم هذهِ الغداةَ سبيلُ
فأجابت شواهدُ الحال عنهم كلّ حدٍّ من دونها مفلول
لا تروقنّكَ الرياضُ الأنيقا تُ فمن دونها رُبا ودحول(١)
كم أتاها قوم على غِرّة منـها وراموا قِرًى فعز الوصُول
وقفوا شاخصين حتى إذا ما لاح للوصْل غرّةٌ وحُجول
وبدتْ رايةُ الوفا بيد الوجْـد ونادى: أهلَ الحقائق جولوا
أين من كان يدّعينا فهذا الـيومُ فيه سيفُ الدعاوى يصول
حملُوا حملةَ الفحول ولا يُصـرعُ يومَ اللقاء إلّا الفُحول
بذلوا أنفُسا سخت حين شحّت بوصالٍ واستُصغر المبذولُ
ثم غابُوا من بعد ما اقتحموها بين أمواجها وجاءت سُيولُ
قذفتهم إلى الرُّسوم وكل دمُه في طُلولها مطلول
مُنتهى الحظِّ ما تزود منه اللـحظ والمدركون منهُ قليل
نارُنا هذه تضيء لمن يسـري بليلٍ لكنّها لا تُنيل
جاءها مَن عرفْت يبغى اقتباسا وله البَسط والمنى والسّول
فتعالتْ عن المنالِ وعزّت عن دنو إليه وهو رَسول
ولكلٍّ منهم رأيت مقاما شرحُه في الكتاب مما يطول
واعتذارى ذنبٌ فهل عند من يعـلَم عُذرى في ترك عُذرى قبُول
فوقفنا كما عَهِدتَ حَيارَى كل عزم من دونها محلُول
ندفعُ الوقت بالرّجاء وناهيـك بقلبٍ غذاؤُه التعليل

(١) الربا: جمع الربوة — بفتح الراء وضمها —: ما ارتفع من الأرض. والدحول — بالدال والحاء المهملتين — جمع دحل، وهو النقب: أى طريق ضيق فى جبل.

كلما ذاقَ كأسَ بأسٍ مرير جاء كأسٌ من الرجا معسُول
وإذا سوّلت له النفسُ أمراً حيد عنهُ وقيل صبرٌ جميل
هــذه حالُنا وما وصل العِلْــم إليــه وكلُّ حالٍ تحول

من وفيات الأعيان : دخل عمرو بن عبيد يوما على المنصور وكان صديقه قبل خلافته ، فقربه وعظمه ، ثم قال له عظنى ، فوعظه بمواعظ منهـا : إن هـذا الأمرَ الذى فى يدك لو بقى فى يد غيرك لم يصل إليك ؛ فاحذر يوما لا يوم بعده ، فلما أراد النهوض قال له : قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، فقال : لا حاجة لى فيها ، فقال : والله تأخذها ، فقال ، والله لا آخذها ، وكان المهدى ولد المنصور حاضرا ، فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ، فالتفت عمرو إلى المنصور وقال : من هـذا الفتى؟ فقال هذا المهدى ولدى وولى عهدى ، قال : أما لقد ألبسته لباسا هو لباسُ الأبرار ، وسميتَه باسمٍ ما استحقه ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ، ثم التفت عمرو إلى المهدى وقال : ياابن أخى ، إذا حلف أبوك حنثه عمك ؛ لأن أباك أقوى على الكفارة من عمك ، فقال له المنصور : هل من حاجة ؟ قال : لا تبعث إلىّ حتى آتيك ؛ قال إذن لا تلقانى . قال هى حاجتى . ومضى . فأتبعه المنصور طرفه وقال :

كلكم يمشى رُويد كلكم طالبُ صيد
* غير عمرو بن عُبيد *

توفى عمرو بن عبيد سنة أربع وأربعين ومائة وهو راجع من مكة بموضع يقال له مرّان . ورثاه المنصور بقوله :

صلّى الإله عليه من متوسّد قبرا مررتُ به على مرّان
قبراً تضمن مؤمنا مُتحققــا صدقَ الإلهَ ودانَ بالعرفان
لو أن هذا الدهرَ أبقى صالحاً أبقى لنــا عمراً أبا عُثمان

قال ابن خلكان : ولم يُسمع أن خليفة رثى من دونه سواه . ومران ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ موضع بين مكة والبصرة .

ذكر ابن خلكان فى كتاب وَفَيَاتِ الأعيان عند ذكر حماد عجرد، ما صورته: إن حمادا كان ماجنا خليعا ظريفا ، متهما فى دينه بالزندقة ، وكان بينه وبين أحد الأئمة الكبار مودةٌ ثم تقاطعا ، فبلغه أنه ينتقصُه ، فكتب إليه هذه الأبيات :

إنْ كان نسكُكَ لا يـتم بغـير شَتمى وانتقاصى
فاقعُـد وقم بى كيف شئـت مع الأَدانِى والأقاصى
فلطالما شاركتَنى وأنا المقيمُ على المعاصِى
أيامَ نأخـذُها ونُعطـى فى أباريقِ الرَّصاص

[ويقال إن الإمام المذكور هو أبو حنيفة][1] اهـ .

ذكر صاحب تاريخ الحكماء عند ترجمة الشيخ موفّق الدين البغدادى أنه قال لما اشتدّ [بأستاذى] المرض الذى مات فيه ،وكان ذات الجنب عن نزلة ، فأشرت عليه بالمداواة ، فأنشد :

لا أذودُ الطـيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المرّ من ثمرهْ

من كلام النبى صلى الله عليـه وسلم : « من أذنب ذنبا فأوجعه قلبه غَفر الله له ذلك الذنب وإن لم يستغفر منه » .

العباس بن الأحنف :

لا بُدّ للعـاشق من وَقْفة يـكون بين الصّدِّ والصّرم
حتى إذا الهَجرُ تمـادى به راجعَ من يهوى على رغم

« وما جعلْنا القبلةَ التِي كنتَ عليها إلا لنعلَمَ من يتّبِـعُ الرسولَ ممّن ينقلبُ

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

على عقبيه » قال صاحب الأكسير فى تفسير الآية : المراد وما ولّيناك الجهتين إلا لأنك المنعوتُ فى التوراة بذى القبلتين فأكّدنا على اليهود الحجة لنعلم من يتبعك عند ظهور أيامك . انتهى . ولا يخفى أنه يمكن تطبيق كلامه هذا على كل من الجمل الناسخ والمنسوخ فتدبر . وقال صاحب جامع البيان ، وهو من المتأخرين عن زمن البيضاوى : يحتمل أن يراد من التى كنت عليها الكعبة أى خاطرك مائل إليها ، فإنّ الأصحّ أن القبلة قبل الهجرة الصخرةُ ، لكن خاطره الشريفَ صلى الله عليه وسلم مائلٌ إلى أن تكون الكعبةُ قبلةً . انتهى كلامه ، ولا يخفى أنه على هذا يمكن توجيه إرادة الجمل الناسخ فى الرواية عن أئمتنا أن قبلته صلى الله عليه وسلم كانت فى مكة بيت المقدس فتأمل . ولله در صاحب الكشاف فإن كلامه فى تفسير هذه الآية كالدر المنثور ، وكلام المتأخرين عنه كالإمام الرازى والنيسابورى والبيضاوى لا يخلو من خبط . انتهى .

ولله در من قال :

لا أشتكى زمنى هذا فأظلمه ... وإنما أشتكى من أهلِ ذا الزّمنِ

هم الذّئابُ التى تحت الثياب فلا ... تركنْ إلى أحدٍ منهم بمؤتمنِ

قد كان لى كنزُ صبر فافتقرت إلى ... إنفاقهِ فى مُداراتِى لهم ففنِى

الشيخ شمس الدين الكوفى من أبيات :

إليكَ إشاراتى وأنتَ مُرادى ... وإيّاكَ أعنى عند ذكر سُعادى

وأنتَ مُثيرُ الوجدِ بين أضالعى ... إذا قال حادٍ أو ترنّم شادى

وحبّك ألقى النار بين جوانحى ... بقدح ودادٍ لا بقدح زنادى

خليلىّ كفّا عنّىَ العذلَ واعلما ... بأن غرامى آخذٌ بقيادى

ولذّة ذكرى للعقيق وأهلهِ ... كلذة بَرْد الماء فى فم صادى

طربنا بتعريض العذول بذكركم فنحنُ بوادٍ والعـــذول بوادى

[ولله در من قال :

مما أنشد العلامة على الإطلاق مولانا قطب الدين الشيرازى :

خير الورى بعـد النبى من بنته فى بيتـــه

من فى دُجى ليلِ العَمى ضَوءُ الهدى فى زيته

[بحث، فى الوجود والموجود] :

قال المحقق الدوانى فى بحث التوحيد من إثبات الواجب الجديد، أقول: إن هذا المطلب أدق المطالب الإلٰهية، وأحقها بأن يصرف فيه الطالب وكده وكدّه ، ولم أر فى كلام السابقين مايصفو عن شوب ريب ، ولا فى كلام اللاحقين مايخلو عن وصمة عيب ، فلا علىّ أن أشبع فيه الكلام حسبما يبلغ إليه فهمى ، وإن كنت موقنا بأنه سيصير عرضة لملام اللئام .

إذا رضِيتْ عنى كرامُ عَشيرتى فلا زال غضبانا على لئامُها

وأقدّم على ذلك مقدمة هى : أن الحقائق لا تقتضى من قبل الإطلاقات العرفية وقد يطلق فى العرف على معنى من المعانى لفظٌ يوهم ما لا يساعده البرهان ، بل يحكم بخلافه ، ونظير ذلك كثير : منه أن لفظ العلم إنما يطلق فى اللغة على ما يعبر عنه بدانستن ودانش ، ومُرادفاتهما[1] مما يوهم أنه من قبل النِّسبِ ثم البحثُ المحقق والنظرَ الحكمى يقضى بأن حقيقته هو الصورة المجردة ، وربما يكون جوهرا كما فى العلم بالجوهر ، بل ربما لا يكون قائما بالعالم بل قائما بذاته كما فى علم النفس وسائر المجردات بذواتها ، بل ربما يكون عين العالم كعلم الواجب تعالى بذاته .

(١) فى المطبوعة : فإنهما مما يوهم الخ .

ومنه أن الفصول الجوهرية يعبر عنها بألفاظ توهم أنها إضافات عارضة لتلك الجواهر كما يعبر عن فصل الإنسان بالناطق والمدرك للكليات، وعن فصل الحيوان بالحساس والمتحرك بالإرادة . والتحقيق أنها ليست من النِّسب والإضافات فى شىء بل هى جواهر ، فإن جزء الجوهر لا يكون إلا جوهرا كما تقرر عندهم .

وبعد ذلك نمهد مقدمةً أخرى وهى أن صدق المشتق على شىء لا يقتضى قيام مبدأ الاشتقاق به ، وإن كان فى عرف اللغة يوهم ذلك ، حيث فسر أهل العربية اسم الفاعل بما يدل على أمر قام به المشتق منه ، وهو بمعزل عن التحقيق، فإن صدق الحدّاد على زيد إنما هو بسبب كون الحديد موضوعَ صناعته على ما صرح به الشيخ وغيره ، وصدق المشمَّس على الماء مستند إلى نسبة الماء إلى الشمس بتسخينه .

وبعد تمهيد هاتين المقدمتين نقول : يجوز أن يكون الوجود الذى هو مبدأ اشتقاق الموجود أمرا قائما بذاته هو حقيقة الواجب ، ووجود غيره تعالى عبارة عن انتساب ذلك الغير إليه سبحانه ، ويكون الموجود أعمّ من تلك الحقيقة ، ومن غيرها المنتسب إليه ، وذلك المفهوم العام أمر اعتبارى عد من المعقولات الثانية ، وجعل أوّل البديهيات .

فإن قلت كيف يتصور كون تلك الحقيقة موجودة فى الخارج مع أنها كما ذكرتم عينُ الموجود ، وكيف يعقل كون الموجود أعم من تلك الحقيقة وغيرها ؟ قلت : ليس معنى الموجود ما يتبادر إلى الذهن ويوهمه العرف من أن يكون أمراً مغايراً للوجود ، بل ما يعبر عنه بالفارسية وغيرها بهست ومرادفاته ، فإذا فرض الوجود عن غيرها قائما بذاته كان وجوداً لنفسه ، فيكون موجودا بذاته ، كما أن الصورة المجردة إذا قامت بنفسها فكانت علما وعالما ومعلوما ، كالنفوس والعقول ، بل الواجب تعالى .

ومما يوضح ذلك أنه لو فرض تجرد الحرارة عن النار كان حارًا وحرارة ، إذ الحار ما يؤثر تلك الآثار المخصوصةَ من الإحراق وغيره، والحرارة على تقدير تجردها كذلك . وقد صرّح بهمنيار فى كتاب البهجة والسعادة بأنه لو تجردت الصورة المحسوسة عن الحس وكانت قائمة بنفسها، كانت حاسة ومحسوسة ، ولذلك ذكروا أنه لا يُعلم كونُ الوجود زائدا على الموجود إلا ببيان ، مثل أن يعلم أن بعض الأشياء قد يكون موجودا فيعلم أنه ليس عين الوجود ، أو يعلم أنه عين الوجود ، ويكون واجبا بالذات ، ومن الموجودات مالا يكون واجبا وزيد الوجود عليه .

فإن قلت : كيف يتصور هذا المعنى الأعم من الوجود القائم بذاته ، وما هو منتسب إليه ؟ قلت يمكن أن يكون هذا المعنى أحدَ الأمرين من الوجود القائم بذاته، وما ينسب إليه انتسابا مخصوصا، ومعنى ذلك أن يكون مبدأ للآثار ومظهراً للأحكام ويمكن أن يقال إن هذا المعنى ما قام به الوجود، أعم من أن يكون وجودا قائما بنفسه فيكون قيامُ الوجود به قيام الشيء بنفسه ، ومن أن يكون قيامُ الأمور المنتزعة العقلية بمعروضاتها كقيام الأمور الاعتبارية ، مثل الكلية والجزئية ونظائرها ، ولا يلزم من كون إطلاق القيام على هذا المعنى مجازا أن يكون إطلاق الموجود عليه مجازا كما لا يخفى . على أن الكلام هاهنا ليس فى المعنى اللغوى ، وأن إطلاق الموجود عليه حقيقة أو مجاز ، فإن ذلك ليس من المباحث العقلية فى شيء .

فتلخص من هذا أن الوجود الذى هو مبدأ اشتقاق الموجود أمر واحد فى نفسه وهو حقيقة خارجية ، والموجود أعم من هذا الوجود القائم بنفسه، ومما هو منتسب إليه انتسابا خاصا ، وإذا حمل كلام الحكماء على ذلك لم يتوجه عليه أن المعقول من الوجود أمر اعتبارى، هو وصف للموجودات وهو الذى جعلوه أوّل الأوائل البديهية

فإطلاق الموجود على تلك الحقيقة القائمة بذاتها إنما يكون بالمجاز أو بوضع آخر ، ولا يجدى ذلك فى استغناء الواجب عن عروض الوجود ، والمفهوم المذكور أمر اعتبارى ، فلا يكون حقيقة الواجب تعالى . انتهى .

* * *

بحث فى القبلتين :

قوله تعالى ، « وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبعُ الرسولَ ممن ينقلب على عقبيْه » قد اتفق الكل على أن النبىّ صلى الله عليه وسلم صلى إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة مدّة ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة ، وإنما اختلفوا فى قبلته بمكة هل كانت الكعبةَ أو بيتَ المقدس ، والمروى عن أئمة أهل البيت رضى الله عنهم أنها كانت بيت المقدس . ثم لا يخفى أن الجعل فى الآية الكريمة مركبٌ لا بسيط . وقوله تعالى: التى كنت عليها ثانى مفعوليه ، كما نص عليه صاحب الكشاف . واختلفوا فى المراد بهذا الموصول : فأئمتنا على أنَّ المراد بيت المقدس ، فالجعل فى الآية هو الجعل المنسوخ ، وأما القائلون بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون منسوخا باعتبار الصلاة بالمدينة مدّة إلى بيت المقدس ، وأن يكون جعلا ناسخا باعتبار الصلاة بمكة .

أقول : وبهذا يظهر أن جعل البيضاوى رواية ابن عباس عليه السلام دليلا على جواز أن يكون الجعل منسوخا ، كلامٌ لا طائل تحته . وصاحب الكشاف لما قرر ما يستفاد منه جواز إرادة الجعل الناسخ والمنسوخ ، نقل الرواية عن ابن عباس عليه السلام ، وغرضه بيان مذهبه فى تفسير هذه الآية كما ينقل مذهبه فى كثير من الآيات ، فظن البيضاوى أن مراده الاستدلال على جواز إرادة الجعل المنسوخ .

ثم أقول : إن فى كلام الرازى فى تفسيره الكبير فى هذه الآية نظرا أيضاً ، فإنه فسر الجعل بالشرع والحكم : أى وما شرعنا القبلة التى كنت عليها، وماحكمنا عليك بأن تستقبلها إلا لنعلم . ثم قال : إن قوله تعالى « التى كنتَ عليها » ليس نعتا للقبلة ، وإنما هو ثانى مفعولى جعلنا ، وأنت خبير بأن أوّل كلامه مناف لآخره ، فتأمل . انتهى .

من كتاب قرب الإسناد ، عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : كان فِراشُ علىّ وفاطمة عليهما السلام حين دخلت عليه إهابَ كبش ، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه ، وكانت وسادتُهما أدما حشوها ليف . وكان صداقها درعا من حديد .

ومن الكتاب المذكور ، عن على عليه السلام فى قوله تعالى : « يَخرُجُ منهما اللؤلؤُ والمرجان » قال : من ماء السماء وماء البحر ، فإذا أمطرت فتحت الأصدافُ أفواهَها فيقع فيها من ماء المطر ، فتخلق اللؤلؤة الصغيرةُ من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة .

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما كان بُدوُّ توبتك ؟ فقال : أردت ضربَ غلام لى ، فقال : يا عمر ، اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة . انتهى .

* * *

صورة كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، بعد إمساكه أخاه الصغير بإيهام أنه سرق ، نقلتها من الكشاف : « من يعقوب إسرائيل الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، بن إبراهيم خليل الله ، إلى عزيز مصر : أما بعد ، فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء ، أما جدى فشُدّت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله ، وجعلت النارُ عليه بردا وسلاما . وأما أبى فوضع السكين

على قفاه ليقتل ففداه الله . وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلىّ ، فذهب به إخوتُه إلى البرية ، ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا : قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه . ثم كان لى ابن ، وكان أخاه من أمه ، وكنت أتسلى به ، فذهبوا به، ثم رجعوا وقالوا إنه سرق ، وإنك حبسته لذلك ، وإنا أهلُ بيت لا نسرق ولا نلد السارق ، فإن رددته علىّ ، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام » .

قال فى الكشاف : فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره ، فقال لهم ذلك ، وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب فى الجواب : اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا . انتهى .

لبعض الأكابر :

ما وهب اللهُ لامرئٍ هبةً أحسنَ من عقله ومن أدبِهْ
هما جمالُ الفتى فإن فُقِدا ففقدهُ للحياة أجملُ بِهْ

قال بعض الحكماء لبنيه : لا تُعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم، ولا تزهدوا فى صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق انتهى .

قيل للمهلَّب : ما الحزم ؟ قال : تجرع الغصص إلى أن تنال الفرص .

من كلامهم : ما تزاحمت الظنون على شىء مستور إلا كشفته .

لما قُدِّم الحلاج إلى القتل قطعت يده اليمنى ، ثم اليسرى ، ثم رجله ، فخاف أن يصفرّ وجهه من نزف الدم ، فأدنى يده المقطوعة من وجهه ، فلطخه بالدم يخفى اصفراره ، وأنشد :

لم أُسلِم النفسَ للأسقام تُتلفها إلا لعلمى بأن الوصلَ يُحييها
نفسُ المحب على الآلام صابرةٌ لعلَّ مُسقِمَها يوما يُداويها

فلما شيل إلى الجذع قال : يامُعين الضنى علىّ أعنى على الضنى . ثم جعل يقول :

مالى جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ودلائلُ الهجران لا تخفى
وأراك تمزجنى وتشربنى ولقد عهدتُك شاربى صِرفا

فلما بلغ به الحال أنشأ يقول :

لبَّيكَ ياعالما سِرّى ونجوایَ لبيكَ لبيكَ يا قصدى ومعنايا
أدعوكَ بل أنت تدعونى إليك فهل ناجيتُ إياك أم ناجيتَ إيايا
حُبى لمولایَ أضنانى وأسقمنى فكيف أشكو إلى مولایَ مولايا
ياويح روحیَ من روُحی ويا أسفى علىّ مِنّى فإنّى أصلُ بلوايا

***

من المستظهرى ، للغزالى رحمه الله تعالى : وحكى إبراهيم بن عبد الله الخراسانى قال : حججت مع أبى سنةَ حجّ الرشيد ، فإذا نحن بالرشيد واقفٌ حاسرٌ حافٍ على الحصباء ، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكى ويقول : يارب أنت أنت وأنا أنا . أنا العواد بالذنب ، وأنت العوّاد بالمغفرة ، اغفر لى . فقال لى أبى : انظر إلى جبّار الأرض كيف يتضرع إلى جبار السماء .

ومنه أيضاً : شتم رجل أبا ذر الغفاریّ رضى الله عنه ، فقال له أبو ذر : ياهذا إن بينى وبين الجنة عقبة ، فإن أنا جزتها فوالله ما أبالى بقولك ، وإن هو صدّنى دونها فإنى أهلٌ لأشد مما قلت لى . انتهى .

ابن حجة الحموى :

خاطبَنا العاذل عنـــد اللام ... بكثرة الجهل فقلنا سلامْ
ما لامنا من قبل لـكنه ... لما رأى العارضَ فى الخدّ لامْ
وليس من عشقه مخلصٌ ... لـكننى أسأل حسنَ الختامْ
والجفنُ فى لُجة دمعى غــدا ... من بعــده يسبحُ شهرا وعامْ
اخترتُه مولى فياليته ... لو قال يا بُشراىَ هــذا غلامْ
لبرقِ هــذا الثغرِ كم عاشقٌ ... قد هام وجدا بين مصرٍ وشامْ
وفيـــه قد زاحمنى شاربٌ ... والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزحامْ
مالىَ سهمٌ قطُّ من وَصـله ... لـكنْ من اللحظ بقلبى سِهامْ

كتب النصير الحمامى إلى الجزار :

ومذ لزمتُ الحمَّام صرت به ... خِلًّا يدارى من لا يداريه
أعرف حرَّ الأمى وباردَه ... وآخذ الماء من مجاريه

فـكتب إليه الجزار :

حسن التأنىَ مما يعينُ على ... رزقِ الفتى والعقولُ تختلفُ
والعبد مذ صار فى جِزارته ... يعرف من أين تؤكل الـكتفُ

للجزار أيضا :

لا تلمنى مولاىَ فى سوء فعلى ... عند ما قد رأيتنى قصّابا
كيف لا أرتضى الجزارة ما عشـــت قديما وأترك الآدابا
وبها صارت الـكلابُ ترجّيـــنى وبالشِّعر كنتُ أرجو الـكلابا

سمع أمير المؤمنين رجلا يتـكلم بما لا يعنيه فقال : يا هذا ، إنما تملى على كاتبيك كتابا إلى ربك .

من كلام أفلاطون : إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس بقولهم إنك مجنون بدل قولهم إنك عاقل .

أبو الفتح محمد الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل، منسوب إلى شهرستان بفتح الشين . قال اليافعى فى تاريخ شهرستان : وشهرستان اسم لثلاث مدن : الأولى فى خراسان بين نيسابور وخوارزم . والثانية قصبة بناحية نيسابور . والثالثة مدينة بينها وبين أصبهان ميل . ونسبة أبى الفتح المذكور إلى الأولى .

ومما أنشده فى كتابه المرسوم بالملل والنحل ، عند ذكر اختلاف بعض الفرق:

لقد طفتُ فى تلك المعاهد كلِّها ... وردّدت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلّا واضعا كفّ حائر ... على ذَقَن أو قارعا سنّ نادِم

وكانت وفاته سنة ٥٤٧م كذا ذكره فى تاريخ اليافعى .

قال صاحب كتاب الملل والنحل ، بعد أن عد الحكماء السبعة الذين قال إنهم أساطين الحكمة ، وذكر آخرهم أفلاطون ، قال : وأما من سبقهم فى الزمان ، وخالفهم فى الرأى ، فمنهم أرسطاطاليس ، وهو المقدّم المشهور ، والمعلم الأوّل ، والحكيم المطلق عندهم . ولد فى أوّل سنة من ملك أردشير ، فلما أتت عليه سبعَ عشرة سنة سلمه أبوه إلى أفلاطون، فمكث عنده نيفا وعشرين سنة، وإنما سموه المعلم الأوّل لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجُها من القوّة إلى الفعل. وحكمه حكم واضع النحو ، وواضع العروض ، فإنّ نسبة المنطق إلى المعانى نسبة النحو إلى الكلام ، والعروض إلى الشعر . ثم قال: وكُتبه فى الطبيعيّات، والإلٰهيات، والأخلاق، معروفة ولها شروح كثيرة . ونحن اخترنا فى نقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذى اعتمده مُقدّم المتأخرين ورئيسهم أبو على بن سينا ، وأحلنا ما فى مقالاته فى المسائل على نقل المتأخرين ، إذ لم يخالفوه فى رأى ولا نازعوه فى حكم ، كالمقلدين له والمتهالكين عليه،

وليس الأمر على ما مالت ظنونهم إليه . ثم قرر محصولَ رأيه وخلاصة مذهبه فى الطبيعى والإلٰهى فى كلام طويل ، ثم قال فى آخره : فهذه نكت كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة ، وأكثرها من شرح ثامسطيوس ، والشيخ أبى على ابن سينا الذى يتعصب له وينصر مذهبه ، ولا يقول [بأحد] من الحكماء إلا به .

لبعضهم :

خفيتُ عن العيون فأنكرتنِى ... فكان به ظُهورى للقلوبِ
وأوحشنى الأنيسُ فغبتُ عنه ... لتأنيسى بعلّام الغُيوبِ
وكيف يرُوعنى التفريدُ يوما ... ومن أهوى لدىّ بلا رقيبِ
إذا ماالستوحش الثقلانِ منى ... أنِستُ بخلوتِى ومعى حبيبى

فى تفسير القاضى وغيره : أن إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام أوّلُ من تكلم فى الهيئة والنجوم والحساب .

وفى الملل والنحل فى ذكر الصابئة : أن هرمس هو إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وصرّح فى أوائل شرح حكمة الأشراف : أن هرمس هو إدريس عليه السلام . وصرّح الماتن بأنه من أساتذة أرسطو . انتهى .

روى الحارث الهمدانى عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعلىّ ما من عبد إلا وله جوّانىٌّ وبرّانى : بمعنى سريرة وعلانية ، فمن أصلح جوّانيّه أصلح الله برّانيّه ، ومن أفسد جوّانيه أفسد الله برّانيه (١) ،

---

(١) جاءت هذه الجملة فى أساس البلاغة بهذا التركيب ، ولم يتعرض للنسبة فيها ، وقال : أريد جوا ويريد برا . أى أريد خفية وهو يريد علانية ، ففسر برا بالعلانية ، وجوا بالخفاء .

وذكرها صاحب القاموس بهذا التركيب أيضا ، وقال : نسبة على غير قياس . قال شارحه : كما قالوا فى النسبة إلى صنعاء صنعانى . . وأصله من قولهم : خرج فلان برا : إذا خرج للبر والصحراء ، والجو : كل بطن غامض ، والبر : المتن الظاهر . اه

وقال فى لسان العرب : وفى حديث سلمان : « إن لكل امرئ جوانيا وبرانيا ، فمن أصلح =

وما من أحد إلا وله صيت فى أهل السماء، فإذا حسن وضع الله له ذلك فى الأرض، وإذا ساء صيته فى السماء وضع له ذلك فى الأرض ، فسئل عن صيته ما هو ؟ قال: ذِكرُه . انتهى .

رأى أبو بكر الراشد محمدا الطوسى فى المنام فقال : قل لأبى سعيد الصفار المؤدّب :

وكنا على ألّا نحولَ عن الهوَى   فقد وحياةِ الحبِّ حُلتم وما حُلنا

قال: فانتبهت، فأتيته وذكرت له ذلك، فقال : كنت أزوره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة . انتهى .

لابن الخياط :

خُذا من صبا نَجدٍ أماناً لقلبه   فقد كاد ريَّاها يطير بلُبِّه
وإيّاكُما ذاكَ النسيمَ فإنه   إذا هبَّ كان الوجدُ أيسرَ خطبه
وفى الحى محنىُّ الضلوع على جوًى   متى يدعُه داعِى الغرامِ يُلبِّه
إذا نفحت من جانب الغوْر نفحةٌ   تبيّن منها داؤه دون صَحبِه
خليلَىَّ لو أبصرتُما لعلمتُما   مكان الهوى من مُغرَم القلبِ صبِّه
غرامٌ على يأسِ الهوى ورجائِه   وشوقٌ على بعد المزارِ وقُربه
تذكَّر والذكرى تَشوقُ وذوالهوى   يَتوقُ ومن يَعلَق به الحُبّ يُصبِه
ومحتجبٍ بين الأسنّةِ والظبا   وفى القلْب من إعراضِه مثلُ حَجبه
أغارُ إذا آنستُ فى الحىّ أنّةً   حِذاراً عليه أن تكون لحُبّه

= جوانيه أصلح الله برانيه » قال ابن الأثير : أى باطنا وظاهرا، وسرا وعلانية، وعنى بجوانيه سره ، وبرانيه علانيته، وهو منسوب الى جو البيت، وهو داخله، وزيادة الألف والنون للتأكيد، وجو كل شىء بطنه وداخله ، وهو الجوة أيضا . وأنشد بيت أبى ذؤيب :

يَجرى بجوَّتِه موجُ الفرات كأنـ   ـضاحِ الخزاعىِّ حازَتْ رَنْقَه الريحُ

قال : وجوته بطن ذلك الموضع . اه

بسم الله الرحمن الرحيم

(أحاديثُ منقولةٌ مِن صحيح البخارى رحمه الله تعالى)

باب مناقب فاطمة عليها السلام[1] : حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة عن عَمرو ابن دينار عن أبن مُليكة عن المسور بن مَخرمَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاطمة بَضعة مِنى فمن أغضبها فقد أغْضبنى » .

باب فرض الخمس[2] : حدثنا عبد العزيز بنُ عبد الله ، قال : حدثنا إبراهيم ابن سعد عن صالح ؛ عن ابن شِهاب، قال: أخبرنى عُروة بن الزبير أن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها أخبرته أن فاطمة عليها السلام ابنَة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديقَ رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها ما تركَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضى الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نُورَث ما تركنا صدقة» فغضبت فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرتَهُ حتى تُوفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر . قالت : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ، مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ وفدكَ وصدقتِه بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر رضى الله تعالى عنه إلى علىّ وعباس، وأما خيبر

---

(١) هذه الرواية موافقة لما فى البخارى .

(٢) هذه الرواية إلى آخرها، موافقة لما فى البخارى .

وفدك فأمسكهما عمر وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ، وأمرُهما إلى من ولى الأمر ، قال فهما على ذلك إلى اليوم .

باب فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس رضى الله عنهما: يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعُه فقال: ائتونى أكتبْ لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ، ولا ينبغى عند نبى تنازع، فقالوا: ماشأنه أهَجَر[1] ؟ استفهموه ، فذهبوا يردّون عليه، فقال: دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه ، وأوصاهم بثلاث، قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بمثل ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة ، أوقال: فنسيتها .

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم هلمّوا أكتبْ لكم كتابا لا تضِلوا بعده » فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله غليه وسلم قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتابُ الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول قربوا يكتبْ لكم كتابا لا تضلوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا . قال عبيد الله : فكان يقول ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم .

***

باب قوله تعالى : « فمنْ تمتّع بالعُمرة إلى الحجّ » : حدّثنا مسدد، حدثنا يحيى

---

(١) هجر : اختلف كلامه .

عن عمران أبى بكر ، حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله عز وجلّ ، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنها حتى مات . قال رجل برأيه ما شاء ، قال أبو عبد الله يُقال إنه عمر رضى الله عنه .

باب قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضُّوا إليها » . حدثنى حفص ابن عمر حدثنا خالد بن عبد الله ، حدثنا حصين عن سالم بن أبى الجعد ، وعن أبى سفيان ، عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : أقبلت عِيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فثار الناس إلا اثنى عشر رجلا ، فأنزل الله تعالى « وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضُّوا إليها » .

باب قوله تعالى : « وإذ أسرّ النبىّ إلى بعضِ أزواجِهِ حَديثاً » . حدثنا على ، حدثنا سفيان ، حدثنا يحيى بن سعيد ، قال سمعت عبيد بن حنين ، قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : أردت أن أسأل عمر رضى الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين مَنِ المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما أتممت كلامى حتّى قال : عائشة وحفصة .

باب قول المريض قوموا عنى[1] : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام عن معمَرٍ (ح) وحدّثنى عبدالله بن محمد ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عبيدالله بن عبد الله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « هلمّ أكتبْ لكم كتابا لا تضلّوا بعده » فقال عمرُ إن النبى صلى الله عليه وسلم قد غَلب عليه الوجعُ وعندكم القرآن ، حسبُنا كتابُ الله

---

(١) هذه الرواية تتفق مع ما فى البخارى .

فاختلف أهلُ البيت فاختصموا ، منهم من يقول قرّبوا يكتبْ لكم النبى صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ماقال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لهم: قوموا عنى . قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول ، إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم .

***

باب فى الحوض[1] : حدثنى يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن سليمان ، عن شقيق ، عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض » . وحدثنى عمرو بن علىّ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن المغيرة قال : سمعت أبا وائل عن عبدالله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنا فرطُكم على الحوض ، وليُرفعنّ معى رجالٌ منكم ، ثم ليختلجُن دونى ، فأقول: يارب أصحابى ، فيُقالُ إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وهب ، حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليردَنّ علىّ ناسٌ من أصحابى الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختُلِجوا دونى ، فأقول : أصحابى ، فيقول لا تدرى ما أحدثوا بعدك » .

حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن مُطَرّف ، حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد ، قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّى فرطُكم على الحوضِ، مَنْ مرَّ علىّ شرِبَ، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علىّ أقوامٌ أعرِفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » قال أبو حازم فسمعنى النعمانُ بن أبى عياش فقال هكذا سمعتَ من سهل؟ فقلت: نعم، أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعتُه وهو يزيد فيها : « فأقول

---

(١) هذه الرواية وفق ما فى البخارى .

إنهم مِنّى ، فيُقال إنك لا تدرى ماأحدثوا بعدك،فأقول:سحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدى»
وقال ابن عبّاس : سحقاً : بُعدا ، يقال سَحيق بعيد ، سحقه وأسحقه : أبعده .

وقال : أحمد بن شَبيب بن سعيد الحبطى حدثنى أبى ، عن يونس ، عن ابن شِهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرد علىّ يوم القيامة رهط من أصحابى فيُحَلّأُون[1] عن الحوض فأقول : يارب أصحابى ، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدّوا على أدبارِهم القهقرى » .

حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، عن ابن المسيَّب أنه كان يحدث عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يرد علىَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابى ، فيحلّأُون عنه، فأقول يارب أصحابى ، فيقولُ إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى » .

وقال شعيب عن الزهرى : كان أبو هريرة يُحدّث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيُجْلَوْن . وقال عُقَيل فَيُحَلّأُونَ[1] . وقال الزبيدى عن الزهرى عن محمد بن على ، عن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

حدثنى إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا محمد بن فُليح ، حدثنا أبى ، حدثنى هلال عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« بينا أنا قائم فإذا زُمرة ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلم، فقلت: أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت وما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القَهقرى . ثم إذا زمرة ، حتى إذاعرفتهم خرج رجلٌ من بينى و بينهم ، فقال هلُمّ ،

(١) أى يطردون .

قلتُ أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت ما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثلُ همل النعم » .

حدثنا سعيد بن أبى مريم، عن نافع عن ابن عمر ، قال حدثنى ابن أبى مُليكة ، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنى على الحوض ، حتى أنظرَ من يَرد علىّ منكم ، وسَيُؤخذ ناسٌ دونى فأقول : يارَبِّ منى ومن أمتى ، فيقال : هل شعَرْت ماعملوا بعدك ؟ والله مابرحوا يرْجعون على أعقابهم » فكان ابن أبى مُليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا ، أعقابِكم تنكصون ترجعون على العقب . انتهى .

دخل أبو حازم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له عمر : عظنى ، فقال: اضطجع ، ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك فى تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك فى تلك الساعة فدعه الآن ، فلعل الساعة قريبة . انتهى .

دخل صالح بن بشر على المهدى فقال له : عظنى ، فقال : أليس قد جلس هذا المجلسَ أبوك وعمك قبلك ؟ قال نعم . قال : فكانت لهم أعمالٌ ترجو لهم النجاة بها ؟ قال نعم . قال : فكانت لهم أعمالٌ تخاف عليهم الهلكة منها ؟ قال نعم . قال : فانظر ما رجوت لهم فيه النجاة فأْته ، وما خفت عليهم فيه الهلكةَ فاجتنبه . انتهى .

من الإحياء فى كتاب الحج عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مارُئِىَ الشيطان فى يوم هو أصغرَ ولا أدحرَ ولا أحقرَ ولا أغيظَ منه يوم عَرفة ، ويقال : إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة. وقد أسنده جعفرُ بن محمد عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى حديث مسند عن أهل البيت رضوان

الله عليهم أجمعين : أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له » . انتهى .

كتب العلامةُ المحققُ الطوسى إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد : أما بعدُ فقد نزلنا بغدادَ سنة خمس وخمسين وستمائة ، فساء صباحُ المنذرين ، فدعونا مالكها إلى طاعتنا فأبى ، فحق عليه القول ، فأخذناه أخذا وبيلا . وقد دعوناك إلى طاعتنا ، فإن أتيت فروحٌ وريحان وجنةُ نعيم ، وإن أبيت فلأسلطنّ منك عليك ، فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارنَ أنفه بكفه . والسلام . انتهى .

قال جامعه : من خط والدى طاب ثراه : سئل عطاء عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « خير الدعاء دُعائى ودعاء الأنبياء من قبلى وهو « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملكُ وله الحمدُ يُحيى ويميت وهو حىّ لا يموت ؛ بيده الخيرُ وهو على كل شىء قدير » وليس هذا دعاء إنما هو تقديس وتمجيد . فقال : هذا كما قال أمية بن أبى الصّلت فى ابن جدعان :

إذا أثنى عليكَ المرء يوما كفاهُ من تعرُّضه الثّناء

أفيعلم ابن جدعان ما يراد منه بالثناء عليه ، ولا يعلم الله ما يراد منه بالثناء عليه ؟ انتهى .

من الإحياء : قال الحجاج عند موته : اللهمّ اغفر لى فإنّهم يقولون إنّك لا تغفرُ لِى . وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها . ولما حُكى ذلك للحسن البصرى قال : قالها ؟ فقيل له : نعم . قال : عسى . انتهى .

***

من كلام بعض الحكماء : الموت كسهم مرسل عليك . وعمرك بقدر سيره إليك .

[حكماء الهند]

من الملل والنحل فى ذكر حكماء الهند : ومن ذلك أصحاب الفكرة وهم أهل العلم منهم بالفلك والنجوم وأحكامها .

وللهند طريقة تخالف طريقة منجّمى الروم والعجم، وذلك أنهم يحكمون أكثر الأحكام باتصالات الثوابت دون السيارات ، وينسبون الأحكام إلى خصائص الكواكب دون طبائعها، ويعدّون زحل السعد الأكبر، وذلك لرفعة مكانه وعظم جِرمه ، وهو الذى يعطى العطايا الكلية من السعادة الخالية من النحوسة ، فالروم والعجم يحكمون من الطبائع، والهند يحكمون من الخواصّ، وكذلك طبهم، فإنهم يعتبرون خواصّ الأدوية دون طبائعها، وهؤلاء أصحاب الفكرة يعظمون أمر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ، والصور من المحسوسات ترد عليه ، والحقائق من المعقولات ترد عليه أيضا ، فهو مورد العلمين من العالَمين، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرف الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة والاجتهادات المجهدة ، حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم ، فربما يخبر عن المغيبات من الأحوال ، وربما يقوى على حبس الأمطار ، وربما يوقع الوهم على رجل حى فيقتله فى الحال ، ولا يستبعد ذلك فإن للوهم أثراً عجيبا فى التصرف فى الأجسام والتصرفِ فى النفوس . أليس الاحتلامُ فى النوم تصرفَ الوهم فى الجسم ؟ أليس الإصابةُ بالعين تصرفَ الوهم فى الشخص ؟ أليس الرجلُ يمشى على جدار مرتفع فيسقطُ فى الحال ولا يأخذ من عرض المساحة فى خطواته سوى ما أخذه على الأرض المستوية .

والوهم إذا تجرد عمل أعمالا عجيبة، ولهذا كانت الهند تغمضُ عينيها أياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات، ومع التجرد إذا اقترن به وهم آخر اشتركا فى العمل خصوصا إن كانا مشتركين فى الاتفاق، ولهذا كانت عادتهم إذا دهمهم أمرٌ أنْ يجتمع أربعون رجلا من الهند المخلصين المتفقين على رأى واحد فى الإصابة لينجلى لهم المهم الذى دهمهم ويندفع عنهم البلاء.

ومنهم البكرتيسية يعنى المصفدين بالحديد، وسنتهم حلق الرؤوس واللحى، وتعرية الأجساد ماخلا العورة، وتصفيد البدن من أوساطهم إلى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم، وشدة الوهم، وغلبة الفكر. ولعلهم رأوا فى الحديد خاصية تناسب الأوهام، وإلا فالحديد كيف يمنع انشقاقَ البطن، وكثرة العلم كيف توجب ذلك. انتهى.

[محنة الحلّاج]

من تاريخ اليافعى: الحسين بن منصور الحلاجُ أجمع علماء بغداد على قتله، ووضعوا خطوطهم، وهو يقول: الله[1] فى دمى فإنه حرام، ولم يزل يردّد ذلك وهم يثبتون خطوطهم، وحمل إلى السجن، وأمر المقتدرُ بالله بتسليمه إلى صاحب الشرطة ليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يضربه ألفا أخرى، ثم يضرب عنقه، فسلمه الوزير للشرطى، وقال له: إن لم يمت فاقطع يديه ورجليه، وحز رأسه، وأحرق جثته ولا تقبل خُدعه، فتسلمه الشرطى، وأخرجه إلى باب الطاق يجر

(١) فى المخطوطة: الله، برفع الهاء من لفظ الجلالة، وعلى هذا فهمها هؤلاء الفقهاء، وأفتوا بقتله. ولو فتحوا الهاء من لفظ الجلالة لكان المعنى: اتقوا الله فى دمى، ولما أمكنهم إصدار هذه الفتيا.

فى قيوده ، فاجتمع عليه خلق عظيم ، وضربه ألف سوط فلم يتأوه ، ثم قطع أطرافه، وحزّ رأسه ، وأحرق جثته ، ونصب رأسه على الجسر وذلك فى سنة ٣٠٩[1]. انتهى.

أوصى بعض الحكماء ابنه فقال : ليكن عقلُك دون دِينك ، وقولُك دون فعلك ، ولباسُك دون قدرك . انتهى .

فى الحديث : « إذا أقبلتِ الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » . انتهى .

المحقق التفتازانى ذكر فى المطول فى بحث العكس من فنّ البديع :

طويتُ لإحرازِ الفنون ونَيلها ... رداءَ شَبابى والجُنونُ فُنونُ

فمنذ تعاطيتُ الفنونَ وخضتُها ... تبيّن لى أنّ الفنونَ جُنونُ

* * *

علم الطِّلَّسْمَات: علم يتعرّف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالسافلة المنفعلة ، ليحدث عنها أمر غريب فى عالم الكون والفساد . واختلف فى معنى طلّسم ، والمشهور أن فيه أقوالا ثلاثة : الأول أن الطلّ بمعنى الأثر ، فالمعنى : أثر اسم. الثانى أنه لفظ يونانى معناه عقدة لا تنحل . الثالث أنه كناية عن مقلوب ، أعنى مسلط .

وعلم الطلسمات أسرع تناولا من علم السحر ، وأقرب مسلكا . وللسكاكى فى هذا الفن كتاب جليل القدر عظيم الخطر . انتهى .

---

(١) هذا تجاوز فى العقوبة ، وإفحاش فى التعذيب . ولم يرد فى الإسلام قطع يدى الإنسان ورجليه مرة واحدة مهما كانت الجريمة ، كما لم يرد فيه جمع أربع عقوبات فى جريمة واحدة ، وهى : الضرب ، وقطع اليدين والرجلين معا ، وحز الرقبة عن الجسم ، وحرق الجثة بعد القتل . والموت هو نهاية مايتقى به شر المجرم مهما كان خطره . ولنعمل بما قال نبى الرحمة « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » .

[أنواع الخياطة]

من كتاب سر العربية فى أنواع الخياطة : يقال خاط الثوبَ ، وخرز الخفَّ ، وخصفَ النعل ، وكتب القربة ، وكَتَب المزادة ، وسرد الدرع ، وخاص عين البازى . انتهى .

من كتاب الخميس عن رخال السائس صورة كتاب كتبه حاكم الموت وهو علاء الدين بن الكيّا إلى صاحب الشام فى جواب كتابه الذى تهدده فيه باستئصاله وهدم قلاعه :

يا للرجال لأمرٍ هال مفظعُه ما مر قط على سمعى توقُّعُهُ
قُلْ للذِى بِقِراع السيف هددَنا لا قامَ نائمُ جنبِى حينَ تصرعُهُ
قام الحمَامُ إلى البازِى يُهـــدّده واستيقظَتْ لأسودِ الغابِ أضبُعُه
أضحى يَسدّ فمَ الأفعَى بأصبُعِهِ يكفيه ما قد تُلاقى منه أصبُعه

وقفنا على تفصيله وجمله ، وما هددنا به من قوله وعمله ، فيالله العجبُ من ذبابة تطِنّ فى أذُن فيل ، ومن بعوضة تعد فى التماثيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون ، فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين ، فللباطل تُظهرون ، وللحق تدحَضُون . وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلَب ينقلبون . ولئن صدق قولك فى أخذك لرأسى ، وقلعك قلاعنا بالجبال الرواسى ، فتلك أمانىّ كاذبة ، وخيالات غير صائبة، وهيهات لاتزول الجواهر بالأعراض ، كما لا تزول الأجسام بالأمراض . ولئن رجعنا إلى الظواهر والمنقولات ، وتركنا البواطن والمعقولات ، لنخاطب الناس على قدر عقولهم ، فلنا فى رسول الله أسوةٌ حسنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أوذى نبى بمثل ما أوذيتُ » ، وقد علمتم ما جرى على أهل بيته وشيعته ، وصحابته وعترته ، فلله الحمد

فى الآخرة والأولى، إذ لم نزل مظلومين لا ظالمين، ومغصوبين لا غاصبين، وقد علمتم ظاهر صورة حالنا، وكيف قتال رجالنا، وما يتمنونه من الفوت، ويتقرّبون به إلى حياض الموت، «فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين، ولا يتمنّونَه أبدا بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين» فالبس الرزايا أثوابا، وتجلبب للبلايا جلبابا، فلأرسلنّهم فيك منك، ولآخذن بهم عنك، فتكون كالباحثِ عن حتفه بظلفه، والجادع مارنَ أنفه بكفه. ولتعلمُنّ نبأه بعد حين. انتهى.

لبعضهم:

تنكّرَ لى دهرى ولم يدر أننى — أعزُّ وأحداثُ الزمان تهونُ
وبات يُرِينى الخطب كيف اعتداؤه — وبتّ أريه الصبرَ كيف يكونُ

لبعضهم أيضا:

ولست كمن أخنَى عليه زمانُه — فظل على أحداثه يتعتّبُ
تلذّ له الشكوى وإن لم يجد لها — صلاحا كما يلتذّ بالحك أجربُ

الصفى الحلى رحمه الله تعالى:

قالت كحلتَ الجفونَ بالوسن — قلتُ ارتقابا لطيفِك الحسَنِ
قالت تسلّيتَ بعد فُرقتنا — فقلتُ عن مَسكنى وعن سَكنى (١)
قالت تشاغلتَ عن محبّتنا — قلتُ بفرْط البكاء والحزَن
قالت تناسيتَ قلتُ عافيتِى — قالت تسلّيتَ قلتُ عن وطنى
قالت تخلّيتَ قلتُ عن جلَدِى — قالتْ تغيّرتَ قلتُ فى بدنى
قالت أذعْتَ الأسرار قلتُ لها — صيّر سِرّى هواكِ كالعلنِ

(١) المسكن: الدار، والسكن — بالفتح —: ما يسكن إليه.

قالت فماذا ترومُ قلت لها ساعةَ سعدٍ بالوصلِ تُسعِدُنِي
قالتْ فمِنَ الرقيبِ ترصُدُنا قلتُ فإني للعينِ لم أبِنِ
أنحلتِنِي بالصُّدودِ منكِ فلو ترصَّدتْنِي المَنونُ لم تَرَنِ

وله :

حرَّضونى على السُّلوِّ وعابوا لكِ وجهاً به يُعابُ البدْرُ
حاشَ لله ما لعذرى وجهٌ فى التسلى ولا لوجهك عُذرُ

* * *

رُوى أن الحلّاجَ كان يصيح فى بغداد ويقول: يا أهل السلام أغيثونى من الله، فلا يتركُنى ونفسى فآنَسُ بها، ولا يأخذنى من نفسى فأستريحُ منها. وهذا دلال لا أطيقه. يقال إن هذا الكلام كان أحد البواعث على قتله. ومن شعره :

كانت لنفسىَ أهواءٌ مفرَّقةٌ فاستجمعتْ إذ رأتكَ العينُ أهوائِى
فصار يحسُدنى من كنتُ أحسُده وصرتُ مولَى الورى إذ صِرتَ مولائِى
تركتُ للناس دنياهم ودينَهمُ شُغلًا بذِكرك يا دِينى ودنيائِى

من كتاب المحاسن قال: وقع حريق فى المدائن، فأخذ سلمان سيفه ومصحفه وخرج من الدار، وقال: هكذا ينجو المخفُّون. انتهى.

ابن المعتز :

ضعيفةٌ أجفانُه والقلبُ منه حجرُ
كأنما ألحاظُه من فعله تعتذرُ

أبو الفتح البستى :

الدهرُ ذو خدعة خلوبُ وصفوُه بالقذى مشوب

وأكثر الناس فاعتزلهم قوالِبُ مالها قلوب

وله :

إذا أبصرتَ فى لفظى فُتوراً وخَطّى والبلاغةِ والبيانِ
فلا تَعجلْ بذمّى إن رَقْصى على مقدار إيقاع الزمانِ

علاء الدين الماردينى رحمه الله تعالى :

انظر صحاحَ المبسم السكّرى رواية صحّت عن الجوهرى
وصحّح النظام فى ثغره ما قد رواهُ خالُه العَنبرى
مُعتزِلىّ أصبح لمّا بدا فى خدّه عارضُه الأشعرى
قد كَتب الحسنُ على خدّه يا أعيُنَ الناس قفى وانظرِى
أمطَر دمْعى عارضٌ قد بدا يا مرْحَباً بالعارض الممطرِ
فى وجهه لاحت لنا روضةٌ نباتُها أحلى من السكّرِ
وجهٌ لأنواع البها جامعٌ من لى بذاكَ الجامعِ الأزهرِ
لمّا نضا من جَفنه مُرهَفا رُحتُ قتيل الناظر الأحورِ
أسهرتُ لحظاً يا فقيهاً به قد راحتِ الروحُ على الأشهر

كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد :

كلّما مر من سُرورك يومٌ مرّ فى الحبس من بلائىَ يومُ
ما لنُعمَى ولا لبؤسٍ دوام لم يدم فى النعيم والبؤس قومُ

قال ابن عباس : من حبس الله الدنيا عنه ثلاثة أيام وهو راض عن الله تعالى فهو فى الجنة . انتهى .

سمى المال مالا لأنه مال بالناس عن طاعة الله عز وجل . انتهى .

قال المحقق الدوانى فى شرح الهياكل: إن للحيوانات عند المصنف نفوساً مجردة كما هو مذهب الأوائل . وبعضهم أثبت فى النبات أيضا . ويلوح ذلك من بعض تلويحات المصنف . وبعضهم أثبتوا فى الجمادات أيضاً . انتهى .

من فعل ما شاء لقى ما لم يشأ . وقال آخر: من فعل ما شاء لقى ما ساء. انتهى.

البها زهير :

يا من لعبتْ به شَمول ما ألطفَ هذه الشمائلْ
نشوانُ يهزه دلالٌ كالغُصن مع النسيم مائلْ
لا يمكنه الكلامُ لكنْ قد حمَّل طرفَه رسائلْ
والورد على الخدود غضٌّ والنَّرجسُ فى الجفون ذابلْ
عشقٌ ومسرةٌ وسكرٌ العقلُ ببعض ذاك زائلْ
ما أطيبَ وقتنا وأهنا والعاذل غائبٌ وغافلْ
لى فيك كما علمتَ شُغلٌ لا يفهم سرَّه العواذلْ
لا أطلُبُ فى الهوى شفيعا لى فيك غِنًى عن الوسائلْ
ذا العامُ مضى وليتَ شِعرى هل يحصلُ لى رضاك قابلْ
ها عبدُك واقفٌ ذليلُ بالباب يَمُدّ كفَّ سائلْ
مِن وصلِك بالقليل يرضى الطَّلُّ من الحبيب وابلْ
مالى وإلى متى التمادى قد آن بأنْ يُفيق غافلْ
ما أعظمَ حسرتى لعُمْرٍ قد ضاع ولم أفُزْ بطائلْ
ما أعلمُ ما يكون منى والأمرُ كما علمتَ هائلْ
قد عزّ علىّ سوءُ حالى ما يفعل ما فعلتُ عاقلْ
يا أكرمَ من رجاهُ راجٍ عن بابك لا يُردُّ سائلْ

الشيخ سعدى الشيرازى :

يا نديمى قم بليـــلٍ واسقنى واسق النَّدامى
خلِّنى أسهرُ ليـلى ودعِ النـاسَ نياماَ
أسقِيـــانى وهدير الرّعد قد أبـــكى الغماما
فى أوان كشَفَ الور دُ عن الوجهِ اللثـاما
أيهـــا المُصغى إلى الزُّهـاد دع عنك المَلاما
فز بها من قبل أن يجـــعلك الدهرُ عظاما
قل لمن عـــيَّر أهلَ الـــحُبِّ بالُحبِّ ولاماَ
لا عرفتَ الحبَّ هيهـا تَ ولا ذقتَ الغراما
لا تلمـــنى فى غُلام أودع القلبَ سقـاما
فبـــداء الُحب كم من سيـــد أضحى غُلاما

الصلاح الصفدى وفيه تورية :

ما أبصرَ الناسُ صبرى على بلائى وكَربى
الصمت دأبُ لسانى وقد تـكلّم قلـبى

وله :

يقولُ الزمان ولم تَستمعْ لمن طلبَ الرزقَ أو أمّلَهْ
أناحربُ منجدّ فى كسبه ومن يتقنع تعصّبتُ له

وله :

وصاحبٍ لما أتاهُ الغنى تاه ونفسُ المرء طمّاحهْ
وقيل هل أبصرتَ منه يداً تشكرُها قلت ولا راحَهْ

وله يشكو من دمل وفيه تورية :

أشكو إلى الله من أمورٍ   يمر دهرى ولا تمرُّ
ودمَّل مع دوام ليـــل   ما لها ما حَييتُ فجرُ

لجامعه :

لا يُعزّ اللهُ من ذلّنـا   كلٌّ من ذلّنا ذلّ لنا

* * *

من تأويلات جمال العارفين الشيخ عبد الرزاق الـكاشى فى قصة مريم . إنما تمثل لها بشراً سوى الخلق حسن الصورة ؛ لتتأثر نفسُها به ، فتتحرك على مقتضى الجبلة ، أو يسرى الأثر من الخيال فى الطبيعة ، فتتحرك شهوتهـا فتنزل كما يقع فى المنام من الاحتلام .

وإنما أمـكن تولد الولد من نطفة واحدة ، لأنه ثبت فى العلوم الطبيعة أن منى الذكر فى تولد الولد بمنزلة الإنفحة من الجبن ، ومنى الأنثى بمنزلة اللبن : أى العقد من منى الذكر ، والانعقاد من الأنثى ، لا على معنى أن منى الذكر ينفرد بالقوّة العاقدة ومنى الأنثى ينفرد بالقوة المنعقدة ، بل على معنى أن القوة العاقدة فى منى الذكر أقوى ، والمنعقدة فى منى الأنثى أقوى ، وإلّا لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحدا ، ولم ينعقد منى الذكر حتى يصير جزءاً من الولد فعلى هذا إذا كان مزاج الأنثى قويّا ذُكوريا ، كما تـكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القُوى ، وكان مزاج كبدها حارّا كان المنى الذى ينفصل عن كُليتها اليمنى أحرّ كثيراً من المنى الذى ينفصل عن كليتها اليسرى ، فإذا اجتمعا فى الرحم وكان مزاجُ الرحم قويّا فى الإمساك والجذب قام المنفصلُ من الـكلية اليمنى مقام منى الرجل فى شدة قوة العقد ، والمنفصلُ من الـكُلية اليسرى مقام منى الأنثى فى قوة الانعقاد فيتخلق الولد .

هـذا ، وخصوصا إذا كانت النفس متأيدة بروح القُدس ، متقوية به يسرى أثر اتصالها به إلى الطبيعة والبدن ، ويغير المزاج ويمد جميع القوى فى أفعالها بالمـــدد الروحانى ، فتصير أقدر على أفعالها بمالا ينضبط بالقياس . انتهى .

* * *

كتب المنصور العباسى إلى أبى عبد الله جعفر الصادق عليه السلام : لم لا تغشانا كما تغشانا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت فى نعمة فنهنّيك بها ، ولا نعدها نقمة فنعزيك لها .

فكتب المنصور إليه : تصحبنا لتنصحنا . فكتب إليه أبو عبد الله أيضا : من يطلُب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

خرج أبو حازم الصوفى فى بعض أيام المواقف ، وإذا بامرأة جميلة حاسرة عن وجهها قد فتنت الناس بحسنها، فقال لها : ياهذه إنكِ بمشعر حرام، وقد شغلتِ الناس عن مناسكهم ، فاتقى الله واستترى . فقالت : يا أبا حازم : إنى من اللائى قال فيهنّ الشاعر :

أماطتْ كِساء الخزّ عن حُرّ وجهها وأرختْ على المتنين بُرداً مُهلهَلَا
من اللّاء لم يحجُجْن يبغين حِسْبَةً ولكن ليقتلنَ البرىء المغفّلَا

قال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندعوا الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها بالنار، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبىّ فقال : ما أرقكم يا أهل الحجاز ! أما لو كان من أهل العراق لقال : اعزبى لعنة الله عليك . انتهى .

* * *

قال عبد الله بن المعتزّ فى جملة كلام له : وعْدُ الدنيا إلى خُلْف ، وبقاؤها إلى

تلف . كم راقد فى ظلها قد أيقظته . وواثق بها قد خانته . حتى يلفظ نفسه ، ويسكن رمسه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله . قد ركض الموتُ إلى حياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البِلَا جمال بهجته ، وقطع نظامَ صورته ، وصار كخط من رماد ، تحت صفائحَ أنضاد . قد أسلمه الأحباب ، وافترسه التراب ، فى بيت تخذته المعاول ، وفرشت فيه الجنادل . مازال مضطربا فى أملِه ، حتى استقر فى أجله ، ومحت الأيام ذكره ، واعتادت الألحاظ فقده . انتهى .

من كلامهم : إذا أفنيت عمرك فى الجمع فمتى تأكل .

من بعض التواريخ المعتمدة : اصطبح المأمون وعنده عبد الله بن طاهر ويحيى ابن أكثم ، فغمز المأمون الساقى على إسكار يحيى فسقاه حتى تلف ، وبين أيديهم ردم فيه ورد ، فشقوا له فيه شبه اللحد ودفنوه فى الورد ، ونظم المأمون فيه هذين البيتين ، وأمر بعض جواريه فغنت بهما عند رأس يحيى :

ناديتُه وهو ميْتٌ لا حراك به … مكفَّنٌ فى ثياب من رياحِينِ
وقلتُ قم قال رِجلى لا تطاوعُنى … فقلتُ خذ قال كفِّى لا تُواتينى

وجعلت تردد الصوت ، فأفاق يحيى وهو تحت الورد ، فأنشأ يقول مجيبا :

ياسيِّدى وأميرَ الناس كلِّهِم … قد جار فى حُكمه من كان يَسْقِينى
إنى غفلتُ عن الساقى فصيّرنى … كما ترانى سليبَ العقلِ والدينِ
لاأستطيعُ نهوضا قد وهَى بدنى … ولا أجيبُ المنادى حين يدعونِى
فاختَر لنفسك قاضٍ إننى رجلٌ … الراح تَقْتُلنى والعودُ يحيينى

سأل بعضُ الأدباء من بعض الوزراء جملا فأرسل إليه جملا ضعيفا نحيفا ، فكتب الأديبُ إليه : حضر الجمل فرأيته متقادِمَ الميلاد ، كأنه من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور . وتعاقبته العصور . فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما الله تعالى

لنوح فى سفينته . وحفظ بهما جنس الجمــال لذريته . ناحلا ضئيلا ، باليًا هزيلا .
يعجَبُ العاقلُ من طول الحياة به، وتأنِّى الحركة فيه لأنه عظم مجلد، وصوف ملبد.
لو ألقىَ إلى السبعُ لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه. قدطال للـكلأ فقدُه، وبُعد
بالمرعى عهده . لم ير العاف إلا نائما، ولا يعرف الشعير إلا حالما. وقد خيرتنى بين أن
أقتنيه فيـكون فيه غنى الدهر. أوأذبحه فيـكون فيه خصب الرحل، فملت إلى استبقائه
لما تعلم من محبتى للتوفير ، ورغبتى فى التثمير. وجمعى للولد، وادخارى للغد. فلم أجد
فيه مدفعا لفناء . ولا مستمتعا لبقاء. لأنه ليس بأنثى فيحمل، ولا فتىّ فينسل، ولا صحيح
فيرعى ، ولا سليم فيبقى. فملت إلى الثانى من رأييك، وعملت على الآخر من قوليك
فقلت أذبحه فيـكونُ وظيفة للعيال ، وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال . فأنشدنى
ـ وقد أضرمت النار ، وحددت الشفار ، وتشمر الجزار ـ :

أعيذها نظرات منكَ صادقةً أن تحسِبَ الشحمَ فيمن شحمُه ورَمُ

وقال وما الفائدة فى ذبحى، وأنا لم يبق فىّ إلا نفس خافت، ومقلة إنسانها باهت،
لستُ بذى لحم فأصلح للأكل لأن الدهر قد أكل لحمى. ولا جلدى يصلح للدباغ
لأن الأيام مزقت أدمى . ولا صوفى يصلح للغزل لأن الحوادث قد جزت وبرى .
فإن أردتنى للوَقود فـكفُّ بعرٍ أبقى من نارى. ولن تفى حرارةُ جمرى بريح قُتارى،
فوجدته صادقا فى مقالته . ناصحا فى مشورته . ولم أدر من أى أمريه أعجب : أمن
مماطلته الدهر بالبقاء . أم من صبره على الضر والبلاء . أم قدرتك عليه مع إعواز
مثله. أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره. فما هو إلا كقائم من القبور. أو ناشر
عند نفخ الصور . والسلام

* * *

قد يقال: إن جمع القرآن لا يسمى تصنيفا، إذ الظاهر أن التصنيف ما كان من

كلام المصنف . والجواب : أن جمع القرآن إذا لم يكن تصنيفا لما ذكرت من العلة فجمع الحديث أيضا ليس تصنيفا ، مع أن إطلاق التصنيف على كتب الحديث شائع ذائع . انتهى .

لجامعه يرثى والده رحمه الله تعالى :

قِفْ بالطلول وسلها أينَ سلماها ... وروّ من جرَع الأجفان رياّها
وردد الطرف فى أطراف ساحتها ... وروّح الرُّوحَ من أرواح أرجاها
وإن يفتْك من الأطلال مخبرُها ... فلا يفوتك مرآها ورياّها
ربوعُ فضلٍ يضاهى التبرَ تربتُها ... ودارُ أنس يحاكى الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدورُ تمٍّ غمامُ الموت جلّلها ... شموسُ فضل سحابُ الترب غشّاها
فالمجدُ يبكى عليها جازعا أسِفا ... والدينُ يَندُبها والفضلُ ينعاها
يا حبذا أزمُنٌ فى ظلّهم سلفت ... ما كان أقصرَها عُمْراً وأحلاها
أوقات أنس قضيناها فما ذُكرت ... إلا وقطّع قلبَ الصبّ ذكراها
يا سادة هَجروا واستوطنوا هَجَرا ... واهاً لقلبِ المعنّى بعدكُمْ واها
رعياً لليلاتٍ وصلٍ بالحمى سلفَتْ ... سُقيا لأيامنا بالخيف سُقياها
لفقدِكم شُقّ جيبُ المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها
وخرّ من شامخات العلم أرفعُها ... وانهدّ من باذخات الحلمِ أرساها
يا ثاويا بالمصلّى من قُرى هَجرٍ ... كُسيتَ من حُلل الرضوان أرضاها
أقمتَ يا بحرُ بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثةٌ كن أمثالا وأشباها
ثلاثة أنت أسداها وأغزرُها ... جودا وأعذبها طعما وأحلاها
حويتَ من دُررِ العلياء ما حويا ... لكنّ دُرّكَ أعلاها وأغلاها

يا أَخْمَصاً وَطِئَت هام السُّهى شرفا سقاك من ديم الوسمىّ أسمـــاها
ويا ضريحا عَلَا فوق السِّماك عــلَا عليك من صلوات الله أزكاها(١)
بك انطوى من شموس الفضل آخرُها ومن معــالم دين الله أسنــاهاَ
ومن شوامِخ أطــوادِ الفتوّة أرْ ساها وأرفعُها قــدرا وأنهاها
فاسحبْ على الفلَك العلوىّ ذيل عُلَا فقد حويتَ من العلياء أعــلاهاَ
عليك مِنّى سلامُ الله ما صدحت على غُصون أراكِ الدوح وُرْقاها

* * *

تولى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين ، وكان للشيخ أبى جعفر الطوسى أيام قراءته على السيد المرتضى كل شهر اثنا عشر دينارا ، ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير .

وكان السيد المرتضى يُجرى على تلامذته ، وكان ـ قدس الله روحه ـ يدرس فى علوم كثيرة ، وفى بعض السنين أصاب الناسَ قحطٌ شديد ، فاحتال رجل يهودى فى تحصيل قوت يحفظ به نفسه ، فحضر يوما مجلس المرتضى ، واستأذنه فى أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم ، فأذن له السيد وأمر له بجراية تجرى عليه كل يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يده .

وكان السيد قدس الله سره العزيز نحيف الجسم ، وكان يقرأ مع أخيه الرضى على ابن نباتة صاحب الخطب وهما طفلان .

وحضر المفيد مجلس السيد يوما فقام من موضعه وأجلسه فيه ، وجلس بين يديه فأشار إليه بأن يدرس فى حضوره ، وكان يعجبه كلامه إذا تكلم .

وكان السيد قد وقف قرية على كاغد الفقهاء .

---

(١) علا الأولى جملة دعائية يدعو له فيها بالعلا . وعلا الثانية جملة خبرية يخبر فيها أنه عالى القدر .

وحكاية رؤية المفيد فى المنام فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وعن ولديها وأنها أتت بالحسن والحسين إليه ، وقولها له علم ولدىّ هذين العلم ، ومجىء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضى والمرتضى فى صبيحة ليلة المنام إلى المفيد ، وقولها له علم ولدىّ هذين مشهورة . انتهى .

لبعض الأكابر :

إذا أمسى وسادى من تراب وبت مجاورَ الرّبّ الرحيم
فهنونى أُصَيحابى وقولوا لك البُشرى قدمت على كريم

آخر :

أيها المرء إنَّ دنياك بحرٌ موجُهُ طافح فلا تأمنَنْها
وسبيلُ النّجاة فيها مُنيرٌ وهو أخذُ الكفافِ والقوتِ منها

المجنون :

هَوى ناقتى خلفٌ وقدامى الهوَى وإنّى وإياها لمختلفانِ

لبعضهم :

طوبى لعبدٍ بحبل الله معتصمٍ على صراطٍ سوىّ ثابتٍ قدمُهْ
مازال يحتقر الدنيا بهمّته حتى ترقت إلى الأُخرى به هِمَمُهْ
رثّ اللباس جديد القلب مُستترٍ فى الأرض مشتهر فوق السما نسمُهْ
إذا العيونُ اجتلتهُ فى بذاذتِه تعلو نواظرها عنه وتقتحمه

* * *

قوله تعالى « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضُّوا إليها وتركُوك قائماً، قل ماعندالله خيرٌ من اللّهوِ ومن التجارةْ والله خيرُ الرازقينَ » إن قلت : ما النكتة فى تقديم

التجارة على اللهو فى صدر الآية وتقديم اللهو على التجارة فى آخرها ؟ قلت : التجارة أمر مقصود يقبل الاهتمام فى الجملة؛ وأما اللهو فأمر حقير مرذول غير قابل للاهتمام، ومقام التشنيع عليهم يقتضى الترقى من الأعلى إلى الأدنى، فالمراد ـ والله أعلم ـ أن هؤلاء لاجِدَّ لهم فى القيام بالوظائف الدينية، ولا لهم قدم راسخ فى الاهتمام بالأوامر الإلهية، بل إذا لاح لهم أمر دنيوى يرجون نفعه كالتجارة أعرضوا عما هم فيه من عبادة الله سبحانه، ولم يراقبوا مقامك فيهم، وخرجوا إليها جاعلين ما يؤملونه من التكسب نصب أعينهم ، بل إذا سنح لهم ماهو أقل نفعا من التجارة بكثير وهو اللهو ضربوا لأجله عن العبادة صفحا ، وطووا عن ذكر الله كشحا، وخرجوا إليه ، ولم يستحيوا منك وأنت قائم تنظر إليهم . فظهر بهذا أن المقام يقتضى تقديم التجارة على اللهو فى أول الآية . وأما تقديمه عليها فى آخرها فإن المقام هناك يقتضى الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، فإن الغرض تنبيههم على أن ما عند الله سبحانه من الأجر الجزيل والثواب العظيم خير من النفع الحقير الذى حصل لكم من اللهو ، بل خير من ذلك النفع الآخر الذى اهتممتم بشأنه وجعلتموه نصب أعينكم وظننتموه أعلى مطالبكم ، أعنى نفع التجارة الذى يقبل الاهتمام فى الجملة . انتهى .

* * *

ومن تفسير القاضى عند قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا » الآية : فتعرفوا وتفحّصوا . روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقاً إلى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة ، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه ، فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : قد ارتدوا ومنعوا الزكاة . فهمّ بقتالهم ، فنزلت . وقيل بعث إليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع . وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم . وتعليق الأمر

بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث إن المعلّق على شىء بكلمة «إن» عدم عند عدمه. وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق، إذ الترتيب يفيد التعليل. وما بالذات لا يعلّل بالغير . وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا : أى فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) كراهة إصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فَتُصْبِحُوا) فتصيروا (على مافعلتم نادِمين) مغتمين غما لازما، متمنين أنه لم يقع . وتركيب هذه الأحرف الثلاثة دائرة مع الدوام .

* * *

قال جامع هذا الكتاب : لا ريب أن صيغة اسم الفاعل هنا حاملةٌ لمعنى الوحدة والوصف العنوانى معا فيجوز كون المجموع علة للتثبت ، فكأنه قيل : إن جاءكم فاسق واحد فتثبتوا ، ولو كان التثبت معلقا على طبيعة الفسق لبطل العمل بالشياع .

ثم لا يخفى أن التثبت فى الآية معلل بأدائه إلى إصابة القوم أى قتالهم ، فإذا لم تكن مظنة هذه العلة لا يجب التثبت لإصابة عدم هذه العلة علة أخرى كما يقول الخصم من أنه إذا انتفى الفسق انتفى التثبت ؛ لأن الأصل عدم علة أخرى له . وعند التأمل فيما ذكرناه يظهر لك أن الاستدلال بالآية على حجية خبر الآحاد العدول لا غيرهم كما ذكره بعض الأصوليين فيه مافيه . والعجب عدم تبينهم لهذا مع ظهوره فتأمل . انتهى .

من كلام الحكماء : أفضل الفعال صيانة العرض بالمال . أنت حرز نفسك إن صحبت من هو دونك . امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة . ارفض أهل المهانة تلزمك المهابة . من غضب من لا شىء رضى من لا شىء . السكوت عن الأحمق جوابه . لاتخضع للئيم فإنه لا يصفيك . انتهى .

ولله در من قال :

كُن عن النـاس جانباً وارضَ بالله صاحبـاً
قلّب الناسَ كيف شئـت تجـدهم عقـاربا

الصفىّ الحلى:

كُن عن هُمومك مُعرضا وكِل الأمورَ إلى القضا
وابشِرْ بخـيرٍ عاجلٍ تنْسى به ماقد مَضى
فلرُبَّ أمر مسخطٍ لك فى عَواقبه رِضاً
ولَرُبَّمـا اتّسع المضيـقُ وربما ضاق الفضا
اللهُ يفعـلُ ما يشا ءُ فلا تـكن مُتعرِّضاً
اللهُ عوَّدك الجميـلَ فقِسْ على ما قد مَضَى

عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال :سمعت الصادق جعفرَ بن محمد عليه السلام يقول : عزَّت السلامةُ حتى لقـد خفى مطلبهـا ، فإن تـكن فى شىء فيوشك أن تـكون فى الخمول ، فإن لم توجد فى الخمول فيوشك أن تـكون فى التّخلى ، وليس كالخمول . فإن لم تـكن فى التّخلى فيوشك أن تـكون فى الصمت، وليس كالتّخلى. فإن لم توجد فى الصمت فيوشك أن تـكون فى كلام السلف الصـالح . والسعيد من وجد فى نفسه خلوة . والله الموفق .

خطب الحجاج يوما فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كفينا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . فسمعها الحسن البصرى فقال : هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

وكان سفيان الثورى يعجبه كلام بعض الخوارج ويقول : ضالة المؤمن على لسان المنافق . انتهى .

ولله در من قال :

ألذُّ من التلذّذ بالغوانى   إذا أقبلْن فى حُلَلٍ حسان
مُنيبٌ فرّ من أهل ومالٍ   يَسيحُ إلى مكان من مكان
ليخمُلَ ذكرُه ويعيشَ فردا   ويأخُذَ فى العبادة فى أمانِ
تلذُّذه التلاوةُ أين ولّى   وذكرٌ بالفؤاد وباللسان

ممايتسب لحضرة الإمام الشافعى :

إنّ لله عباداً فُطنا   طَلّقوا الدنيا وَخافوا الفِتنَا
نظرُوا فيها فلمّا علموا   أنها ليستْ لحىّ وطنا
جَعلوها لُجّةً واتخذوا   صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

آخر :

صبرتُ على مالو تحمّل بعضَه   جبالُ شراةٍ أصبحَتْ تَتَصدّعُ
ملكتُ دموعَ العين حتّى رددتّها   إلى باطِنى فالعينُ فى القلب تدمَعُ

آخر :

إذا كان شُكرى نعمةَ الله نعمةً   علىّ له فى مثلها يجبُ الشُّكرُ
فليسَ بلوغُ الشّكر إلا بفضله   وإنْ طالت الأيامُ واتّصل العمرُ

وقريب منه قول بعضهم :

شكرُ الإلهِ نعمةٌ   مُوجبةٌ لشكره

فكيف شُكرى برَّه وشكرُهُ من برّه

***

قيل لرابعةَ العدويةِ : متى يكون العبدُ راضيا عن الله تعالى ؟ فقالت: إذا كان سرورُه بالمصيبة كسرُوره بالنعمة.

وقيل لها يوما : كيف شوقُك إلى الجنة ؟ فقالت : الجارُ قبل الدار .

ومن كلامها نفعنا الله بها : ما ظهر من عملى فلا أعده شيئاً . انتهى .

لبعض العبّاد : أهينوا الدنيا فإنها أهنَى ما تكون لكم أهون ما تكون عليكم .

أورد بعض المفسرين عند قوله تعالى: « وينَجّى اللهُ الذين اتّقوا بمفازتهم » أن العمل الصالحَ يقول لصاحبه يوم القيامة عند مشاهدة الأهوال : اركبنى ، فطالما ركبتُك فى الدنيا ، فيركبه ويتخطى به شدائد القيامة . انتهى .

قال بعض الأعلام : لا ينال عبدٌ الكرامةَ حتى يكون على إحدى صفتين : إما أن يُسقط الناسَ من عينه فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه ، وأن أحداً لا يقدر على أن يضرّه ولا ينفعه . وإما أن يُسقط الناسَ عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه . انتهى .

لبعض آل الرسول صلى الله عليه وسلم :

نحن بنو المصطفى ذوو غُصص　　تجرَّعها فى الحياةِ كاظمُنا
قديمةٌ فى الزمان محنتنا　　أولُنا مبتلى وآخرُنا
يفرحُ هذا الورى بعيدِهمُ　　ونحنُ أعيادنا مآتمُنا
الناسُ فى الأمن والسرور ولا　　يأمنُ طولَ الحياة خائفُنا

آخر :

يا طالبَ العلم ها هُنا وهنا ومعدِنُ العلم بين جنبيكا
قم إذا قام كلُّ مجتهدٍ وادعُ إلى أن يقول لبيكا

آخر :

لم أنسَــهُ لمــــا بدا مُتمايِلا يهتزّ من لين الصِّبا ويقولُ
ماذا لقيتَ من الهوى ؟ فأجبتُه في قصّتي طولٌ وأنت مَلولُ

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى عُزير : إن لم تَطِبْ نفسا بأن أجعلكَ عِلكا في أفواه الماضغين ، لم أكتُبْكَ عندي من المتواضعين . انتهى .

الخطاف لايغتذى إلا بالشعر، ولا يأكلُ شيئاً مما يأكله بنو آدم. وما أحسنَ ما قال الشاعر فى هذا المعنى :

كن زاهدا فيما حوته يدُ الورى تضحى إلى كلّ الأنام حبيبا
أوَ ما ترَى الُخطافَ حرَّم زادَهم ، فغدا مُقيما فى البيوت رَبيبا

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : أشدّ الأعمال ثلاثةٌ : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الإخوان بالمال ، وإنصاف الناس من نفسك .

قال بعض الأكابر : ينبغى أن تَستنبط لِزَلّة أخيك سبعين عذرا ، فإن لم يقبله قلبك ، فقل لقلبك : ما أقساكَ ؟ يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبلُ عذرَه ؟ فأنت المعتَب لا هو . انتهى .

* * *

أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الضرير :

ياليلُ الصبُّ متى غدُه أقيامُ الساعةِ موْعِدُه

رقد السُّمَّار وأرّقه … أسفٌ للبين يُردّده
فبكاهُ النجمُ ورقّ له … مما يرعاه ويرصُده
نصَبتْ عيناىَ له شَرَكاً … فى النّوم فعزّ تصيُّده
صاحِ والخمرُ جَنى فَمِهِ … سكرانُ اللحظ مُعربدُه
يامن سفَكت عيناهُ دمى … وعلى خدّيْه تورُّده
خدّاك قد اعترفا بدمى … فعلامَ جُفونُك تجحدُه
باللهِ هَبِ المشتاق كرًى … فلعلّ خيالَك يُسعدُه
لم يُبْق هواك به رمقاً … فلتبكِ عليه عُوّدُه
وغداً يَقْضى أو بعدَ غدٍ … هلْ مِن نَظرٍ يَتزوّدُه
ما أحلى الوصل وأعذَبه … لولا الأيامُ تنكّدُه
بالبَين وبالهِجران فيا … لَفُؤادى كيفَ تجلّدُه

آخر :

أيامن غَاب عن عَيْنِي منامى … لفُرقَته وواصلنى سَقامى
رَحلتَ بمهجةٍ خيّمت فيها … وشأنُ التُّرك تنزلُ فى الخيام

آخر :

ولقيتُ فى حُبّيكَ مالم يلقَه … فى حُبّ لَيلى قيسُها المجنونُ
لكنّنى لم أتبع وحشَ الفلا … كفِعالِ قَيسٍ والجنونُ فنونُ

آخر :

غمزْتُه بنـاظرِى … ولم أُفه بكلمَهْ
أجَابنى حاجِبُـه … لكنْ بنُونِ العظَمَه

آخر :

إنى لأعجبُ من صُدودك والجفا ... من بعد ذاك القُربِ والإيناسِ
حاشى شمائلَكَ اللطيفةَ أن تُرى ... عَونا علىَّ معَ الزمانِ القاسِى

آخر :

سألتهُ التقبيل فى خَـدِّه ... عشراً ومازاد يكونُ احتساب
فمُذْ تعانقنا وقبَّلتهُ ... غلِطتُ فى العَدِّ وضاعَ الحساب

البها زهير :

أيُّها النفسُ الشريفهْ ... إنما دنياكِ جيفهْ
وعقولُ الناس فى رغـبتهم فيها سَخيفهْ
آهِ ماأسعدَ من كا ... ن داؤه فيها خفيفهْ
أيها المسرفُ ما تَر ... فُق بالنفس الضعيفهْ
أيها العاقلُ ماتُبـصرُ عنوانَ الصحيفهْ
أيها المذنب كسَّر ... ت أباريقَ الوظيفهْ
أيها المغرورُ لا تفـرَحْ بتوسيع القطيفهْ
كيفَ لا تهتم بالعـدَّة والطرقُ مَخُوفهْ
حصِّل الزادَ وإلَّا ... ليس بعد اليوم كوفهْ

وله أيضا رحمه الله :

رعى الله ليلةَ وصلٍ خلتْ ... وما خالطَ الصفوَ فيها كدرْ
أتتْ بغتةً ومضت سُرعةً ... وما قصَّرتْ مع ذاك القِصَرْ
بغير احتيالٍ ولا كُلفةٍ ... ولا موعدٍ بيننا يُنتظَرْ

وكانت كما أشتهى ليـلةً وطالَ الحديثُ وطابَ السَّمَرْ
ومرَّ لنا من لطيفِ العتابْ عجائبُ مامثلُها فى السِّيَرْ
فقلتُ وقد كاد قلبى يطير سروراً بنيل المُنى والوطرْ
أياقلبُ تعرفُ من قد أتاكْ ويا عينُ تدرينَ من قد حضرْ
ويا قمرَ الأفق عُـــد راجعاً فقد حلَّ فى الأرض عندى القمرْ
ويا ليلتى هكذا هـكذا وبالله بالله قِفْ ياسحرْ

لبعضهم :

وإذا اعتراكَ الشكُّ فى وُدِّ امرئْ وأردت تعرفُ حُلوَهُ من مُرِّهِ
فاسألْ فؤادَكَ عن ضميرِ فؤاده يُنبيكَ سرُّكَ كلَّ مافى سرِّهِ

***

قال جامعه من خط والدى قدس الله روحه :

مسألة :

قطعةُ أرض فيها شجرة مجهولةُ الارتفاع ، فطار عصفورٌ من رأسها إلى الأرض إلى انتصاف النهار ، والشمس فى أوّل الجدى ، فى بلد عرضه إحدى وعشرون درجة ، فسقط على نقطة من ظل الشجرة ، فباع مالك الأرض من أصل الشجرة إلى تلك النقطة لزيد ، ومن تلك النقطة إلى طرف الظل لعمرو ، ومن طرف الظل إلى مايساوى ارتفاع تلك الشجرة لبكر ، وهو نهاية مايملكه من تلك الأرض . ثم زالت تلك الشجرة وخفى علينا مقدار الظل ومسقط العصفور ، وأردنا أن نعرف مقدار حِصّة كل واحدٍ لندفعها إليه ، والفرض أن طول كل من الشجرة والظل وبُعدَ مسقط العصفور عن أصل الشجرة مجهول ، وليس عندنا من المعلومات شئ سوى مسافة طيران العصفور فإنها خمسة أذرع ، ولكنا نعلم أن عدد أذرع كل من المقادير المجهولة صحيح

لا كسر فيها ، وغرضنا أن نستخرج هـذه المجهولات من دون رجوع إلى شئ من القواعد المقرّرة فى الحساب من الجبر والمقابلة والخطأين وغيرها ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟

أقول : هكذا وجدت بخط والدى قدّس سره . والظاهر أنّ هـذا السؤال له طاب ثراه .

ويخطر ببالى : أن الجواب عن هذا السؤال أن يقال : لما كانت مسافة الطيران وتر قائمة ، وكان مربعها مساويا لمجموع مربعى الضلعين بالعروس، فهو خمسة وعشرون، وينقسم إلى مربعين صحيحين : أحـدهما ستة عشر والآخر تسعة ، فأحد الضلعين المحيطين بالقاعدة أربعة ، والآخر ثلاثة ، والظل أيضا أربعة، لأن ارتفاع الشمس ذلك الوقت فى ذلك العرض خمسة وأربعون، لأن الباقى من تمام العرض وهو تسع وستون، إذا نقص منه أربعة وعشرون أعنى الميل الكلى ، وقد ثبت فى محله أن ظل ارتفاع خمسة وأربعين لا بدّ أن يساوى الشاخص ، فيظهر أن حصة زيد من تلك الأرض ثلاثة أذرع ، وحصة عمرو ذراع ، وحصة بكر أربعة أذرع . وذلك ماأردنا .

ولا يخفى أن فى البرهان على مساواة ظل ارتفاع به للشاخص نوع مساهلة أوردتها فى بعض تعليقاتى على رسالة الأسطرلاب ، لكن التفاوت قليل جدا لا يظهر للحس أصلا ، فهو كاف فيما نحن فيه اه .

* * *

فى الكافى بطريق حسن عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال : القرآن عهدُ الله إلى خلقه ، فينبغى للمسلم أن ينظر فى عهده ، وأن يقرأ منه كل يوم خمسين آية .

وروى أيضا : عن زين العابدين عليه السلام أنه قال : آيات القرآن خزائن ، كلما فتحت خزانة ينبغى لك أن تنظر فيها . اه .

مما أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : ياموسى كن خلَق الثياب ، جديدَ القلب ، تخفَى على أهل الأرض وتُعرف فى أهل السماء . اه .

لقى صاحب السلطان حكيما فى الصحراء يقلــع العلف ويأكله ، فقال له : لو خدمت الملوك لم تحتج إلى أكل العلف . فقال له الحكيم : لو أكلت العلف لم تحتج إلى خدمة الملوك . اه .

من كلام أفلاطون : لايَستخدِمُك السلطانُ لأنه يقدّر فيك الزيادة عليه، وإنما يقيمك مقام الكلبتين لأخذ الجمرة التى لا يقدر أن يأخذها بإصبعيه ، فاجهد أن تكون بقدر زيادتك عليه فى الأمر الذى تخدمه فيه .

ومن كلامه : من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

قال بطليموس : ينبغى للعاقل أن يستحيى من ربه إذا امتدت فكرته فى غير طاعته .

ومن كلامه : إن لله جل شأنه فى السراء نعمة الإفضال ، وفى الضراء نعمة التمحيص والثواب . اه

روى فى الكافى بطريق حسن عن الباقر عليه السلام أنه قال : أحب الأعمال إلى الله عز وجل ماداوم عليه العبد وإن قل .

من كتاب الروضة من الكافى بطريق صحيح ، عن محمد بن مسلم قال : قال لى أبو جعفر عليه السلام: كان كل شىء ماء ، وكان عرشه على الماء ، فأمر الله جل وعز الماء فاضطرم نارا ، ثم أمر النار فخمدت ، فارتفع من خمودها دخان ، فخلق السموات من ذلك الدخان ، وخلق الأرض من الرماد . اه .

أسماء الشهور الرومية

تشرين الأوّل	تشرين الثانى	كانون الأوّل	كانون الثانى	شباط
لاتزده	ل بط د ر	لابط لدح	لال ماط	كح البلح ى

المشهور كونه بالشين المعجمة ، والجوهرى فى الصحاح جعله بالمهملة .

قال المحقق البرجندى . فى شرح الزيج : لعله معرب بالمهملة ١ هـ .

أقول : ويؤيده قاسان ، وابريشم ، وطست ، والتغيير فى التعريب غير لازم البتة فلا ترد السريانيات .

أدار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	آب	ايلول
لاباالطع	ل كا كوها	لاعلا	ل كيب ب	لايزيبح	لاع الرد	لع اب

الرقم الأول لعدد أيامه ، والآخر لكون الشمس فى أوله فى أى برج ، والأوسطان لدرجتها ودقيقتها . والله تعالى أعلم .

أوّل تشرين أوّل سنتهم،وأوّله فى هذا الزمان أوّل وسط الميزان . ومال كوشيار فى زيجه الموسوم بالجامع إلى أن هذه الأسماء سريانية لارومية . والروم أسماء غيرها وأوّل تشرين الأول إنما هو أول السنة عند السريانيين ، وأما عند الروم فأول السنة أوّل كانون الثانى ، وهو فى هذا الزمان كانون الأوّل .

***

بنى بعض أكابر البصرة دارا ،وكان فى جواره بيت لعجوز يساوى عشرين دينارا ، وكان محتاجا إليه فى توسيع الدار ، فبذل لها فيه مائتى دينار فلم تبعه ، فقيل لها : إن القاضى يحجر عليه بسفهك حيث ضيعت مائتى دينار لما يساوى عشرين دينارا ، قالت : لم لا يحجر على من يشترى بمائتين مايساوى عشرين دينارا ؟ فأفحمت القاضى ومن معه جميعا ، وترك البيت فى يدها حتى ماتت ، رحمها الله تعالى . والله أعلم

كان ببغداد رجل متعبد اسمه رُوَيم، فعُرض عليه القضاء فتولاه ، فلقيه الجنيد يوماً فقال : من أراد أن يستودع سره لمن لا يفشيه فعليه برُوَيم، فإنه كتم حبَّ الدنيا أربعين سنة حتى قدر عليها . اهـ.

من كلام بطليموس : الأمنُ يُذهب وَحشة الوحدة كما أن الخوف يُذهب أنس الجماعة . اهـ

كان أبو الحسن : على بن عيسى الوزيرُ يحب أن يبيّن فضلَه على كل أحد ، فدخل عليه القاضى أبو عمرو فى أيام وزارته ، وعلى القاضى قميص جديد فاخر غالى القيمة ، فأراد الوزيرُ أن يُخجله ، فقال : يا أبا عمرو بكم اشتريتَ شُقة هذا القميص؟ قال: بمائة دينار، فقال أبوالحسن: أنا اشتريت شقة قميصى هذا بعشرين دينارا، فقال أبو عمرو : إن الوزير أعزّه الله تعالى يُجمّل الثيابَ فلا يحتاج إلى المبالغة فيها، ونحن نتجمل بالثياب فنحتاج إلى المبالغة فيها، لأننا نلابس العوامّ ، ومن يحتاج إلى إقامة الهيبة فى نفسه ، هكذا يكون لباسه، والوزير أعزه الله يخدُمه الخواصُّ أكثرَ من خِدمة العوامّ ويعلمون أن تركه لمثل ذلك إنما هو عن قدرته . اهـ.

رُوِى عن أبى عبد الله عليه السلام وكرم وجهه أنه قال : من قرأ فى المصحف مُتّع ببصره ، وخفف اللهُ عن والديه ولو كانا كافرين .

وروى أيضا : عن إسحاق بن بكّار قال : لأبى عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، إنى أحفظ القرآن على ظهر قلبى ، فأقرؤه على ظهر قلبى أفضل ، أو أنظر فى المصحف ؟ قال : بل اقرأه وانظر فى المصحف ، أما علمت أنّ النظر فى المصحف عبادة .

وروى أيضا بطريق حسن عن أبى عبد الله عليه السلام قال : إن القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن .

وروى عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجىء من بعدى أقوامٌ يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنّوح والرّهبانية ، لا يجاوز تراقيَهم ، قلوبُهم مقلوبة وقلوبُ من يعجبه شأنُهم .

وروى أيضا : عن سعيد بن يسار قال : قلت لأبى عبد الله كرّم الله وجهه : مولاكَ سُلَيم ذكر أنه ليس معه من القرآن سوى سورة يس، فيقوم فينفَد ما معه من القرآن أيعيد مايقرأ ؟ قال: نعم لا بأس .

وروى عنه أيضا : عن أبى عبد الله عليه السلام: أنه قال: سورة الملك هى المانعة من عذاب القبر ، وإنى لأركع بها بعد العشاء الآخرة وأنا جالس .

* * *

من كتاب ما لا يحضُر الفقيهَ : قال الصادق عليه السلام: حسبُ المؤمن من الله نصرة أن يرى عدوّه يعمل بمعاصى الله عز وجل .

روى فى الكافى ، عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كان يتصدق بالسكر ، فقيل له أتتصدق بالسكر ؟ قال إنه ليس شىء أحب إلىّ منه، وأنا أحب أن أتصدّق بأحب الأشياء إلىّ .

فى أواخر ما لا يحضر الفقيه : إن الحسن بن محبوب بن الهيثم بن واقد قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : من أخرجه الله من ذل المعاصى إلى عز التقوى أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله عز وجل أخاف اللهُ عز وجل منه كلّ شىء. ومن لم يخف الله عز وجل أخافه اللهُ من كل شىء . ومن رضى من الله عز وجل باليسير من الرزق رضى منه باليسير من

العمل . ومن لم يستح مِن طلب المعاش خفّت مؤنته ، ونعِمَ أهلُه ، ومن زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه ، ونطق بها لسانه ، وبصّره عيوبَ الدنيا : داءها ودواءها ؛ وأخرجه من الدنيا سالما إلى دار السلام .

فى كتاب الروضة من الكافى ، بطريق حسن عن الصادق عليه السلام : إذا رأى الرجل ما يكره فى منامه فليتحوّل عن شقه الذى كان عليه نائما ، وليقل : « إنما النّجوى من الشيطان ليَحْزُنَ الّذِين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلا بإذن الله » . ثم ليقل : عُذْتُ بما عاذت به ملائكةُ الله المقربون ، وأنبياؤه المرسلون ، وعبادُه الصالحون ، من شر ما رأيت ومن شر الشيطان الرجيم . ا ه .

مما قاله بعض الأكابر فى مرضه الذى مات فيه :

نمضى كما مضت القبائل قبلنا   لسنا بأوّل من دعاهُ الدّاعِى
تبقى النجومُ دوائراً أفلاكُها   والأرضُ فيها كلَّ يوم ناعِ
وزَخارفُ الدنيا يجوز خداعُها   أبداً على الأبصار والأسماعِ

[كان إبراهيم بن أدهم مارًّا فى بعض الطرق فسمع رجلا يغنى بهذا البيت :

كل ذنب لك مغفو   ر سوى الإعراض عنّى

فغُشى عليه .

وسمع الشبلى رجلا ينشد :

أردناكمُ صِرفاً فإذْ قد مَزجتمو   فبُعداً وسُحقاً لا نُقيم لكم وَزنا

من كلام بعض الأعلام :

الويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه ، وفارق ما عمّر غير راجع إليه . وقدم على ما خرّب غير منتقل عنه] .

وحبس بعض الخلفاء شخصا على غير ذنب فبقى سنين عديدة ، فلما حضرته الوفاة كتب رقعة وقال للسجان : سألتك بالله أنى إذا مت فأوصل هذه الرقعة إلى الخليفة، فمات فأخذها إليه ، فإذا مكتوب فيها : أيها الغافلُ ، إن الخصم قد تقدّم ، والمدعَى عليه بالأثر ، والمنادى جبريلُ ، والقاضى لا يحتاج إلى بينه . اهـ .

لما قُدِّم هديةُ العذرى للقتل التفت إلى زوجته وأنشدها :

فلا تَنكحى إن فرَّق الدهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجهِ ليسَ بأنزَعا

فأخذت سكينا وقطعت أنفها وقالت : الآن كن آمنا من ذلك . فقال : الآن طاب ورود الموت .

ذكر فى أوائل الثلث الأخير من النفحات أن الشيخ رضىّ الدين سافر إلى الهند وصحب أبا الرضا رتَنًا وأعطاه رتنٌ مشطا زعم أنه مُشط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر فى النفحات أيضا أن هذا المشط كان عند علاء الدَّولة السِّمنانى، كأنه وصل إليه من هذا الشيخ ، وأن علاء الدولة لفه فى خِرقة ، ولف الخرقة فى ورقة، وكتب على الورقة بخطه : هذا المشط من أمشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصل إلى هذا الضعيف من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الخرقةُ وصلت من أبى الرضا رتَن إلى هذا الضعيف .

وذكر أيضا أن علاء الدولة كتبَ بخطه أنه يقال إنّ ذلك كان أمانة من الرّسول صلى الله عليه وسلم ليصل إلى الشيخ رضىّ الدين لالًا . اهـ كلام النفحات وفيه نظر، وكلام طويل يظهر لمن رأى كلام صاحب القاموس فى لفظ « ر ت ن » وفيه رمز يعرفه من يعرفه فخلّه إن أطقت . والسلام .

[قال فى القاموس] : ورتنٌ ـ محركاً ـ ابن كِربالِ بن رتنِ البَتْرندى(١) ليس بصحابىٍّ ، وإنما هو كذابٌ ظهر بالهند بعد الستمائة ، فادعى الصحبة ،وصُدِّق وروى أحاديث سمعناها من أصحاب أصحابه . [انتهت عبارة القاموس] .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالسرائر وإليه المآب .

كتب ابن الدهان بهذين البيتين إلى بعض الحكماء وقد عوفى من مرضه :

نذرَ الناسُ يوم بُرئِك صوْما   غير أنى نذرتُ وحدى فطْرا
عالماً أن يومَ بُرئِك عيدٌ   لا أرى صومَه وإن كان نَذْرَا

* * *

النساء حبائل الشيطان . تزنا العيون النظر . الصدقةُ على الأقارب صدقةٌ وصلة . والإيمان نصفان : نصفٌ شكرٌ ونصفٌ صبرٌ . ١

للشيخ عبد القاهر يصف بعض تلامذته بقلة الرغبة فى تحصيله ، وعدم حضور قلبه ، وقلة قراءة الدرس :

يجئُ فى فضلةِ وقتٍ له   مجىءَ من شاب الهوى بالنُّزوع
ثم له جلسةُ مستوزِنٍ   قد شدّدت أحماله بالنُّسوع
ماشئت من زهزهة والفتى   بمستراباذ لسقى الزروع

أبو الحسن الأطروش المصرى :

مازلتُ أدفعُ شِدتى بتصبُّرى   حتى استرحتُ من الأيادِى والمنن

إبراهيم الغزى :

ليست بأوطانك اللاتى نشأتَ بها   لكن ديارُ الذى تهواه أوطانُ

---

(١) كانت فى الأصل : البزندى . والتصحيح من القاموس .

خـــيرُ المواطن ما للنفسِ فيه هَوًى سَمِ الخياطِ مع الأحبابِ ميدانُ
كلُّ الديار إذَا فـكّرتَ واحــدةٌ مع الحبيبِ وكلُّ الناس إخوانُ
أفدى الذين دنوْا والهجْر يُبعِدهم والنازحِينَ وهم فى القلبِ سُـكانُ
كُنّا وكانوا بأهنى العيشِ ثم نأوْا كأننا قط ماكُنا وما كانوا

المعرى :

تمنّيتُ أن الخمرَ حلت لنشوةٍ تُجهّلنى كيفَ اطمأنّتْ بىَ الحالُ
فأذهَـلُ أنى بالعراق على شَفَا ردىءِ الأمانى لا أنيسٌ ولا مالُ

الرافعى :

أقيما على بابِ الرّحيم أقيماَ ولا تَنِيَا فى ذكرِه فتَهيما
هُو البابُ من يقرع على الصِّدق بابَه يَجـــده رؤوفا بالعبادِ رَحيماَ

كان بعض الملوك غضب على بعض حاشيته ، فأسقط الوزيرُ اسمه من ديوان العطايا ، فقال الملك : أبقه على ما كان عليه ، لأن غضبى لا يسقط همتى . اهـ

قيل لبعض الصوفية : لِمَ وُصِفَ اللهُ سبحانه بخير الرازقين ؟ فقال: لأنه إذا كفر عبدُه لايقطع رزقه . اهـ

كتب شخص يطلب من صديق له شيئا ، فـكتب إليه الصديق على ظهر الورقة : إنى لست قادرا على دانق لضيق يدى ، فـكتب الصديق إليه إن كنت صادقا كذبك الله ، وإن كنت كاذباً صدّقك الله .

قال شخص لآخر : جئتك فى حويجة ، فقال : اقصد بها رُجيلا .

وقال شخص لآخر جئتك فى حويجة صغيرة فقال : دعها حتى تـكبر .

العالَم بأجزائه حى ناطق « وإنْ من شىء إلّا يُسبّح بحمْدِه ولـكِنْ لا تفقهونَ

تسبيحهم » لكن نطق البعض يسمع ويفهم ، ككلام الاثنين المتفقين فى اللغة ، إذا سمع كل منهما كلام الآخر وفهمه ، ونطق البعض يسمع ولا يفهم كالاثنين المختلفين لغة ، ومنه سماعنا صوت الحيوانات وسمع الحيوان أصواتنا . ومنه ما لا يسمع ولا يفهم كغير ذلك . وهذا بالنسبة إلى المحجوبين . وأما غيرهم فيسمعون كلام كل شىء .

فى وصف النساء :

بيضٌ أوانسُ ماهمنَ بريبةٍ　　كظباء مكّة صيدُهنّ حرامُ
يُحسَبن من لين الحديثِ زوانياً　　ويصُدّهنّ عن الخنا الإسلامُ

سئل رُوَيم عن الصوفى فقال : هو الذى لا يملك شيئاً ولا يملكه شىء . وقال أيضاً : التصوف ترك التفاضل بين الشيئين ١ ه .

فى الحديث : انصُر أخاكَ ظالما أو مَظلوما ، قيل : كيف ينصره ظالما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يمنعه من الظلم .

أكثروا من ذكر هاذم اللذات .

التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر .

من كلام سمنون المحب : أوّلُ وصال العبد للحق هجرانه لنفسه . وأوّل هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .

ورُئِىَ يوما على شاطئ دجلة وبيده قرن يضرب به على فخذه حتى جرحه وهو لا يشعر ، ويُنشد :

كان لى قلبٌ أعيشُ به　　ضاع مِنّى فى تقلُّبهِ
ربِّ فارْدُده علىّ فقد　　ضاقَ صدرى فى تطلُّبهِ

وأغِثْ ما دام بى رمقٌ   يا غياثَ المستغيثِ بِهِ

وروى أنه أنشد يومًا :

تُريدُ منى اختبار سرّى   وقد علمتَ المرادَ مِنّى
وليس لى فى سواكَ حظٌّ   فكيفما شئتَ فاختبرنى

فاعتراه حبس البول واشتد عليه الألم . وكان يصبر على شدة ذلك الألم فرآه بعض أصحابه فى المنام كأنه يدعو الله بالشفاء ، فلما أخبره بذلك ، علم أن المقصود التأدبُ بآداب العبودية ، وإظهارُ العجز والافتقارِ ، فخرج يدور ، وكلما وصل إلى مكتب قال لمن فيه من الأطفال : ادعوا لعمِّكم الكذّاب .

لبعضهم

رأتْ قمر السّماء فأذكرتنى   ليالىَ وصلها بالرّقمتين
كلانا ناظرٌ قمرا ولكن   رأيتُ بعينها ورأتْ بعينى

الحاجرى :

هيَّجت وَجدى يانسيمَ الصَّبا   إن كنتَ من نجد فيامَرحبا
جدِّدْ فدتك النفسُ عهدَ الهوى   بذلك الحى وتلك الرّبا
إنّ القيمين بسفح اللّوى   مَن لا أرى لى عنهمُ مَذهبا
أبقوا الأسى لى بعدَهمْ مطعَماً   والدّمعَ حتى نلتقى مَشربا
مازلتُ أبكى الشّعبَ من بعدِهم   حتّى غدا من أدمُعى مُعشِبا
كيف احتيالى من هوى شادنٍ   مارمت منه الوصلَ إلا أبى
ظبىٌ منَ التُّركِ ولكنّه   أضحى لِحَتْفِى فيه مُستعربا
يا مُعرضاً عرّض بى للرّدى   ما كنتُ للإعرَاضِ مُستوجِبا

حمّلتَ قلبي منــك ما لو غدا بالجَبَل الشامِخ أضحى هبــا
وَيْلاه من صُدغٍ غدا في الدّجى عقربُهُ في الخدّ قد عقربا

وله :

بِتْ ناعمَ البالِ بعيش خَلِي والوجدُ والأحزانُ والهمّ لِي
حُسّادُ لذاتك تُبلى بما بِتُّ من الشوق به مبتــلِي
ياراقِدَ الطّرفِ هناكَ الـكَرى عَيني عن الرّقدةِ في مَعزل
كم قلتُ خوفاً من دواعي الهوى إياكَ والهجرَ فلم تقبل
اذكُر عُهوداً كنتَ عاهدتني إذ نحنُ بالشّرقيّ من إربلِ

وله :

جَسدٌ ناحلٌ وقلب جريحُ ودموعٌ على الخُدود تسيحُ
وحبيبٌ مُرُّ التّجنّي ولـكنْ كلُّ ما يفعلُ المليحُ مليحُ
يا خَليّ الفؤادِ قد ملأ الوجْــدُ فؤادي وبرّح التبريحُ
جُد بوصْلٍ أحيا بهِ أو بهجْر فيهِ موتي لعلّني أستريحُ
أنتَ للقلبِ في المـكانةِ قلبٌ ولرُوحي على الحقيقةِ رُوحُ
بخُضوعي والوَصلُ منـك عزيزٌ وانـكساري والطّرفُ منك صحيحُ
رقّ لي مِن لواعِجٍ وغَرامٍ أنا منها مَيْتٌ وأنتَ المسيحُ
يا غزالًا له الحشاشةُ مرعًى لا خُزاما بالرقمتــين وشيحُ
أنتَ قصدِي من الغُوَيْرِ ونجدٍ حــين أغدُو مُسائلا وأروحُ
قد كَتمتُ الهوى بجَهدي وإن دا مَ عليّ الغرامُ سوف أبوحُ

ابن خفاجة :

لا العطايا ولا الرّزايا بَواقٍ ... كلٌّ شَىْء إلى بِلًى ودُثورِ
فالهُ عن حالَتَىْ سرورٍ وحُزن ... فإلى غايةٍ مجارى الأمورِ
فإذَا ما انقضتْ صروفُ الليالِى ... فسواء كلٌّ الأسى والسرور

ابن التعاويذى ، أرسله إلى بعض أصحابه وقد تأخر عن عيادته ، وكان يسمّى بابن الدوامى :

يا ابنَ الدّوامىّ الذى ... هو بالمكارِم ذُو لَهَجْ
يا من به تحيا الخوا ... طرُ والنَّواظرُ والمُهجْ
قلْ لى ودعْ عنك المعا ... ذيرَ الرَّكيكةَ والُحججْ
لِم لا تعودُ أخا ضَنًى ... يرجو برؤيتكَ الفرجْ
صبًّا إليكَ إذا ذُكرْ ... تَ له تهلّل وابتهجْ
لو قيل إنك مُعرِضٌ ... فى النَّوم عنه لانزعجْ
ويعدُّ أياما تمرّ ... ولا يراكَ بها حِجَجْ
أنت الذى مزَجَ الإخا ... ءَ دمى بقلبك فامتزَجْ
اعذرْ مريضاً ما عليـ ... ـهِ فى عتابك من حَرَجْ
فإذا الصديقُ جنى وَسُو ... مح فى جنايتهِ انمزجْ

القاضى التنوخى :

أنصونُ ماء العين من بعد امرئ ... قد صانَ منّا فى الوجوه الماء
يا قبرَه لم تحو جسما ميِّتاً ... لكن حويتَ مكارماً أحياء

الصنوبرى :

وحقك ما خَضَبتُ مشيبَ رأسى ... رجاء أن يدومَ لىَ الشبابُ

ولـكنّى خَشِيتُ يراد منىً ... عقولُ ذوى المَشيبِ فلا تُصابُ

* * *

أحمد بن حكيم الـكاتب كتب إلى أصحابه فى مرض :

فديتُك ليلى مذ مرضتُ طويلُ ... ودمعِى لِما لاقيتُ منك هَمُولُ
أأشربُ كأسا أو أُسرّ بلذّة ... ويُعجبُنى ظبىٌ وأنت نَحيلُ
ويَضحكُ سِنّى أو تجف مدامعى ... وأصبُو إلى لهوٍ وأنتَ عليلُ
ثَـكِلْتُ إذنْ نفسى وقَامتْ قيامتى ... وغَالَ حياتِى عندَ ذلك غُولُ

لبعضهم :

فإن ينقطعْ مِنك الرجاء فإنّه ... سيبقى عليكَ الُحزنُ ما بقىَ الدّهرُ

لبعضهم أيضاً :

وقائلةٍ لمـا رأتْ شيبَ لِمّتى ... أسْتُره عن وجههـا بخِضابِ
أتسترُ عَنّى وجهَ حقّ بباطلٍ ... وتُوهِمُنى ماءً بلمع سَرَاب
فقلتُ لها كُفّى ملامَك إنهـا ... ملابسُ أحزانِى لفقدِ شبابى

السراج الوراق :

وقالت ياسراجُ علاكَ شيبٌ ... فدَعْ لجديده خلع العذار
فقلتُ لها نهـارٌ بعد ليل ... فما يدعُوك أنت إلى النِّفار
فقالتْ قد صدقتَ وما سمعنـا ... بأضيعَ من سِراج فى نهـارِ

محمود الوراق :

أتفرحُ أن ترى حسنَ الخضاب ... وقد واريتَ نفسَك فى التراب
ألم تعلَمَ وفرطُ الجهـل أولَى ... بمثلكَ أنه كفنُ الشباب

ابن خفاجة :

ضحك المشيبُ بعارضَيْه وأسفرا　　فغـدا وراح من الغَواية مقفرا
والصّبح أبهى فى العيون من الدجى　　وأعمُّ إشراقا وأبهج مَنظرا
والرّوض مَوموق وليس بوامق　　حتّى تُصادفَه العيونُ منوّرا

سِبط التعاويذى :

ولقد نَزعتُ عن الغَوا　　يَة لابِسا ثوبَ الوقارِ
لـمـا تبلّج فجرُ فوْ　　دِى وانجلى ليلى العذارِ
عِـلما بأنّ الشّيبَ يُظْ　　هِر ما أُسَتِّرُ من عوارِى
وكذا المريبُ يَسيرُ ليـلته ويكمُن بالنّهـارِ

القاضى سوار :

ياشيبةً طلعت فى الرأس رائقةً　　كأنّما نبتتْ فى ناظر البصرِ
لئن حجبتكِ بالمقراض عن بصرى　　فما حجبتكِ عن همى وعن فكرى

الحاجرى :

لمـع البرقُ اليمانى　　فشَجانى ماشَجـانى
ذكرُ دَهرٍ وزمانٍ　　بالحِمى أىُّ زمانِ
ياوميضَ البَرق هل تر　　جِـعُ أيامُ التـدانى
وترى يجتمـعُ الشمـلُ وأحظى بالأمانى
أىّ سهم فوّق البيـنُ مُصيبـا فرمانى
أبْعدَ الأحبـابَ عنى　　وأرانى ما أرانِى
ياخليـلىّ إذا لم　　تُسعِدانى فـذرانى

هــذه أطلالُ سُعدى والحِمىٰ والعَلَمــان
أينَ أيامُ التّصــابى وزمانُ العُنفُوانِ
ذَهبت تلكَ البشاشا تُ مع الغِيد الحِسان
من لِمَـأسُورِ طليقِ الــدّ مع مرعوبِ الجنان
كلّمـــا قال تقضّى حادثٌ أقبـل ثانِ

وله :

خمّار هواكَ قد أتى بالقدَحْ والوقتُ صفاً فقُم بِنا نصطبحْ
كم تكتُمُ سرَّ حالِكَ المفتضِحْ قل عَنوةً واكشفْ الغطا واسترح

وله :

لمـا نظر العذّالُ حالى بُهِتوا فى الحال وقالوا لومُ هذا عنتْ
ما نفرضُ إلّا أننا نعـذلُه من يَسمعُ من يعقِلُ من يلتفِتْ

وله :

ياعاذلُ كم تجورُ فى العذلِ علىْ دعْنى وتهتُّكى فقدْ راقَ لدىْ
خذْ حِذرك وانصرِف ودعْنى والغىْ ما أطيبَ ما يقالُ قد جُن بِمَىْ

وله :

لدواعى الهوى وفرط الخلاعهْ ألفُ سمع لا للوَقار وطاعهْ
سيّما والصّبوحُ قد رفعَ الــكا سُ بأيدى السّقاة فينا شِراعهْ
ونداماىَ فتيةٌ بُطرب الخبا طرَ منهم فُكاهةٌ وبَراعهْ
معشرٌ غازلوا صُروفَ الليالى قدّروا أن لذةَ العُمْر ساعهْ
ياخليلىَّ عرّجا بى جميعــا نشربُ الراحَ كالصّلاة جماعهْ

خمرةٌ لو رأى العزيزُ بمصرٍ   لونَها فى الكؤوس أرهنَ صاعه

وله :

عَلمتم بأنى مُغرم بـكمُ صبُّ   فعذَّبتمونى والعذابُ بكم عذبُ
وألقيتمُ بينَ السُّهادِ وناظرى   فلا دمعةٌ ترقى ولا ينطفى كربُ
خُذوا فى التَّجنّى كيف شئتم فأنتمُ   أحبَّةُ قلبى لا ملامٌ ولا عتبُ
عسى أوبةٌ بالشِّعب أُعطَى بها المنى   كما كان قبلَ البين يجمعنا الشِّعبُ
وما ذاتُ فَرخ بان عنها فأصبحتْ   بذى الأَثل تَبكى دأبُها النّوحُ والندبُ
بأشوقَ من قلبى إليكم فليتنى   قضيتُ أسًى أو ليتَ لم يُخلَق الحبُّ
يعاتبنى والذنبُ فى الحبِّ ذنبُه   فيرجِعُ مغفورا لهَ ولىَ الذَّنبُ
إذا افترَّ جادت بالمدامعِ مُقلتِى   كذا عندَ لمع البرق تَنهمر السُّحْبُ
ألا يا نسيماً هبَّ من أرض حاجر   نشدتُك هل يسربُ الحمى ذلك السِّربُ
وهل شَجراتٌ بالأثيـل أنيقةٌ   يروح ويغدُو مستظِلّا بها الركبُ
لحا اللهُ قلبا لا يَهيم صبابةً   وصبًّا إلى تلك المنازل لا يصبُو

* * *

أول شعر قاله أبو نواس أيام طفولته :

حامِلُ الهوى تعِب   يستخفُّه الطرب
إن بكى يحقّ له   ليس ما به لعبُ
تضحكين لاهِيَـةً   والمحبُّ ينتحبُ
كلّمـا انقضى سببٌ   منكِ جاءنى سببُ
تعجبين من سَقَمى   صِحّتى هى العجبُ

البها زهير :

خاف الرسول من الملامَه فـكنى بسُعدى عن أُمامهْ
وأتى يُعــرّض بالحديــثِ برامةٍ سَقياً لرامهْ
ففهمت منـــه إشارةً بعث الحبيبُ بها علامهْ
وطربتُ حتى خلتُنى نشوانَ تلعبُ بى المدامهْ
بُشراى هــذ اليومُ قد قامتْ على الواشى القيامهْ
خــذ يارسولُ حُشاشتى تلتَ السعادةَ والسلامــهْ
وأعِـدْ حــديثك إنه لألذ من سَجع الحمــامَهْ
يا منْ يُريدُ بىَ الهوا نَ ومن أُريد له الـكرامهْ
مولاىَ سلطانُ المِـلا حِ وليس يكشف لى ظُلامهْ

***

الشيخ علاء الدين النواجى المصرى ، من قصيدة له يمدح بها سيد المرسلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأكمل التسليم .

عَلِّلاه بطَيبـــةٍ وبرامهْ وعُريب النقّا وحَىّ تِهامهْ
يارعى اللهُ جيرةً خيَّموا بالـــمُنْحنى من ضُلوعه المستَهامهْ
قد حَمَوْا فى الحمى عقيلةَ خِدرٍ قَتلت باللحاظ غِزلانَ رامهْ
كلما رامَ من هواها خَلاصاً وجَد الوجدَ خلفَه وأمامــهْ
حثّه الشوقُ بالمصير إلى نحـــو قُباها وقادَه وزِمامَهْ
ضل فى التّيه قلبُه فهـداه نو رُسلى والسرح يُبدى ابتسامهْ
حالف السُّهدَ والسّقامَ وعادى مذ نأيتم هجوعَه ومنامَهْ
فعلامَ البعادُ والصدُّ والهجْـــر وحتى متى الجفا والملامَهْ

فَعِدُوهُ بِزَوْرَةٍ من خَيالٍ في مَنامٍ عساهُ يقضي مَرامَهْ
عمرَكَ اللهَ سائقَ الظُّعنِ رِفقاً بمسير فلا أُطيقُ دوامَهْ
وحنانيك خلِّ قلبا عليلا فيُنَشِّق رَنْدَ الحمى وخُزامهْ
قف به ساعةً وعرِّج قليلا بحِماهم عسى يرى أعلامَهْ
كلَّ عام يرومُ منهمْ وِصالا فعسى أن يكونَ ذا العامُ عامَهْ

سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى قدّس سره :

اكشفْ حجابَ التجلِّي وأحْيِنِي بالتملِّي
وإن بدا لك قَتلي فأنت في ألف حِلِّ
مالى سِوى الرُّوح خذها والروحُ جُهدُ المقِلِّ
أخذتَ مني بعضي فليتني كنتُ كُلِّي
صرفتَ عنيَ قلبي سلبتَ منِّيَ عقلي
وقفتُ بالباب دهرا عسى أفوز بوصْل
من لي بأن ترتضيني عُبَيدَ بابك منْ لي
مالى بغيرك شُغلٌ وأنت غايةُ شُغلي

الصفى الحلى :

لي حبيبٌ يلذُّ فيه عذابي ويعذبُ
ليس لي فيه مطمعٌ لا ولا عنهُ مذهبُ
يتمنى منيّتي وهو للقلب مَطلبُ
إن قتلَ المحب فيه حلالٌ وطيِّبُ
أنا فيه مخاطرٌ حين يأتي ويذهبُ
فعلى الظهْر حيّةٌ وعلى الصُّدغ عقربُ

ابن المذوى :

واللّٰه ما المُردُ مُرادى وإن نظمت فيهم مثلَ نظم الجمانِ
لكنَّ من رامَ نِفاق الورَى بقوله ينظمُ خَرجِ الزمانِ

وله فى إمام فى الصلاة :

إمامٌ فى الركوع حكى هلالا ولكن فى اعتدالٍ كالقَضيبِ
وقال تلوتُ قلت الشمسَ حُسنا وقال ختمتُ قلتُ على القلوبِ

وله فى تاجر :

وتاجر أبصرتُ عشّاقهُ والحربُ فيما بينهم ثائرْ
قال علامَ اقتتلوا هاهُنا قلتُ على عينك ياتاجرْ

وله فى واعظ أمرد :

الواعظُ الأمردُ هذا الذى قد حيَّر الأبصار والأعيُنا
فلفظُه يأمرُنا بالتُّقى ولحظُهُ يأمرنا بالخَنا(١)

وله فى فرّاء :

قلتُ لفرّا فَرَى فُؤادى وزاد صدًّا وطال هَجْراً
قد فَرَّ نومى وفرّ صبرى فقالَ لمّا عشِقْتَ فرّا

وله فى لبان :

قلتُ له طبت يافتًى لبناً وَفُقْتَ حُسْنا ورُقتَ إحسانا
قلبِيَ لبّاكم وخالفنى فقالَ لما عشقتَ لبّانا

(١) فى المطبوعة : فوعظه يأمرنا بالتقى .

وله فى عروضىّ :

لى عَروضىٌّ مليحٌ مَوتتى فيهِ حياةٌ
عاذِلاتى فى هَواهُ فاعلاتن فاعلاتٌ

وله فى مغنٍّ :

رُبّ مغنّ قال لى ردف وعطف مايجُ
هذا خفيف داخلٌ وذا ثقيل خارجُ

وله فى بدوى كان متلثما :

بدوىٌّ جاءنا ملْتثما فدعوناه لأكل وعَجِبْنا
مدّ فى السفرة كفًّا نزقا فحسِبْنا أنّ فى السُّفرة جُبنا

ابن نباتة :

هويتُ أعرابيةً ريقُهــــا عذبٌ ولى منها عذابٌ مذابْ
رأسِى بهاشيبانُ والطَّرفُ من نبهان والعُذّالُ فيها كلابْ

فى القهوة لمامية الرومى :

أنا المعشوقةُ السَّمرا وأُجْلَى فى الفناجِينِ
وعودُ الهند لى عِطرٌ وذكرى شاع فى الصِّينى (١)

العباس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضرّنى داعِى يُكثِر إعلالِى وأوجاعِى
كيفَ احتراسِى من عدوّى إذا كانَ عدوِّى بين أضلاعِى

(١) لعله يقصد الصينى الذى تصنع منه الفناجين ، ويريد أن شربها فى فناجين الصينى أحسن من شربها فى أكواب الزجاج .

لبعض الأعراب :

أيذهبُ عُمرى هكذا لم أنَلْ بهِ   مجالسَ تَشفى قَرح قلبى من الوجْدِ
وقالوا تداوَى إنّ فى الطبّ راحةً   فعلَّلتُ نفسى بالدّواء فلم يُجْدِ

الشيخ محيي الدين بن عربى :

عقَـدَ الخلائقُ فى الإلٰه عقـائدا   وأنا اعتقدت جميعَ ما اعتقدُوهُ

تاج الدين بن عمارة :

ما نلتُ من حُبّ كلفتُ به   إلا غراماً عليـه أوْ وَلَهَا
ومحنتى فى هواهُ دائرةٌ   آخرُها لا يزالُ أوّلهـا

السرمرى المحدث الحنبلى :

ومن العجائبِ فى أسامى ناقلى الأخبار والآثار للمتأمّل
كمسدَّد بن مُسرهَد بن مُغربَل   ومُرعبَل بن مِطرْبَل بن أرندلِ (١)
وسَرندلِ بنِ عرندلٍ لو سلموا   فيها لظلَّت رُقيـةً للدُّمّلِ

النووى :

وجدت القناعةَ أصلَ الغنى   فصرتُ بأذيالها مُمتسكْ
فلا ذا يرانى على بابهِ   ولا ذا يرانى به مُنهمِكْ
وعشت غنيًا بلا درهم   أمرُّ على الناس شبهَ الملكْ

ابن الوردى فى أعورين أحدهما جالس جنب الآخر :

أعورُ باليمنى إلى جنبـه   أعورُ باليسرى قد انضمَّا

(١) هذه الأسماء يخالف ترتيبها ما فى القاموس . ونظمها فيه هكذا : مسدد ، بن مسرهد ، ابن مجرهـد ، بن مسربل ، بن مغربل ، بن مرعبل ، بن مطربل ، بن أرندل ، بن سرندل ، ابن عرندل ، بن ماسك ، بن المستورد .

فقلت يا قومُ انظروا واعجَبُوا ... من أعورين اكتنفا أعمَى

أبو على بن سينا :

لا أركبُ البحرَ أخشى ... على بنيـهِ المعـاطِبْ

طينٌ أنا وهو ماءٌ ... والطينُ فى الماء ذائبْ

***

[أبو الحسن التهامى :

هل الوجدُ إلّا أن تلوحَ خيامُها ... فيُقضَى بإهداء السـلام ذِمامُهـا

وقفتُ بها أبـكى فترزِم أيْنُقِى ... وتصهَل أفراسى وتدعو حمامُهـا

ولو بكتِ الوُرقُ الحمائم شَجْوَها ... بعيْنِى مَحى أطْواقَهن انسجامُهـا

وفى كبدى أستغفر الله غُـلّةٌ ... إلى بَرَدٍ يُثْنَى عليـه لثامُـها

وبَردِ رِضاب سلسلٍ غـيرَ أنه ... إذا شربَتْهُ النفسُ زاد هُيامُهـا

فيا عجباً من غُلّة كلـما ارتوتْ ... من السلسبيل العذب زاد اضطرامُها

خليلىّ هل يأتى مع الطيف نحوها ... سلامى كما يأتى إلىّ سلامُهـا

ألمّت بنا فى ليـلة مُـكفهِرّة ... فما سَفَرَتْ حتى تجلّى ظلامُها

فأبصر منى الطّيفُ نفساً أبيّـةً ... تيَقُّظها عن عفّةٍ ومنامُهـا

إذا كان حظّى حيث قال خيالُهـا ... فسيَّان عندى نأيُها ومُقامُهـا

وهل نافعى أن يجمع الله بيننـا ... بكل مكانٍ وهى صعب مَرامُها

أرى النفس تستحلى الهوى وهو حتْفُها ... بعيشِك هل يحلو لنفس حِمامُهـا

أسيّدتى مهـلًا بمهجـة عاشقٍ ... يعـذّبها بالبعد عنـكِ غرامُها

لكِ الخير جودِى بالجمـال فإنّه ... سحابةُ صيف ليس يُرجى دوامُها]

(١) الزيادة من المخطوطة .

لبعضهم :

ليس الحَولُ بعارٍ   على امرئٍ ذى جلالِ
فليلةُ القدر تخفى   على جميع الليالى

ابن الحلاوى فى مشرف مطبخه وكان أحول :

يجىء إلينا بالقليل يظنُّه   كثيراً وليس الذنبُ إلا لعينَيه
ومن سوء حظى أنّ رزقى مقدّرٌ   براحة شخص يبصرُ الشىء مثلَيه

ولبعضهم فى مليح له رقيب أحول :

أحوَى الجفون له رقيبٌ أحولُ   الشىء فى إدراكه شيئان
يا ليتَه ترك الذى أنا مُبصرٌ   وهو المخيّر فى المَليح الثانى

ولآخر وكان أحول :

شكرتُ إلٰهى إذ بُليتُ بحبها   على نظرٍ أغنَى عن النظرِ الشَّزْرِ
نظرت إليها والرقيبُ يَخالُنى   نظرتُ إليهِ فاسترحتُ من العذرِ

ابن نقادة :

شكوتُ صبابتى يوما إليها   وما ألقاه من ألم الغرامِ
فقالت أنتَ عندى مثلُ عينى   نعم صدقتْ ولكن فى السِّقامِ

قال الشافعى :

لا يدركُ الحكمةَ مَن عُمره   يكدحُ فى مصلحة الأهلِ
ولا ينال العلمَ إلا فتًى   خالٍ من الأفكار والشُغل
لو أنّ لُقمانَ الحكيمَ الذى   سارتْ به الركبانُ بالفضل
بُلِى بفقر وعِيالٍ لما   فرّق بين التبنِ والبقلِ

لبعضهم :

إذا كنتَ لا مالٌ لديك تفيدُنا ولا أنتَ ذُو علم فنرجوكَ للدِّينِ
ولا أنتَ ممنّ يُرتجى لمُلمةٍ عَمِلنا مِثالا مثلَ شخصِك من طينِ

قال الصلاح الصفدي : لقد أسرف في العمل من الطّين ، وكان الأولى أن يترك الإسراف ويقول :

إذا كنتَ لا تُرجَى لدفعِ مُلمَّة ولا أنتَ ذو مال فنرْجوكَ للقِرَا
ولا أنتَ ممن يُرتجى لكريهةٍ عملْنا مِثالا مثلَ شخصك من خرَا

ابن وكيع :

لقد رَضِيَتْ همّتى بالخمولْ ولم ترض بالرّتب العاليَهْ
وما جهِلَتْ طيبَ طعم العلا ولكنّها تُؤثر العافيَهْ

آخر :

بقدرِ الصُّعود يكون الهُبوطْ فإيّاكَ والرتبَ العاليَهْ
وكُن فى مكانٍ إذا ماسقطتَ تقومُ ورجلاكَ فى عافيَهْ

آخر :

لذّ خمولى وحلا مرّهُ إذْ صاننى عن كلّ مخلوقِ
نفسىَ معشوقى ولى غيرةٌ تمنعُنى من بذلِ معشوقِ

غيره :

تُنازعُنى النفسُ أعلى الأمور وليسَ من العجز لا أنشطُ
ولكنْ لأنّ بقدر المكان تكونُ سلامةُ من يسقُطُ

ابن التعاويذى فى ذم قوم:

أفنيتُ شطرَ العُمر فى مدحِكمْ ظنًّا بكم أنكم أهلُهُ
وعدْتُ أُفنيه هجاء لكمْ فضاعَ عمرى فيكمُ كُلُّهُ

القاضى عبد الوهاب :

أطالَ بين الدّيارِ تَرحالى قصورُ مالِى وطول آمالى
إن بتّ فى بلدةٍ مشيتُ إلى أخرى فما تستقرُّ أجمالى(١)
كأننى فكرةُ الموسْوَسِ لَا تبقى له ساعةً على حالِ

العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالِنا . كيفَ أنتُم فقرَنّا وَداعهم بالسُّؤال
ما حلَلْنا حتى ارتحلنا فما نفـ ـرقُ بين النزولِ والتّرحالِ

السراج الوراق فى جوخة كان يقلبها :

ياصاحبِى جُوخَتى الزرقاء تحسَبُها من نسْج داودَ فى سَردٍ وإتقانِ
قلّبتُها فغَدَتْ إذ ذاك قائلةً سبحانَ من قد بَلَى قلبى وأبلانِى
إنّ النِّفاقَ لشىءٍ لستُ أعرفُهُ فكيف يُطلبُ منى الآن وَجهانِ

ابن دانيال فى المجون :

ما عاينَتْ عيناىَ فى عُطلتِى أقلَّ من حظِّى ومن بَخْتى
قد بعتُ عبدى ودارى وقد أصبحتُ لا فوقِى ولا تحتِي

ابن رواحة الحموى :

لامُوا عليك وما دَرَوْا أنّ الهوى سببُ السّعادهْ

(١) الأجمال : جمع جمل . يعنى لا تستقر أجماله التى يسافر عليها ؛ فهى دائما على سفر .

إن كان وصلٌ فالمُنى　　أو كان هجرٌ فالشّهادهْ

وله أيضا فى عكس هذا المعنى :

ياقلبُ دعْ عنكَ الهوى قسْرا　　ما أنت فيه حامداً أمرا
أضعْتَ دنياكَ بهِجرانه　　إن نلتَ وَصلا ضاعتِ الأُخرَى

قصيدة الشيخ عمر بن الوردى رحمه الله تعالى :

اعتزِل ذكرَ الأغانى والغزَلْ　　وقل الفصلَ وجانبْ من هَزَلْ
ودع الذّكرَ لأيّام الصِّبا　　فلأيام الصبا نجمٌ أفلْ
إنّ أهنَى عِيشةٍ قضَّيتها　　ذهبت أيامُها والإثمُ حَلْ
ودعِ الغادةَ لا تحفِلْ بها　　تُمس فى عزّ وترفعْ وتُجلْ
والْهُ عن آلة لهوٍ أَطربَتْ　　وعَنِ الأمردِ مرتجّ الكفلْ
إن تبدّى تنكسِفْ شمسُ الضحَى　　وإذا ما ماسَ يُزرِى بالأَسلْ
زادَ إذ قِسناهُ بالنّجم سَنا　　وعدَلْناهُ ببدرٍ فاعتدَلْ
وافتكِر فى مُنتهى حسنِ الذى　　أنتَ تهواهُ تجدْ أمرا جللْ
واهجُر الخمرةَ إن كنت فتًى　　كيفَ يسعَى فى جُنونٍ من عقلْ
واتّق اللهَ فتقوى اللهِ ما　　جاورَتْ قلبَ امرئٍ إلّا وصلْ
ليسَ من يقطعُ طُرقا بطلًا　　إنّما من يتقى اللهَ البطلْ
صدِّقِ الشرعَ ولا تركَنْ إلى　　رجُل يرصُد فى الليل زُحلْ
حارتِ الأفكارُ فى قُدرة مَنْ　　قد هدانا سُبلَنا عزّ وجلْ
كتب الموتَ على الخلقِ فكمْ　　فلّ من جيشٍ وأفنى من دُولْ
أين نُمرودٌ وكنعانٌ ومن　　ملكَ الأرض وولّى وعزلْ
أين عادٌ أين فرعونُ ومَن　　رفعَ الأهرامَ من يسمَع يخَلْ

أين من سادوا وشادوا وبنوا　　هلك الكل ولم تغن الحيل
أين أرباب الحجى أهل التقى　　أين أهل العلم والقوم الأول
سيعيد الله كلا منهم　　وسيجزى فاعلا ما قد فعل
أى بنى اسمع وصايا جمعت　　حكما خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما　　أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل بالفقه فى الدين ولا　　تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن　　يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أيامه　　كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم إرغام العدا　　وجمال العلم إصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن　　يحرم الإعراب فى النطق اختبل
وانظم الشعر ولازم مذهبى　　فاطراح الرفد فى الدنيا أقل
وهو عنوان على الفضل وما　　أحسن الشعر إذا لم يبتذل
مات أهل الفضل لم يبق سوى　　مقرف أو من على الأصل اتكل
أنا لا أختار تقبيل يد　　قطعها أجمل من تلك القبل
إن جزتنى عن مديحى صرت فى　　رقها أو لا فيكفينى الخجل
أعذب الألفاظ قولى لك خذ　　وأمر اللفظ نطقى بلعل
ملك كسرى تغن عنه كسرة　　وعن البحر اجتزاء بالوشل
اعتبر نحن قسمنا بينهم　　تلقه حقا وبالحق نزل
ليس ما يحوى الفتى من عزمه　　لا ولا ما فات يوما بالكسل
قاطع الدنيا فمن عاداتها　　تخفض العالى وتعلى من سفل
عيشة الزاهد فى تحصيلها　　عيشة الجاهد بل هذا أذل

كم جهولٍ وهو مثرٍ مكثرٌ ... وحكيمٍ مات منها بالعِلَلْ
كم شجاعٍ لم ينل منها المُنى ... وجبانٍ نال غاياتِ الأملْ
واترك الحيلةَ فيها واتّكل ... إنما الحيلةُ فى ترك الحِيَلْ
أىُّ كفٍّ لم تنل منها القِرى ... فبلاها اللهُ منه بالشَّلَلْ
لا تقل أصلى وفصلى أبدا ... إنما أصلُ الفتى ما قد حصلْ
قدْ يسودُ المرءُ من غيرِ أبٍ ... وبِحُسنِ السبكِ قد ينفى الزغلْ
وكذا الوردُ من الشوكِ وما ... يخرُجُ النَّرجسُ إلا من بصلْ
مع أنى أحمدُ اللهَ على ... نسبى إذ بأبى بكرٍ اتّصلْ
قيمةُ الإنسانِ ما يُحسِنُهُ ... أكثرَ الإنسانُ منه أو أقلْ
[ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو ... حاول العزلةَ فى رأسِ جَبَلْ(١)]
بينَ تبذيرٍ وبُخلٍ رتبةٌ ... وكلا هذين إن دام قتلْ
لا تخُضْ فى سبِّ ساداتٍ مضوْا ... إنهم ليسُوا بأهلٍ للزلَلْ
وتغافلْ عن أمورٍ إنهُ ... لم يفُز بالحمدِ إلا من غفلْ
مِلْ عن النَّمَّامِ واهجره فما ... بلَّغَ المكروهَ إلا من نقلْ
دارِ جارَ الدَّارِ إن جارَ وإن ... لم تجدْ صبراً فما أحلى النُّقَلْ
جانِبِ السلطانَ واحذر بطشَه ... لا تخاصِمْ من إذا قالَ فعلْ
لا تلِ الحكمَ وإن هُم سألوا ... رغبةً فيك وخالِفْ من عذلْ
[إنّ نصفَ النّاسِ أعداءٌ لمن ... ولى الأحكامَ هذا إن عدَلْ(١)]
فهوَ كالمحبوسِ عن لذّاته ... وكلا كفّيه فى الحشرِ تُغَلْ
لا تُوازِى لذةَ الحكمِ بما ... ذاقَه الشخصُ إذا الشخصُ انعزلْ

---

(١) الزيادة من المخطوطة .

والوِلاياتُ وإن طابت لمن ذاقها فالسُّم فى ذاك العسلْ
نَصَبُ المنصِبِ أوهى جلَدى وعَنائى من مُداراة السِّفَلْ
قصِّر الآمالَ فى الدنيا تفز فدليلُ العقل تقصيرُ الأملْ
إنّ من يطلبــهُ الموتُ على غفلة منهُ جديرٌ بالوجلْ
غِبْ وزُرْ غبًّا تَزِد حبًّا فمن أكثر التّرداد أصماه المَلَلْ
خذ بنصلِ السيفِ واترك غِمدَه واعتبر فضلَ الفتى دون الحُللْ
حُبُّك الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ فاغتربْ تلقَ عن الأهل بدلْ
فَبِمُكثِ الماء يبقى آسناً وسُرى البدرِ به البدرُ اكتملْ
أيها العــائبُ قولى عَبثاً إنَّ طيبَ الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
عَدِّ عن أسهُمِ لفظى واشتغِلْ لا يصيبنَّك سهمٌ من ثُعَلْ
لا يَغرنّك لينٌ من فتى إن للحيّاتِ لينا يُعتزلْ
أنا كالخيزُور صعبٌ كسرُه وهو لَدنٌ كيفما شئتَ انفتلْ
غَــير أنّى فى زمانٍ من يكنْ فيه ذا مالٍ هو المولَى الأجلْ
واجبٌ عند الورى إكرامُه وقليل المــالِ فيهم يُستقلْ
كلٌّ أهل العصرِ غُمرٌ وأنا منهم فاترك تفاصيلَ الجُملْ

* * *

قال بعض العارفين لرجل من الأغنياء : كيف طلبك للدنيا ؟ فقال : شديد . فقال: فهل أدركت منها ماتريد ؟ قال: لا . قال: هذه التى [صرفت عمرك فى طلبها لم تحصّل منها ما تريد ، فكيف التى] لم تطلبها . انتهى .

لما احتُضر سلمانُ الفارسى رضى الله تعالى عنه تحسّر عند موته ، فقيل له : علام تأسُّفك يا أبا عبد الله ؟ قال: ليس تأسفى على الدنيا، ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

عهد إلينا وقال : « ليكن بُلغَةُ أحدكم كزاد الراكب » وأخاف أن نكون جاوزنا أمره وحولى هذه الأشياء ، وأشار إلى ما فى بيته ، وإذا هو سيف ودست وجفنة . انتهى .

لما أتى بلال من بلاد الحبشة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأنشد بلسان الحبشة :
أره بره كنكره كرا كرى مندره .

فقال عليه الصلاة والسلام لحسان : اجعل معناه عربيًّا ، فقال حسان رضى الله عنه :

إذا المكارمُ فى آفاقنا ذكرت ... فإنّما بكَ فينا يُضربُ المَثَلُ

لبعضهم :

أَنذركَ الشيبُ فخذ نصحَه ... فإنما الشيبُ نذيرٌ نصيحْ
وعلّة الشيبِ إذا ما اعترتْ ... أعيت ولو كان المُداوى المسيحْ

لبعضهم :

إذا غلب المنامُ فنبّهونى ... فإن العمْر يَنقصُه المنامُ
وإن كثر الكلامُ فسكّتونى ... فإنّ الوقتَ يُظلمهُ الكلامُ

قال بعض العارفين عند قوله تعالى : « وجعلْنا من بَين أيديِهمْ سَدًّا » هو طول الأمل وطمع البقاء ، « ومن خَلفِهم سَدًّا » هو الغفْلة عما سبق من الذنوب وقلة الندم عليها ، والاستغفار منها . انتهى .

سمع بعض الزهاد فى يوم من الأيام شخصا يقول : أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة ؟ فقال له الزاهد : يا هذا اقلبْ كلامَك وضع يدك على من شئت . انتهى .

لجامعه رحمه الله تعالى :

وثقتُ بعفــو الله عنِّىَ فى غــد وإن كنت أدرى أننى المذنبُ العاصِى
وأخلصتُ حبى فى النبى وآله كى فى خلاصِى يوم حشرى إخلاصِى

فى الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه يفتح للعبد يوم القيامة كل يوم من أيام عُمُره أربعٌ وعشرون خِزانةً عددساعات الليل والنهار ، فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسرورا ، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لووُزّع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار ، وهى الساعة التى أطاع فيها ربه . ثم يفتح له خزانةٌ أخرى فيراها مظلمة منتنة مُفزعة ، فيناله عند مشاهدتها من الجزع والفزع مالو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ، وهى الساعة التى عصى فيها ربه . ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها فارغةً ليس فيها مايسره ولا ما يسوءه ، وهى الساعة التى نام فيها أو اشتغل فيها بشىء من مباحات الدنيا ، فيناله من الغبن والأسف على فواتها مالا يوصف حيث كان متمكنا من أن يملأها حسنات . ومن هذا قوله تعالى : « ذلك يومُ التَّغابن » . انتهى .

فى الأعراف : « إنّه يراكم هو وقبيلُه من حيثُ لا تَروْنَهم » قال فى الكشاف فيه دليلٌ بيّن أن الجن لا يُرَوْنَ ولا يَظهرون للإنس ، وأن إظهارَهم أنفسَهم ليس فى استطاعتهم ، وأن زعم من يدّعى رؤيتهم زُورٌ ومخرفة . انتهى كلامه .

وقال الإمام فى التفسير الكبير : ليس فيه دليلٌ على ذلك كما زعمه صاحب الكشاف ، فإن الجن رآهم كثيرٌ من الناس . وقد رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولياء من بعده . انتهى كلامه . وقريب منه كلام البيضاوى .

لله در من قال:

حتامَ أنتَ بمـا يُلهيك مشتغِلُ عن نُجْحِ قصدِكَ من خَمرِ الهوى ثَمِلُ
تمضى من الدّهر بالعيش الذميم إلى كم ذا التّواني و كم يُغرى بك الأملُ
وتدّعى بطريق القوم معرفةً وأنتَ منقطعٌ والقومُ قد وَصَلوا
فانهض إلى ذِروة العليـاء مُبتدراً عَزماً لترقى مكاناً دونه زُحَـلُ
فإن ظفرت فقـد جاوزت مكرُمة بقاؤها ببقـاء الله متّصـلُ
وإن قضيت بهم وجداً فأحسَنُ ما يُقال عنك قضى من وَجدِهِ الرجلُ

[تلاميذ أفلاطون]

كان تلامذةُ أفلاطون ثلاث فرق، وهم: الإشراقيون، والرواقيون، والمشّاءون. فالإشراقيون هم الذين جردوا ألواح عقولهم عن النقوش الكونية، فأشرقت عليهم لمعاتُ أنوارِ الحكمة من لوح النفس الأفلاطونية من غير توسط العبارات وتخلل الإشارات، والرواقيون هم الذين كانوا يجلسون فى رُواق بيته، ويقتبسون الحكمة من عباراته وإشاراته. والمشّاءون هم الذين كانوا يمشون فى ركابه ويتلقون منه فرائد الحكمة فى تلك الحالة. وكان أرسطو من هؤلاء. وربما يقال إن المشّائين هم الذين كانوا يمشون فى ركابِ أرسطو لا فى ركاب أفلاطون. انتهى.

فى الحديث: « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال ».

قال فى الفائق: أى نهى عن فضول ما يتحدث به الناس من قولهم قيل كذا وقال فلان كذا. وبناؤهما على أنهما فعلان محكيان، والإعراب على إجرائهما مجرى الأسماء خلوين عن الضمير، ومنه قولهم: إنما الدنيا قيل وقال، وقد يدخل عليهما حرف التعليل.

قال فى النهاية فى حديث علىّ عليه السلام: الأبدال بالشام، وهم الأولياء

والعباد ، الواحد بِدْل كحِمل ، وبدَل كجَمل ، سموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بُدّل آخر .

النيسابورى رحمه الله تعالى فى تفسيره عند قوله تعالى : « سنُريهم آياتنا فى الآفاقِ وفى أنفسهم » والآية فى حم السجدة ، أورد نُبذامن عجائبَ فتوحات المسلمين من زمان معاوية رضى الله عنه إلى زمان ألب أرسلان ، وذكر حربَ ألب أرسلان مع ملك الروم وأطنب فيه . ثم أورد بعد ذلك كلاما طويلا فى بيان أن بدن الإنسان يحكى مدينة معمورة فيها كل ما تحتاج إليه المدينة .

وأورد النيسابورى أيضاً فى تفسير قوله تعالى : « ولولا أن يكونَ الناسُ أمةً واحدةً لجعلنا لمن يكفُر بالرحمٰن لبيوتهم سقُفًا من فضّة ومعارجَ عليها يظهرون ، ولبيوتهمْ أبواباً وسُرراً عليها يتّكئون وزُخرُفًا ، وإن كلٌّ ذلكَ لَمّا متاعُ الحياةِ الدنيا والآخرةُ عندَ ربّك للمتّقين » . والآية فى سورة الزخرف ، حكايات عن التجملات والزينة التى كانت لبعض الملوك والخلفاء العباسيين ، والفقر والقناعة اللذين كانا لبعض العابدين . ثم نقل عن بعض الأكابر أنه قال : إن قوله تعالى: «ولولا أن يكونَ الناسُ أمّةً واحدةً » اعتذارٌ من الله سبحانه إلى أنبيائه وأوليائه ، أنهم لم يزوعهم الدنيا إلا لأنها لا خطر لها عنده ، وأنها فانيةٌ فأبدلهم العقبى الباقية بأهلها . انتهى .

اعلم أن الأصحاب لما رأوا اجتماع النتيجتين المتنافيتين الحاصلتين من قولهم الكلام صفة لله تعالى ، وكل ماهو صفة لله تعالى فهو قديم ، فالكلام قديم ، والكلام مترتب الأجزاء مقدم بعضها على بعض ، وكل ماهو كذلك فهو حادث ، فالكلام حادث ، منع كل طائفة مقدمة منها كالمعتزلة للأولى ، والكرامية للثانية ، والأشاعرة للثالثة ، والحنابلة للرابعة .

والحق أن الكلامَ يطلق على معنيين : على الكلام النفسى ، وعلى الكلام اللسانى ، وقد يقسم الأخير إلى حالتين : ماالمتكلم بالفعل ، وماالمتكلم بالقوة ، ويتبين الكل بالضد ، كالنسيان للأول ، والسكوت للثانى ، والخرس للثالث . والمعنى يطلق على معنيين : المعنى الذى هو مدلول اللفظ ، والمعنى الذى هو القائم بالغير ، فالشيخ الأشعرى لما قال الكلام هو المعنى النفسى فهم الأصحاب منه أن المراد منه مدلول اللفظ ، حتى قالوا بحدوث الألفاظ ، وله لوازم كثيرة فاسدة كعدم التفكير لمنكر أن كلامه مابين الدفتين ، لكنه علم بالضرورة من الدين أنه كلام الله تعالى ، وكلزوم عدم المعارضة ، والتحدى بالكلام ، بل نقول : المراد به الكلام النفسى بالمعنى الثانى شاملا للفظ والمعنى قائما بذات الله ، وهو مكتوب فى المصاحف مقروء بالألسنة محفوظ فى الصدور ، وهو غير القراءة والكتابة والحفظ الحادثة ، كما هو المشهور من أن القراءة غير المقروء . وقولهم : إنه مرتب الأجزاء قلنا لا نسلم ، بل المعنى الذى فى النفس لا ترتب فيه ولا تأخر كما هو قائم بنفس الحافظ ولا ترتيب فيه ، نعم الترتيب إنما يحصل فى التلفظ لضرورة عدم مساعدة الآلة له وهو حادث ، وتحمل الأدلة التى على الحدوث على حدوثه جمعا بين الأدلة . وهذا البحث وإن كان ظاهرهُ خلاف ماعليه متأخرو القوم لكن بعد التأمل تعرف حقيقته . والحق أنّ هذا المحمل محمل صحيح لكلام الشيخ ولا غبار عليه . فاحفظه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . انتهى .

لابن المعتز :

لاتأسفنّ من الدنيا على أمل   فليس باقيه إلا مثلَ ماضيه

للشيخ أبى الفتح البستى رحمه الله :

زيادة المرء فى دنياه نقصانُ   وربحهُ غيرَ محضِ الخير خسرانُ

وكل وُجدانٍ حظٌّ لاثبات له ... فإنّ معناه فى التحقيق فُقدانُ
يا عامراً لخرابِ الدّهرِ مجتهداً ... بالله هل لخراب العمر عُمرانُ
ويا حريصاً على الأموال يجمعُها ... أنسيتَ أن سرورَ المال أحزانُ
زعِ الفؤادَ عن الدنيا وزُخرفها ... فصفوُها كدرٌ والوصلُ هِجرانُ
وأوعِ سمعك أمثالاً أفصّلها ... كما يفصَّل ياقوتٌ ومَرْجانُ
أحسِن إلى النّاس تستعبدْ قلوبَهم ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وإن أساء مُسيءٌ فليكن لك فى ... عُروضِ زلّته صفحٌ وغُفرانُ
وكن على الدّهر مِعواناً لذى أمل ... يرجو نَداك فإن الحرّ مِعوانُ
واشدُد يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركنُ إن خانتك أركانُ
مَنْ يتّق الله يُحمَدْ فى عواقبه ... ويكفه شرّ من عزّوا ومن هانوا
من استعانَ بغير اللهِ فى طلب ... فإنّ ناصِرَه عجزٌ وخِذلانُ
من كان للخير منّاعاً فليسَ له ... على الحقيقةِ إخوانٌ وأخدانُ
من جادَ بالمال مالَ الناسُ قاطبةً ... إليهِ والمال للإنسان فتّانُ
من عاشر الناسَ لاقى منهمُ نصباً ... لأنّ أخلاقَهم بغيٌ وعُدوانُ
من استشار صروفَ الدّهر قام له ... على حقيقةِ طبعِ الدّهر بُرهانُ
من يزرع الشرّ يحصِد فى عواقبِه ... ندامةً ولحصدِ الشرّ إبّانُ
من استنامَ إلى الأشرارِ نامَ وفى ... قميصِه منهمُ صِلٌّ وثُعبانُ
ورافقِ الرفقَ فى كل الأمورِ فلمْ ... يندمْ رفيقٌ ولم يذممْه إنسانُ
أحسِنْ إذا كان إمكانٌ ومقدرةٌ ... فلن يدومَ على الإنسانِ إمكانُ
دع التكاسُلَ فى الخيرات تطلبُها ... فليسَ يسعدُ بالخيرات كسلانُ
لا ظلّ للمرء أحرى من تُقى ونُدًى ... وإن أظلّته أوراقٌ وأغصانُ

النّاسُ أعوانُ من والتهُ دولتُه وهم عليه إذا عادته أعوانُ
سَحْبانُ من غير مالٍ باقلٌ حصرٌ وباقلٌ في ثَراء المالِ سَحبانُ
لا تحسَبِ الناسَ طبعاً واحداً فلهم غرائزٌ لستَ تُحصيها وألوانُ
ما كُلُّ ماءٍ كصدّاءٍ لوارده نعَمْ ولا كلُّ نبتٍ فهو سَعدانُ
وللأمورِ مواقيتٌ مقدَّرةٌ وكل أمر له حدٌّ وميزانُ
فلا تكن عجِلا في الأمر تطلبُه فليس يحمد قبل النضج بحران
حسبُ الفتى عقلُه خِلّا يعاشره إذا تحاماه إخوان وخلّانُ
هُما رضيعا لبانٍ حكمةٌ وتُقى وساكِنا وطنٍ مالٌ وطغيانُ
إذا نبا بكريمٍ موطنٌ فله وراءه في بسيط الأرضِ أوطانُ
يا ظالما فرحا بالعزّ ساعدَه إن كنتَ في سِنةٍ فالدهرُ يقظانُ
يا أيّها العالِمُ المرضيُّ سيرتُه أبشر فأنت بغير الماء ريّانُ
ويا أخا الجهل لو أصبحتَ في لُجج فأنتَ ما بينها لاشك ظمآنُ
لا تحسَبنّ سرورا دائما أبدا من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ
إذا جفاكَ خليلٌ كنتَ تألفهُ فاطلُب سِواه فكلُّ الناس إخوانُ
وإن نبت بك أوطانٌ نشأت بها فارْحل فكلُّ بلاد الله أوطانُ
خذها سوائر أمثال مهذبة فيها لمن يبتغي التبيانَ تبيانُ
ماضرّ حسّانَها والطبعُ صائغها أن لم يَصُغْها قريعُ الشعرِ حسّانُ

وله أيضا:

يا أكثَر النّاسِ إحساناً إلى النّاس وأكرمَ النّاس إغضاءً عن الناسِ
نسيتَ وعدَك والنّسيانُ مغتفَرٌ فاغفرْ فأوّلُ ناسٍ أوّلُ النّاسِ

لبعضهم :

اللهُ جارُكَ في بدوٍ وفي حضرٍ   والعزُّ دارُكَ في السُّكنى وفي السَّفرِ
حُرِسْتَ في سفرٍ عمَّت ميامِنُهُ   مُشيَّعاً بالعُلا والنصرِ والظفرِ

***

وحكى الإمام فخر الدين الرازى : فى أوّل السر المكتوم قال : قال ثابت ابن قرة ذكر بعض الحكماء كُحلا يقوى البصر إلى حيثُ يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه. قال وفعله بعض أهل بابل فحكى أنه رأى جميعَ الكواكب الثابتةِ والسيارة فى موضعها وكان ينفُذ بصرُه فى الأجسام الكثيفة ، فكان يرى ما وراءها ، فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا ، وكان يقرؤه علينا ويُعرّفنا أوّل كل سطر وآخرَه كأنه معنا. وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا جدار وثيق فأخذ هو قرطاساً ونسخ ما كنا نكتبه كأنه ينظر فيما نكتبه . انتهى .

يقال إن زرقاء اليمامة كانت ترى الفارس من بُعدِ ثلاثة أيام ، ونظرتْ يوما إلى حمام يطير فى الجوّ فقالت :

يا ليت ذَا القطا لنا   ومثلَ نصفه معَهْ
إلى قطاةِ أهلِنا   إذاً لنا قطا مِئَهْ

يقال إنها وقعتْ فى شبكة صياد فعدّها فكانت كما قالته الزرقاء ، وهى ست وستون . انتهى

الإنسان إما أن يكونَ ناقصا وهو أدنى الدرجات، وإما أن يكون كاملا فى ذاته لا يقدر على تكميل غيره وهم الأولياء، وإما أن يكون كاملا فى ذاته قادرا على تكميل غيره وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم فى الدرجة العالية.

ثم إن الكمالَ والتكميل إنما يعتبر فى القوّة الفطريّة والقوّة العملية. ورئيس الكمالات المعتبرة فى القوّة النظرية معرفةُ الله تعالى . ورئيس الكمالات المعتبرة فى القوّة العملية طاعة الله تعـالى . وكل من كانت درجاته فى كمالات هاتين المرتبتين أعلى كانت درجات ولايته أكمل. وكل من كانت درجاته فى تكميل الغير فى هاتين المرتبتين أعلى كانت درجات نبوّته أكمل .

إذا عرفت هذا فنقول : إنَّه عند قدوم محمد صلى الله عليه وسلم كان العالم مملوءاً من الكفر والشرك والفسق ؛ أما اليهودُ فكانوا من المذاهب الباطلة فى التشبيه وفى الافتراء على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وفى تحريف التوراة قد بلغوا الغاية، وأما النصارى فقد كانوا فى إثبات التثليث وتحريف الإنجيل قد بلغوا الغاية، وأما المجوس فقد كانوا فى إثبات الإلٰهين ووقوعِ المحاربة بينهما، وفى تحليل نكاح الأمهات والبنات قد بلغوا الغاية، وأما العرب فقد كانوا فى عبادة الأوثان والأصنام، وفى النهب والغارة قد بلغوا النهاية . وكانت الدنيا مملوءةً من هذه الأباطيل ، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقام هو بدعوة الخلق إلى الدين الحق انقلبت الدنيا من الباطل إلى الحق ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن الظُّلَمِ إلى النور ، وبطلت هذه الكفريات ، وزالت هذه الجهالات فى أكثر بلاد العالم وفى وسط المعمورة بمعونة الله وانطلقت الألسن بتوحيد الله تعالى، واستنارت العقول بمعرفة الله تعالى ورجع الخلق من حب الدنيا إلى حب المولى بقدر الإمكان .

وإذا كان لامعنى للنبوّة إلا تكميل الناقصين فى القوة النظرية والقوة العملية، ورأينا أن هذا الأثر حصل بمقدَم محمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأكثر مما ظهر بسبب مقدم موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام علمنا أنه سيدُ الأنبياء وقدوة الأصفياء . انتهى .

فائدة طبية: سِرْ بعد الطعام ولو خطوة ، ونم بعد الحمّام ولو لحظة ، وبُلْ بعد الجماع ولو قطرة . انتهى .

* * *

كتب بعض الأفاضل مع كرسي أهداه :

أهديتُ شيئاً يقل لولا ... أحدوثةُ الفأل والتبرُّكْ
كُرسِي تفاءلتُ فيه لمّا ... رأيتُ مقلوبَه يسرُّكْ

* * *

لمهيار فى السيف على طريق اللغز :

وابنِ سُررتُ به إذ قيلَ لى ذكرٌ ... فصنته إذ يُصان الدُّر فى الصَّدفِ
أخشى عليه السّوافى أن تهُبَّ فما ... تراهُ فى غير حِجْرى أو على كتِفى
أغارُ عُجبا عليـــهِ أن أقبّلَه ... يوما وتقبيلُه أدنى إلى الشرف
يتيهُ من فوق كرسىٍّ وهبت له ... من اللُّجَيْنِ بقدٍّ قام كالألفِ

* * *

شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدى ما يكتب على السيف :

أنا أبيضٌ كم جئتُ يوما أسودًا ... فأعدته بالنصر يوما أبيضاَ
ذكر إذا ما سُلَّ يومَ كريهــة ... جعلَ الذُّكورَ من الأعادِى حُيَّضاَ
أختالُ ما بين المنــايا والمُنَى ... وأجُول فى وقتِ القضايا والقضاَ

* * *

الصاحب إسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى فى وصف أبيات أهديت إليه :

أتتنىَ بالأمس أبياتُه ... تُعلّل روحى برَوْح الجنانْ
كبرد الشبابِ وبردِ الشرابِ ... وظلِّ الأمانِي ونيل الأمانْ

وعهدِ الصِّبا ونسيمِ الصَّبا وصفوِ الدِّنان ورجعِ القِيانْ

قال الحريرى ، ناقلا عن عجوز تشتكى معيشتها وهو مذكور فى المطوّل : مذ اغبرّ العيشُ الأخضرُ ، وازورّ المحبوب الأصفر ، اسودّ يومى الأبيضُ ، وابيضّ فَوْدى الأسودُ ، حتى رثى لى العدوُّ الأزرقُ ، فياحبّذا الموتُ الأحمرُ . انتهى .

قال الحريرى فى درة الغوّاص : بين لا تدخلُ إلّا على المثنى والمجموع ، كقولك الدار بينهما ، والدار بين الإخوة ، فأما قوله تعالى « مُذبذبين بين ذلك » فإن لفظة ذلك تؤدّى عن شيئين ، وكشف ذلك بقوله تعالى : « لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ونظيره : « لا نُفرّق بين أحدٍ من رُسُله » وذلك أن لفظة أحد فى قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والمجموع . انتهى .

المسافة : البعد ، وأصلها من الشم ، كان الدليلُ إذا كان فى فلاة أخذ الترابَ فاستافه : أى شمه ليعلم أين هو من بقاع الأرض . انتهى .

الخُلف : الاسم من الإخلاف ، وهو فى المستقبل كالكذب فى الماضى .

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك : اعلم أن اسم المعنى الصادر عن الأفعال كضرب ، أو القائم بذاته كالعلم ، ينقسم إلى مصدر واسم مصدر ، فإن كان أوله ميما مزيدة ، وهى لغير مفاعلة كالمضرب والمحمدة ، أوكان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر ، وإلا فهو المصدر . انتهى .

***

لأبى إسحاق الصابى ، معارضة غلامين أحدهما أسود والآخر أبيض :

قد قال ظبىٌ وهو أسود للذى ببياضِه يعلو علُوَّ الخائن
ما فخرُ خدّك بالبياضِ وهل تَرى أن قد أفدت به مَزيدَ محاسنِ
ولو آنّ مِنى فيــــه خالًا زانَه ولو آن منهُ فىّ خالًا شاننى

الباخرزى :

القبرُ أخفى سُترةٍ للبناتْ ... ودفنُها يروى من المكرُماتْ
أما رأيتَ الله عزّ اسمه ... قد وضَعَ النعشَ بجنب البناتْ

آخر :

فإن وعدتْ لم يلحق القولَ فعلُها ... وإن أوْعدت فالقولُ يسبقه الفعلُ

من أظرف الشعر :

قلتُ وقد لجّ فى مُعاتبتى ... وظن أن الملالَ من قبلى
خدُّك ذا الأشعرىُّ حنّفنى ... وكان مِن أحمد المذاهب لى
حُسنك مازال شافعِى أبداً ... يامالِكى كيف صِرتَ مُعتزِلِى

غيره :

بين المحبينَ سرّ ليس يفشيه ... قولٌ ولا قلمٌ للخلق يحكيه

ابن المعتز :

قد يبعُد الشىءُ من شىءٍ يُشابهه ... إن السماءَ نظيرُ الماءِ فى الزرق

لبعضهم :

أمسيتُ آخذُ أترجًا وأحسَبه ... فى صُفرة اللّون من بعضِ المساكينِ
عجبتُ منهُ فما أدرى أصُفرتُه ... من فُرقة الغُصن أم من خوفِ سكّينِ

حكى أن بعض الأرقّاء كان عند مالكٍ يأكلُ الخاصّ ويطعمه الخشكار فاستنكف الرقيقُ من ذلك ، وطلب البيع ، فباعه ، فشراه من يأكل الخشكار ويُطعمه النُّخالةَ فطلب البيع ، فشراه من يأكل النُّخالةَ ولا يُطعمه شيئاً [فطلب

البيع ، فباعه ، فشراه من لا يأكل شيئاً] وحلق رأسه ، وكان فى الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدلا عن المنارة ، فأقام عنده ولم يطالب البيعَ ، فقال له النخاسُ : لأى شىء رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك ؟ قال : أخاف أن يشترينى فى هذه المرة من يضع الفتيلة فى عينى عوضا عن السراج . انتهى .

قد ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين — أى المشبه والمشبه به — إلى أربعة أقسام : ملفوف ، وهو أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولا ، ثم بالمشبه به ، كقول امرئ القيس :

كأنَّ قلوبَ الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرِها العُنّابُ والحشفُ البالى

ومفروق ، وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقّش يصف النساء :

النَّشرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا ... نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عنمْ

والتّسوية ، وهو أن يتعدد المشبَّه دُون الثانى ، كقول الشاعر :

صُدغُ الحبيبِ وحالِى ... كلاهُما كاللّيالى
وثَغرُهُ فى صفاء ... وأدمُعى كاللآلِى

والجمعُ وهو أن يتعدد المشبهُ به دون الأوّل ، كقول البحترى :

بات نديماً لىَ حَتّى الصباحْ ... أغيدُ مجدولُ مكانِ الوِشاحْ
كأنّما يَبسِم عن لؤلؤٍ ... منضدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

والتشبيه فى البيت الثانى .

وشبه الحريرى ثغر المحبوب فى بيت واحد بخمسة أشياء فقال :

يفتر عن لؤلؤٍ رطب وعن بَرَدٍ ... وعن أقاح وعن طلع وعن حَبَبِ

نعم ماقال الشيخ الفاضل محمود بن عمر القزوينى الخطيب فى الإيضاح ، وأورده

العلامة التفتازانى فى المطوّل فى بحث الاستعارة العنادية ، وهى التى لا يمكن اجتماع طرفيها ، كما إذا استعير المعدوم للموجود الذى لا غناء فى وجوده وهو هذا .

ثم الضدان إن كانا قابلين للقوة والضعف ، كان استعارة اسم الأشدّ للأضعف أولى ، فكل من كان أقل علما أو أضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت ، لكن الأقل علما أولى بذلك من الأقل قوة ، لأن الإدراك أقدم من الفعل فى كونه خاصة للحيوان ، لأن أفعاله المختصة به ـ أعنى الحركات الإرادية ـ مسبوقة بالإدراك وإذا كان الإدراك أقدم وأشدّ اختصاصا به كان النقصان أشد تبعيدا له من الحياة وتقريبا إلى ضدها . وكذا فى جانب الأشدّ فكل من كان أكثر علما كان أولى بأن يقال له إنه حى . انتهى كلامه .

من شرح لامية العجم : المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان . وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد ، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم . وأن الله تعالى ليس بمرئى يوم القيامة . وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا أو شرب الخمر كان فى منزلة بين المنزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر . وأن من دخل النار لم يخرج منها . وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد . وأن إعجاز القرآن فى الصرف عنه ، لا أنه فى نفسه معجز ، ولو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه . وأن المعدوم شىء . وأن الحُسْن والقُبْح عقليان . وأن الله تعالى حى لذاته لا بحياة ، وعالم لذاته لا بعلم . وقادر لذاته لا بقدرة . انتهى .

قال العلامة التفتازانى : ولكون المثل مما فيه غرابة استعير للفظ الحال أو القصة أو الصفة إذا كان لها شأن عجيب ، كقوله تعالى « مثلُهم كمثل الذى استوْقدَ ناراً » أى حالُهم العجيب الشأن . وكقوله تعالى « وله المثلُ الأعلى » أى الصفة العجيبة .

وكقوله تعالى « مثلُ الجنة التي وُعِد المتقون » أى فيما قصصنا عليكم من العجائب قصة الجنة العجيبة . انتهى .

قال الصفدى : وقد غلّطوا الحريرىّ فى قوله : فلما ذرّ قرنُ الغزاله طمر طمور الغزالة . وقالوا : لم تقل العرب الغزالة إلا فى الشمس ، فإذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا ظبية . والإلاهَة أيضا اسم للشمس . ولا يدخلها الألف واللام فى الأكثر . انتهى .

قرأ بعض المغفلين « فى بيوتٌ » بالرفع . فقال له شخص : يا أخى إنما القراءة « فى بيوتٍ » بالجر . فقال يامغفل : إذا كان الله سبحانه وتعالى قال : « فى بيوت أذن الله أن ترفع » تجرها أنت لماذا ؟ انتهى .

لبعضهم :

ثقُلت زُجاجاتٌ أتتنــا فُرَّغا ... حتى إذا مُلِئت بِصِرفِ الرّاح
خفَّت فـكادتْ أن تطيرَ بماحوت ... وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

قال الصفدى : حكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معديكرب أن يريه سيفه المشهور بالصمصامة ، فأحضره عمرو له ، فانتضاه عمر وضرب به فما حاك ، فطرحه من يده وقال : ماهذاسيفك بشىء ، فقال له عمرو : ياأمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به ، فعاتبه ، وقيل إنه ضربه .

وقال فى ذيله : ذكر المؤرخون أن عليا عليه السلام قتل من الخوارج يوم النهروان ألفى نفس . وكان يدخل فيضرب بسيفه . حتى ينثنى ويخرج ، ويقول : لا تلومونى ولوموا هذا ، ويقومه بعد ذلك .

ومن ضربات علىّ المشهورة ضربتُه مرحبــًا ، فإنه ضربه على البيضة ضربة فقدّها وقدّه نصفين . وما أحلى قول أبى الحسن الجزّار يمدح علىّ بن سيف الدين:

أقولُ لقَنْبَرٍ مرحباً لتيقُّني ... بأنّ عليا بالمكارمِ قاتلُهْ

وضرَبتْه عمرُو بن وُدٍّ العامريَّ وكان جبارا عُتُلّا عنيداً من الرجال ، فقطع فخذَه من أصلها ، ونزل عمرٌو فأخذ فخِذ نفسه فضرب بها عليّا فتوارى عنها ، فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها .

سأل بعض المغفلين إنسانا فاضلًا قال له : كيف تنسب إلى اللغة ؟ فقال : لُغوى . فقال له : أخطأت فى ضم اللام ، إنما الصحيح ماجاءت فى القرآن « إنك لَغَوِيٌّ مبين » . انتهى .

كل حيوان دموى ، فإنه ينام ويستيقظ . وكل ذى جفن يطبقه عند النوم ؛ وقد يحلم غير الإنسان من ذوات الأربع ، يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها فى النوم .

لبعضهم (١) :

وبيضاء المحاجرِ من مَعَدٍّ ... كأن حديثها ثمرُ الجنان

إذا قامت لحاجتها تثنت ... كأنّ عظامها من خيزُرَانِ

الكاتب جمال الدين محمد :

الناسُ قد أثموا فينا بظنِّهمُ ... وصدّقوا بالذى أدرِى وتدرِينَا

ماذا يضرُّكِ فى تصديق ظنهم ... بأن نُحقق ما فينا يظنّونا

حملى وحملُكِ ذنبا واحدا ثقةً ... بالعفو أجملُ من إثم الورى فينا

قال الصفدى وقد رأيت لأبى القاسم الجرجانى مصنفا قد قسم اللام فيه إلى أحد وثلاثين قسما (٢) وفصّلها وذكر على كل قسم شواهد ، ولا بأس بذكرها هاهنا من

(١) فى المخطوطة : للصفدى .

(٢) عدها فى الكنز المدفون أحدا وأربعين اه . وقال فى القاموس : لها ترد لثلاثين معنى .

غير تمثيل وهى : لام التعريف. لام الملك. لام الاستحقاق . لام كى .لام الجحود. لام الابتداء . لام التعجب . لام تدخل على المقسم به . لام جواب القسم . لام المستغاث به . لام المستغاث من أجله . لام الأمر . لام المضمر .لام تدخل فى النفى بين المضاف والمضاف إليه . لام تدخل الفعل المستقبل .[لامٌ]لازمة فى القسم لايجوز حذفها. لام تلزم إن المكسورة إذا خففت من الثقل . لام العاقبة ، وسماها الكوفيون لام الصيرورة . لام التبيين . لام لو . لام لولا . لام التكثير . لام تزاد فى عندك وما أشبهه . لام تزاد فى لعل . لام إيضاح المفعول من أجله . لام تعاقب حروفها. لام تكون بمعنى إلى . لام الشرط . لام توصل الأفعال إلى المفعولين . انتهى .

حكى الشريف أبو يعلى بن الهبارية قال : ولقد كنا ليلة بأصبهان فى دار الوزارة فى جماعة من الرؤساء ـ وعد جماعة بأسمائهم ـ فلما هدأت العيون ، واستولى على الحركات السكون ، سمعنا صراخا وصوتا مرتفعا وولولة واستغاثة ،فقمنا وإذا الشيخ الأديبُ أبو جعفر القصاصُ ينيك أبا على الحسن بن جعفر البندنيجى الشاعر الأعمى ، وهو يستغيث ويقول : إننى شيخ أعمى فما يحملك على نيكى ، وذلك لايلتفت إليه ، إلى أن فرّغ فيه ، وسلّ منه كذراع البكر [(١)] وقام قائلا : إنى كنت أتمنى أن أنيك أبا العلاء المعرى لكفره وإلحاده ، ففاتنى ، فلما رأيتك شيخا أعمى شاعرا فاضلا نكتك لأجله . انتهى .

قال الصفدى : جماعة رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها ،

---

(١) تحملنا أمانة المحافظة على الأصل على إبقاء هذه الألفاظ بما اشتملت عليه من قباحة وقلة أدب. ونحمل المؤلف مسئولية مافيها من فحش ينبو عنه السمع ، ويتبرأ منه الأدب .

ولا يحط من مكانة الكشكول ألا يشتمل على مثل هذه السفاهة. وفى الكناية مايؤدى هذا المعنى إن كان ولا بد من إصرار صاحب الكشكول على تسويد أوراقه بمثل هذه الألفاظ المبتذلة .

مثلهم: على بن أبى طالب عليه السلام فى القضاء. أبو عبيدة فى الأمانة. أبو ذر فى صدق اللهجة. أبىٌّ بن كعب فى القرآن. زيد بن ثابت فى الفرائض. ابن عباس فى تفسير القرآن. الحسن البصرى فى التذكير. وهب بن منبه فى القَصَص. ابن سيرين فى التعبير. نافع فى القراءة. أبو حنيفة فى الفقه قياسا. ابن إسحاق فى المغازى. مقاتل فى التأويل. الكلبى فى قصص القرآن. ابن الكلبى الصغير فى النسب. أبو الحسن المدائنى فى الأخبار. محمد بن جرير الطبرى فى علوم الأثر. الخليل فى العروض. الفضيل بن عياض فى العبادة. مالك بن أنس فى العلم. الشافعى فى فقه الحديث. أبو عبيدة فى الغريب. على بن المدينى فى علل الحديث. يحيى بن معين فى الرجال. أحمد بن حنبل فى السنّة. البخارى فى نقد الحديث الصحيح. الجنيد فى التصوف. محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف. الجُبّائى فى الاعتزال. الأشعرى فى الكلام. أبو القاسم الطبرانى فى العوالى. عبد الرزاق فى ارتحال الناس إليه. ابن مَنْدَهْ فى سعة الرحلة. أبو بكر الخطيب فى سرعة الخطابة. سيبويه فى النحو. أبو الحسن البكرى فى الكذب. إياس فى التفرس. عبد الحميد فى الكتابة [والوفاء]. أبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم. الموصلى النديم فى الغناء. أبو الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى فى المحاضرة. أبو معشر فى النجوم. الرازى فى الطب. الفضل بن يحيى فى الجود. جعفر بن يحيى فى التوقيع. ابن زيدون فى سعة العبارة. ابن القرّية فى البلاغة. الجاحظ فى الأدب والبيان. الحريرى فى المقامات. البديع الهمذانى فى الحفظ. أبو نواس فى المطايبات والهزل. ابن حجاج فى سخف الألفاظ. المتنبى فى الحكم والأمثال شعرا. الزمخشرى فى تعاطى العربية. النسفى فى الجدل. جرير فى الهجاء الخبيث. حماد الراوية فى شعر العرب. معاوية فى الحلم. المأمون فى حب العفو. عمرو بن العاص فى الدهاء. الوليد فى شرب الخمر. أبو موسى

الأشعرى فى سلامة الباطن . عطـــاء السلمى فى الخوف من الله . ابن البوّاب فى الـكتابة . القاضى الفاضل فى الترسل . العماد الـكاتب فى الجناس . ابن الجوزى فى الوعظ . أشعب فى الطمع . أبو نصر الفارابى فى نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره. حنين بن إسحاق فى ترجمة اليونانى إلى العربى . ثابت بن قرة فى تهذيب ما نقل من الرياضى إلى العربى . ابن سينا فى الفلسفة وعلوم الأوائل . الإمام فخر الدين فى الاطلاع على العلوم . السيف الآمدى فى التحقيق . النصير الطوسى فى المجسطى . ابن الهيثم فى الرياضى . نجم الدين الـكاتبى فى المنطق . أبو العـــلاء المعرى فى الاطلاع على اللغة . أبو العيناء فى الأجوبة المسكتة . زيْد فى البخل . القاضى أحمد ابن أبى دواد فى المروءة وحسن التقاضى . ابن المعتز فى التشبيه . ابن الرومى فى النظـير . الصولى فى الشطرنج . أبو محمـد الغزالى فى الجمع بين المنقول والمعقول . أبو الوليد بن رشيد فى تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبية . محيي الدين ابن عربى فى التصوف ، رضوان الله تعالى ورحمته عليهم أجمعين ممن سلك منهم طريق الرشاد ، واقتفى سنة سيد البشر وخير الثقلين من العباد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأمجاد .

ومن نوادر الخيال : حكى أنّ بعضهم كتب إلى امرأة كان يهواها : مُرى خيالك أن يمر بى ، فـكتبت إليه : ابعث إلىّ بدينار حتى أجىء إليك بنفسى فى اليقظة . انتهى .

القوة المخيلة لاتستقل بنفسها فى رؤية المنام ، بل تفتقر إلى رؤية القوّة المفـكرة والحافظة وسائر القوى العقلية . فمن رأى كأنّ أسداً تخطى إليـه وتمطى ليفترسه ، فالقوّة المفـكرة تدرك ماهية سبع ضار . والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه ، والحافظة تدرك حركاته وهيآته ، والمخيلة هى التى رأت ذلك جميعاً وتخيلته.

من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بأمر

قال الصفدي : قد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم وأمره بأمر هل يلزمه العمل به أولا . قالوا إنْ أمرَهُ بما يوافق أمره يقظة ففيه خلاف ، وإن أمره بما يُخالف أمره يقظة . فإن قلت : إن من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المذكور من صفته فرؤياه حق ؛ فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بأرجحهما ، وما ثبت في اليقظة فهو أرجح ، فلا يلزمنا العمل بما أَمره مما خالف أمره يقظة . انتهى .

من كتاب يتيمة الدهر للإمام الجليل عبد الملك الثعالبي رحمه الله تعالى :

جرى الشعراء بحضرة الصاحب بن عباد في ميدان اقتراحه . أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتابا لأبي محمد الخازن ، ورد في ذكر الدار التي بناها الصاحبُ بأصبهان وانتقل إليها واقترح على أصحابه وصفها . وهذه نسخته بعد الصدر : نعم الله عند مولانا الصاحب مترادفة ، ومواهبه له متضاعفة ، وآراء أولياء النعم ـ كبت الله أعداءهم ـ تتظاهر كل يوم حسنا في إعظامه ، وبصائرهم تتراءى قوّة في إكرامه . والوفود من العباد إلى بيته المعمور كرِجْل الجراد . وقد انتقل إلى البناء المعمود بالفأل المسعود ، فرأينا يوما مشهودا ، وعيدا يُجنِب عيدا . واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرتني القصائد لأنفذتها ، إلا أني علقت من كل واحدة ما علق بحفظي ، والشيخُ مولاي يعرف مِلاكَ النسيان لرقّي .

فقصيدة الأستاذ أبي العباس أوّلها :

دارُ الوزارة ممـدودٌ سرادِقُها ... ولا حقٌ بذُرى الجوزاء لاحقُها
والأرضُ قد أوصلت غيظ السماء بها ... فقَطرها أدمعٌ تجري سوابقُها
تودّ لو أنها من أرضِ عرْصتِها ... وأن أنجمهـا فيها طوابقها
فمن مجالسَ يخلُفن الطواوسَ قد ... ألبسن مجسدةً راقت طرائقُها

ومن كنائسَ يحكينَ العرائسَ قد أبرزنَ فى حُلل شفّت شقائقُها
تفرّعت شُرفاتٌ فى مناكبها يرتدُّ عنها كليلَ العين رامقُها
مثلُ العذارَى وقد شدّت مناطقَها وتُوّجتْ بأكاليلٍ مفارقُها
كلّ امرئٍ شقّ عنه الحجبَ رؤيتُها وأشرقت فى محياه مشارقُها
مخلفٌ قلبُه فيها وناظرُه إذا تجلت لعينيه حقائقُها
والدهرُ حاجبُها يحمى مواردَها عن الخطوب إذا صالتْ طوارقُها
مواردٌ كلما همّ العفاةُ بها عادت مفاتيحَ للنُّعمى مغالقُها
دارُ الأمير التى هذِى وزيرتُها أهْدت لها وُشُحاً راقتْ نمارقُها
تُزهى بها مثل ما تُزهى بسيّدِنا مؤيدِ الدّولة الميمونِ طارقُها
هذِى المعالِى التى غِيظَ الزمانُ بها وَافتكَ منسوقةً واللهُ ناسقُها
إنّ الغمائمَ قد آلت مُعاهِدَةً لازايلتْها ولازالت تُعانقُها
لأَرضها كلُّ ما جادتْ مواهبُها وفى ديارِ أعاديها صواعقُها

ومنها :

قصيدة الشيخ أبى الحسن صاحِب البريد، أوّلها :

دارٌ على العزّ والتأييد مَبناها وللمكارم والعَلياء مغناها
دارٌ تباهَى بها الدنيا وساكنُها هذا وكم كانت الدنيا تمنّاها
فاليمُن أقبل مقرونا بيمناها واليسرُ أصبح مقرونا بيُسراها
من فوقها شُرفاتٌ طال أدناها يدَ الثّريا فقل لى كيف أقصاها
كأنّها غِلمةٌ مصطفّةٌ لبِست بيضَ الغلائل أمثالا وأشباها
انظر إلى القُبة الغراء مُذهَبةً كأنما الشمسُ أعطتها محيّاها
تلك الكنائس قد أصبحن رائقةً مثلَ الأوانسِ تلقانا ونلقاها

فالربع بالمجدِ لا بالصحن متسع ... والبهو لا بالخلا بل بالعلا باها
لما بنى الناسُ فى دنياك دُورَهمُ ... بنيتَ فى دارك الغراء دنياها
ولو رضيتَ مكانَ البُسط أعيُننا ... لم تبق عينٌ لنا إلا فرشناها
وهذه وُزراء الملك قاطبةً ... بيادقٌ لم تزل ما بينها شاها
فأنتَ أرفعُها مجداً وأسعدُها ... جَدًّا وأجودُها كفًّا وأكفاها
وأنت آدبُها وأنت أكتبُها ... وأنتَ سيّدُها وأنتَ مولاها
كسوتنى من لباسِ العزِّ أشرفَه ... المالَ والعلمَ والسلطانَ والجاها
ولستُ أقرُبُ إلا بالولاء وإن ... كانتْ لنفسىَ من علياك قُرباها

* * *

وقصيدة ابن الطيب الكاتب أولها :

ودار ترى الدنيا عليها مدارُها ... يجوز السماء أرضُها وديارُها
بناها ابنُ عباد ليعرض هِمّة ... على همم إسرافهن اقتصارُها
تردّ على الدنيا بها كلَّ غدرة ... إذا ما تبارتْ دارُه وديارُها
وإن قيلَ بُهتانا حكت تلك هذه ... فقد تتوازى ليلةٌ ونهارُها
فإن لم يكن فى صحن دارك بعضُها ... بصدرك فالدنيا يصح اعتذارها

* * *

ومنها :

قصيدة أبى سعيد الرستمى وهى :

نَصَبْن لحبّاتِ القلوب حبائلا ... عشيّة حلّ الحاجبيّاتُ حائلا
نشدنا عُقولًا يوم بُرقةِ مُنشدٍ (١) ... ضللنَ فطالبنا بهنّ العقائلا

(١) برقة منشد : ذكرها القاموس فى برق ديار العرب .

عقائلَ من أحياء بكر بن وائل ... يحببن للعشاق بكرَ بنَ وائلا

عيونٌ ثكلن الحسنَ منذ فقدتُها ... ومن ذا رأى قبلى عُيونا ثواكلا

جعلتُ ضنى جسمى لديها ذرائعا ... وَسائلَ دمعى عندهنّ وسائلا

وركب سروا حتّى حسبتُ بأنهم ... لسُرعتهم عدّوا إليك المراحلا

إذا نزلوا أرضاً رأونىَ نازلا ... وإن رحلوا عنها رأونىَ راحلا

وإن أخذوا فى جانبٍ ملتُ آخذا ... وإن عدلوا عن جانبٍ ملتُ عادلا

وإن وردوا ماء وردت وإن طوَوْا ... طويْتُ وإن قالوا تحوّلتُ قائلا

وإن نَصَبوا للحرّ حُرّ وجُوههم ... تحولتُ حرباء على الجذع مائلا

وإن عَرفوا أعلام أرضٍ عرفتُها ... وإن أنكروا أنكرتُ منها مجاهلا

وإن عزموا سيراً شددت رحالَهم ... وإن عزَموا حِلّا حللتُ الرحائلا

وإن وَردوا ماء حملتُ سقاءهم ... أو انتجعوا أرضاً حدوتُ الزّواملا

يظنون أنى سائلٌ فضلَ زادهم ... ولولا الهوى ماظنّنى الركبُ سائلا

وأقسمتُ بالبيت الجديد بناؤُه ... بحىّ ومن يُفي إليه المراقِلا

هى الدار أبناء الندى من حجيجها ... نوازلُ من ساحاتها وقوافلا

يَزرْنكَ بالآمال مثنى وموحَدا ... ويصدرن بالأموال دثرا وجاملا

قواعدُ إسماعيل يرفعُ سَمكها ... لنا كيفَ لا نعتدّهنّ معاقلا

فكم أنفس تهوى إليها مُغذّةٌ ... وأفئدةٌ تأوى إليها حوافلا

وسامية الأعلام يلحظُ دونها ... سنا النّجم فى آفاقها متضائلا

نسختَ بها إيوانَ كسرى بنِ هرمزٍ ... فأصبح فى أرض المدائن عاطلا

فلو أبصرت ذاتُ العماد عمادَها ... لامست أعاليها حياءً أسافلا

ولو لحظت جنّاتُ تدمُر حسنَها ... درتْ كيف تبنى بعدهنّ المجادلا

تناطح قَرنَ الشمس من شُرفاتها صُفوفٌ ظباء فوقهن مواثلا
وُعول بأطراف الجبال تقابلت وصدّت قرونا للنطاح موائلا
كأشكال طير الماء مدّت جناحها وأشخصْنَ أعناقا لها وحواصلا
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعا وسدّت هبوبَ الريح فارتدّ ناكلا
إذا ما ابنُ عباد مشى فوق أرضها مشى الدهرُ فى أكنافها متمايلا
كنائس ناطت بالنجوم كواهلا وعادتْ فألقت بالتخوم كلاكلا
وفيحاء لو مرّت صَبا الرّيح بينها لضلّت فظلّت تستشيرُ الدلائلا
متى ترها خِلت السماءَ سُرادقا عليها وأعلامَ النجوم خمائلا
هواء كأيام الهوى فرْطَ رِقّة وقد فقدَ العشاق فيها العواذلا
وماء على الرّضراض يجرى كأنه صفائح تبر قد سبكنَ جداوِلا
كأنّ بها من شدة الجرى جنّةً فقد ألبسَتْهنّ الرياحُ سلاسلا
ولو أصبحت داراً لك الأرضُ كلّها لضاقت بمن ينتاب دارك سائلا
عقدت على الدنيا جداراً تحزتها جميعا ولم تترك لغيرك طائلا
وأغنى الورى عن منزلٍ من بنتْ له معاليهِ فوقَ الشِّعْرَيْين منازلا
ولا غرو أن يستحدث الليثُ بالشّرى عرينا وأن يستطرقَ البحرُ ساحلا
ولم تعتمد داراً سوى حومةِ الوغى ولا خدماً إلا القَنا والقنابلا[1]
ولا حاجبا إلا حُساما مهنّدا ولا حاملا إلا سِنانا وعامِلا
ووالله لا أرضى لك الدهرَ خادما ولا البدرَ مُنتابا ولا البحرَ نائلا
ولا الفلكَ الدوّارَ داراً ولا الورى عبيداً ولا زُهرَ النجوم قبائلا
أخذتَ بضبع الأرض حتى رفعتها إلى غاية أمسى بها النجمُ جاهلا

(١) القنابل : جماعة من الخيل والناس .

وإنّ الذى يَبنيــهِ مثلُكَ خالدٌ ... وسائرُ ما يَبْنى الأنامُ إلى بِلا

* * *

وقصيدة أبى الحسن الجرجانى :

ليهنَ ويسعَدْ من به سعِد الفضلُ ... بدارٍ هى الدنيا وسائرُها فضلُ
تولى لها تدبيرَها رحبُ صدره ... على قدره والشكل يعجبه الشَّكل
بَنِيَّةُ مجد تشهدُ الأرضُ أنها ... ستُطوى وما حاذَى السماءَ لها مِثل
تُكلِّف أحداقَ العيون تخاوُصا ... إليها كأنّ النـاس كلَّهم قُبْلُ
منارٌ لأبصار السُّراة وربُّها ... مِثالٌ لآمال العُفاة إذا ضلوا
سحابٌ علا فوقَ السحاب مصاعدا ... وأحْرِ بأن يعلُو وأنت له وَبْل
وقد أسبل الخيرىّ كُمى مفاخر ... بصحن به للملك يجتمعُ الشمل
كما طلع النَّسرُ المنير مصفقّا ... جناحيه لولا أنّ مطلعَه غُفل
بنيتَ على هام العداة بنيةً ... تمكن منها فى قلوبهم الغِل
ولو كنتَ ترضَى هامهم شرفا لها ... أتوك بها جُهدَ المقلّ ولم يألُوا
ولكنْ أراها لو هممتَ برفعها ... أبَى اللهُ أن تعلو عليك فلم تعلو
تحج لها الآمالُ من كل وجهة ... ويُنحرُ فى حافاتها البخلُ والمحل
وما ضرّها أن لا تُقابل دجلة ... وفى حافتيها يلتقى الفَيْضُ والمطل
تجلى لأطراف العراق سعودُها ... فعاد إليه الملك والأمنُ والعقل
كذا السعد قد ألقى عليها شعاعَه ... فليسَ لنحس فى مطارفها فعل
وقالوا تعدّى خلقَه فى بنائها ... وكان وما غيرُ النوال له شُغل
فقلتُ إذا لم يُلهه ذاك عن ندى ... فماذا على العلياء أن كان لا يخلو
إذا النصل لم يُذمم نجارا وشيمةً ... توثّق فى غمد يصان به النصل

تمَلَّ على رغم الحوادث والعــدا | عُلاكَ وعش للجود ماقبح البخل

* * *

وقصيدة أبى القاسم بن العلاء أولها :

هُجرتُ ولم أنو الصدود ولا الهجرا | ولا أضمرتْ نفسى الصدودَ ولا الغدرا
وكيف وفى الأحشاء نار صبابة | تُشبَّب لى فى كلّ جارحة جمرا
تقول لى الأفكارُ لما دعوتها | لتنظم فى معمور بنيانه شعرا
بَنى مسكناً بانى المفاخرِ أم فخرا | وجنّتنا الأولى بدت أم هى الأخرى
أم الدار قد أجرى الوزيرُ سعودها | فلم تجرِ دار فى الثّرى ذلك المجرى
وتبدو صُحونٌ كالظنون فسيحةٌ | نقدّرها حُلماً فينعتها حزرا
وفى القبة العلياء زهر كواكب | من الغرب المضروب والذهب المجرى
إذا ما سما الطرفُ المحلّق دونها | رآها سماء صحفُ أنجمها تقرا

* * *

وقصيدة أبى القاسم بن المنجم (١) :

هى الدارُ قد عمّ الأقاليمَ نورُها | فلو قدرت بغدادُ كانت تزورُها
ولو خُيّرتْ دارُ الخلافة بادرت | إليها وفيها تاجُها وسريرُها
ولو قد تبقّت سُرّ مَن رَا بحالها | لسارت إليها دورُها وقصورُها
لتسعد فيها يومَ حان حضورُها | وتشهدَ دنيا لا يُخاف غرُورُها
فما جلت عينُ الزمان بمثلها | ولا خالَ راء أن يجىء نظيرُها
يقول الأولى قد فُوجئوا بدخولها | وحيّرهم تحبيرُها وحبيرها

(١) توجد هنا فى المخطوطة قصيدة لأبى القاسم الزعفرانى مختلة الوزن وغير جيدة المعنى . وأعتقد أنها لم تذكر فى المطبوعة لما فيها من الخلل الواضح وركاكة المعنى .

أفى كل قصر غادةٌ وحبيبُهـا وفى كل بيت روضةٌ وغديرها
فأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين تُرخى ستورها
معظمة إلا إذا قيل سُمكُها بهمة بانيها فتلك نظيرُها
هى الهمَّة الطُّولى أجالت بفكرها مبانى تكسوها العُلا وتعيرها
فجاء بدارٍ دارةُ السعد نجمُها وجنةٌ المحذورُ ليس يطورها
وقال لها اللهُ العلىّ صفاته سأحميك ماعمّ الليالى كرورُها
أهنّيك بالعُمران والعُمر دائمٌ لبانيك ماأفنَى الدهورَ مرورُها
وقد أسجلت علياك عمدة ملكها وخطت بأعلام السعود سطورُها
ودارت لها الأفلاكُ كيف أدرتَها ودانت إلى أن قيل أنتَ مديرُها
وهاك ابنة الفكر التى قد خطبتَها وقُدّم من قبل الزفاف مهورُها
فإن كان للدار التى قد بنيتها نظيرٌ ففى عرض القريض نظيرُها
وإلّا جررتُ الذيل فى ساحة العُلا وقلتُ القوافى قد أُعيد جريرها

محمود الوراق :

إلٰهى لك الحمد الذى أنت أهله على نعم ما كنتُ قطّ لها أهلا
أزيدُك تقصيراً تزدنى تفضّلا كأنىَ بالتقصير أستوجبُ الفضلا

لبعضهم :

بكتْ علىّ غداةَ البين حين رأت دمعى يفيض وحالى حالُ مبهوت
فدمعتى ذوبُ ياقوتٍ على ذهب ودمعُها ذوبُ درّ فوق ياقوت

سئل أبو فراس المشهور بالفرزدق : أحسدت أحدا على شعر ؟ فقال: ماحسدت إلا ليلى الأخيلية فى شعرها هذا :

ومُخرّق عنه القميصُ تخالُه   بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا حمِىَ الوطيسُ رأيته   تحت الخميسِ على اللواء زعيما
لا تقربنَّ الدهرَ آلَ مطرّف   لا ظالما أبدا ولا مظلوما

ثم قال مع أنى قائل هذه الأبيات :

وركبٍ كأنَّ الريحَ تطلب عندهم   لها ترةً من جذبها بالعصائب
سروْا يخبطون الليلَ وهى تلفهم   إلى شُعَب الأكوار من كل جانب
إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها   وقد حصرت أيديهم نار غالب

وروى أنّ الفرزدق تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف اللذين كان قد ارتكبهما فقال :

ألم ترنى عاهدتُ ربى وإننى   لبين رتاجٍ قائماً ومقام
أطعتك يا إبليسُ تسعين حِجّة   فلما انقضى عمرى وتم تمامى
فزعتُ إلى ربى وأيقنت أننى   مُلاقٍ لأيام الُحتوف حِمامى

قيل إن أشعب مرّ يوما فجعل الصبيان يعبثون به، فقال لهم: ويلكم، سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر ، فمر الصبيان يعدون إلى دار سالم بن عبد الله، وعدا أشعبُ معهم وقال : ما يدرينى لعله يكون حقا . انتهى .

رأت الضبعُ ظبيةً على حمار فقالت أردفينى على حمارك، فأردفتها، فقالت ما أفره حمارك ! ثم سارت يسيرا فقالت : ما أفره حمارنا ! فقالت لها الظبية : انزلى قبل أن تقولى ما أفره حمارى ، وما رأيت أطمع منك !

حكى أن بعض الفقراء أتى إلى خياط ليخيط له فتقا فى ثوبه ، ووقف الفقير ينتظر فراغه ، فلما فرغ منه الخياط طواه وجعله تحته وأطال فى ذلك ، فقال له

أجيره : ما تدفعه إليه ؟ فقال اسكت : لعله ينساه و يروح . انتهى .

بشار بن بُرْد :

يا قومُ أذنى لبعض الحي عاشقةٌ   والأذن تعشَق قبل العين أحيانا
قالوا فمن لا تَرى تهواهُ ! قلت لهم   الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

مدح رجل هشام بن عبد الملك فقال : يا هذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه ، فقال ما مدحتك ، ولكن ذكّرتك نعم الله عليك لتجدد لذلك شكرا . فقال هشام : هذا أحسن من المدح ، فوصله وأكرمه . انتهى .

لبعضهم :

ما سمَّت العَجمُ المِهمانَ مهمانا   إلا لإكرام ضيفٍ كان ما كانا
فالمهُ سيدُهم والمانُ منزلُهم   والضيفُ سيدهم ما لازم المانا

قال على عليه السلام : سِرُّكَ أسيرك ، فإن تكلمت به صرت أسيرَه . ونظم هذا بقوله :

صُنِ السرّ عن كل مُستخبرٍ   وحاذر فما الحزمُ إلا الحذرْ
أسيرُكَ سرُّكَ إن صُنتَه   وأنتَ أسيرٌ له إن ظَهرْ

قال محمد بن سليمان الطفاوى: حدّثنى أبى عن جدى، قال شهدت الحسن البصرىَّ فى جنازة النوار امرأةِ الفرزدق ، وكان الفرزدق حاضرا، فقال له الحسن وهو عند القبر : ما أعددت يا أبا فراس لهذا المضجع؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فقال له الحسن : هذا العمود فأين الطُّنُب ؟ فقال الفرزدق فى الحال :

أخافُ وراء القبر إن لم يُعافِنى   أشدَّ من الموت التهابًا وأضيقا
إذا جاءنى يومَ القيامة قائدٌ   عنيفٌ وسوّاق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النّار مغلولَ القِلادة أزرقا
يُقاد إلى نار الجحيم مُسربَلا ... سرابيــلَ قطران لباسا مُخرّقا

لبعضهم :

إذا عَنّ أمرٌ فاستشر فيــه صاحبا ... وإن كنتَ ذا رأى تُشيرُ على الصحب
فإنى رأيتُ العــينَ تجهل نفسَها ... وتدركُ ماقد حلّ فى موضع الشُّهْب

وأنشد بعضهم :

أيا رب قد أحسنتَ عَوْداً وبدأةً ... إلىّ فلم ينهض بإحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عذرٍ إليك وحُجةٍ ... فعُذرِىَ إقرارى بأن ليس لى عذرُ

وقال الأحنف بن قيس : يضيق صدرُ الرجل بسره ، فإذا حدث به قال اكتمه علىّ . وأنشد :

إذا المرء أفشى سرّه بلســانه ... ولامَ عليه غــيرَه فهو أحمقُ
إذا ضاق صدرُ المرء عن سرّ نفسه ... فصدرُ الذى يُستَودَعُ السرَّ أضيقُ

* * *

وقال بعضهم نقيض هذا المعنى :

فلا أكتُم الأسرَارَ لكن أذيعها ... ولا أدعُ الأسرار تعلو على قلبى
فإنّ قليلَ العقل من بات ليــلةً ... تُقلّبه الأسرارُ جنبا إلى جنبِ

الحسن بن هانئ :

إذا نحنُ أثنينا عليــك بصالح ... فأنت كما نُثنى وفوق الذى نُثنى
وإن جرت الألفاظ يوما بمدْحة ... لغيرك إنساناً فأنت الذى نَعنى

قال بعضهم :

إذا ما المدحُ صار بلا نوال   من الممدوح كان هو الهجاء

وقال آخر :

أخو كرم يُغنى الورى من بِساطه   إلى روض مجدٍ بالسماح مَجُودِ
وكم لجياد الراغبين لديه مِن   مجالٍ سجودٍ فى مجالس جودِ

أبو تمام :

تعوّد بسطَ الكف حتى لوَ انّه   أراد انقباضا لم تُطعْه أناملُهْ
هو البحرُ من أىّ النواحى أتيتَه   فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُهْ
ولو لم يكن فى كفه غيرُ روحه   لجاد بهـا فليتّق اللهَ سائلُهْ

أبو الطيب المتنبى :

وفى النّفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ   سكوتى بيانٌ عندها وخِطابُ
وما كنتُ لولا أنتَ إلا مُسافرا   له كلّ يوم بلدةٌ وصِحابُ

الأرّجانى :

اقرِنْ برأيك رأىَ غيرك واستشِرْ   والحقّ لا يخفى على الاثنينِ
فالمرء مِرآةٌ تريه وجهَه   ويرى قفاهُ بجمع مِرْآتين

قال السكاكى : المجاز عند السلف قسمان : لغوى وعقلى ، واللغوى قسمان : راجع إلى معنى الكلمة وراجع إلى حكم الكلمة ، والراجع إلى معنى الكلمة قسمان : خال عن الفائدة ومتضمن لها ، والمتضمن لها قسمان : استعارة وغير استعارة . أورده العلّامة التفتازانى فى الفصل الأوّل من آخر كتاب البيان. انتهى .

الكميت بن زيد الأسدى :

أتصرم الحبلَ حبلَ البيض أم تصلُ ... وكيف والشيبُ فى فودَيك مشتعلُ
لما عبأتَ لقوس المجـــد أسهمها ... حيث الجدودُ على الأحساب تتصل .
أحرزتَ من عُشرها تسعا وواحدةً ... فلا العمى لك من رام ولا الشللُ
الشمسُ آذتك إلا أنها امرأةٌ ... والبـــدرُ آذاك إلا أنه رجلُ

قيل جاء الكميت إلى الفرزدق ، فقال له : ياعم إنى قد قلت قصيدة أريد أن أعرضها عليك ، فقال له قل : فأنشده قوله :

* طربت وما شوقا إلى البيض أطربُ *

فقال له الفرزدق : ثكلتك أمك إلام طربت ؟ فقال :

* ولا لعبا منى وذو الشيب يلعبُ *

ولم تُلهنى دارٌ ولا رسمُ منزل ... ولم يتطرَّبْنى بنانٌ مخضَّبُ
ولا أنا ممن يزجُر الطيرَ، همُّه ... أصاحَ غُراب أم تعرَّض ثعلبُ

قال المرتضى رحمه الله : يجب الوقوف على الطير ، ثم يبدأ بهمُّه ليفهم الغرض

ولا السانحات البارحاتُ عشيةً ... أمرَّ سليمُ القَرن أم مرَّ أعضَبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخيرِ بنى حوّاء والخيرُ يُطلبُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم . فقال الكميت :

إلى النفرِ البيضِ الذين بحُبِّهم ... إلى الله فيما نابنى أتقرّبُ

فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت :

بنى هاشم رهط النبى محمدٍ ... بهم ولهم أرضَى مرارا وأغضبُ

فقال له الفرزدق : لو جُزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا . انتهى .

الأرّجانى :

ما كنتُ أسلو وكان الوَرْدُ منفردا   فكيف أسلُو وحولَ الوَرْدِ ريحانُ

لبعضهم ظرافة أو سخافة :

كأنّنا والماء من حولنا   قومٌ جلوس حولهم ماء

فقال ابن الوردى فيه :

وشاعرٍ أوقد الطبعَ الذكىّ له   فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يجهدُ أياما قريحتَه   وشبَّه الماء بعد الجهد بالماء

* * *

قال أحمد بن محمد أبو الفضل السكرى والمروزى من مزدوجة ترجم فيها أمثالَ الفُرس :

من رامَ طمس الشمس جهلا أخطا   الشمسُ بالتطيين لا تُغَطَّى
أحسنُ ما فى صفة الليل وُجِدْ   الليلُ حُبلى ليس يُدرى ماتلِدْ
من مُثُل الفُرس ذوى الأبصار   الثوبُ رهنٌ فى يد القصّار
إنّ البعير يبغض الخشاشاَ   لكنّه فى أنفه ما عاشاَ
نال الحمارُ من سقوط فى الوحلْ   ما كان يهوى ونجا من العملْ
نحنُ على الشرط القديم المشترَطْ   لا الزِّق منشقٌ ولا العَير سقَطْ
فى المثل السائر للحمارِ   قد ينهق الحمارُ للبيطارِ
العنز لا يسمنُ إلا بالعلفْ   لا يسمنُ العنز بقول ذى لطف
البحرُ غمر الماء فى العيان   والكلبُ يروى منه باللسانِ

لا تكُ من نُصحى ذا ارتيـــاب ... مابعتُــك الهرّة فى الجراب
من لم يكن فى بيتــه طعامُ ... فماله فى بيتـــه مُقامُ
كان يقــــالُ من أتى خِوانا ... من غير أن يدعى إليـه هانَا

ومما اخترته من ذلك بعد المزدوجة قوله :

إذا المـــاء فوق غريق طَما ... فقابُ قنــاةٍ وألفٌ سوا
إذا وضعت على الرأس التراب فضع ... من أعظم التل إن النفع منه يقع
فى كل مستحسن عيبٌ بلا ريْب ... مايسلم الذهب الإبريز من عيْب
ماكنتُ لو أُكرمتُ أستعصى ... لايهرب الكلبُ من القرصِ
طلبُ الأعظُمِ من بيت الـكلابِ ... كطلاب المــاء فى لمع السرابِ
من مثــل الفرس سار فى الناس ... التـين يشفى بعـلة الآس
تبختر إخفاء لمـا فيه من عرجْ ... وليس له فيما تـكلّفه فرَجْ

وله فيها :

ما أقبح الشيطان لـكنّه ... ليس كما ينقش أو يذكر
انتهز الفرصة فى حينهـــا ... والتقط الجوز إذا ينثر
يُطلب أصلُ المرء من فعله ... ففعله عن أصله يخـــبر
فررْتُ من قطر إلى نفنف ... علىّ بالوابل مُنهمنجـــر
إن تأت عوراً فتعاورْ لهم ... وقل أتاكم رجلٌ أعورُ
خذه بموت تغتنم عنـــده الـحمّى فلا يشـكو ولا يجأر
البابَ فانصب حيثما يشتهى ... صاحبُـــه فهو به أبصر
الـكلب لا يذكر فى مجلس ... إلا تراءى عند ما يذكر

(حكم)

قال بعضهم : الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية . والكذوب متهم وإن وضحت حجته وصدقت لهجتهُ . عثرة الرجل تزل القدم . ربما أصاب الأعمى رشده ، وأخطأ البصير قصده . لا تعاد أحدا ، فإنك لا تخلو من معاداة عاقل أو جاهل ، فاحذر حيلة العاقل وجهل الجاهل . استح من ذمّ من لو كان حاضراً لبالغت فى مدحه ، ومدح من لو كان غائبا لسارعت إلى ذمه .

فصل فى أمثال العرب

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضرُّ نفسه لينفعك[1]

إذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون . إياك أن يضرب لسانك عنقك . إذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن . رب أكلة تمنع أكلات . رب رمية من غير رام . رب أخ لكَ لم تلده أمك . ربما كان السكوت جوابا . رب ملوم لاذنب له . رب عين أنم من لسان . ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس . سحاب الصيف عن قليل ينقشع . طرف الفتى يخبر عن لسانه . عند الصباح يحمد القوم السُّرى . عين عرفت ذرفت . اعقلها وتوكل . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . كل كلب ببابه نبّاح . كثرة العتاب تورث البغضاء . السّؤال أنثى والجواب ذكر . كل ما تزرع تحصد . كلب جوّال خير من أسد رابض . لقد ذل من بالت عليه الثعالب . لكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة . لعل له عذر وأنت تلوم . لكل ساقطة لاقطة . لسان من رطب ويد من حطب . ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة . ماحك جلدَكَ مثلُ ظفرك . معاتبة الإخوان خير من فقدهم . ياحبذا الإمارة ، ولو على الحجارة . يكسو الناسَ واستُه عارية . يدك منك ولو كانت شلاء .

***

فصل فى أمثال العامة والمولدين

الحاوى لا ينجو من الحيات . الشاة المذبوحة لا يؤلمها سلخ . اطّلع قردٌ فى

---

(١) تروى شطرة البيت الأولى هكذا :

* إنّ أخاكَ الحقّ من كان معكْ *

كنيف فقال : هذه المرآة لهذا الوجه الظريف . الغائب حجته معه . النكاح يفسد الحب . النصح بين الناس تفريق . القرق صوت الدجاجة . الحولاء مع العوراء ملوزة العينين . الحرّ حرّ ولومسه الضر . الزرنيخ له العمل والاسم للنورة . تعاشروا كالإخوان ، وتعاملوا كالأجانب . سواء قوله وبوله . شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه . ضرب الطبل تحت الكساء . غش القلوب تظهره فلتات اللسان وصفحات الوجوه . فرّ من الموت وفى الموت وقع . فم يُسَبِّح وقلب يذبح . فلان كالكعبة يزار ولا يزور . فلانة كالإبرة تكسو الناس وهى عريانة . كلما طار قصوا جناحه . من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم . من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا . العجول مجول وإن ملك ، والمتثبت يصيب وإن هلك .

الأمثال المنظومة : قال لبيد :

أَلا كل شيء ماخلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالةَ زائل

لغيره وغيره :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

أكل خليل هكذا غيرُ منصف وكل زمان بالكرام بخيلُ

الخير لا يأتيك متّصلا والشرُّ يسبق سيلُه المطرَا

إنما أنفسُنا عاريةٌ والعوارى حكمها أن تستردْ

إذا مَلِكٌ لم يكن ذاهِبَةْ فدعهُ فدولتُهُ ذاهِبَهْ

إذا كنت لا ترضى بما قد ترى فدونَكَ الحبلَ به فاختنق

إذا كان ربُّ البيتِ بالدُّفِ مولَعا فشيمة أهل البيت كلُّهم الرقصُ

إذا ما أراد الله إهلاكَ نملةٍ　　سمت بجناحيها إلى الجوّ تصعدُ

ضاقتْ ولو لم نضقْ لما انفرجَتْ　　والعسرُ مفتاح كلّ ميسورِ

الرزق يُخطئُ بابَ عاقل قومه　　ويبيتُ بوّابًا بباب الأحمق

إذا لم تستطع أمرا فدعْهُ　　وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وإذا أتتك مذمّتى من ناقصٍ　　فهى الشهادةُ لى بأنّى كامل

عتبتُ على سلم فلما تركته　　وجربتُ أقواما بكيت على سَلم

من لم يَعدْنا إذا مرِضنا　　ومات لم نشهد الجنازَهْ

ولربما بخل الكريمُ وما به　　بخل ولكن سوء حظّ الطالب

أقلّب طرفى لا أرى غير صاحب　　يميل مع النعماء حيث تميلُ

كنت من كُربتى أفر إليهم　　فهمُ كُربتى فأين الفِرارُ

[أسماء ساعات النهار عند العرب]

قد سمت العرب ساعات النهار أسماء : الأولى الذرور ، ثم البزوغ ، ثم الضحى ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم الدُّلوك ، ثم العصر ، ثم الأصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب .

ويقال فيها أيضا البكور ، ثم الشروق ، ثم الإشراق ، ثم الرأد ، ثم الضحى ، ثم المتوع ، ثم الهاجرة ، ثم الأصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الحدور ، ثم الغروب . انتهى .

قال الصفدى : وحكى لى من لفظه المولى جمالُ الدين بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين : قال أنشدت فلانا ـ وسماه لى ـ وهو بعض مشايخ أهل العصر ولم أذكره أنا فإنه من العلم فى محل لم يشركه فيه غيره : قولى فى مرثية ابن لى توفى وعمره دون السنة . وهى :

يا راحلًا عنى وكانت له مخايلٌ للفضل مرجوَّهْ

لم تكتمل حولا وأورثتنى ضعفا فلا حول ولا قوّهْ

فأعجباه وكتبهما بخطه، وكتب الثانى : « فلا حول ولا قوّة إلا بالله » فقلت يا مولانا إن إردت بقول إلا الله التبرك فأتم ذلك بالله العلى العظيم، وإن كان غير ذلك فقد أفسدت المعنى . انتهى

وحكى أن بعض العرب مرّ على قوم ، فقال لأحدهم : ما اسمك ؟ فقال منيع ، وسأل آخر فقال : وثيق . وسأل آخر فقال : شديد ، وسأل آخر فقال : ثابت . فقال : ما أظن الأقفال وضعت إلا من أسمائكم . انتهى

***

[أحكام حتى]

مسألة: تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها: أما الرفع فبأن تكون حتى للابتداء ويكون الخبر محذوفا بقرينة أكلت ، وهو مأكول . وأما النصب فبأن تكون حتى للعطف ، وهو ظاهر . والثالث أظهر . وكان الفراء يقول أموت وفى قلبى من حتى شىء ، لأنها ترفع وتنصب وتجر .

***

قال الشريف أبو الحسن العقيلي :

نحن الذين غدت رحى أحسابِهم ... ولها على قُطب الفَخار مَدارُ
قوم لِغُصْن نَداهمُ من رفدِهم ... ورَقٌ ومن معروفهم أثمارُ
مِن كل وضّاح الجبين كأنه ... روضٌ خلائقُه لهـا أزهار

أبو نواس في خزيمة :

خزيمةُ خير بني حازمٍ ... وحازمُ خيرُ بني دارمِ
ودارمُ خـيرُ تميم وما ... كمثلهمُ في بني آدم(١)

* * *

قال الرضي رحمه الله يخاطب الطائع :

مهلًا أمـيرَ المؤمنين فإننا ... في دوحةِ العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يومَ الفخار تفاوتٌ ... أبدا كلانا في التفاخر مُعرقُ
إلا الخـلافة ميزتك فإنني ... أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّق

قيل إن الخليفة لما سمع بذلك قال : على رغم أنف الرضي .

وقيل إنه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها إلى أنفه ، فقال له الطائع أظن أنك تشم رائحة الخلافة منها ، فقال : لا بل أشم رائحة النبوّة .

يقال : إنه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال ما اسمك ؟ فقال شهاب بن حرقة . قال ممن ؟ قال من أهل حرة النار . قال وأين مسكنك قال بذات لظى . فقال له : أدرك قومك فقد احترقوا . فـكان كما قال عمر رضي الله عنه .

---

(١) جاءت الشطرة الثانية في المطبوعة هكذا : « مثل تميم في بني دارم » .

سئل بعض العرب عن اسمه فقال : بحر . قال ابن من ؟ قال : ابن فياض، قال ما كنيتك ؟ فقال أبو الندى ، فقال لا ينبغى لأحد لقاؤك إلا فى زورق . انتهى

قال ابن الرومى

كأنّ أباهُ حين سمّاه صاعداً　　رأى كيف يرقى للمعالى ويصعدُ

القاضى شهاب الدين :

ومن قال إن القوم ذموك كاذبٌ　　ومامنك إلا الفضلُ يوجد والجودُ
وما أحـــد إلا لفضلك حامدٌ　　وهل عيبَ بين الناس أن ذُمَّ محمودُ

لغيره فى جوابه :

علمتُ بأنى لم أذمَّ بمجلس　　وفيه كريمُ القوم مثلك موجودُ
ولست أزكّى النفس إذ ليس نافعى　　إذا ذُمّ منى الفعلُ والإسم محمود
وما يكرهُ الإنسانُ من أكل لحمه　　وقد آن أن يَبْلى ويأكلَه الدودُ

* * *

قد وضع بعضهم كتابا فى المفاضلة بين الورد والنرجس ، كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ، ومفاخرة البخل والكرم ، ومفاخرة مصر والشام ، ومفاخرة الشرق والغرب ، ومفاخرة العرب والعجم ، ومفاخرة النثر والنظم ، ومفاخرة الجوارى والمردان ، وكل ذلك يمكن الإتيان فيه بالحجة من وجه . وأما مفاخرة المسك والزباد فما للعقل فيه مجال . وللجاحظ فى ذلك رسالة بديعة . انتهى .

* * *

لأبى تمام رحمه الله فى المفاخرة :

جرى حاتمٌ فى حلبة منه لو جرى　　بها القَطر قال الناس أيهما القَطر

فتى أذخر الدنيا أناسا ولم يزل   لها باذلا فانظرْ لمن يَبقى الذخرُ
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى   فليس لحىّ غيرنا ذلك الفخرُ
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها   إلينا كما الأيام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس أن أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له تندوس العطار ، من جاسم : قرية من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه . انتهى . والله أعلم .

قال صاحب الأغانى : إن رجلا قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال قم حتى أعرّفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به اخرج ياأبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال ابن العنز على لحيته ، فقال ترى هذا ؟ قال نعم . قال : أو تعرفه ؟ قال لا . قال : هذا أبى ، أتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قال لا . قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه . ثم قال له : أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعرا ، وقارعهم فغلبهم جميعاً . انتهى .

قال الله تعالى : « يخرُج من بطونها شرابٌ مختلِفٌ ألوانه فيه شفاء للناس » قال الصفدى : ذهب بعض الناس إلى أن المراد بهذه الآية أهلُ البيت وبنو هاشم ، وأنهم النحل ، وأن الشراب القرآن والحكمة . وذكر هذا فى مجلس المنصور أبى جعفر ، فقال بعض الحاضرين : جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فأضحك من فى المجلس . انتهى .

قوله تعالى : « فلما رأينَه أكبرنَه وقطّعن أيديَهن وقلنَ حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلّا ملَكٌ كريم » قال وهب : بلغنى أنّ نساء مصر اللاتى فُتِنّ به فى ذلك المجلس وقلن حاش لله ماهذا بشرا ، قال محمد بن على : أردن ماهذا أهل أن يدعى للمباشرة بل مثله منزه عن الشهوة . وقرئ : ماهذا بِشِرى بكسر الباء والشين ، والمعنى

بمملوك . وأنكر الزجاج هذه القراءة لأنها تخالف رسم المصحف ، لأنه بالألف . انتهى .

وقد ظرف من قال :

لعمركَ ما شربتُ الخمرَ جهلا ولكن بالأدلّة والفتاوِى
فإنّى قد مرِضت بداء همّ فأشربُها حلالًا للتداوى

* * *

الحسين بن إبراهيم مستوفى دمشق فى المجون :

قالوا تخَلَّ عن النساء ومل إلى حُبِّ الشباب فذا بلطفك أجملُ
فأجبتهمْ شاورت أيرى[1] قال لى هذى مضايقُ لستُ فيها أدخلُ

قال أبو الدر مؤدب سيف الدولة أبياتا وزنها هذا :

يا عاذلى كفَّ الملام عن الذى أضناه طولُ سَقامه وشقائه
إن كنتَ ناصحَه فداوِ سَقامه وأعنه ملتمسا لأمر شِفائه
حتَّى يقال بأنك الخلُّ الذى يُرجى لشدّة دهْره ورخائِه
أولا فدعْه فما به يكفيه من طول الملام فلستَ من نصحائه
روحى الفداء لمن عصيتُ عواذِلى فى حبّه لم أخشَ من رُقبائه

* * *

(١) للمؤلف فلتات من هذا الأدب المكشوف — إن صح أن يسمى أدبا — وكان من اللائق أن ينزه كتابه عما يدور من الخلاعة فى مجالس الخلعاء .

قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى إجازة لهذه الأبيات :

عذلُ العواذلِ حولَ قلبى التائهِ ... وهوى الأحبةِ منه فى سَودائه
يشكو الملامَ إلى اللوائم حرّه ... ويصدُّ حين يلمن عن بُرحائه
وبمهجتى يا عاذلى الملك الذى ... أسخطتُ أعذلَ منك فى إرضائه
إن كان قد ملكَ القلوبَ فإنه ... ملكَ الزمان بأرضه وسمائه
الشمسُ من حسّاده والنصرُ من ... قُرَنائه والسيفُ من أسمائِه
أين الثلاثةُ من ثلاثِ خِلاله ... من حُسنه وإبائِه ومضائِه
مضت الدهورُ وما أتين بمثله ... ولقد أتى فعجزنَ عن نظرائه

* * *

فاستزاده سيف الدولة فقال :

القلب أعلم ياعذولُ بدائه ... وأحقّ منك بجفنه وبمائِه
فومَن أحب لأعصينك فى الهوى ... قسماً به وبِحسنه وبَهائه
أأحبهُ وأحبُّ فيه ملامةً ... إن الملامةَ فيه من أعدائه
عجِبَ الوشاة من اللُّحاة وقولِهم ... دعْ ما نراك ضُعفتَ عن إخفائه
ما الخِلُّ إلا من أودُّ بقلبه ... وأرى بطرف لا يَرى بسوائه
إن المعينَ على الصبابة بالأسى ... أوْلى برحمة ربِّها وإخائه
مهلا فإن العذلَ من أسقامه ... وترفّقا فالسّمعُ من أعضائه
وهب الملامةَ فى اللذاذة كالكَرى ... مطرودةً بُسهاده وبكائه
لا تعذل المشتاقَ فى أشواقه ... حتّى يكون حشاك فى أحشائه
إن القتيلَ مضرّجا بدُموعه ... مثلُ القتيلِ مضرّجا بدمائه

والعشق كالمعشوق يعذب قربهُ ... للمبتلَى وينال من حــوبائه
لو قلتَ للدَّنف الحزين فـديته ... ممـــا به لأغرته بفدائه
وُقِيَ الأميرُ هــوى العيون فإنه ... مـــالايزول ببأسه وسخائه
يستأسر البطــلَ الـكميَّ بنظرة ... ويحول بين فؤاده وعزائه
إنى دعـــوتك للنوائب دعوةً ... لم يدع سامعُها إلى أكفائه
فأتيتَ من فـــوق الزمانِ وتحته ... متصلصلًا وأمامِـــه وورائِه
طبع الحديد فـكان من أجناسه ... وعلىٌّ المطبوعُ من آبائه
من للسيوف بأن تـكون سميَّها ... فى أصـــلِه وفِرِنده ووفائِه

وكان لبدر بن عمار — وهو ممدوح المتنبى فى بعض أشعاره — منشئٌ يُعرف بابن كروس ، يحسد أبا الطيب ويشنؤه لمـا كان يشاهد من سرعة خاطره ومبادرة قوله لأنه لم يكن يجرى فى المجلس شئ البتة إلا ارتجل فيه شعرا . فقال لبدر بن عمـار يوما : أظنه يعمل هذا قبل حضوره وبعده ، ومثل هذا لا يجوز أن يكون ، وأنا أمتحنه بشىء أحضره للوقت . فلما كمل المجلس ودارت الـكؤوس أخرج لعبة قد استعدّها ولها شعر فى طولها ، تدور على لولب ، إحدى رجليها مرفوعة ، وفى يدها طاقة ريحان تدار ، فإذا وقفت حـذاء إنسان شرب فوضعها من يدها ونقرها فدارت . فقال أبو الطيب :

وجاريةٍ شعرُها شطرُها ... محكمةٌ نافــذٌ أمرُها
تدور وفى يدها طاقــةٌ ... تضمّنها مُـكرَهًا شبرُها
فإن أسكرتنا ففى جهلها ... بمـــا فعلته بنا عُذرُها

* * *

فأديرت ، فوقف حذاء أبى الطيب فقال :

جارية ما لجسمها روح　　بالقلب من حبها تباريحُ
فى يدها طاقة يشير بها　　لكل طيب من طيبها ريح
سأشرب الكأس من إشارتها　　ودمع عينى فى الخد مسفوحُ

وأدارها بيده ، فوقفت حذاء بدر بن عمار ، فقال أبو الطيب عند ذلك :

يا ذا المعالى ومعدنَ الأدب　　سيّدنا وابن سيد العرب
أنت عليم بكل مَفخرة　　فلو سألنا سواك لم يُجب
أهذه قابلتك راقصةً　　أم رفعتْ رجلَها من التعب

وقال أيضاً فى تلك الحال :

إن الأمير أدام الله دولتَه　　لفاخرٌ كُسِيتْ فخراً به مُضرُ
فى الشرب جاريةٌ من تحتها خشبٌ　　ما كان والدَها جنٌّ ولا بشر
قامت على فرد رِجل من مهابته　　وليس تعلم ماتأتى وما تذرُ

وأديرت فسقطت فقال بديها :

ما نقلَت عند مشيها قدماً　　ولا اشتكت من دوارها ألما
لم أر شخصا من قبل رؤيتها　　يفعلُ أفعالها وماعلما
فلا تلمها على تواقعها　　أطربَها أنْ رأتكَ مبتسما

فمدحها بشعر كثير ، وهجاها بمثله ، ولكنه لم يحفظ ، فخجل ابن كروس ، وأمر بدر برفعها فرفعت ، فقال أبو الطيب :

وذاتِ غدائر لاعيب فيها　　سوى أن ليس تصلُح للعناق
إذا هَجرتْ فعن غير اختيار　　وإن زارَت فعن غير اشتياق

وقال أبو الطيب لبدر بن عمار : ما حملك على مافعلت ؟ فقال له بدر : أردت نفي الظنون عن أدبك ، فقال له أبو الطيب :

زعمتَ أنك تنفي الظنَّ عن أدبي وأنت أعظمُ أهل العصر مِقدارَا
إني أنا الذّهبُ المعروفُ مخبَرُهُ يَزيد في السّبك للدينارِ دينارا

فقال له بدرٌ: بل والله للدينار قنطارا . فقال:

بِرجاء جودِك يُطردُ الفقر وبأن تعادى ينفَد العمر
فَخَر الزجاجُ بأن شربت به وزَرَتْ على من عافها الخمرُ
وسلمت منها وهى تُسكرنا حتى كأنك هابَك السُّكر
ما يُرتجى أحدٌ لمكرُمَة إلّا الإلهُ وأنت يابدرُ

***

لأبى الفتح البستى ، فى عبد الملك الثعالبى صاحب اليتيمة :

أخٌ لى زكىُّ النفس والأصلِ والفرعِ يحل محل العين مِنّىَ والسمعِ
تمسكتُ منه إذ بلوتُ إخاءهُ على حالتَىْ وضعِ النوائب والرفعِ
بأوْعظ من عقل وآنسَ من هوًى وأرفق من طبع وأنفع من شرع

للشهاب :

وكنّا خمسَ عشرةَ فى التئامٍ على رغم الحسود بغير آفهْ
فقد أصبحت تنويناً وأضحى حَبيبى لا تُفارقه الإضافهْ

لبعضهم :

ولما قضينا من مِنى كلَّ حاجة ومسح بالأركان من هُو ماسحُ
وشُدّت على دُهم المطايا رحالُنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الأباطحُ

ومولَع بفخاخٍ يصيدها وكراكى
قالت لى العين ماذا تصيدُ قلتُ كراكى

* * *

من كتاب المزار فى الصبر: روى البيهقى رحمه الله عن ذى النون المصرى قال: كنت فى الطواف ، وإذا بجاريتين قد أقبلتا وأنشأت إحداهما تقول :

صبرت على ما لو تحمّل بعضَه جبالُ حنين أوشكتْ تتصدّعُ
ملكتُ دموعَ العين ثم رددتُها إلى ناظرى فالعين فى القلب تدمعُ

فقلت : ممّ ذا يا جارية ؟ فقالت : من مصيبة نالتنى لم تصب أحدا قط . قلت : وماهى؟ قالت : كان لى شبلان يلعبان أمامى ، وكان أبوهما ضحى بكبشين ، فقال أحدهما للآخر: ياأخى ، أريك كيف ضحى أبونا بكبشه؟ فقام وأخذ شفرة ونحره ، فهرب القاتل ، فدخل أبوهما ، فقلت له إن ابنك قتل أخاه وهرب، فخرج فى طلبه فوجده قد افترسه السبع ، فرجع الأبُ فمات فى الطريق ظمأ وحزنا. انتهى

قال الصفدى ـ فى سبب ما يرى الأحول الواحدَ اثنين ـ أقول زعموا أنه إذا حدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها ، أو تحويل الرطوبة الُجليدية عن وضعها فى إحدى الجهتين دون الأخرى ، تبقى الجهة التى قد تحوّل وضعها تنطبع الصورة المنتقلة برطوبتها الجليدية لافى العضل المشترك ، بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى

حدث منه التحويل، كما إذا أشرقت الشمس على ماء فى البيت، فإنه يشرق منه نور فى السقف، فلو تغير وضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف، كذلك تغير وضع الحدقة يوجب انتقال موضع انطباع ما فى الجليدية، فتبقى الصورة صورتين، فيرى الواحد اثنين. انتهى.

قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى: قولهم إن الأحول يرى الشىء شيئين ليس على إطلاقه، بل إنما يرى الشىء شيئين إذا كان حوَله إنما هو باختلاف إحــدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض، ولم يستقر زمانا يألف منه المرئيات، أما إن كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة أو يسرة، أو بسبب الارتفاع والانخفاض، ودام وألف، فلا. ومما يؤيد ذلك أن الإنسان إذا غمز إحدى حدقتيه حتى تخالف الأخرى يمنة أو يسرة فإنه يرى الشىء شيئين. ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض، قد ألف تلك الحـالة فلا يرى الشىء شيئين. والحق أن الذى يغمز إحدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها إنما يرى الشىء شيئين لأنه يرى الشىء المرئى بإحدى العينين قبل الأخرى فيصل إلى التقاطع شبحٌ هو هذا الشبح، فيرى الواحد اثنين فقط، ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشىء الواحد متـكثرا بغير نهاية على نسبة زوج الزوج، كما فى تضعيف رقعة الشطرنج. اهـ.

ذكر أن الحجاج خرج يوما متنزها، فلما فرغ من تنزهه صرف عنـه أصحابه وانفرد بنفسه، فإذا هو بشيخ من عجْـل، فقال له: من أين أنت أيها الشيخ؟ قال: من هذه القرية. قال: كيف ترون عمالـكم؟ قال: شر عمال، يظلمون الناس، ويستحلون أموالهم. قال: وكيف قولك فى أميركم الحجاج؟ قال: فضحك ذلك الشيخ وقال: تسألنى عن رجل متجرئ على الله وعلى رسوله، فقبحه الله تعالى وصب عليه سوط

عذاب ، وقاتله وقاتل من استعمله . فقال : أو تعرف من أنا أيها الشيخ ؟ قال: لا . قال أنا الحجاج . فأشفق ذلك الشيخ ، ثم قال له : ياسيدى ، أو تعرف من أنا؟ قال: لا. قال: أنا مجنون بنى عِجْل ، وإنى أصرع فى كل شهر ثلاثة أيام، وهذا اليوم أشد الثلاث ، فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة جزيلة . وهذا هو الغاية من حلمه ، عامله الله بالعدل فى حكمه . اه .

***

فائدة : الطعوم تسعة وهى : الحلو، والمر ، والحامض، والمز، والمالح ،والحريف، والعفص ، والدسم ، والتفه ؛ لأن الجسم إما أن يكون كثيفا ، أو لطيفا، أومعتدلا، والفاعل فيه إما البرودة ، أوالحرارة، أو المعتدل بينهما ، فيفعل الحار فى الكثيف مرارة ، وفى اللطيف حرافة ، وفى المعتدل ملوحة ، والبرودة، فى الكثيف عُفُوصة، وفى اللطيف حُموضة ، وفى المعتدل قبضا . والمعتدل، فى الكثيف حلاوة، وفى اللطيف دسومة ، وفى المعتدل تفاهة ، وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض فى الحمض ويسمى البشاعة، والمرارةُ والملوحة فى السبخة ويسمى الزعوقة. وزعم بعضهم أن أصول الطعوم أربعة : الحلاوة، والمرارة ، والحموضة ، والملوحة ، وما عداها مركب منها. اه .

قد اختلف الحكماء فى وجود المزاج المعتدل وعدمه ، قال الإمام فخر الدين الرازى : ما ذكره الشيخ فى الشفاء يدل على أن المركب المعتدل قد يكون موجودا إلا أنه لا يستمر ولا يدوم ، ثم قال بعد كلام طويل : وأما المعتدل المزاج فما امتزج من العناصر على أكمل أحواله ، فقد قالوا : لما كان الاعتدال الحقيقى ممتنعا وجب أن يكون كل ما قرب إليه أولى باسم الاعتدال .

قال العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى : احتجوا على امتناع وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقه ؛ لأن مكان المركب هو

مكان ما يغلب عليه من البسائط وهذه بسائط متعادلة فيجب أن لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده . قال الصفدى : وفى هذه الحجة نظر ، وذلك أنا إن عنينا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب أن يتكافأ فيه الكميات؛ لأن الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيرا من جوهرى الماء والأرض ، فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات ، ويكون مكانه الذى يستحقه هو مكان ما غلب عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته ؛ لأن الاعتبار فى المزاج إنما هو بالكيفية فقط ، والاعتبار فى الحيز إنما هو بالكم والثقل والخفة ، فالحجة المذكورة غير موجهة. اه .

* * *

قال الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن محمد بن مالك : الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل إما أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف ، وإما أن يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه ، وإما أن يكون موضوعا للحقيقة ما لغى فيه اعتبار الفردية ، إلا أن الواحد ينتفى بنفيه ، فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان له من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسُود ، أو لم يكن كأبابيل . والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع ، سواء كان له واحد من لفظه كركْب وصحْب ، أو لم يكن كقوم ورهط . والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس ، وهو غالبا فيما يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر ، وعكسه كمأة وجبأة. اه .

ابن نباتة السغدى (١) :

خرقْنا بأطراف القنا لظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب

(١) فى المخطوطة : لمحيي الدين بن قرناص .

لقوا نبالنا مُرد العوارض واثنوا لأوجههم منها لِحًى وشواربُ

حكى أن بعضهم دخل بأمرد إلى بيته، كان بينهما ما كان ، فلما خرج الأمرد ادّعى أنه الفاعل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : فسدت الأمانات ، وحُرِّمت اللواطة إلا أن تكون بشاهدين . اهـ .

قال بعض الشعراء :

إن المهذب فى اللوا طة ليس يعدله شريكْ

فإذا خلا بِغُلامه فاللهُ يعلم من يَنيكْ

قيل إن معن بن زائدة دخل عَلَى المنصور ، فقال له : يا معن ، تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف على قوله :

معنُ بن زائدة الذى زادت به شرَفا على شرف بنو شَيبانِ

فقال : كلّا ، إنما أعطيته على قوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميّة مُعلنا بالسّيف دون خليفة الرّحمن

فمنعتَ حوزتَه وكنت وقَى له من كل وقْع مهنّد وسنان

فقال المنصور . أحسنت يا معن ، وأمر له بالجوائز . اهـ .

وفد ابن أبى محجن على معاوية ، فقال له : أنت الذى أوصاك أبوك بقوله :

إذا مت فادفنى إلى جَنب كَرْمة تُروِّى عظامى البالياتِ عروقها

ولا تدفنَنِّى بالفَلاة فإننى أخافُ إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : بل أنا الذى يقول أبى :

لا تسألِ الناس ما مالى وكثرتُه وسائل الناسَ ما جُودى وما خُلقى

أعطى الحسامَ غداة البين حِصّته وعاملُ الرمح أُرويه من العلق

وأطعُن الطعنة النجلاء عن عرض　　وأكتمُ السرَّ فيه ضربةُ العُنُق
ويعلم الناسُ أنى من سَراتهمُ　　إذا أمس بضرع عـــدة الفرق

فقال له معاوية: أحسنت يا ابن أبى محجن ، وأمر له بصلة . اهـ .

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ، فقال : أجهل من قومى قومُك الذين قالوا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

خطب معاوية يوما فقال : إن الله تعالى يقول : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنُه وما ننزله إلا بقَدَرٍ معلوم » فعلام تلومننى ؟ فقال الأحنف : إنا والله ما نلومك على ما فى خزائن الله ، ولكن على ما أنزله من خزائنه فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه .

لله در القائل :

وما أحدٌ من ألسن الناس سالما　　ولو أنه ذاك النبىُّ المطهَّر
فإن كان مِقداما يقولون أهوجٌ　　وإن كان مِفضالا يقولون مُبذر
وإن كان سِكِّيتا يقولون أبكم　　وإن كان مِنطيقا يقولون مِهذر
وإن كان صوّاما وبالليل قائما　　يقولون زوّارٌ يرائى ويمكُر
فلا تكترِث بالناس فى المدح والثنا　　ولا تخش غير الله والله أكبر

ابن قلاقس :

سرى وجبينُ الجوّ بالطّلّ يرشَح　　وثوبُ الغوادِى بالبُروق موشَّحُ

وفى طىّ أبراد النسيم جميـــلة ... بأعطافها نور المنى يتفتّح
تَضاحَكُ فى مثنى المعاطِف عارضٌ ... مدامعه فى وجنة الروض تسفَح
ويُورى به كفُّ الصِّبا زَندَ بارق ... شَرارتُه فى فحمة الليل تقدَح

* * *

يحكى أن بعضهم مر بامرأة لبعض أحياء العرب ، فقال لها: ممن المرأة ؟ فقالت: من بنى فلان ، فأراد العبث بها ، فقال لها : أتـكتنون ؟ قالت: نعم نـكتنى ، فقال: معاذ الله، لو فعلته لوجب علىّ الغسل. فأجابته على الفور وقالت له: دع إذاً ، أتعرف العروض ؟ قال نعم ، قالت قطِّع قول الشاعر :

حوّلوا عنّا كنيستَـكم ... يا بنى حمّالةِ الحطب

فلما أخذ يقطعه قال : حوّلوا عن ، فاعلاتن ، نا كنى ، فاعل . فقالت : من الفاعل ؟ فقال : الله أكبر إن للباغى مصرعا . اهـ

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما ، فقال له معاوية: إنك لدميم، والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك، ومالله شريك، وإن أباك لأعور، والصحيح خير من الأعور . فـكيف سُدتَ قومك ؟ فقال له : إنك لمعاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الـكلاب ، وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية ، وما أمية إلا أمة فصغرت ، فـكيف صرت علينا أمير المؤمنين ؟ ثم خرج من عنده وهو يقول :

أيشتمنى معاويةُ بنُ حرب ... وسيفى صارم ومعى لسانى
وحولى من بنى عمى لُيوث ... ضراغمةٌ تهُش إلى الطِّعان

قيل إنه لما سمع بعضهم قول أبى تمام :

لا تَسقِنى ماءَ الملام لأنّنى ... صبٌّ قداستعذبتُ ماءَ بكائى

جهز له كوزاً وقال له : ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام، فقال له أبو تمام: لا أبعثه حتى تبعث لى بريشة من جناح الذل . قال الصفدى : وما ظلم من جهز إليه الكوز ، فإنه استعار قبيحا ، وأسوأ منه أن مثله بجناح الذل ، واستعارة الخفض لجناح الذل فى غاية الحسن . ا هـ .

***

محيي الدين بن قرناص الحموى :

قد أتينا الرياض حينَ تجلّت وتحلّت من النـــدى بجُمان
ورأينا خواتِمَ الزّهْر لمــا سقطت من أنامل الأغصان

ولله در من قال :

مجرّة جَـــدول وسماء آسٍ وأنجُم نَرجِس وشُموس وَرْد
ورعـــدُ مثالث وسحابُ كأس وبرقُ مُدامـــة وضبابُ نَدّ

قال فى كتاب المستطرف : ذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم ، فمن ذلك قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الأوس وشجاعها :

وَما المـــالُ والأخلافُ إلا مُعارةٌ فمـــا اسْطَعْتَ من معزوفها فتزوّد

وكيف يخفى ما أخذه من قصيدة طرَفة بن العبدِ وهى معلقة على الكعبة يقول فيها :

لعمرُكَ ما الأيامُ إلا معـــارةٌ فما اسطعْتَ من معروفها فتزوّد

***

ومن ذلك قول عبدة بن الطيب :

فما كان قيسٌ هلكُه هلكُ واحدٍ ولكنه بنيانُ قوم تهـــدّما

أخذه من قول امرئ القيس :

فلو أنها نفسٌ تموت شريتُها ... ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

وجرير على سعة تبحره وقدرته على غرر الشعر قال :

فلو كان الخلودُ بفضل مالٍ ... على قوم لكان لنا الخلودُ

أخذه من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو :

فلو كانَ حمدٌ يُخلِدُ المرءَ لم يمت ... ولكنَّ حمدَ المرء غيرُ مخلِّدِ

وقد قال الشماخ :

وأمر ترجّى النفسُ ليس بنافع ... وآخرُ تخشى ضيرَه لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر :

تُرجّي النفوسُ الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء مالا يضرُّها

***

ومن سقطات الشعراء ما قيل : إن أبا العتاهية كان - مع نقده للشعر - كثير السقَط . روى أنه لقى محمد بن مناذر ، فمازحه وضاحكه ، ثم إنه دخل على الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البصرة ، يقول قصيدة فى كل سنة ، وأنا أقول فى السنة مائتى قصيدة ، فأدخله الرشيد إليه ، فقال : ما هذا الذى يقول أبو العتاهية؟ فقال محمد بن مناذر : يا أمير المؤمنين ، لو كنت أقول كما يقول :

ألا يا عُتبة الساعه ... أموت الساعة الساعه

كنت أقول كثيرا ، ولكنى أقول :

إن عبدَ الحميد يوم تولّى ... هدَّ ركنا ما كان بالمهدود

مادرى نعشُه ولا حاملوه ... ماعلى النعشِ من عفافٍ وجودِ

فأعجب الرشيد قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فكاد أبو العتاهية يموت غيظاً وأسفاً .

وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدَثين ، ويسلمون إليه الفضيلة والسبق ، وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره لزوال الطعن عليه . ومع ذلك قال :

إنما عظم سليمى حبتى　　قصبُ السكّر لا عظمُ الجمَل

وإذا أدنيت منها بصلا　　غلب المسكُ على ريح البصل

هذا مع قوله :

إذا قامت لمشيتها تثنَّت　　كأن عِظامها من خيزُران

وقال أبو الطيّب أحمد بن الحسين المتنبى فى قوم هربوا وتفرقوا فى بعض الوقائع :

وضاقت الأرضُ حتى صار هَاربُهم　　إذا رأى غير شىء ظنّه رجلا

ومما يستهجنُ من قوله ، وتكاد تمجه الأسماعُ قوله :

فقُلقِلْتُ بالهم الذى قلقل الحشى　　قلاقلُ عيش كلّهن قلاقلُ

وأقبح من ذلك قوله :

ونهب نفوسِ أهلِ النهبِ أولَى　　بأهل المجد من نَهْب القُماش

وإنما أخذه من قول أبى تمام :

إن الأُسودَ أُسودَ الغاب همّتُها　　يومَ الكريهة فى المسلوب لا السلب

***

قال أبو عبدِ الله الزبيرى : اجتمع راوية جرير ، وراوية كُثيّر ، وراوية جميل ، وراوية الأحوص ، وراوية نُصَيْب ، وافتخر كل منهم وقال صاحبى أشعر ، فحكّموا

السيدة سُكينة بنتَ الحسين صلوات الله عليهما ، بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر ، فخرجوا حتى استأذنوا عليها ، وقد ذكروا لها أمرهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبُك الذى يقول :

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا   وقتَ الزيارة فارجعى بسلامِ

وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره ، فهلا قال: فادخلى بسلام . ثم قالت لراوية كُثيِّر : أليس صاحبك الذى يقول :

يقر لعينى ما يقر لعينها   وأحسن شىء ما به العين قرَّت(١)

وليس شىء أقرّ لعينها من النكاح ، فيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتُها   ولكن طِلابيها لما فات من عَقلى

فماأراه هوى ، ولكن طلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لراوية نُصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيمُ بدعد ما حييت وإن أَمُت   فواحَزنى مَن ذَا يهيمُ بها بعدى

فما له همة إلا من يتعشقها بعده ، قبحه الله وقبح شعره ، هلا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمُت   فلا صلحت دعدٌ لذى خُلّة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :

مِن عاشقَين تواعدا وتراسلا   ليلا إذا نجمُ الثُريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذِّها   حتى إذا وضح الصباحُ تفرقا

(١) نسب هذا البيت فى المخطوطة لجرير، ولم ينسب فيها لكثير مع أنه ذكر فيها من ضمن الخمسة الذين اتفقت النسختان على ذكرها فى الاجتماع .

قبح الله صاحبك وقبح شعره . هلا قال: تعانقا. اهـ . فلم تثن على واحد منهم . وأحجم رواتُهم عن جوابها .

قيل : أمسك على النابغة الجعدى الشعر أربعين يوما فلم ينطق ، ثم إن بنى جعدة غزوا قوما فظفروا ، فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذل له ما استصعب عليه ، فقال له قومه : والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسرّ من الظفر بعدونا. اهـ .

قال الخليل رحمه الله : الشعراء أُمراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاءوا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده وتسهيل اللفظ وتعقيده .

وقال بعضهم : لم نرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر ، كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ، ثم تنسك وكان يختم القرآن كل يوم وليلة ختمة . وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم له فى بيت شعر فأبى .

وكان الحسن بن على عليه السلام يعطى الشعراء ، فقيل له فى ذلك ، فقال : خير مالك ما وقيت به عرضك . اهـ .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أروى للشعر من عروة ، قلت له : ما أرواك يا أبا عبد الله! فقال : ماروايتى فى رواية عائشة رضى الله عنها ، ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت شعرا . وكان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتمثل بهذا :

* كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا *

* * *

مما نقلته من المقالات الصوفية :

خليـــلىّ إنى كلمـــا لاحَ بارقٌ | من الأفق الغربىّ جدد لى وَجدا
وإن قابلتنى نفحـــة بابليـــة | وجدت لمسراها على كبدى بَردا
وليس ارتياحى للرياح وإنمـــا ار | تياحى لقوم أعقبوا وصلهم صـــدّا

ومنها :

ولو قيل لى ماذا تريد من المنى | لقلت مناى من أحبتىَ القربُ
فكل بَلاء فى رضاهم غنيمةٌ | وكل عذاب فى محبتهم عذبُ

ومنها :

يا مظهرَ الشوق باللسان | ليس لدعواكَ من بيان
لو كان ما تدعيه حقا | لم تذق الغمض أو تراني

ومنها :

ومن يكُ من بحر اللقا ذاق جرْعةً | فإنّىَ مِن ليلى لهـــا غيرُ ذائقِ
وأعظم شيء نلته من وصـــالها | أمانىُّ لم تصـــدق كلمة بارقِ

ومنها :

آهِ من البارِق الذى لمـــا | ماذا بقلبى ومُهجتى صنعـــا

ومنها :

ليـــلِى بوجهك مُشرق | وظـــلامُه فى الناس سارِى
فالناس فى سَدفِ الظـــلا | م ونحنُ فى ضوء النهـــارَ

ومنها :

قلتُ للنفس إذ أرادتْ رجوعا | فارجعى قبل أن تُسدَّ الطريقُ

ومنها :

وكانَ الصديقَ يزورُ الصديق لطيب الحديث وطيب التداني
فصار الصديقُ يزورُ الصديق لبث الهمُوم وشكوى الزمان

ومنها :

إن العيونَ لتبدى فى تقلُّبها ما فى الضمائر من وُدٍّ ومن حَنَق

ومنها :

تلوحُ فى هذه الأيام دولتُكم كأنها مِلَّة الإسلام فى المِلل

ولله در من قال :

إذا المرء لم يرضَ ما أمكنه ولم يأت من أمره أَحسنَهْ
فدعْه فقد ساء تدبيرُه سيضحكُ يوما ويبكى سنَهْ

غيره :

وإن حياةَ المرء بعد عدوِّه وإن كان يوماً واحداً لكثيرُ

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكتَهُ وإن أنت أكرمْت اللئيم تمرّدا
فوضعُ الندى فى موضع السّيف بالعُلا مضرٌّ كوضع السيف فى موضعِ النّدى

* * *

لما شكا أبو العيناء تأخُّرَ أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان قال: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر ، فما فعل فى أمرك ، قال : جرنى على شوك المطل ، وحرمنى ثمرة الوعد ، فقال : أنت اخترته ، فقال : وما علىّ وقد اختار موسى قومه سبعين

رجلا ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفةُ ، واختار النّبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فلحق بالمشركين مرتدا ، واختار على بن أبى طالب أبا موسى الأشعرى حكما فحكم عليه . ا ه

فى وصف الغلمان : شادن يضحك عن الأقحوان ، ويتنفس عن الريحان، كأنّ قده خوط بان سكران من خمر طرفه ، وبغداد مشرقة من حسنه وظَرْفه . الشكل كله فى حركاته ، وجميع الحسن بعض صفاته . كأنما وسمه الجمال بنهايته ، ولحظه الفلك بعنايته ، فصاغه من ليله ونهاره ، وحلّاه بنجومه وأقماره ، ونقشه ببديع آثاره ، ورمقه بنواظر سعوده ، وجعله بالكمال أجدّ جدوده ، له طرة كالغَسق على غُرّة ، جاء فى غلالة تنم على ما يستره ، وتخفى مع رقتها ما يظهره ، إن كانت عقرب صدغه تلسع ، فترياق ريقته ينفع ، إذا تكلم يكشف حجاب حجاب الزمرد والعقيق ، على سمطى الدر الأنيق . لعب ربيع الحسن فى خده ، فأنبت البنفسج فى ورده . ا ه

الأمير أبو الفتح الحاتمى :

أما ترى الخمرَ مثلَ الشمس فى قدح كالبدر فَوق يده كالغيث إذْ صابتْ
فالكاس كافورةٌ لكنها انحجرتْ والخمر ياقوتة لكنهـــا ذابتْ

كتب على بن صلاح الدين يوسف ملك الشام إلى الإمام الناصر لدين الله يشكو أخويه أبا بكر وعثمان ، وقد خالفا وصية أبيهم له :

مولاىَ إن أبا بكر وصاحبَه عثمانَ قد غصبا بالسيف حقّ على
وكان بالأمس قد ولّاه والدهُ فى عهده فأضاعا الأمرَ حين ولى
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى من الأواخر مالاقى من الأُول
فخالفاه وحلّا عقد بيعته والأمرُ بينهما والنّص فيه جلى

فوقّع الخليفة الناصر على ظهر كتابه بهذه الأبيات :

وافى كتابُك يا ابن يوسفَ ناطقا ... بالحق يخـــبر أنّ أصلك طاهرُ
منعوا عليّـــا إرثه إذ لم يـكن ... بعـد النبى له بيـــثرب ناصرُ
فاصـــبر فإنّ غدا علىّ حسابهم ... وابشر فناصرُكَ الإمام النـــاصر

الصاحب إسماعيل بن عباد :

أبا حسنٍ إن كان حبُّك مُدخلى ... جحيما فإنّ الفوز عنـدى جحيمها
فـكيف يخافُ النارَ من هو مؤمنٌ ... بأن أميرَ المؤمنين قسيمهـــــا

***

قيل إن البليغ من يحرك الـكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفـــــاظ على قدر المعانى . والـكلام البليغ كل ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا .

وقيل لأعرابى : من أبلغ الناس ؟ قال : أقلهم لفظا وأحسنهم بديهة .

وقال الإمام فخر الدين الرازى فى حد البلاغة : إنها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما يقول بقلبه ، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل ، والإطناب الممل .

[قال الأشاعرة: شـكر المنعم ليس بواجب أصلًا ومثلوها بتمثيل فقالوا: وما مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقا وغربا ، ويعم البلاد وهبا ونهبا ، فتصدق عليه بلقمة خبز ، فطفق يذكره فى الجامع ، ويشـكره عليها بتحريك أنملته دائما لأجـله ، فإنه يعد استهزاء بالملك ، فـكذا هنا . بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملـكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله ، وشـكر العبد أقل قدرا فى جنب الله من شـكر الفقير بتحريك أصابعه .

وأتت المعتزلة بتمثيل آخر أحسن منه فقالوا : التمثيل المناسب للحال: أن يقال :

إذا كان فى زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان ، مشلول اليدين والرجلين ، فاقد السمع والبصر ، بل جميع الحواسّ الظاهرة ، والمشاعر الباطنة ، فأخرجه الملك من تلك الهاوية ، وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه ، ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضارّ ، ورفع رتبته وكرّمه على كثير من أتباعه وخدمه . ثم إن ذلك الرجل بعد وصول النعم الجليلة إليه، وفيضان تلك التكريمات عليه، طوى عن شكر ذلك الملك كشحا، وضرب عنه صفحا ، ولم يظهر منه ماينبئ عن الاعتناء بشىء من غير فرق بين وجودها وعدمها ؛ فلا ريب أنه مذموم بكل لسان مستحق للإهانة والخذلان اهـ][1] .

قال فيلسوف : كما أن الآنية تُمتَحنُ بإطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها ، فكذلك الإنسان يعرف حاله بمنطقه . اهـ .

مر رجل بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ومعه ثوب ، فقال له أبو بكر : أتبيعه ؟ فقال لا ، يرحمك الله . فقال أبو بكر : لو تستقيمون لقوّمت ألسنتكم ، هلا قلت لا ويرحمك الله ؟

وحكى أن المأمون يحيى بن أكثم عن شىء ، فقال : لا وأيد الله الأمير . فقال المأمون : ما أظرف هذه الواو : وما أحسن موضعها . وكان الصاحب بن عباد يقول : هذا الواو أحسن من واوات الأصداغ .

وحكى أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له : أطال الله بقاءك ، وأقر عينك ، وجعل يومى قبل يومك . والله إنه يسرنى ما يسرك . فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة، ولم يعرف لحن كلامه ، فإنه كان دعاء عليه ، لأن معنى أطال الله بقاءك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية ، وأقر عينك : معناه

(١) الزيادة من المخطوطة .

سكن الله حركتها فإذا سكنت عن الحركة عميت، وجعل يومى قبل يومك: أى جعل يومى الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار . وأما قوله : يسرنى ما يسرك فإن العافية تسره كما تسر الكافر .

وحكى أن رجلا كان شاعرا ، وكان له عدو ، فبينما هو سائر فى بعض الأيام وإذا بعدوه إلى جانبه ، فعلم أن عدوه قاتله لا محالة . فقال : يا هـذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ، ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتنى امض إلى دارى وقف بالباب وناد :

* ألا أيها البنتان إن أباكما *

وكان للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل أجابتاه :

* قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما *

ثم إن البنتين تعلقا بالرجل وحملتاه إلى الحاكم ، ثم طلبتا أباهما فاستقرّوه فأقر بقتله وقُتل بأبيهما .

ومن حكايات الفصحاء : ما حكى أن عبد الملك بن مروان جالس يوما وعنده جماعة من خواصّه وأهل مسامرته ، فقال : أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه وله علىّ ما يتمناه ، فقام سويد بن غفلة ، فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ، فقال : هات قال : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ، ذكر ، رقبة ، زند ، ساق ، شفة ، صدر ، ضلع ، طحال ، ظهر ، عين ، غبغبْ ، فم ، قفا ، كف ، لسان ، منخر ، نغنغ ، هامة ، وجه . يد ، فهذه آخر حروف المعجم . والسلام على أمير المؤمنين .

فقام بعض أصحاب الملك وقال : يا أمير المؤمنين، أنا أقولها فى جسد الإنسان

مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : أما سمعت ماقال ؟ قال نعم ، أنا أقولها ثلاثا فقال له : لك ماتتمنى فقال : أنف ، أسنان ، أذن . بطن ، بصر ، بز . ترقوة ، تمرة ، تينة . ثغر ، ثنايا ، ثدى . جمجمة ، جنب ، جبهة . حلق ، حنك ، حاجب . خد ، خنصر ، خاصرة . دبر ، دماغ ، دُردُر . ذكر ، ذقن ، ذراع . رقبة ، رأس ، ركبة . زند زردمة ، زب . فضحك عبد الملك من قوله . ثم قال سويد : ساق ، سرة ، سبابة . شفة ، شعر شارب . صدر ، صدغ ، صلعة . ضلع ، ضفيرة ، ضرس . طحال ، طرة ، طرف . ظهر ، ظفر ، ظلم . عين ، عنق ، عاتق . غبغب ، غلصمة ، غنة . فم ، فك ، فؤاد . قلب ، قدم ، قفا . كف ، كتف ، كعب . لسان ، لحية ، لوح . مرفق ، منكب ، منخر . نغنوغ ، ناب ، نبا . هامة ، هيف هيئة . وجه ، وجنة ، ورك . يمين ، يسار ، يافوخ . ثم نهض مسرعا وقبّل الأرض بين يدى عبد الملك . فقال : والله ما نزيد عليها أعطوه ماتمنى ، ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ فى الإحسان إليه . ا هـ .

قال رجل لصاحب منزل : أصلح خشب هـذا السقف فإنه يقرقع ، قال : لا تخف فإنه يسبح . قال أخاف أن تدركه رقة قلب فيسجد .

وقالت عجوز لزوجها : أما تستحى أن تزنى وعندك حلال طيب؟قال:أمّاحلال فنعم ، وأما طيب فلا .

قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه الله العبد ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فإن عدمه ، قال : مال يستره . قال : فإن عدمه ، قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه البلاد والعباد .

حكى أن الشريف الرضى كان جالسا فى علية له تشرف على الطريق ، فمر به

ابن المطرز الشاعر يجر نعلا له بالية وهى تثير الغبار ، فأمر بإحضاره وقال له : أنشد أبياتك التى تقول فيها :

إذا لم تُبلّغنى إليك ركائبى فلاوردتْ ماءً ولا رعتِ العُشبا

فأنشده إياها ، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعاله البالية وقال: أهذه كانت من ركائبك ؟ فأطرق ابن المطرز ساعة ثم قال : لما عادت هبات سيدنا الشريف إلى مثل قوله :

وخذ النّوم من جفونى فإنّى قد خلعتُ الكرى على العشّاق

عادت ركائبى إلى مثل ماترى ، لأنك خلعت مالا تملك على من لا يقبل ، فاستحيا الشريف منه ، وأمر له بجائزة فأعطوه . انتهى .

* * *

ورد على أبى الطيب المتنبى : كتابُ جدّته لأمّه من الكوفة تستجفيه وتشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجّه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على تلك الحالة ، فانحدر إلى بغداد ، وقد كانت جدته يئست منه ، فكتب إليها كتابا يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحُمّتْ لوقتها سرورا به ، وغلب الفرح عليها فقتلها ، فقال يرثيها :

ألا لاأرى الأحداثَ حمداً ولا ذمّا فما بطشُها جهلًا ولا كفُّها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجعَ الفتى يعودُ كما أبدى ويكرى كما أرمى

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلةِ شوقٍ غيرِ ملحقها وصما

أحنّ إلى الكاس التى شَربت بها وأهوى لمثواها الترابَ وما ضمّا

بكيتُ عليها خيفة فى حياتِها وذاقَ كلانا ثُكل صاحبه قِدما

ولو قَتَل الهجرُ المُحِبِّين كلَّهم ... مضى بلد باقٍ أجدت له صرما
منافعُها ما ضرَّ فى نفع غــيرها ... تُغَذَّى وتَرْوى أن تجوع وأن تظما
عرفتُ الليالى قبل ما صنعت بنــا ... فلما دهتنى لم تزدنى بها عِلمــا
أتاها كتابى بعد يأس وتَرْحــة ... فماتت سروراً بى ومُتُّ بها همّا
حرامٌ على قلبى السرورُ فإننى ... أعُدّ الذى ماتت به بعدَها سما
تعجَّبُ من خَطّى ولفظِى كأنّها ... ترى بحروفِ السّطر أغربةً عُصما
وتلثِمهُ حــتّى أصار مدادُه ... محاجرَ عينيها وأنيابَها سُحما
رقا دمعُها الجارى وجفّت جفونُها ... وفارقَ حُــبّى قلبَها بعد ما أدمى
ولم يسلُها إلا المنايا وإنمــا ... أشدّ من السقم الذى أذهبَ السُّقما
طلبتُ لهــا حظا ففاتتْ وفاتنى ... وقد رضيتْ بى لو رضيتُ لها قسما
فأصبحت أستسقِى الغمامَ لقبرها ... وقد كنت أستسقِى الوغى والقنا الصُّما
وكنت قُبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصُّغرى التى كانت العُظمى
هبينى أخذت الثأرَ فيكِ من العِــدا ... فكيف بأخذ الثأر فيكِ من الحُمى
وما انسدَّت الدنيــا علىّ لضيقها ... ولكنّ طرفا لا أراكِ به أعمى
فوا أسفا ألّا أكِبَّ مقبّــلا ... لرأسك والصدرِ اللّذَىْ ملئا حزما
وأن لا أُلاقى روحَكِ الطيّبَ الذى ... كأنّ ذكىَّ المســك كان له جِسما
ولو لم تكونى بنتَ أكرمِ والد ... لكان أباكِ الضخمَ كونُكِ لى أُمّا
لئن لذّ يوم الشامتين بيومهــا ... فقد وَلدت منى لآنافهم رَغمــا
تغرّب لا مُستعظِما غــيرَ نفسهِ ... ولا قابلا إلا لخالقــه حُكما
ولا سالكا إلا فؤادَ عجــاجة ... ولا واجداً إلا لمكرُمة طعما
يقولون لى ما أنتَ فى كل بلدة ... وما تبتغى ؟ ما أبتغى جلّ أن يُسمى

كأنّ بنيهم عالمـــون بأننى جَلوبٌ إليهم من معادنه اليتما
وما الجمعُ بين الماء والنار فى يَدى بأصعَب من أن أجمع الجِـدّ والفَهما
ولـكنّنى مستنصرٌ بذُبابه ومرتـكب فى كل حال به الغشما
وجاعلُه يوم اللقـــاء تحيتى وإلا فلست السيدَ البطلَ القَرما
وإنىَ من قـــوم كأنّ نفوسهم بها أنَفٌ أن تسكن اللحمَ والعظما
كذا أنا يادنيا إذا شئْتِ فاذهبى ويانفسُ زيدى فى كرائهها قدما
فلا عَـــبرتْ بى ساعةٌ لا تعزّنى ولا صَحِبتْنى مُهجةٌ تقبـــل الظّلما

قال أبو القاسم أسعد بن إبراهيم :

تتنفسُ الصهباءُ فى لَهَواته كتنفسِ الريحانِ فى الآصال
وكأنما الخيلان فى وجناته ساعاتُ هجر فى زمان وِصال

لركن الدين بن أبى الإصبع :

وساقٍ إذا ما أضحك الـكأسَ قابلتْ فواقعُها من ثغره اللؤلؤَ الرطبا
خشيت وقد أمسى نديمى على الدّجى فأسدلتُ دون الصُّبح من شَعره الُحجبا
وقسمت شمسَ الراح بالـكاس أنجُما وياطولَ ليل قُسِّمت شمسُه شُهبا

أبو الطيب المتنبي :

أرَقٌ على أرق ومثلى يأرَقُ وجوًى يزيدُ وعَـبرةٌ تترقرق
جهدُ الصبابة أن تـكون كما أرى عينٌ مُسهَّدة وقلبٌ يخفِقُ
ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انثنيتُ ولى فؤاد شيّق
جرّبتُ من نار الهوى ما تنطفى نارُ الغضى وتـكِلّ عما تحرِق
وعذلتُ أهل العشق حتى ذقتُه فعجبت كيف يموت من لا يعشَق

وعذرتُهم وعرفت ذنبي أنني ... عيرتهم فلقيت فيه ما لقُوا
أبني أبينا نحنُ أهـــل منازلٍ ... أبداً غرابُ البين فيها ينعِق
نبـكي على الدنيا وما من معشرٍ ... جمعتهمُ الدنيا فلم يتفرّقوا
أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الأولى ... كنزوا الـكنوز فما بقين وما بَقُوا
من كل من ضاق الفضاءُ بجيشه ... حتى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيّق
خُرس إذا نُودوا كأن لم يعلموا ... أنّ الـكلام لهم حلال مُطلق
فالموت آت والنفوس نفائسٌ ... والمستغَرُّ بما لديه الأحمقُ
والمرء يأمل والحياةُ شهيّة ... والشيبُ أوقر والشبيبةُ أنزق
ولقد بكيتُ على الشباب ولِمّتي ... مسوّدة ولِماءِ وجهي رونقُ
حذَرا عليـــه قبل يوم فِراقه ... حتى لـكدت بمـــاء جفني أشرَق
أمّا بنو أوس بن معن بن الرضا ... فأعز من تَحْدِي إليه الأينق
كبَّرتُ حول بيوتهم لما بدت ... منها الشموسُ وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحابُ أكفهم ... من فوقها وصخورُها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح ... لهمُ بكل مكانة تُستنشَق
مِسكيّة النفحات إلا أنها ... وحشيّةٌ بسواهمُ لا تعبَق
أمريدُ مثلَ محمد في عصرنا ... لا تُبْلِنا بطلاب ما لا يُلحَق
لم يخلق الرحمنُ مثـــل محمـــد ... أبدا وظنّي أنه لا يخلق
يا ذا الذي يهب الجزيلَ وعندهُ ... إني عليـــه بأخذه أتصدّق
أمْطِر عليّ سحابَ جودك ثرّةً ... وانظر إليّ برحمة لا أغرَق
كذب ابنُ فاعلةٍ يقول بجهله ... مات الـكرامُ وأنت حيٌ ترزق

* * *

قال الصفدى: قد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس، وكذلك الواو. فمن حذف الفاء قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتابَ عليكم» التقدير فامتثلتم فتاب عليكم. وقوله «فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدّةٌ من أيام أُخَر» معناه فأفطر فعليه عدة. وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يُسميها أرباب المعانى الفاء الفصيحة. انتهى.

يقال: إن أبا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان إذا دعاه المنصور يصفرّ ويرعُد، فإذا خرج من عنده يرجع إليه لونه، فقيل له: إنا نراك عند دخولك على أمير المؤمنين وأُنسه بك تتغير إذا دخلت عليه، فقال: مَثَلى ومثلكم مثل بازى وديك تناظرا، فقال البازى للديك: ما أعرف أقل وفاء منك لأصحابك، قال وكيف؟ قال تؤخذ بيضةً، فيحضنك أهلك، وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأيديهم، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحدا إلا طرت من هنا إلى هنا وصحت، وإذا علوت على حائط دار كنت فيها سنين طرت منها إلى غيرها، أما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبر سنّى، فتخاط عينى وأطعم الشيء اليسير، وأساهَر فأُمنع من النوم، وأُنسى اليوم واليومين، ثم أطلق على الصيد وحدى فأطير إليه وآخذه وأجيء به إلى صاحبى فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة، أما لو رأيت بازيين فى سفود على النار ماعدت إليهم، وأنا فى كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا. فلا تكن حليما عند غضب غيرك. وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم.

[حكم الفاء]

قال ابن أبى الحديد فى الفلك الدائر: الفاء ليست للفور، بل هى للتعقيب على حسب مايصح، إما عقلا أو عادة، ولهذا صح أن يقال: دخلت البصرة فبغداد، وإن

كان بينهما زمان كثير لكنى يعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن، بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة ، بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحد منها إقامة يخرج بها عن حد السفر إلى أن دخل بغداد . هذا الذى يقوله أهل اللغة وأهل الأصول . وليست الفاء للفور الحقيقى الذى معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولازمان. ألا ترى إلى قوله تعالى «لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب» فإن العذاب متراخ عن الافتراء . انتهى .

* * *

قال الصفدى : ومن العرب من لا يُدخلُ نون الوقاية لا على عن ولا على من ، ويقولون عنى ومنى بنون واحدة مخففة . انتهى .

قد يحدث : الظرف بين المضاف والمضاف إليه انفصالا كما وقع فى هذا البيت :

كما خُطَّ الكتابُ بكفِ يوما يهودى يُقارِبُ أو يزيل

فكف مضاف إلى يهودى ، ولكن الظرف فصل بينهما . انتهى

قال حسان :

ولو كانتِ الدنيا تدومُ بأهلها لكان رسول الله فيها مخلدا

آخر :

ولو أن مجداً خلّد الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُهُ الدهرَ مُطعِما

* * *

قال أبو الحسن الباخرزى :

ولكم تمنيتُ الفراقَ مُغالطا واحتلتُ فى استثمار غَرسِ ودادى

وطمِعت منها فى الفراق لأنها تبنى الأمورَ على خلاف مُرادى

آخر :

أَلا قل لسُكَّان وادِى الحمى   هنيئاً لكم فى الجنان الخلودْ
أَفيضوا علينا من الماء فَيضا   فنحنُ عِطاشٌ وأنتم وُرودْ

قيل : قدم لُقمان من سفر ، فلقى غلاما له فقال : ما فعل أبى ؟ قال : مات قال : ملكتُ يامولاى أمرى . فما فعلت أمى ؟ قال : ماتت . قال : ذهب همّى . فما فعلت أختى ؟ قال : ماتت . قال سترت عورتى . قال: مافعلت امرأتى. قال : ماتت قال: جدد فراشى. قال: فما فعل أخى ؟ قال : مات . قال : آه انقطع ظهرى . انتهى

آخر :

[أبا جعفر لستَ بالمنصفِ   ومثلُك من قال قولا بفى
فإن أنت أنجزتَ لى موعداً   وإلا هجوتُ وأدخلتُ فِى]

* * *

الطغرائى :

أخاكَ أخاكَ فهو أجلُّ ذخر   إذا نابتك نائبةُ الزمان
وإن بانت إساءته فهبْها   لما فيه من الشِّيم الحسانِ
تريد مهذَّبا لا عيبَ فيه   وهل عُودٌ يفوح بلا دُخانُ

للإمام أبى بكر :

كتابُك بدرَ الدين وافى فسرَّنى   وسَرَّى شجا قلبى كريمُ مَقالكَا
فأنضر من عيشى الذى كان ذابلا   وبيّض من حالى الذى كان حالكَا
ولستُ بناس ما حييتُ لياليـاً   ظَلِلتُ بها حِلفَ المُنى فى ظِلالكَا
فراعاكَ عينُ الله جلّ ولم تزَل   عيونُ العدا مصروفةً عن كمالكَا

آخر :

عليكَ وحيدَ القبر مـــنى تحيةٌ   كنفحةِ روْض أو كبعض خِلالِكا
وحيّاكَ مُنهلٌ دَرورٌ من الحيا   كخاطرك الفيّاضِ عند ارتجالِكَا
لقد رحلَتْ منذُ ارتحلتَ مسرّتى   وواصلنى بَرْحُ الجوى بانفصالِكا

لأبى الفضل الميكالى :

لنا صديق له حُقـــوقٌ   راحتنـــا فى أذى قفَاهُ
ماذاقَ من كسبه ولـكنْ   أذى قفـــاهُ أذاق فاه

* * *

قد اختلف المفسرون فى مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام : فقال ابن عباس تسعة أشهر كما فى سائر النساء ، وقال عطاء وأبو العالية والضحاك : سبعة أشهر . وقال غيره : ثمانية أشهر . ولم يعش مولود يولد لثمانية إلا عيسى عليه السلام . وقال آخرون ستة أشهر . وقال آخرون : ثلاث ساعات ، حملته فى ساعة ، وصور فى ساعة ، ووضعته فى ساعة ، وعن ابن عباس أن مدة الحمل كانت ساعة . انتهى .

* * *

لبعضهم :

دعوى الإخاء على الرّخاء كثيرةٌ   بل فى الشدائد تُعرف الإخوانُ

ابن الرومى :

تخِذْتُكُمُ دِرعا حَصينا لتدفعوا   سهامَ العِدا عنى فكنتم نِصالَها

آخر :

وكنتَ من الحوادث لى عياذاً   فصرتَ من المصيبات العظامِ

لبعضهم فى هجاء بعض البخلاء :

رأى الضَّيف مكتوبا على باب داره ... فصحَّفه ضيفا فقـــام إلى السَّيف
فقلنـــا له خيراً فظنّ بأننا ... نقول له خبزاً فمات من الخوف

***

[أنواع النار عند العرب]

النار عند العرب أربع عشرة نارا وهى : نار المزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة ، وأوّل من أوقدها قصى بن كلاب . ونار الاستسقاء ، كانوا فى الجاهلية إذا تتابعت عليهم السنوات جمعوا ما قدروا عليه من البقر ، وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العُشَرَ والسلع ، ثم صعدوا بها فى جبل وعر وأضرموا فيهـا النار ، وعجوا بالدعاء ، ويرون أنهم يمطَرون بذلك . ونار التحالف ، لا يعقدون حلفا إلا عليها ، يطرحون فيها الملح والـكبريت فإذا شاطت قالوا هذه النار قد شهدت . ونار الغدر ، كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقد له نارا بمنى أيام الحج ، ثم قالوا هذه غدرة فلان . ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما . ونار الزائر والمسافر ، وذلك أنهم إذا لم يحبوا الزائر أو المسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارا ، وقالوا : أبعده الله وأسحقه . ونار الحرب ، وتسمى نار الأهبة ، توقد على يفاع إعلاما لمن بعدعنهم . ونار الصيد يوقدونها فتغشى أبصاره . ونار الأسد ، كانوا يوقدونها إذا خافوه لأنه إذا رآها حدّق إليها وتأملها . ونار السليم وهى للملدوغ إذا سهر . ونار الـكلب يوقدونها حتى لا ينام . ونار الفداء ، كانت ملوكهم إذا سبَوْا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن . ونار الوسم التى يَسِمون بها الإبل . ونار القرى وهى أعظم النيران ونار

الحرّتين وهى التى أطفأها الله لخالد بن سنان المنسى حيث دخل فيها وخرج منها سالمـــا وهى خامدة .

قال الصفدى : والجبن والبخل صفتان مذمومتان فى الرجال، ومحمودتان فى النساء لأن المرأة إذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت فيه فعلا أدّى إلى هلاكه، أو تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لأنها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله ، وإنما يصدها عما تقتضيه الجبن الذى عندها . وإذا كانت المرأة سخية جادت بما فى بيتها فأضر ذلك بحال زوجها . ولأن المرأة ربما جادت بالشىء فى غير موضعه . قال الله تعالى « ولا تؤتوا السّفهاء أموالكم » قيل النساء والصبيان . انتهى

***

من كتاب الفرج بعد الشدة : حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضى بمدينة الرملة ، لما أمسكها بالليل وهى تنبش القبور وكانت بكرا، فضربها فقطع يدها فهربت منه ، فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة ، فتتبع الدم إلى أن رآه دخل بيت القاضى، فما زال حتى تزوجها، فلما كان بعض الليالى لم يشعر بها إلا وهى على صدره وبيدها موسى عظيمة ، فما زال بها حتى حلف لها بطلاقها وحلف على خروجه من البلد فى وقته .

كان الشيخ عز الدين : إذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى إلى آخر باب من أبوابه لا يقف عليه ، بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطرا ، ويقول : ما أشتهى أن يكون ممن يقف على الأبواب .

حكى المسعودى : فى شرح المقامات أن المهدى لمـا دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبى ، وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة ، وإياس يقدمهم

فقال المهدى : أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث . ثم إن المهدى التفت إليه وقال : كم سنك يافتى ؟ فقال سنى ـ أطال الله بقاء الأمير ـ : سن أسامة بن زيد ابن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر. فقال له : تقدم بارك الله فيك .

يقال : إن إياس بن معاوية نظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شىء ، فقال: هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلن فكان الأمر كذلك ، فقيل له : من أين لك هذا ؟ فقال : لما فزعن وضعت إحداهن يدها على بطنها ، والأخرى على ثديها، والأخرى على فرجها .

ونظر يوما إلى رجل غريب لم يره قط ، فقال : هذا غريب ، واسطىّ ، معلم كتّاب، هرب له غلام أسود ، فوجد الأمر كما ذكر ، فقيل له: من أين علمت ذلك؟ فقال : رأيته يمشى ويلتفت ، فعلمت أنه غريب، ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط، ورأيته يمرُّ بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال ، وإذا مر بذى هيئة لم يلتفت إليه ، وإذا مر بأسود دنا منه يتأمله .

يقال : أصدق الناس فراسة ثلاثة : العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام « أكرمِى مَثواهُ عسى أن ينفعنا » وابنة شعيب التى قالت لأبيها عن موسى « يا أبت استأْجره إن خيرَ من استأجرتَ القوىُّ الأمين » وأبو بكر فى الوصية بخلافة عمر . انتهى .

***

نظم الجمل التى لها محل من الإعراب والتى لا محل لها :

وخذ جملا عشراً وستا ونصفها ... لها موضعُ الإعراب جاء مبيّنا
فوصفية حاليةٌ خبريةٌ ... مضافٌ إليها واحْكِ بالقولِ معلنا

كذلك فى التعليق والشرط والجزا … إذا عاملٌ يأتى بلا عمل هُنا
وفى غير هذا لا محل لها كما … أتت صلةً مبدوءة ولك المنى
وفى الشرط لا تعمل كذاك جوابهُ … جوابُ يمين فادْرِه فاتك العَنا
مفسِّرةٌ تأتى وفى الحشو مثلُها … كذلك فى التحضيض فافهمه باعتنا

الوصفية نحو: مررت برجل أبوه قائم. والحالية مثل: جاء زيد يضحك. والخبرية: زيد أبوه منطلق. والمضاف إليه مثل «هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقهم». والمحكية مثل: قلت زيد عالم. والمعلق عنها العامل مثل: علمت مازيد منطلق، وعلمت لزيدٌ منطلق. والشرط والجزاء مثل: إن قام زيد قام عمرو. والصلة مثل: جاء زيد الذى هو قام. والمبتدأة مثل: زيد قائم. والتى فى الشرط والجواب مثل: إذا قام زيد قام عمرو. والتى فى اليمين مثل: والله إن زيدا قائم. والمفسرة مثل: زيدا ضربته. والتى فى الحشو مثل قول الشاعر:

إن الثمانين وبلغتَها … قد أحوجَتْ سمعى إلى تَرجُمان

والتى فى التحضيض مثل: هلا زيداً ضرَبته:

***

يقال: إن أبا عمرو بن العلاء قال: قرأتُ « ومالىَ لا أعبدُ الذى فطرنى » فاخترت تحريك الياء ها هنا؛ لأن السكون ضرب من الوقف، فلو سكنت الياء هاهنا كنت كالذى ابتدأ وقال: لا أعبد الذى فطرنى، فاخترت تحريك الياء هربا من ضرر الوقف. وهذا من أبى عمرو فى غاية الدقة والنظر فى المعانى اللطيفة.

[طرق الترجمة]

قال الصلاح الصفدى: وللتراجمة فى النقل طريقان: أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثانى أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات.

الطريق الثانى فى التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهرى وغيرهما، وهو أن يأتى بالجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظُ الألفاظ أم خالفتها، وهذا الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين ابن إسحاق إلى تهذيب إلا فى العلوم الرياضية، لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والإلهى فإن الذى عربه منها لم يحتج إلى إصلاح. فأما إقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى، وكذلك المجسطى والمتوسطات بينهما.

ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد: أن يحيى بن أكثم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أو نحوها، فاستصغروه، فقالوا: كم سن القاضى؟ فقال: أنا أكبر من عتّاب بن أسيد الذى وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم

الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سويد الذى وجه به عمر بن الخطاب قاضيا على البصرة . فجعل جوابَه احتجاجا له .

لبعضهم :

قد قال قومٌ أعطه لقديمــهِ   جهلوا ولـكن أعطنى لتقدُّمى

الأمير أمين الدين على بن سليمان :

أضيف الدجى معنًى إلى ليل شَعْره   فطال ولولا ذاك ما خُصَّ بالجرّ
وحاجبُـــه نونُ الوقاية ما وقتْ   على شرطها فعلَ الْجفون من الـكسر

آخر :

إنّ الأمير هو الذى   يَضحَى أميرا يوم عزلِهْ
إن زال سلطانُ الولا   ية لم يزُل سلطانُ فضلِهْ

وما أحسن من قال :

قالوا أحبَّ حبيبا ما تأمّــله   فـكيف حلّ به للسقم تأثير
فقلتُ قد يعمل المعنى بقوّته   فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

* * *

قال ابن حزم : جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة رضى الله عنـه أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى ، والمراد بالرأى القياس .

قال الصفدى : قلت وقول أبى حنيفة يشبهه قول الخليل بن أحمـد حيث قال : مثَلى فى النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بنائها ، فقال إنمـا كان

الإيوان هنا لكذا ، والصُّفَّة هنا لكذا، فإن وافق البانى، وإلا فقد أتى بكلام يقبله العقل ولا يأباه . انتهى .

والشافعى احتاط لمذهبه فقال : إن صح الحديث فهو مذهبى . انتهى .

قال بعضهم : إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال : هذا تعبد ، كما يعلل المالكى غسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب؛ لأنه قائل بطهارته، فإذا أورد عليه هذا الحديث وهو «طهور إناء أحدكم إن ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا » قال هذا شىء تعبدنا الله به . وإذا عجز النحوى عن تعليل الحكم أيضاً قال : العامل هنا معنوى . وإذا عجز الحكيم عن التعليل بالشىء قال : هذا بالخاصة، كما إذا طلب منه تعليل جذب المغناطيس الحديدَ .

[أنواع الجر]

الجر يكون بثلاثة أشياء : بحروف الجر ، وبالإضافة ، وبالتبعية . والأصل فى ذلك حروف الجر ، ثم الإضافة ، ثم التبعية، وقد اجتمع ذلك كله مرتبا فى البسملة، فبسم خفض بالحرف ، والله بالإضافة ، والرحمن بالتبعية .

واو الثمانية فى مثل قوله تعالى : « ثيبَاتٍ وأبكارا » وقوله تعالى: « الآمرُون بالمعروف والنّاهون عن المنكر » وقوله تعالى : « وسيقَ الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وَفتحت أبوابها » أتى بالواو هنا ولم يأت بها فى ذكر جهنم، لأن أبوابَ النار سبع وأبواب الجنة ثمان .

وحكى لى بعض الأفاضل عن بعض الحكام فى المدن الكبار أنه ألقى درسا فى هذه الآية الكريمة ، وقال : قال فى حق أهل جهنم إنهم لما جاءوها فتحت لهم أبوابهـا على التعقيب ؛ لأن الفـاء للتعقيب ، لم يمهـلوا للدخول بل أُدخِلوها على

الفور . وأما أهـل الجنـة فإنهم لم يضطروا إلى الدخول ، بل أمهـلوا لأنه قال: وفتحت .

قلت : انظروا إلى هذه الغفـلة فى الأولى والثانيـة كونه ظنها أولا خارجة عن الـكلمة ولم تـكن من أصلها ، ووجدها ثابتة فى الثانية فلم ينـكرها ، ويقول هذه هى تلك . الحمد لله واهب العقل . انتهى .

* * *

ما سمع فى الـكسل أبلغ من قول هذا القائل :

سألت الله يجمعُنى بسلمى … أليسَ اللهُ يفعل ما يشاء
ويطرحُها ويطرحُنى عليها … ويُدخلُ ما يشا فيما يشـاء
ويأتى مَن يُحركنى بلطف … شبيهَ الزّق تمخُضه الرِّعاء
ويأتى بعدَ ذا غيثٌ عميمٌ … يُطِّهرنا وقد زالَ العناء

لما سار سيف الدولة نحو ثغر الحدث لبنائها ، وقد كان أهلها أسلموها بالأمان، فركب لهم وأسر خلقا كثيرا منهم ، وانهزم الدمستق ، وأقام عليها حتى وضع آخر شرافة بيده . قال أبو الطيب — وأنشدها بعد الواقعة — :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم … وتأتى على قدر الـكرام المـكارمُ
وتعظُم فى عين الصغـــير صغارُها … وتصغُر فى عين العظيم العظائم
يكلف سيفَ الدولة الجيشُ همَّه … وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عنـد نفسِه … وذلك مالا تدَّعيـــه الضَّراغم
يُفدِّى أتمُّ الطـير عمراً سلاحَه … نسورُ المـــلا أحداثُها والقشاعم
وما ضرَّها خلقٌ بغـــير مخالب … وقد خُلقت أسيـــافُه والقوائم

هل الحدثُ الحمراء تعرف لونَها … وتعلم أيّ الساقيين الغمائم

سقتها الغَمامُ الغرُّ قبلَ نزوله … فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا … وموجُ المنايا حولَها مُتلاطم

وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت … ومن جُثث القتلى عليها تمائم

طريدة دَهرٍ ساقَها فرددتَها … على الدّين بالخطّى والدهرُ راغم

تُفيت الليالى كلَّ شئٍ أخذتَه … وهُنّ لما يأخذنَ منك غَوارمُ

إذا كان ماتنويه فعلا مُضارعا … مضى قبْل أن تُلْقَى عليه الجوازم

وكيف ترجّى الرومُ والروسُ هدمَها … وذَا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم

وقد حاكموها والمنايا حواكِمٌ … فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمُ

أتوكَ يجرّون الحديدَ كأنهم … سرَوْا بجيادٍ مالهنّ قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيضُ منهم … ثيابَهُم من مثلها والعمائم

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفُهُ … وفى أذُن الجوزاء منه زمازِم

تجمّع فيه كلُّ لسن وأمة … فما تفهمُ الحُدّاثَ إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغشَّ نارُه … فلم يبق إلا صارم أو ضُبارِم

تُقَطّعُ مالا يقطعُ الدرعُ والقنا … وفرّ من الفرسان من لا يصادَم

وقفت وما فى الموت شك لواقف … كأنك فى جَفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطالُ كَلْمى هَزيمةً … ووجهُك وضّاح وثغرُك باسم

تجاوزتَ مقدار الشّجاعة والنُّهى … إلى قول قوم أنتَ بالغيب عالم

ضممتَ جناحَيْهم على القلب ضمّةً … تموتُ الخوافِى تحتها والقوادِم

بِضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ … وصار إلى اللَّبات والنصرُ قادم

حَقَرت الرُّدَيْنيات حتّى طرحتَها … وحتّى كأنّ السيفَ للرمح شاتمُ

ومَن طلبَ الفتح الجليـلَ فإنمـا ... مفاتيحُه البيضُ الخِفافُ الصوارِمُ
نثرتهمُ فوق الأحَيْـدِب نثرةً ... كما نُثرت فوق العَروس الدارهمُ
تدوسُ بك الخيلُ الوُكورَ على الذّرا ... وقد كثُرت حولَ الوُكور المطاعمُ
تظنّ فراخُ الفتخ أنك زرتَها ... بأمّاتها وهى العتاق الصلادم
إذا زلَقت مشّيتها ببطونها ... كما تتمشّى فى الصعيـد الأراقم
أفى كلّ يوم ذا الدّمستق مقـدم ... قفاه على الإقدام للوجه لائم
أينـكر ريحَ الليث حتى يذوقَه ... وقد عرَفت ريحَ اللّيوث البهائم
وقد فجعتهُ بابنـهِ وابن صهرِه ... وبالصّهر حملاتُ الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحابَ فى فوته الظبا ... لما شغلتها هامُهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفيـة فيهم ... على أن أصواتَ السيوف أعاجم
يُسَرّ بما أعطاك لا عن جهالة ... ولـكنّ مغنوما نجا منك غانم
ولستَ مليكا هازما لنظـيره ... ولـكنّك التوحيدُ للشرك هازم
تشرّف عدنانٌ به لا ربيعة ... وتفتخِر الدنيـا به لا العواصم
لك الحمـدُ فى الدرّ الذى لىَ لفظُه ... فإنّك معطيه وإنّى ناظِم
وإنى لتعدو بى عطاياك فى الوغى ... فلا أنا مـذمومٌ ولا أنت نادم
على كلّ طيار إليها بِرِجـله ... إذا وقعت فى مِسْمَعْيه الغماغم
ألا أيها السيف الذى لستَ مُغْمَدا ... ولا فيك مُرتابٌ ولا منك عاصم
هنيئاً لضرب الهام والمجدِ والعُلا ... وراجيكَ والإسلام أنك سالم
ولم لا يقى الرحمن حدّيك ماوقى ... وتفليقـه هام العـدا بك دائم

***

للشيخ الحسين أبى عبد الله بن منصور بن بادشاه ، وصف بها المطر والثلج وأبدع :

ما للسحاب التى كنا نرجيها　　لها عجائبُ لا تنفك تبديها
لعلها وجدت وَجدى فقد جمعت　　ماء ونارا قد انهلّت عزاليها
فالماء من مُقلتى والعين تسكبه　　والنار من كبدى والقلبُ يوريها
وأبدت الأرضُ بالكافور زينتَها　　ومدّ فيها بماء الورد واديها
كأن فى الجوّ أشجارا معلّقةً　　من المجرة تُدْنيها وتُقصيها
أوراقها فضةٌ بيضاء تضربها　　ريحُ الشمال فتهوى من أعاليها
أو راقصاتٌ جوارٍ فوقها انقطعت　　منها العقودُ فنلنا من لآليها
أو شقّق البعض من بعض غلائلَها　　بسكرهنّ فألقتها تراقيها
أو مرّت الريح بالأقطان قد نُدفت　　فعمّمت دُورَها منها سوافيها
أو من نُسور تسد الأفق كثرتُها　　تناثر الريشُ واصطفت خوافيها
أو فيه أرحية بالماء دائرةٌ　　ترمى الطحين إلينا من نَواحيها
أو فيه غسّالُ أثواب يبيضها　　يَظل يعصِرها طورا ويطويها
أو الكواكبُ من أفلاكها انتثرت　　على عُصاة تمادتْ فى معاصيها

***

فى صفة مصلوب ذكره العلامة التفتازانى فى الشرح :

كأنه عاشق قد مدّ صفحته　　يومَ الوَداع إلى توديع مُرتحِلِ
أو قائمٌ من نُعاس فيه لوثتُه　　مواصلٌ لتمطّيه من الكسل

مما قيل إنه لامرىء القيس :

سبقت بمضمار المطالب لا العلا　　وصار جفونى عَندما مثل عندم
فثلثا حروفِ الدمع لا كلها دمٌ　　فما بال دمعى كله خالصُ الدم

لبعضهم فى التحاء محبوبه :

شبتُ أنا والْتحي حبيبي ... وبان عنّي وبنتُ عنه
وابيضّ ذاكَ السواد مني ... واسودّ ذاكَ البياضُ منه

آخر فيه :

رأيت على خده خُنفسهْ ... وكانت تُرَى قبلَ ذا سندُسَهْ
كنستُ فؤادىَ من عشقه ... ولحيتُه كانت المِكنسه

للأموى فى النجديات :

رأت أمُّ عمرو يوم سارت مدامعى ... تنمّ بسرى فى الهوى وتذيعُه
فقالت أهـذا دأب عينيك إننى ... أراها إذا استُودِعْتَ سرّا تُضيعهُ
وكيف أذود الدّمع والوجدُ هاتفٌ ... به وعلى الإنسان ما يَستطيعهُ

* * *

[إعراب ما لا يعقل بالحروف]

قد يتصف ما لا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف. قال الله تعالى: «إنى رأيت أحدَ عشر كوكبا ، والشمسَ والقمرَ رأيتهم لى ساجدينَ » والعلة أنّها لما وصفت بالسجود ـ وهو من صفات من يعقل ـ أعطيت هذا الإعراب .

يحكى أن هرقلَ ملك الروم كتب إلى معاوية بن أبى سفيان يسأله عن الشىء، واللا شىء . وعن دين لا يقبل الله غيره . وعن مفتاح الصلاة. وعن غراس الجنة. وعن صلاة كل شىء . وعن أربعة فيهم الروح ولم يرتكضوا فى أصلاب الرجال ولا أرحام النساء . وعن رجل لا أب له . وعن رجل لا قوم له . وعن قبر جرى بصاحبه . وعن قوس قزح ما هو . وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة ولم تطلع

عليها سابقا ولا لاحقا. وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها. وعن شجرة نبتت من غير ماء. وعن شيء يتنفس ولا روح له. وعن اليوم. وعن أمس. وغد وبعد غد. وعن البرق. والرعد وصوته. وعن المحو الذي في القمر؟. فقيل لمعاوية: لست هناك، ومتى أخطأت في شيء من ذلك تسقط من عينه، فاكتب إلى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل. فكتب إليه، فأجابه بقوله: أما الشيء قال الله تعالى: «وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ». وأما قوله لاشيء: فإنها الدنيا لأنها تبيد وتفنى. وأما دين لا يقبل الله غيره: فلا إله إلا الله محمد رسول الله. وأما مفتاح الصلاة: فالله أكبر. وأما غراس الجنة: فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. وأما صلاة كل شيء: فسبحان الله وبحمده. وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يرتكضوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء: فآدم، وحوّاء، وعصا موسى، والكبش الذي فدى به إسحاق. وأما الرجل الذي لاأب له: فالمسيح. وأما الرجل الذي لاقوم له: فآدم. وأما القبر الذي جرى بصاحبه: فالحوت سار بيونس في البحر. وأما قوس قزح: فأمان الله تعالى لعباده من الغرق. وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرّة واحدة: فالبحر الذي انفلق لبني إسرائيل. وأمّا الظاعن الذي ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها: فجبل طورسينا كان بينه وبين الأرض المقدّسة أربع ليال، فلما عصت بنو إسرائيل أطاره الله بجناحيه، فنادى منادٍ إن قبلتم التوراة كشفته عنكم وإلا ألقيته عليكم، فأخذوا التوراة معتذرين، فردّه الله تعالى إلى موضعه. وأما الشجرة التي نبتت بغير ماء: فشجرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام. وأما الذي يتنفس ولا روح له: فالصبح. وأما اليوم: فعمل. وأما أمس: فمثل. وأما غد: فأجل. وأما بعد غد: فأمل. وأما البرق: فمخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها السحاب. وأما الرعد: فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره. وأما المحو الذي في القمر: فقول الله عز وجل: «وجعلنا الليلَ والنهار آيتين

فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل .

***

[تحقيق معنى العلم والمعرفة]

قال الشريف الرضى فى حاشيته على شرح مطالع الأنوار فى تحقيق معنى العلم والمعرفة : ثم إن ها هنا معنيين آخرين الإشارة فى الكتاب إليهما : أحدهما أن المعرفة تطلق على الإدراك الذى بعد الجهل ، والثانى أنها تطلق على الأخير من إدراكين لشىء واحد يتخلل بينهما عدم ، ولا يعتبر شىء من هذين القيدين فى العلم ، ولهذا لا يوصف البارى تعالى بالعارف ويوصف بالعالم .

وقال المحقق الدوانى فى هذا المقام : ومعنى آخر ذكره الراغب وغيره ، وهو أن المعرفة العلم بالشىء من قبل آثاره ، وكأنه مأخوذ من العَرف بمعنى الرائحة ، كما يقال اشتممت هذا المعنى . انتهى كلامهما .

***

لامية العجم المنسوبة إلى الطغرائى الأصبهانى رحمه الله تعالى :

أصالةُ الرأى صانتنى عن الخطل ... وحِلْيةُ الفضل زانتنى لدى العَطَل
مَجـــدى أخيرا ومَجد أولا شرعٌ ... والشمس رأدَ الضّحى كالشمس فى الطَّفَل
فيم الإقامــة بالزوْراء لا سكنى ... بها ولا ناقتى فيها ولا جمـــــلى
ناء عن الأَهل صِفْرُ الـكفّ منفردٌ ... كالسّيف عُرّى متناهُ عن الخِلَل[1]
فلا صـــديقٌ إليــه مُشتكى حَزَنى ... ولا أنيسٌ إليـــه مُنتهى جذَلى
طال اغترابى حـــتّى حنّ راحلتى ... ورحلُها وقِرى[2] العسّالة الذبل

(١) جمع خلة ، وهى بطائن منقوشة بالذهب كانت تغشى بها أجفان السيوف.

(٢) القرى من السنام : أعلاه .

وضجّ من لغب نِضوى وعجّ لما ... يلقى رِكابى ولج الركبُ فى عذَلى
أريدُ بسطةَ كفٍ أستعين بها ... على قضاء حقوقٍ للعلا قِبلى
والدهرُ يعكسِ آمالِى ويُقنِعنى ... من الغَنيمة بعد الكدِّ بالقفَل
وذى شَطاط كصدر الرُّمح مُعتقِلٍ ... بمثله غيرِ هياب ولا وَكل
حُلوُ الفُكاهة مرُّ الجِدّ قد مُزجتْ ... بشدة البأس منه رِقّةُ الغزل
طردت سرحَ الكرى عن وَرد مُقلته ... والليل أغرى سوام النوم بالمُقل
والركبُ ميلٌ على الأكوارِ من طربٍ ... صاحٍ وآخرَ من خمر الهوى ثمل
فقلتُ أدعوك للجُلّى لتنصرنى ... وأنتَ تخذلُنى فى الحادث الجلل
تنامُ عينى وعينُ النجم ساهرةٌ ... وتستحيلُ وصبغ الليل لم يَحُل
فهل تعين على غىّ هممتُ به ... والغَىّ يزجُر أحيانا عن الفشل
إنى أريدُ طروقَ الحىّ من إضم ... وقد حماهُ رُماةٌ من بنى ثُعَل
يحمون بالبيض والسُّمرِ اللِّدان به ... سودَ الغدائرِ حمرَ الحلى والحُلل
فسر بنا فى ذِمام الليل مُعتسفا ... فنفحةُ الطِّيب تَهدينا إلى الحِلل
فالحِبُّ حيثُ العدَا والأُسدُ رابضة ... حولَ الكِناس لها غابٌ من الأسل
نَؤمُّ ناشئةً بالجزع قد سُقيت ... نِصالُها بمياه الغنج والكحَل
قد زاد طيبَ أحاديث الكرام بها ... ما بالكرائم من جبُن ومن بَخَل
تبيت نار الهوى منهنّ فى كبِد ... حرّى ونارُ القِرَى منهم على القُلَل
يقتُلْن أنضاء حُبٍّ لا حراك به ... وينحرُون كِرامَ الخيل والإبل
يُشْفَى لديغُ العوالى فى بيوتهمُ ... بنهلة من غدير الخمرِ والعسل
لعلّ إلمامةً بالجزع ثانيةً ... يدِبُّ منها نسيمُ البرء فى عِللى
لا أكرهُ الطعنةَ النجلاء قد شُفِعت ... برشقةٍ من نِبال الأعينِ النُجُلِ

ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تُسعدني ... باللمح من خِلَلِ الأستارِ والكِلَلِ
ولا أخِلّ بغزلان تغازلني ... ولو دهتني أسود الغيل بالغِيَل
حبّ السلامةِ يَثني همّ صاحبه ... عن المعالي ويُغري المرء بالكسل
فإن جنحتَ إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرض أو سلّما في الجوّ واعتزل
ودَع غمار العُلا للمقدمين على ... رُكوبها واقتنع منهنّ بالبَلل
رضا الذليلِ بخفضِ العيش مَسكنةٌ ... والعزّ تحتَ رسيمِ الأينق الذلل
فادرأْ بها في نُحور البيدِ حافلةً ... مُعارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل
إنّ العُلا حدّثتني وهي صادقةٌ ... فيما تُحدّث أنّ العزّ في النُّقَل
لو أنّ في شرف المأوى بلوغَ مُنًى ... لم تبرح الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَل
أهبتُ بالحظ لو ناديتُ مستمعاً ... والحظ عنّيَ بالجُهال في شُغُل
لعلّه إن بدا فضلي ونقصُهُم ... لعينه نام عنهم أو تنبّه لي
أعلّلُ النفسَ بالآمال أرقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأمل
لم أرضَ بالعيش والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولّت على عجل
غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتها ... فصُنتها عن رخيص القدر مبتذَل
وعادةُ النصل أن يزهو بجوهره ... وليسَ يعملُ إلا في يدَي بَطل
ما كنتُ أوثر أن يمتدّ بي زمني ... حتّى أرى دولةَ الأوغادِ والسِّفَل
تقدّمتني أناسٌ كان شوطهم ... وراءَ خَطويَ لو أمشي على مَهَل
هذا جزاءُ امرئٍ أقرانُه درجوا ... من قبله فتمنّى فُسحة الأجل
وإن علانيَ من دوني فلا عجبٌ ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زُحَل
فاصبر لها غيرَ محتالٍ ولا ضجِرٍ ... في حادثِ الدهر ما يُغني عن الحِيَل
أعدَى عدوّك أدنى من وثِقتَ به ... فحاذر الناسَ واصحبْهم على دَخَل

وإنما رجُلُ الدنيا وواحدُها   من لا يعوّلُ فى الدنيا على رجل
وحسنُ ظنّك بالأيام مَعجزةٌ   فظنّ شرّا وكُن منها على وَجَل
غاضَ الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرجَتْ   مسافةُ الخلفِ بين القولِ والعمل
وشانَ صدقَك عند الناس كِذْبهمُ   وهل يُطابَقُ مُعوج بمعتدلِ
إن كان ينجعُ شىءٌ فى ثباتِهمُ   على العهود فسبقُ السّيف للعذل
يا وارداً سؤرَ عيش كلّه كدرٌ   أنفقتَ صفوَكَ فى أيامك الأُول
فِيمَ اقتحامُك لُجّ البحر تركبُه   وأنت يَكفيكَ منه مصّةُ الوَشَل
مُلكُ القناعة لا يُخشى عليه ولا   يُحتاج فيه إلى الأنصار والخوَل
ترجُو البقاء بدار لاثبات لها   فهل سمعتَ بظلّ غير منتقل
ويا خبيرا على الأسرار مُطّلعا   اصمُتْ ففى الصّمت منجاةٌ من الزلل
قد رشّحوك لأمر لو فطِنت له   فاربأْ بنفسك أن ترعى مع الهمَل

شهاب الدين بن عنين :

شكا ابنُ المؤيّد من عزلهِ   وذم الزمان وأبدى السّفَهْ
فقلت له لا تذُم الزمان   فتظلم أيامَه المنصِفهْ
ولا تعجبنّ إذا ما صُرِفتَ   فلا عدلَ فيك ولا معرفهْ

غيره :

وذى أدب بارعٍ نكتُه   وأولجتُ فيه عَمودا عَنِفْ
فقلتُ فديتُك أعصر عليه   ففيهِ اللذاذة لو تعترفْ
فقال أجدتَ ولكن لحنتَ   لقولك أعصر بفتح الألِفْ
فقلتُ لك الويل من أحمقٍ   فقال وأحمقُ لا ينصرف

[حكم الواو]

الواو للجمع المطلق ولا تقتضى الترتيب بدليل قوله تعالى : « فكيفَ كان عذابى ونذُرِ » والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى : « وما كنا مُعذّبينّ حتى نبعث رسولا » وقوله تعالى حكاية عن منكرى البعث : « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » وإنما يريد نحيا ونموت. وقوله تعالى: «إنى مُتوفّيك ورافعُك إلىّ» فإن وفاته عليه السلام لا تقع إلا بعد الرفع[1] . وقول الشاعر :

حتّى إذا رجب تولى وانقضى   وجماديان وجاء شهرٌ مقبِل

قال الصفدى : من نسب إلى الشافعى أنه فهم الترتيب فى الوضوء من الواو فقد غلط ، وإنما أخذ الترتيب من السنة ، ومن سياق النظم وتأليفه ، وذلك أنّ الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرءوس ، وذكر الأيدى ووزنها أفعل كأرجل ، وأدخل ممسوحا بين مغسولين ، وقطع النظير عن النظير ، ولولا أن الحكمة فى ذلك التّنبيهُ على الترتيب لكان الأحسن بالبلاغة أن يقال : وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم ، كما يقال رأيت زيدا وعمرا . ودخلت الحمام ، ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ، ولو قيل ذلك لكان نتيجته فى الكلام « ومن أحسن من الله قيلا » . والغسل يشتمل على المسح ولا ينعكس ، فالغاسل ماسح مع زيادة ، وليس الماسح غاسلا، فالغسل أقرب إلى الاحتياط ، وأيضا فرض الغسل محدود كما فى اليدين إلى المرافق ، وغسل الرجلين محدود إلى الكعبين ، والمسح غير محدود كما فى الرأس ، فالرجلان مغسولتان . انتهى .

---

(١) هذا على رأى من يقول إنه رفع إلى السماء بجسمه ، أما على رأى من يفسر الرفع بالانتقال إلى الدار الآخرة فالترتيب صحيح .

ابن حيوس :

ماأبصرتْ عيناى أحسنَ منظرا   فيما رأت عيني من الأشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ   ـحمراء تحت المُقـلة السوداء

لأبى العلاء المعرى يرثى الشريف الطاهر الموسوى أبا الشريف المرتضى والرضى:

أنتم ذوو النسب الشريف فطَوْلكم   بادٍ على الأمراء والأشراف
والراحُ إن قيل ابنةُ العنب اكتفتْ   بابن من الأسماء والأوصاف

وقال أبو بكر الرصافى :

لو كنتَ شاهِدَهُ وقد غشى الوغى   يختالُ فى درع الحديد المُسبَل
لرأيتَ منـه والقضيبُ بكفّه   بحراً يُريق دمَ الكماة بجـدوَل

* * *

قيل إن المبرد بعث غلامه وقال له بحضرة الناس: امض إليه فإن رأيته فلا تقل له، وإن لم تره فقل له . فذهب الغلام ورجع فقال : لم أره فقلت له فجاء فلم يجئْ ، فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال : أنفذنى إلى غلام يهواه ، فقال إن رأيت مولاه فلا تقل له شيئاً ، وإن لم تر مولاه فادعه . فذهبت فلم أر مولاه فقلت له ، فجاء مولاه فلم يجئ الغلام . انتهى .

السراج الوراق :

ياساكناً قلبى ذكرتك قبـله   أرأيت قَبلى من بدا بالسّاكنِ
وجعلتُه وقفا عليك وقد غـدا   متحرّكا بخلاف قلب الآمن
وبذا جرى الإعرابُ فى نحو الهوى   وإليك معـذرتى فلستُ بلاحن

ونالت أبا الطيب حمى بمصر ، فكانت تغشاه إذا أقبل الليل وتنصرف عنه إذا أقبل النهار ، فقال فيها من قصيدة :

ومَلّنِيَ الفراشُ وكان جَنبي ... يَمَلُّ لقــــاءه فى كل عام
قليــلٌ عائدى سَقِمٌ فؤادى ... كثيرٌ حاسدى صعبٌ مَرامى
عليــلُ الجسم ممتنعُ القيـام ... شديدُ السّـكر من غير المُدام
وزائرةٍ كأنّ بها حيــاء ... فليس تزور إلا فى الظـلام
بذلتُ لهـا المطارفَ والحشايا ... فعافتها وباتت فى عِظـامى
يضيقُ الجلدُ عن نفسى وعنها ... فتُوسعه بأنواع السِّقـام
إذا ما فارقتنى غسّلتنى ... كأنّا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردُها فتجرى ... مدامعُها بأربعةٍ سِجـام
أُراقب وقتَها من غير شوْق ... مُراقبةَ المَشُوق المستهـام
ويصدُق وعدُها والصدقُ شرٌّ ... إذا ألقاك فى الـكُرَب العظام

[أنواع الحب]

قال صاحب الريحان والريعان : الحب أوّله الهوى ، ثم العلاقة ، ثم الـكلف ، ثم الوجد ، ثم العشق . والعشق اسم لما فضَــــل عن المِقدار الذى هو الحبّ ، ثم الشّغف ، وهو إحراقُ القلب بالحب مع لذّة يجدها ، وكذلك اللوعةُ واللاعج والغرامُ ، ثم الجوى ، وهو الهوى الباطن ، والتقيُّم ، والتبل ، والهيام ، وهو شبه الجنون ، والعشق عند الأطباء من جملة أنواع الماليخوليا . انتهى .

لأبى الحسن بن القبطرية البطليوسى :

ذكرتُ سُليمى وحرُّ الوغى ... بقلبى كساعةِ فارقتُها
وأبصرتُ بين القنـا قدَّها ... وقد مِلنَ نحوى فعانقتُهـا

مثل : سبق السيف العذَل : أصله أن سعدا وسُعَيدا ابنى ضبّة بن أدّ خرجا

فى طلب إبل لهما ، فرجع سعد ولم يرجع سُعَيد ، وكان ضَبّة إذا رأى شخصا مقبلا قال: أسعد أم سُعيد . ثم إنه فى بعض مسايره أتى إلى مكان ومعه الحارث بن كعب فى الشهر الحرام ، فقال له الحارث قتلت هاهنا فتًى هيئته كذا وكذا ، وأخذت منه هذا السيف ، فتناوله ضبّة فعرفه ، فقال : إن الحديث شجونٌ ، ثم ضربه فَعُذِل ، فقال: سبق السيفُ العذَلَ[1] .

شمس الدين محمد بن دانيال :

ما عاينت عينـاى فى عُطلتى ‏ ‏ أقلّ من حظى ومن بَخْتى
قد بعتُ عبدى وحمارى معا ‏ ‏ وصرت لا فوقِى ولا تحتِى

ابن الساعاتى :

من معشرٍ ويَجِل قدرُ عَلائه ‏ ‏ عن أن يقال لمثله مِن مَعشر
بيضُ الوجوه كأن زُرقَ رماحهم ‏ ‏ سرٌّ يحِلّ سوادَ قلبِ العسكر

أبو العلاء المعرى :

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيتَه ‏ ‏ والذنبُ للطَّرْف لا للنجمِ فى الصِّغَر

[ليلة القدر]

قال ابن حزم فى مراتب الإجماع : وأجمعوا على أن ليلة القدر حق ، وهى فى السنة ليلة واحدة . انتهى .

ومنهم من قال: هى فى مجموع شهر رمضان . ومنهم من قال : فى أفراد العشر الأواخر . ومنهم من قال: فى السابع والعشرين ، وهو قول ابن عباس ، لأن قوله هى

(١) العذل — بفتح الذال — اسم من العذل بمعنى الملامة . وقوله فعذل ، أى ليم ؛ لأنه قتله فى الشهر الحرام .

سبع وعشرون لفظة من السورة، وليلة القدر تسعة أحرف، وهي مذكورة ثلاث مرات، فتكون سبعة وعشرين لفظة . ومنهم من قال: هي في مجموع السنة لا يختص بها شهر رمضان ولا غيره ؛ روى ذلك عن ابن مسعود قال: من يقم الحول يصبها . ومنهم من قال: رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، إن كان فضلها لنزول القرآن. فالذين قالوا إنها في مجموع رمضان اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال: قال ابن رزين: هي الليلة الأولى. وقال الحسن البصري : هي السابعة عشرة، وعن أنس أنها التاسعة عشرة، وقال محمد بن إسحاق : هي الحادية والعشرون، وعن ابن عباس: السابعة والعشرون، وقال أبيّ: الثالثة والعشرون ، وقال ابن مسعود: الرابعة والعشرون ، وقال أبو ذر الغفاري: هي الخامسة والعشرون. ومن قال إنها لا تختص برمضان يلزمه أنه إذا قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلُق حتى يحول عليها الحول ، لأنها تكون قد مرّت بيقين ؛ لأن النكاح أمر متيقن لا يزول إلا بمثله، وكونها في رمضان أمر مظنون ، وفي هذا التفقه نظر لأن الأحاديث الصحيحة تثبت بخبر الآحاد ، وهو يوجب العمل . وقيل في تسميتها بليلة القدر وجوه : أحدها أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام . قال عطاء عن ابن عباس : إن الله تعالى قدر فيها ما يكون في تلك السنة من رزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة . وقيل القدر الضيق ؛ لأن الأرض تضيق على الملائكة فيها . وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف . وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم . وقيل غير ذلك . واعلم أن الله تعالى لا يحدث تقديره في هذه الليلة ؛ لأنه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض في الأزل ، ولكن المراد إظهار تلك المقادير . اهـ من شرح لامية العجم للصفدي .

أبو الحسين الجزار في الحث على الإنفاق :

إذا كان لي مالٌ علامَ أصونُه   وما سادَ في الدنيا مَنِ البخلُ دينُه

ومن كان يوما ذا يسار فإنه　　خليق لَعَمرى أن تجودَ يمينُهُ

الصفدى فيه:

لا تجمع الدينارَ واسمح به　　ولا تقل كن فى حِمى كفِّى
ما الدهر نحوىّ فينحو الهدى　　ويمنع الجمع من الصرف

ابن عبدون:

كأنّ عِداهُ فى الهيجا ذنوبٌ　　وصارمَهُ دعاءٌ مستجابُ

البحترى:

تسرّعَ حتى قال من شهِد الوغى　　لقاءُ أعادٍ أم لقــاء حبائب

لأبى تمام رحمه الله:

يستعذبون مناياهم كأنهمُ　　لا ييأسونَ من الدنيا إذا قتلوا

غيره:

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ　　منى وبيضُ الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها　　لمعت كبارق ثغرِك المتبسِّم

الخفاجى:

ولا يَنالُ كسوفُ الشمس طلعتَها　　وإنما هـو فيما يزعُم البصرُ

لابن قزل فى عمياء عشقها:

عُلِّقتُها عيناءَ مثلَ المهــــا　　فخان فيها الزمنُ الغادر
أذهبَ عينيها فإنسانُها　　فى ظلمة لا يهتـــدى حائر
تجرح قلبى وهى مكفوفةٌ　　وهكذا قد يفعلُ الباتر

ونَرجِسُ اللحظ بدا ذابِلا واحسرَتا لو أنه ناظر

* * *

من نظم الشيخ الجليل النبيل لطف الله رحمه الله :

أيا من بجمعِ العلوم اشتهرْ وساد الأنامَ ببَحْرٍ وبَرّ
أبِنْ لِي اسمَ مولى ولى موئلا إليه انتهى الدينُ بين البشرْ
وعنه النقولُ ورشدُ العقول وأخبارُ دين وجُلّ الأثرْ
حوى إسمه الجفرَ والأرضَ ثم ضياء وماء وعينَ البصرْ
وقِسمين من أربعٍ أعربت بمجموعها معرباتُ السورْ
وما قابل الشرع والأصل بل هما فى المسمى العظيم الخطرْ
وما بعد ضيق وعسر يجى وزلزلةٍ مقتضاها الضررْ
بلفظين كلٌّ وجزء له وكل مفيد لها فى النظرْ
وأحرف قد رُتّبت دون ما تأخر عنها فدعْه وذرْ
وجُلّ مراتب عدٍّ على التّـ رتب فيه على ما صدرْ
بلا فاصل أجنبي لها ووُسطى المراتب من ذى الدررْ
لعقدين من غير فصل على التّـ رتب جاءت كما قد بدرْ
وليس له مركز سيدى وصدراهُ سيّان أى فى القدر
وعَجزان أيضا سوى أن ذين أقلُّ وأكثرُ عند الفِكَرْ
وفيما التساوى به قد بدا تبدّى التفاوت أيضا وقرّ
وصدران قلبُهما واحد وأيضا كثيرٌ لمن يعتبرْ
وعجز أخيريهْ مستوحِدٌ بلا كثرةِ العدّ يامن خبَرْ
وإلّا فهذا له كثرتان يفوتان ذاك بكل السِّيَر

وذا القلبُ مع نفسه قد حوى لدى العَجز أيضا فزاد الأثرْ
وقد جمع الصدرَ والعجز جزء وجزآن أيضا بعين العبرْ
وليس لعجزيه قلبٌ وإن لثالثه القلبُ منــــــه بدرْ
ولى لثانيــــــــه قاب وقد حوى الأولان جهات البصرْ
وعجزان ثلثـان فيهـا مع التـ ناصف فانظر رقيبَ الحذرْ
وفى أوّليـــه وفى آخِرَيْه على ماهما مضمراتٌ أخرْ
فأسرع أيا صاحِ فى حَلّه فقد من بيانىَ جــدّ اظهرْ
فـذاك مُرادى مع سابقيه ومع لاحقيه إلى المنتظرْ
عليهم سـلام بلا مُنتهى يزيد على الرمـل ثم الوبرْ
بـكل زمانٍ وآنٍ به بكلِ لسان شـكا أو شكرْ
ولعنُ الإله بلا منتهى على مبغضيهم ببحر وبرّ

* * *

جوابه لجامع الـكتاب : هذا الاسم الشريف بعضه عـلم الفاعلية ، وبعضه علم المفعولية ، وطرفاه علم الإضافة ، ووسطاه بمعنى النزاشة والعفافة . بنيات صدره ضد الشمال ، ومرادف القسم فى كل حال . وربعه فعل ماض بمعنى الرجوع والإياب ، ونصفه أيضا ماض بمعنى الهزيمة والذهاب ، إذا نقصت من ثانية ثمن تاليـه صار حرفا موصوفا بالـكمال ، مخصوصا بين سائر الحروف بمزيد الإجلال . وإن أعجمت ثانيه صار خمسة أمثال الثانى ، وأوّل الأخيرة من السبع المثانى . حروفه عشرة فى العدد ، مع أنه أربعة من غير لدد . ومجموعها يساوى مفرد الاشجان ، وآخرها آخر الآخر ونصف أول التبيان . مبدؤه ثلاثى بالمعنيين ، ومنتهاه اسم فاعل لذى عينين . وإن شئت فقل : مبدؤه عدد صلوات القصر ، ومنتهاه آخر سورة العصر . وتالى صدره أول القافية

والعيش ، ومتلو عجزه آخر سورة قريش . وإن أحببت التوضيح ، وأبيت إلا التصريح فقل : أوله نصف عدد تام فى الحساب ، وثانيه أول عدد كامل نطق بكماله الكتاب وثالثه ضعف ميقات موسى ، ورابعه أوّل لقب عيسى . انتهى .

الأرّجانى :

ما جُبتُ آفاق البلاد مُطوّفا إلا وأنتم فى الورى متطلّبى
أسعى إليكم فى الحقيقة والذى تجدون منى فهو فعلُ الدهر بى
أنحوكم فيردّ وجهى القهقرى دهرى فسَيرى مثلُ سير الكوكب
فالقصدُ نحو المشرق الأقصى له والسيرُ رأىَ العين نحوَ المغرب

***

لبعضهم وقد أحسن فى قوله :

بأبى حبيباً زارنى متنكّرا فبدا الوشاةُ له فولّى معرضا
فكأنّنى وكأنّه وكأنّهم أملٌ ونيلٌ حال بينهما القضا

غيره :

تمنت سليمى أن نموت بحبها وأهونُ شئٍ عندنا ماتمنّتِ

قيل: أرسل رجلٌ سُنّى إلى رجل شيعىّ وقرا من الحنطة وكانت عتيقة، فردها عليه، ثم أرسل له عوضها جديدة لكن فيها تراب ، فكتب إليه بعد قبولها هذا الشعر :

بعثت لنا بَديل البُر بُرًّا رجاء للجزيل من الثواب
رفضناهُ عتيقا وارتضينا به إذ جاء وهو أبُو تُراب (١)

---

(١) لايخفى مافى هذين البيتين من التورية . وهذا لون من ألوان تشيع المؤلف لسيدنا على ، فقد رفض البر فى المرة الأولى لأنه عتيق — أى قديم — كراهة منه للفظ عتيق ؛ لأنه من ألقاب سيدنا أبى بكر ، وهو يكرهه .
وقبل البر فى المرة الثانية — ولو كان مخلوطا بالتراب — حبا فى سيدنا على ؛ لأنه يلقب بأبى تراب .

لبعضهم :

لا تُنكرنّ لأهل مكة قسوةً   والبيت فيهم والحطيمُ وزمزم

آذوا رسول الله وهو نبيُّهم   حتى حماه أهلُ طَيبة منهمُ

خاف الإله على الذى قد جاءه   سلباً فلا يأتيه إلا محرم

الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد:

الحمد لله كم أسمو بعزمىَ فى   نيل العُلا وقضاء الله ينكُسُه

كأننى البدرُ يبغى الشرقَ والفلكُ الْـ   ـأعلى يعارض مسراه فيعكسه

***

قال على عليه السلام : يومُ المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم :

وقال بعض السلاطين : إنى لأستحيي أن أظلم من لا يجد ناصرا إلا الله تعالى .

ومرّ بعض الصوفية برجل قد صلبه الحجاج ، فقال : يارب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين . فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت ، وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين ، فإذا مناد ينادى : حلمى على الظالمين قد أدخل المظلومين فى أعلى عليين . انتهى .

ولما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل ، استغاثت الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة واشتكوه إليها، فقالت لهم : متى يركب ؟ فقالوا فى غد : فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت : يا أحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه وأخذها منها وقرأها ، فإذا فيها مكتوب : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ،

وخُوِّلتم فمسفتم ، ودُرّت عليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة ، لاسيما من قلوب أجمتموها ، وأجساد أعريتموها ، اعملوا ماشئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا منكم متظلمون . وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون . فعدل من وقته وساعته .

قال إبراهيم الخواص : دواء للقلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلو البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

قال الشيخ النووى فى كتاب الأذكار : قد كان السلف لهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه : فكان جماعة منهم يختمون فى كل عشر ليال ختمة ، وآخرون فى كل ثلاث ليال ختمة ، وجماعة فى كل يوم وليلة ختمة ، وختم جماعة فى كل يوم وليلة ختمتين ، وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمانى ختمات : أربعا فى الليل وأربعا فى النهار . وروى أن محمداً كان يختم القرآن فى رمضان فيما بين المغرب والعشاء . وأما الذين ختموا القرآن فى ركعتين فلا يحصون لكثرتهم ، فمنهم عثمان بن عفان ، وتميم الدارى ، وسعيد بن جبير . انتهى .

اعترض الشيخ عبد القادر على بعض التعاريف ، المتداولة للمفعول به فى قولهم : خلق الله العالم ، فإنهم قالوا : إن العالم هاهنا وقع مفعولا به ، وليس كذلك ، فإن المفعول به ما كان أولا ووقع الفعل عليه ثانيا ، وما كان العالم قبل الخلق شيئاً ، وأجيب عنه فى بعض الكتب ، وإيراده لا يخلو عن تطويل . انتهى .

قال بعض الحكماء : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين : إما علة دينية كخوف معاد ، وإما سياسية كخوف السيف . أخذه أبو الطيب المتنبي فقال :

والظلم مِن شِيم النفوس فإن تجد ... ذا عفّة فلعلّة لا يظلم

مثل : فلان رجع رجوع المفلس إلى بقايا الدفاتر الموروثة .

أبو نواس :

عجبت من إبليس فى تِيهه ... وما الذى أضمر من نيّتهْ

تاه على آدمَ فى سجدة ... وصار قوّادا لذريتهْ

ابن نباتة :

صِلوا مُغرماً قد واصل السُقمُ جسمَه ... ومن أجلكم طيبَ الرقاد فقَدْ فقدْ

بأحشائه نارٌ يشب لهيبُها ... فمن لى بإطفاء اللّهيبِ وقدْ وقدْ

فى مليح على عذاره خال :

على لام العذار رأيت خالًا ... كنقطة عنبر بالمسك أفرطْ

فقلتُ لصاحبي هـذا عجيبٌ ... متى قالوا بأن اللام تُنقطْ

الصفدى :

ضممتُ خيالك لما أتى ... وقبّلته قُبلة المغرَم

وقمتُ ومن فرحتى باللقا ... حلاوةُ ذاك اللّمى فى فمى

كتب إلى نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى وزيرُه لما غضب عليه وطلبه مُطيفا :

ألقِنى فى لظى فإن غيّرتنى ... فتيقّن أن لستُ بالياقُوتِ

عرفَ النسجَ كلٌّ من حاكَ لكن ... ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ

فكتب يعقوب إليه :

نسجُ داود لم يُفد صاحبَ الغا ر وكان الفخارُ للعنكبوت
وبقاء السّمند فى لَهب النا ر مُزيل فضيلة الياقوت

لبعضهم فى مليح اسمه ياقوت :

ياقوتُ ياقوتَ قلب المستهام به من المروءة أن لا يمنع القوتُ
سكنتَ قلبى فلا تخشى تلهُّبه وكيفَ يخشى لهيبَ النار ياقوت

ذكر الأصمعى فى كتاب الحلى قال: تزوجتْ أعرابية غلاما من الحى، فمكثت معه أياما ووقع بينهما ، فخرج فى نادى الحى وهو يقول : يا واسعة ، يعيّرها بذلك ، فقالت بديهة :

إنى تبعّلتُ من بعد الحليل فتى مرزأً ما له عقلُ ولا باهُ
ما غرّنى فيه إلا حسنُ نقشته ومنطق لنساء الحىّ تيّاهُ
فقال لما خلابى أنتِ واسعةٌ وذاك من خجلٍ منّى تغشّاهُ
فقلتُ لما أعاد القولَ ثانية أنت الفِداء لمن قد كان يملاهُ

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ابنُ آدم أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذِرة : وقد نظمه الشاعر فقال :

عجبتُ من معجب بصورته وكان من قبلُ نطفةً مذرهْ
وفى غدٍ بعد حسن صورتِه يصيرُ فى الأرض جيفةً قذِرهْ
وهو على عُجبه ونخوته ما بين هذين يحملُ العذِرهْ

وقال آخر :

أرى أبناء آدم أبطرتهم حظوظُهمُ من الدنيا الدنيّهْ

فلِمْ بَطِروا وأولُهم مــنىّ   أو افتخروا وآخرهم منيّة

وقال آخر :

تتيهُ وجسمك من نطفة   وأنت وِعاء لما تعــلم

***

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليــه وســلم قال : « إن الله عزّ وجلّ يبعثُ لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنــةٍ من يجدد لها دينها » رواه أبو داود .

قال صاحب جامع الأصول : قد تــكلّم العلماء فى التأويل ، وكل واحــد أشار إلى المقام الذى هو مذهبه وحمل الحديث عليه، والأولى الحمل على العموم، فإن لفظة من تقع على الواحد والجمع ، ولا تختص أيضا بالفقهاء ، فإن انتفاع الأمراء بهم وإن كان كثيرا ، فإن انتفاعهم بأولى الأمر ، وأصحاب الحديث ، والقراء ، والوعاظ ، والزهاد أيضا كثير. وحفظ الدين، وقوانين السياسة، وبث العدل، وظيفةالأمراء. وكذا القراء، وأصحاب الحديث ينفعون لضبطالتنزيل والأحاديث التى هى أصول الشرع . والوعاظ والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد فى الدنيا ، لــكن ينبغى أن يكون مُشاراً به إلى كل فن من هذه الفنون :

ففى رأس المائة الأولى من أولى الأمر : عمر بن عبد العزيز . ومن الفقهاء محمد ابن على الباقر رضى الله عنه ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وسالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه، والحسن البصرى ، وابن سيرين، وغيرهم من طبقتهم. ومن القراء عبدالله بن كثير. ومن المحدثين ابن شهاب الزهرى وغيرهم من التابعين وتابع التابعين .

وفى رأس الثانية من أولى الأمر المأمون · ومن الفقهاء الشافعى ، وأحمد بن حنبل لم يكن مشهورا حينئذ . واللؤلؤىّ من أصحاب أبى حنيفة . وأشهب من أصحاب مالك ، ومن الإمامية على بن موسى الرضا عليهما السّلام . ومن القراء يعقوب الحضرمى · ومن المحدثين يحيى بن مَعين · ومن الزهاد معروف الكرخى .

وفى الثالثة من أولى الأمر المقتدر بالله . ومن الفقهاء أبو العباس بن سريج الشافعى ، وأبو جعفر الطحاوى الحنفى ، وابن جلال الحنبلى ، وأبو جعفر الرازى الإمامى · ومن المتكلمين أبو الحسن الأشعرى ومن القراء أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد . ومن المحدثين أبو عبد الرحمن النسائى .

وفى الرابعة من أولى الأمر القادر بالله . ومن الفقهاء أبو حامد الأسفراينى الشافعى ، وأبو بكر الخوارزمى الحنفى ، وأبو محمد عبد الوهاب المالكى ، وأبو عبد الله الحسينى الحنبلى ، والمرتضى الطرسوسى أخو الوضاح الشاعر . ومن المتكلمين القاضى أبو بكر الباقلانى ، وابن فورك . ومن المحدثين الحاكم ابن النسفى . ومن القراء أبو الحسن الحمامى · ومن الزهاد أبو بكر الدينورى ·

وفى الخامسة من أولى الأمر المستظهر بالله . ومن الفقهاء الإمام أبو حامد الغزالى الشافعى ، والقاضى محمد المروزى الحنفى ، وأبو الحسن الراغوى الحنبلى · ومن المحدثين رزين العبدرى . ومن القراء أبو الفداء القلانسى . هؤلاء كانوا من المشهورين فى الأمة المذكورة . وإنما المراد بالذكر ذكر من انقضت المائة وهو حى عالم مشهور مشار إليه بالبنان · والله تعالى أعلم · انتهى ·

* * *

من رسالة مجهولة : قال سيدنا وسندنا وشيخنا ومولانا ، صفى الحق والحقيقة والدين عبد الرحمن خلد الله تعالى ظلاله علينا وعلى سائر أهل الإيمان : ذكر الشيخ

برهان الدين الموصلي وهو رجل عالم صالح ورع رحمه الله تعالى قال: توجهنا من مصر إلى مكة المعظمة آمّين البيت الحرام نريد الحج ، فلما كنا في أثناء الطريق نزلنا منزلا ، وخرج علينا ثعبان فتبادر الناس لقتله ، وسبقهم إليه ابن عمي فقتله ، فاختطف ابن عمي ونحن ننظره ونرى سعيه ، ولا نرى الجني ، فتبادر الناس على الخيل والركاب يريدون رده فلم يقدروا على ذلك ، بل راح سعيا وهم ينظرون إليه ، فحصل لنا من ذلك أمر عظيم ، فلما كان آخر النهار فإذا به وعليه السكينة والوقار ، فتلقيناه وسألناه ما بالك ؟ فقال لنا : ماهو إلا أن قتلت هذا الثعبان الذى رأيتموه فصُنع بى كما رأيتم ، وإذا أنا بين قوم من الجن يقول بعضهم قتلتَ أبى ، وبعضهم يقول قتلت أخى ، وبعضهم يقول قتلت ابن عمى ، فتكاثروا علىّ ، وإذا برجل لصق بى وقال لى : قل أنا بالله وبالشريعة المحمدية . فأشار إلىّ وإليهم أن سيروا إلى الشرع ، فسرنا حتى وصلنا إلى شيخ كبير على مسطبة ، فلما صرنا بين يديه قال : خلوا سبيله وادعوا عليه . فقال الأولاد : ندعى عليه أنه قتل أبانا . قال : أحق مايقولونه؟ قلت حاش لله يامولاى ، إنما نحن وفد بيت الله الحرام ، نزلنا هذا المنزل ، فخرج علينا ثعبان فبادر الناس إلى قتله وأنا من جملتهم فضربته فقتلته . فلما أن سمع الشيخ مقالتى قال : خلوا سبيله ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة وهو يقول « من تزيّا بغير زيه فقتل فلا دية ولا قود » ردوه إلى مأمنه. قال فبادروا وأتوا بى من مكانهم إلى أن أوونى إلى الركب : فهذه قصتى والحمد لله رب العالمين . فتعجب الناسُ من ذلك غاية العجب والله أعلم . انتهى .

* * *

للشيخ الرئيس رسالة فى العشق ، وقال فيها : إن العشق سار فى المجردات ، والفلكيّات ، والعنصريات ، والمعدنيات ، والنباتات، والحيوانات، حتى إن أرباب

الرياضى قالوا : الأعداد المتحابّة ، واستدركوا ذلك على إقليدس ، وقالوا : فاته ذلك ولم يذكره ، وهى المائتان والعشرون ، عدد زائد ، أجزاؤه أكثر منه . وإذا جمعت كانت أربعة وثمانين ومائتين بغير زيادة ولا نقصان . والمائتان والأربعة والثمانون ، عدد ناقص ، أجزاؤه أقل منه ، وإن جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين ، فلكل من العددين المتحابّين أجزاء مثل الآخر ، فالمائتان والعشرون لها نصف ، وربع ،

١١٠ ٥٥ ٤٤ ٢٢ ١١ ٢٠ ١٠

وخمس ، وعشر ، ونصف عشر ، وجزء من أحد عشر ، وجزء من اثنين وعشرين ،

٥ ٤ ٢

وجزء من أربعة وأربعين ، وجزء من خمسة وخمسين ، وجزء من مائة وعشرة ،

١

وجزء من مائتين وعشرين ، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون .

١٤٢ ٧١ ٤

والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف ، وربع ، وجزء من أحد وسبعين ،

٢ ١

وجزء من مائة واثنين وأربعين ، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين ، فذلك مائتان وعشرون . فقد ظهر بهذا المثال تحابّ العددين .

وأصحاب العدد يزعمون أن لذلك خاصيّةً عجيبةً فى المحبة مجرّب . انتهى .

البحترى :

وإذا الزمانُ كساكَ حُلةَ مُعدمٍ فالبَس له حُلل النَّوى وتغرّب

أبو الطيب المتنبى :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أن يَكنَّ أمانيا

الرياضى قالوا : الأعداد المتحابّة ، واستدركوا ذلك على إقليدس ، وقالوا : فاته ذلك ولم يذكره ، وهى المائتان والعشرون، عدد زائد ، أجزاؤه أكثر منه. وإذا جُمعت كانت أربعة وثمانين ومائتين بغير زيادة ولا نقصان . والمائتان والأربعة والثمانون ، عدد ناقص ، أجزاؤه أقل منه ، وإن جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين ، فلكل

١١٠ ٥٥

من العددين المتحابّين أجزاء مثل الآخر ، فالمائتان والعشرون لها نصف ، وربع ،

٤٤ ٢٢ ١١ ٢٠ ١٠

وخمس ، وعشر ، ونصف عشر ، وجزء من أحد عشر، وجزء من اثنين وعشرين،

٥ ٤ ٢

وجزء من أربعة وأربعين ، وجزء من خمسة وخمسين ، وجزء من مائة وعشرة ،

١

وجزء من مائتين وعشرين ، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون .

١٤٢ ٧١ ٤

والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف ،وربع،وجزءمن أحدوسبعين،

٢ ١

وجزء من مائة واثنين وأربعين ، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين ، فذلك مائتان وعشرون . فقد ظهر بهذا المثال تحابّ العددين .

وأصحاب العدد يزعمون أن لذلك خاصيّةً عجيبةً فى المحبة مجرّب . انتهى .

البحترى :

وإذا الزمانُ كساك حُلة مُعدم فالبَس له حُلل النَّوى وتغرّب

أبو الطيب المتنبى :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أن يَكنَّ أمانيا

وللنفس أخلاقٌ تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

خُلِقتُ ألوفا لو رحلتُ إلى الصبا لفارقتُ شيبى موجَعَ القلب باكيا

فتى ما سرينا فى ظهور جدودنا إلى عصره إلا نُرجّى التلاقيا

ما فيه صنعة الاستخدام :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

قال الصفدى للقاضى زين الدين وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين ، فاستخدم هو أربعة ، وهو :

وربَّ غزالةٍ طلعتْ بقلبى وهو مَرعاهَا

نصبتُ لها شِباكا من نضار ثم صدناها

وقالتْ لى وقد صرنا إلى عين قصدناها

بذلتَ العين فاكحلها بطلعتها ومجراها

معنى الاستخدامات الأربعة : بذلت الذهب ، فاكحل عينك ، بطلوع عين الشمس ، ومجرى العين الجارية من الماء . انتهى .

قال الجنيد : العشق ألفة رحمانية ، وإلهام شوقىّ ، أوجبهما الله تعالى على كل ذى روح ليحصّل به اللذة العظمى التى لا يقدر على منالها إلا بتلك الألفة ، وهى موجودة فى النفس ، مقدرة مراتبها عند أربابها . فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ، ولذلك كان أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها ، مع كونها معاينة ، ومالوا إلى الآخرة مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة فقط . انتهى .

مجير الدين محمد بن تميم ، كتبهما على وردة وأرسلها لمعشوقه :

سِيقتْ إليك من الحدائق وردةٌ وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت ... فمها إليك كطالب تقبيلا

وله :

وسقيم الجفون أودعه اللـــه بذاك السّقام سرّا خفيّا
غلبت مقلتاه قلبىَ عشقا ... وضعيفان يغلبان قويا

***

[للأستاذ تقى الدين بن دقيق العيد :

كم ليلة فيك واصلنا السُّرى ... لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الأصحاب ماذا الذى ... يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل تعريسهم ساعة ... وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

قال الصفدى : انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه ، وما أحلاه ، وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلافِ الأصحاب ، وأنه قيل كذا وكذا ، وهو الصحيح ، كأنه إمام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسألة فيها خلاف بين الأصحاب ، قد رجح ما رآه ، وهو عنـــده من الدليل . رأيت أحسن من هذا بيتا وهو يصف أحوالهم فى السرى ، ومشاقّهم فى التعب ، وتشاورهم فيما بينهم ، وما أشار به كل منهم على إزالة ما نالهم من العناء ، وأدخل فيهم ذكر الممدوح ، ونص على تصحيحه ، فكأنه فى حلقة الدرس ، وقد شرع فى مسألة خلافية ؛ ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين :

[فلم تكُ تصلح إلّا له ... ولم يكُ يصلُح إلّا لها]

أبو الطيب المتنبي :

وكل امرئ يولى الجميـلَ محبّبٌ ... وكل مكانٍ ينبتُ العزّ طيّبُ

وله :

وأنتَ مع الله فى جانب قليلَ الرقاد كثيرَ التعب
كأنك وحــدك وحّدته ودان البريةُ بابن وأب

***

قال مسلم بن الوليد يمدح ابن مزيد الشيبانى :

تراهُ فى الأمن فى دِرع مضاعَفَةٍ لا يأمَن الدهرَ أن يُدعى على عجل
لا يعتق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسّح عينيه من الـكحَل

يقال إن هارون الرشيد لما سمع هذا البيت وفهم أنه لمن ، وفيمن ، طلب ابن مزيد فأُحضر وعليه ثيابٌ ملونة ممصرة، فلما نظره الرشيد فى تلك الحال قال: أكذبت شاعرك يا مزيد ، قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال فى قوله : تراه فى الأمن الخ ، فقال: لا والله ما أكذبته ، وإن الدرع علىّ ما فارقتنى ، وكشف ثيابه فإذا عليه درع ، فأمر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار إلى مزيد ، وخمسة آلاف دينار إلى مسلم . ويقال إنه لما سمع البيت قال : منعتَنى من الطيب ، وأمرهتَنى باقى عمرى ، فما رُئِى بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا . ويقال إنه كان أعطر الناس فى زمانه . وكان يقول : الله بينى وبين مسلم ، حرمنى أحب الأشياء إلىّ . انتهى .

***

بيان ما اشتمل عليه القرآن المجيد(١) :

الـكلمات	الحروف	الألفات	الباءات	التاءات	الثاءات
٧٦٤٤٠	٧٢٢٣٣٢	٤٠٧٩٢	١١٤٠	١٢٩٩	١٢٩١
الجيمات	الحاءات	الخاءات	الدالات	الذالات	الراءات
٣٢٩٣	١١٧٩	٢٤١٩	٤٣٩٨	٤٨٤٠	١٠٩٠٣
الزاءات	السينات				
٩٥٨٣	٤٥٩١				

(١) تحرر هذه الأعداد .

الشينات	الصادات	الضادات	الطاءات	الظاءات	العينات	الغينات
٢٥١٣٣	١٢٨٤	١٢٠٠	٨٤٠	٩٣٢٠	١٠٢٠	٧٤٩٩
الفاءات	القافات	الكافات	اللامات	الميمات	النونات	الواوات
٢٥٠٠	٥٢٤٠	٢٢٠٠٠	١٤٥٩١	٢٠٥٦٠	٢٠٣٦	١٣٧٠٠
الهاءات	الياءات . انتهى .					
٧٠٠	٥٠٢ .					

من محاسن التخلصات قول أبى الطيب المتنبى :

نودِّعُهم والبين فينا كأنه   قنا ابن أبى الهيجاء فى صدر فيلق

ولبعضهم :

وليلةٍ كحلت بالسهد مُقلتها   ألقت قناع الدجى فى كل أخدودِ
قد كاد تغرقُنى أمواجُ ظلمتها   لولا اقتباسى سناً من وجه داودِ

ولبعضهم :

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها   فتاة تُزجّيها عجوزٌ تقودها
فما برحت بغدادُ حتى تفجّرت   بأودية ما يستفيق مدودها
فلما قضت حقّ العراق وأهلِه   أتاها من الريح الشمال بُرُودها
فمرت تفوتُ الطرف سعيا كأنها   جنود عُبَيْد الله ولّت بنُودها

ولبعضهم :

لا يرجعُ الكلِفُ الذليل عن الهوى   أو يرجعَ الملكُ العزيزُ عن النّدى

ولبعضهم :

فالوَجدُ لى وحدىَ دون الورى   والملكُ لله وللظاهر

القاضى ناصح الدين الأرجانى فى كثرة أسفاره :

وأخو الليالى ما يزال مُرَاوحا   ما بين أدهم خيلها والأشهب
والأرضَ لى كُرة أواصل ضربها   وصوالجى أيدى المطـايا اللُّعَّب

فيه لغيره :

أَلِفَ النوَى حتى كأن رحيلَه   للبين رحلتُه إلى الأوطان

للأمير علاء الدين :

ردفُه زاد فى الثَّقالة حتى   أقعد الخصرَ والقوَام السويّا
نهضَ الخصرُ والقوامُ وقاما   وضعيفان يغلبان قويّا

جمال الدين محمد بن نباتة :

ومليحٍ قد أخجلَ الغصنَ والبد   ر قَواما رطبا ووجها جليّا
غلب الصبر فى لِقـا ناظريه   وضعيفانِ يغلبان قويّا

صفى الدين بن الحلى :

يا ضعيفَ الجفونُ أمرضتَ قلبا   كان قبل الهوى قويّا سويّا
لا تُحـاربْ بناظريك فؤادى   فضعيفـان يغلبـان قويّا

وما أحسن قول أبى الحسن الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن قضاقة :

وكم ليلةٍ قد بتّها مُعسِرا ولى   بزُخرف آمالى كنوزٌ من اليُسر
أقولُ لقلبي كلما اشتقتُ للغنى   إذا جاء نصرُ الله تبّت يدُ الفقرِ

أبو الطيب المتنبى فى بعض أسفاره :

أهُمُّ بشىء والليالى كأنّها   تطاردنى عن كونه وأطارِدُ
وحيدا من الخِلّان فى كل بلدة   إذا عظُم المطلوب قلّ المساعد

ونُسعدُنى فى غمرة بعد غمرةٍ سبُوحٌ لها منها عليهـا شواهدُ
خليلىّ إنى لا أرى غـير شاعرٍ فلى منهم الدعوى ومنى القصائدُ
فلا تَعجبَا إن السّيوف كثيرةٌ ولـكنّ سيف الدولة اليومَ واحدُ

من أبيات وقعت لأبى الطيب فيها ألفاظ مكررة ، منها قوله :

ولم أرَ مثلَ جيرانى ومثلى لمثلى عنـد مثلهم مقامُ

وقوله :

أُسْدٌ فرائسُهـا الأسودُ يقودها أُسْد تصير لها الأسودُ ثعـالبا

وقال الأصمعى لمن أنشد :

فما للنوى جَذ النوى قطّع النوى كذاك النّوى قطّاعة لوصـالى

لو تسلط على هذا البيت شاة لأكلته .

أبو نواس :

أقمنا بها يوما ويوما وثالثـا ويوماً له يوم الترحُّل خامسُ

قال ابن الأثير فى المثل السائر : مُرادهم من ذلك أنهم أقاموا أربعة أيام ، ويا عجبا له يأتى بمثل هذا البيت السخيف على المعنى الفاحش .

قال الصفدى : أبو نواس أجل قدرا من أن يأتى بمثل هذه العبارة لغير معنى طائل ، وهو له مقاصد يراعيها ، ومذاهب يسلكها فإن المفهوم منه أن المقام كان سبعة أيام ، لأنه قال وثالثا ، ويوما آخر له اليوم الذى رحلنا فيه ، خامس ، وابن الأثير لو أمعن النظر والفكر فى هذا ربما كان يظهر له . انتهى .

[أسماء الشهور عند العرب]

العرب كانت تسمى المحرمَ المؤتمر ، وصفر ناجرا ، وربيعـا الأول خوّانا ،

وربيما الثانى صوانا ، و جمادى الأول الحنين ، وجمادى الآخرة الرنى ، ورجب الأصم ، وشعبان العـاذل ، ورمضان فاتقا ، وشوالا واغلا ، وذا القعــدة هواعا ، وذا الحجة بركا .

لبعضهم:

وشادنٍ مُبتسم عن حَبب مورَّدِ الخـد مليح الشنبْ
يلومنى العــاذِلُ فى حُبّه وما درى شعبانُ أنى رجبْ

مجير الدين محمد بن تميم :

وكأنما النارُ التى قد أوقدت ما بيننا ولهيبُهـــا المتضرِّمُ
سوداء أُحْرِق قلبُها فلسانُهـا بسفاهة للحاضرين يـُكلِّمُ

وله :

كأنما نارُنا وقـــد خمَدت وجمرُها بالرماد مستورُ
دمٌ جرى من فَواختَ ذُبحت من فوقها ريشُهن منثور

وله :

كأنمـا النار فى تلهبها والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبّـكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

وله :

أزهرَ اللّوز أنت لِـكل زهرٍ من الأزهار يأتينـا إمامُ
لقـد حسنت بك الأيام حتى كأنك فى فَمِ الدنيا ابتسام

شرف الدين محمد بن موسى القدسى :

اليومُ يومُ سرور لاشرور به فزوِّج ابنَ سحاب بابنة العنب

ما أنصف الكأس من أيدى القطوب لها . وثغرُها باسم عن لؤلؤ الحبب

شرف الدين بن الوكيل :

وأن أقطب وجهى حين تبسم لى . فعند بسط الموالى يحفظ الأدب

وما أحسن قول من قال : ما أنصفتها، تضحك فى وجهك وتعبس فى وجهها.

حكى أنه ذكر الرشيد قول أبى نواس :

فاسقنى البكْر التى اعتجرتْ . بخمار الشَّيب فى الرّحم

فقال لمن حضره : ما معناه ؟ فقال أحدهم : إن الخمرة إذا كانت فى دنها كان عليها شىء مثل الزبد، وهو الذى أراده، وكان الأصمعى حاضراً، فقال ياأمير المؤمنين: إن أبا على رجل خطر ، وإن معانيه لخفية ، فاسألوه عن ذلك ، فأُحضر وسئل ، فقال: إن الكرْم أول مايخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شىء شبيه بالقطن، فقال الأصمعى : ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظرا مما ظننتمْ . انتهى .

مسألة : قوله تعالى « كيف نُكلم مَنْ كان فى المهد صبيًا » قال ابن الأنبارى فى أسرار العربية : كان هنا تامة ، وصبيا منصوب على الحال ، ولا يجوز أن تكون ناقصة ؛ لأنه لا اختصاص لعيسى عليه السلام بذلك لأن كلًّا كان فى المهد صبيا ، ولا عجب فى تكليم من كان فيما مضى فى حال الصبا . انتهى .

وقال أبو البقاء : كان زائدة ، أى من هو فى المهد ، وصبيا حال من الضمير فى الجار والمجرور ، والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بـكان . وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير ، فعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير هو ، بل يكون الظرف صلة . وقيل ليست زائدة بل هى كقوله : « وكان الله غفورا رحيما » . وقيل بمعنى صار . وقيل هى تامة . انتهى .

***

يقال أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبهم قالوا لأمّهم بولى على النـــار
فضيّقت فرجَها بُخلًا ببولتهـــا فلا تبولُ لهم إلّا بمقـــدار

قال الصفدى : اشتمل قوله قوم إلى آخره على معايب :

أولها : أنهم لم يعطوا الضيف شيئاً حتى يرضى بنباح كلبهم فيستنبح .

وثانيها : أن لهم نارا قليلة لفقرهم تطفأ ببول امرأة .

وثالثها : أن أمهم التى تخدمهم فليس لهم خادم غيرها .

ورابعها : أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمّهم .

وخامسها : أنهم عاقّون لأمهم حيث يمتهنونها فى الخدمة .

وسادسها : عدم أدبهم لأنهم يخاطبون أمّهم هذه المخاطبة التى تستحيي الكرامُ من الالتفات بها .

وسابعها : أنهم يبولون عند مواقدهم ، لأنهم قالوا لهـا بولى على النار ، ولم يقولوا لها قومى إلى النار .

وثامنها : أنهم جبناء لا يرقدون لأنهم مستيقظون يسمعون الحس الخفى من البعد .

وتاسعها : قذارتهم لأنهم لايتألمون بما يصعد من رائحة البول إذا وقع على النار .

وعاشرها : إلزام والدتهم أن لا تبول لهم إلا بمقدار ، وتدخر ذلك لوقت الحاجة إليه ، وإلا فما كل وقت يطلب الإنسان البول يجده ، فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول .

وحادى عشرها : إفراطهم فى البخل إلى غاية يشفقون معها على المـاء أن تنطفئ به النار .

وثانى عشرها : تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لأنهم يعبدونها ، وأولئك يبولون عليها فتأكد الحقد . انتهى .

حكى أن بعض الأطباء كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة ، ولم يكن معه وقت النصرة كاتب يراسل ، فتقدم للطبيب أن يكتب إلى الوزير يعلمه بذلك ، فكتب إليه : أما بعد فإنا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان، حتى لو رميت بصاقة لما وقعت إلا على قيفال ، فلم تكن إلا كنبضة أو نبضتين ، حتى لحق العدوّ بحرانٌ عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج .

وقريب من هـذا قول من كان رياضيا حين احتضر : اللهم يا من يعلم قُطر الدائرة ، ونهاية العدد والجذر الأصم اقبضنى إليك على زاوية قائمة ، واحشرنى على خط مستقيم .

للشيخ فتح الدين ابن سيد الناس الحافظ فى جماعة كانوا شبيهين بالنبى صلى الله عليه وسلم :

خَمسةٌ تُشبه المختارَ من مضرٍ ... يا حسنَ ماخُوِّلوا من شبهه الحسنِ
كجعفرٍ وابن عم المصطفى قُثمٍ ... وسائبٍ وأبى سفيانَ والحسن

[ومن جملة التطيرات ما جرى لجرير عند عبد الملك لما أنشد قوله :

* أتصحو أم فؤادك غير صاحٍ *

فتشاءم عبدالملك وقال: يابن الفاعلة ، بل فؤادك . وكذلك لما أنشده ذو الرمّة:

* ما بال عينك منها المـاء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك مرض لاتزال تدمع منه ، فقال له : وما سؤالك عن هذا

يا جاهل . ! وأمر بإخراجه . وكذلك ماوقع لأبي نواس لما هنأ جعفر بن يحيى بانتقاله إلى قصر جديد بناه بقصيدة ختمها بقوله :

سلام على الدنيا إذا مافقدتمو بنى برمك من رائحين وغاد

فتطير يحيي وقال : نعيت لنا أنفسنا . وبعد أيام أوقع بهم الرشيد . وقد قيل إن أبا نواس قصد التشاؤم لهم][1] .

ابن القيرواني وأجاد :

وأسرى بناس يمموا كعبة الندى فهم سُجَّدٌ فوق المذاكى وركَّعُ
على كل نشوان العنان كأنما جرى فى وريديه الرحيقُ المشعشعُ
شكائمها معقودةٌ بسياطها تخالُ بأيديهم أراقمَ تلسعُ

الأرّجانى :

كنا جميعا والدار تجمعُنا مثلَ حروف الجميع ملتصقه
واليوم جاء الوداعُ يجعلُنا مثلَ حروفَ الوداع مفترقه

ابن إسرائيل :

وأسمرَ عسجدىِّ اللون تحكى معاطفُ قدِّه السُّمْرَ العوالى
يُدير على الشقيق عِذارَ آسٍ ويبسم بالعقيق عن اللآلى

* * *

لمرة بن محكان يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف :

ياربَّة البيت قومى غيرَ صاغرةٍ ضُمِّى إليكَ رحال القوم والسلبا
فى ليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ لايُبصر الكلبُ فى ظلمائها الطُّنُبا
لا ينبحُ الكلبُ فيها غير واحدة حتى يلُفَّ على خيشومه الذَّنبا

(١) الزيادة من المخطوطة .

أراد بقوله : أندية جمع ندى وهو شاذ؛ إذ القياسُ فى جمع المقصور أن يكون على أفعال ، مثل حَشى وأحشاء ، وقفا وأقفاء . وفى الممدود أن يكون على أفعلة ، مثل عطاء وأعطية ، وهواء وأهوية ، لما فى الجوّ ، ورِشاء وأرشية ، فثبت أن ندى جمعه أنداء ، فقال أندية جمع ناد، وهو المجلس يعنى أنهم كانوا يجلسون فى الأندية يصطلون وليس بشىء .

قال الصفدى : ذكرت بالأبيات هنا ما حكاه الشيخ محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس العمرى قال : اجتمع تاج الدين بن الأثير وفخر الدين بن لقمان عند بعضهم ، وله مملوك يدعى طنبا ، فجعل تاج الدين يدعوه باسمه وطنب يجيبه وهو لا يراه ، وتكرّر نداؤه ، ويقول أين أنت يا طنب فإنى لا أراك ، فقال فخر الدين :

فى ليلةٍ من جُمادى ذات أنديةٍ لا يبصرُ الكلبُ فى ظلمائها طُنُبا

[لغات لعل]

لعل كلمة ترجّ ، وفيها لغات : لعلّ ، وعلّ ، ولعنّ بالنون ؛ وعنّ ، ولَأنّ بفتح اللام ، وأنّ ، ورعن ، ورغن ، بالغين المعجمة ، ولغن باللام والغين المعجمة ، ولعلت بزيادة التاء فى آخر لعل .

قال الصفدى : ولعل تكون حرف جر فى لغة بنى عقيل ، كما تكون متى حرف جر فى لغة بنى هذيل .

لأبى نواس :

فتمشّت فى مفاصلهم كتمشّى البرء فى السَّقِم

حكى الأصمعى : قال حضرتُ مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد ، إذ دخل أبو نواس ، فقال له : ما أحدثت بعدنا ياأبا نواس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر ، قال : قاتلك الله ولو فى الخمر ، فأنشده :

ياشقيق النفس من حكم　　　نمت عن ليلى . ولم أنم

حتى أتى على آخرها ، فقال أحسنت . ياغلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، وعشر خلع، فأخذها وخرج ، فلما خرجنا من عنده ، قال لى مسلم بن الوليد : ألم تر يا أبا سعيد إلى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالاً وخلعا ، قلت وأىّ معنى سرق ؟ قال قوله: فتمشت فى مفاصلهم إلى آخره ، فقلت وأى شىء قلت ؟ فقال قلت :

غرّاء فى فرعها ليــــل على قمر　　　على قضيب على دعص القنا الدهِس
أذكى من المسك أنفاساً وبهجتهـا　　　أرقُّ ديبـــاجةً من رقة النفس
كأن قلبى وشاحاها إذا خطرَت　　　وقلبها قُلبُها فى الصمت والخرس
تجرى محبتُهـا فى قلب وامقهـا　　　جرى السلامة فى أعضاء منتكِس

فقلت : ممن سرقت هذا المعنى ؟ فقال : لا أعلم أنى سرقته من أحد ، فقلت : بلى من عمر بن أبى ربيعة حيث يقول :

أما والراقصاتِ بذات عرق　　　وربِّ البيت والركن العتيق
وزمزمَ والطوافِ ومشعرَيْها　　　ومُشتــاقٍ يحنّ إلى مشوق
لقد دبّ الهوى لكِ فى فؤادى　　　دبيبَ دم الحياة إلى العروق

فقـال : ممن سرقه عمر بن أبى ربيعة ؟ قلت من بعض العـذريين حيث يقول :

وأشربَ قلبي حبَّها ومشى بهـــا ... كمشي حُميّا الكاس في عقل شاربِ
ودبَّ هواها في عظامي وحُبُّهـــا ... كما دبّ في الملسوع سمُّ العقـــاربِ

فقال لى : فمن أخذ هذا البدوى ؟ قلت : من أسقف نجران حيث يقول:

منع البقـاء تقلُّبُ الشّمس ... وطلوعُها من حيث لا تُمسى
وطلوعُهـــا حمراء صافيةً ... وغروبُها صفراء كالورس
تَجرى على كبِـد السماء كما ... يَجرى حِمامُ الموت فى النفْس

انتهى ما حكى الأصمعى .

قال الصفدى : وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض الهُذليين يصف قانصا يَختِـلُ صيدا بسرعة حيث يقول :

فتمشّى لا يحس به ... كتمشّى النار فى الفَحْم

أقول : وقال أبو الطيب قريبا من هذه المعانى :

وجرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى ... فأصبح لى عن كل شغل بها شُغلُ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال :

فبت أسقّاها سُـــلافَ مُدامة ... لها فى عظام الشاربين دبيبُ

ولمسلم بن الوليد :

موفٍ على مُهجٍ فى يوم ذى رَهج ... كأنه أجـــــلٌ يسعى إلى أمل

غيره :

كنتُ مثل النسيم عند دبيبى ... سحراً فوق تل ردفِ حبيبى
فإذا فتحتُ زهرةَ ورد ... بقضيب عند الهبوب رطيبِ

الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضىء فلا تكدره بآثامك .

مسألة : قوله تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أبحر ما نفِدَت كلماتُ الله » .

[قاعدة لو]

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى رحمه الله : قاعدة لو : أنها إذا دخلت على ثبوتين كانا نفيين، أوعلى نفيين كانا ثبوتين ، أو نفى وثبوت فالنفى ثبوت والثبوت نفى ، وبالعكس ، وإذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلماتُ الله قد نفدت ، وليس كذلك . ونظير هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » يقتضى أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح ، وذكر الفضلاء فى الحديث وجوها ، أما الآية فلم أر لأحد فيها كلاما، ويمكن تخريجها على ماقالوه فى الحديث ، غير أنى ظهر لى جواب عن الحديث والآية جميعا سأذكره . قال ابن عصفور : لو فى الحديث بمعنى إن لمطلق الشرط ، وإن لا تكون كذلك . وقال شمس الدين الخسروشاهى : لو فى أصل اللغة لمطلق الربط ، وإنما اشتهرت فى العرف بما ذكر . والحديث ، إنما ورد بالمعنى اللغوى لها . وقال الشيخ عزالدين ابن عبدالسلام : الشىء الواحد قد يكون له سببان ، فلا يلزم من عدم أحدهما عدمه ، وكذا هاهنا الناس فى الغالب إنما لم يعصوا لأجل الخوف ، فإذا ذهب الخوف عصوا فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيبا اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية الخوف والإجلال. وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه . والذى ظهر لى : أن لو أصلها تستعمل للربط بين شيئين كما تقدم، ثم إنها أيضا تستعمل لقطع الربط ، تقول : لو لم يكن زيد عالما لأكرم : أى لشجاعته ، جوابا لسؤال سائل يقول : إنه إذا لم يكن عالما لم يكرم ، فربط بين عدم العلم وعدم الإكرام، فتقطع أنت ذلك

الربط ، وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم وعدم الإكرام ؛ لأن ذلك ليس بمناسب ، وكذلك الحديث ، وكذلك الآية لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عدم عصيانهم بخوف الله ، فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الربط وقال : لو لم يخف الله لم يعصه . ولما كان الغالب على الأوهام أن الأشجار كلها إذا صارت أقلاما والبحر مدادا مع غيره يكتب به الجميع ، فيقول الوهم ما يكتب بهذا شيء إلا نفد ، فقطع الله تعالى هذا الربط وقال ما نفدت . انتهى كلامه .

الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز ، بمعنى يتعلق بها وبمعنى يتعلق بغيرها : الأوّل وهو حقيقة ، فإنها من أوّل وجود الإنسان إلى أيام إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم تسمى الدنيا شابة ، وفيما بعد ذلك إلى زمان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ، ومن بعد ذلك إلى يوم القيامة تسمى عجوزا . والمعنى الثاني ـ وهو مجاز ـ أنها بالنسبة إلى أوّل كل ملة تسمى شابة ، وإلى آخرها تسمى عجوزا ، بل بالنسبة إلى أول كل دولة وآخرها ، بل بالنسبة إلى كل شخص ، وعلى هذا يحمل قول المعرى فى رسالة له يخاطب الدنيا فيها « سؤتِنى غانيةً فكيف بكِ عجوزاً فانية » . انتهى.

قال على بن بسام البغدادى : كنت أتعشق غلاما لخالى ابن حمدون ، فنمت ليلة عنده وقمت لأدبّ عليه ، فلسعتنى عقرب ، فقلت آه ، فانتبه خالى وقال : ماأتى بك إلى ها هنا ؟ فقلت : قمتُ لأبول ، فقال صدقت، ولكن فى است غلامى ، فحضرنى إذ ذاك هذه الأبيات فقلت :

ولقدْ سعيتُ مع الظلام لموعد   حصلتـــه من غادر كذّاب

فإذا على ظهر الطريق ممـــدةٌ   سوداءُ قد علمت أوانَ ذهابى

لا باركَ الرّحمنُ فيهـــا عقرباً   دبّابةً دبّت إلى دبّابِ

آخر :

ولقد هممتُ بقتل نفسى بعـــده   أسفا عليه فخفت أن لا نلتقى

قال أبو سعيد الرستمى :

أفى الحقّ أن يُعطى ثلاثون شاعراً   ويُحرمَ مادون الرضا شاعرٌ مثلى

كما سامَحوا عمراً بواو مزيدة   وضيـــق بسم الله فى ألِف الوصل

ابن قلاقس الإسكندرى :

قرنتِ بواو الصُّدغ صاد المقبّـــل   وأبديتِ لاماً فى عذار مُسلسل

فإن لم يكن وصلٌ لديكِ لعاشق   فمـــاذا الذى أبديتِ للمتأمِّل

لبعضهم :

غير المقول عيوبه كالواو من   عمرو يرى واللفظ منه قصيرُ

كالنون من زيد يُقال مديحُه   باللفظ لكن لا يراهُ بصيرُ

قال التهامى :

لغو كحرفٍ زِيد لامعـــنى له   أو واو عمرو فقدُها كوجودها

قال صلاح الدين الصفدى بعد إيراد هذه الأشعار — : وكان الجاحظ يزعم أن عمراً أرشق الأسماء وأخفها وأطرفها وأسلسها . وكان يسميه الاسم المظلوم ، ويعنى بذلك إلزاقهم به الواو التى ليست من جنسه ، ولا فيه دليل عليها، ولا إشارة إليها .

قال جامعه : لو توجه كلام الجاحظ فى تسميتها الاسم المذكور بما سماه ، بأنه يقع فى أكثر الأمثلة المتداولة لا سيما فى العلوم الأدبية مضروبا أو مقتولا ، كما لا يحجب على من له أدنى اطلاع لكان أظهر .

ومن أمثال العرب قولهم: وقع رمضان فى الواوات ، يريدون أنه جاوز العشرين فلا يذكر إلا بواو العطف ، ويشهد لذلك قول محمد بن على بن منصور بن بسام :

قد قرّب الله بعد الجوع لى شبعا ... كأننى بهلال العيد قد طلعا
فخذ لِلَهْوِكَ فى شوال أهبته ... فإنّ شهرك فى الواوات قد وقعا

وكذا قولهم : وقع الشهر فى الأنين ، مرادهم أنهم يقولون فيه أحد وعشرين وثانى وعشرين ، فيكون الأنين فيه . وفى أمثال العوامّ : إذا وقع رمضان فى الأنين خرج شوّال من الكمين . انتهى .

أبو الطيب المتنبى :

الرأى قبل شجاعةِ الشجعان ... هو أوّلٌ وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرةٍ ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

[ما قيل فى جمع اليد]

قال الصفدى : الأيدى : جمع اليد التى هى الجارحة ، والأيادى : جمع اليد وهى النعمة . هذا هو الصحيح . وقد أخرجهما عوامّ العلماء باللغة عن أصل وضعهما ، فاستعملوا الأيادى فى جمع اليد الجارحة ، ونرى أكثر الناس يكتب إلى صاحبه : المملوك يقبل الأيادى الكريمة ، وهى لحن ، وإنما الصواب الأيدى الكريمة انتهى .

قيل لبعض الأعراب ـ وقد أسن ـ : كيف أنت اليوم ؟ فقال : ذهب منى الأطيبان : الأكل والنكاح ، وبقى الأرطبان : السعال والضراط .

قال الصفدى : ورأيت غير مرة بدمشق سنة ٧٣١ شخصا يعرف بالنظام العجمى ،

وهو يلعب الشطرنج غائبا فى مجلس الصاحب شمس الدين ، وأوّل ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الأطباء فغلبه مستدبرا ، ولم يشعر به حتى ضرب شاه مات بالفيل . وحكى لى عنه أنه يلعب غائبا على رقعتين ، وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا ويغلب فى الثلاث . وكان الصاحب يدعه فى وسط الدست ويقول له : عُدّ لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعا كأنه يراها .

[واضع الشطرنج]

الناس كثير منهم يغلط فى الصولى ، وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن صول تكين الكاتب ، ويزعم أنه واضع الشطرنج لما ضرب المثل به فيه . والصحيح أن واضعه صصه بن داهر الهندى .

[ما قيل فى النرد]

قال الصفدى : إن أردشير بن بابك أوّل ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ، ولذلك قيل له نردشير ، وجعله مثلا للدنيا وأهلها ، فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة ، والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر . والفصوص مثل الأفلاك . ورميها مثل تقلبها ودورانها . والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة : الشش ويقابله اليك . والبنج ويقابله الدو . والجهار ويقابله السه . وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه . وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش ، لكنه إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى وكيف يتحيل على الغلبة وقهر خصمه مع الوقوف عندما حكمت به الفصوص . وهذا هو مذهب الأشاعرة . انتهى .

لجميل :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما ... تمثَّلُ لى ليلى بكل سبيل

[أقسام الواوات]

قد جمع السراج الوراق أقسام الواوات وأحسن :

مالى أرى عُمَرا أنّى استجرت به ... قد صار عمْرا بواو فيه وانصرفا
ونام عن حاجة نبهتُــه غلطا ... لها فألفيت منــه السّهد وَالأسفا
والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به ... فما أزيدك تعريفا بما عُرفا
وتلك واوٌ ولا والله ما عطفت ... ولو أتتْ واو عطف ما أتتْ طرَفا
ولو غــدت واوَ حال لم تسر ولو ... أتى بها قسَما ما برّ إن حلفا
أو واوَ رُبّ لما جرّت سوى أسف ... وكثّرته خلافا للذى ألفا
أو واوَ مع لم أجد خيرا أتى معها ... أو واو جمع غــدًا من فُرقة تلفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غــدا ... يكوى بنار وهذا فى السّلوِّ كفى
والله يطمسُها واوا ذكرتُ بها ... دالا بوسطى وكانت قبل ذا ألفا

***

لمحمد بن إبراهيم الساعدى الأنصارى بيت واحد ضبط عدد بيوت الشطرنج :

إن رمت تضعيف شطرنج بجملته ... هاواهــــه طعجز مد ذو درجا

لبعضهم :

تصبّر للعواقب واحتسبها ... فأنتَ من الحوادث فى اثنتين
تريحُك بالمنى أو بالمنايا ... فإن الموت إحدى الراحتين

لأبي عثمان سعيد بن الحميد :

لا مُتّ قبلكِ بل أحيا وأنت معا ... ولا أعيشُ إلى يوم تموتينا
لكن نعيش لما نهوى ونأمله ... ويُرغِم الله فينا أنفَ واشينا
حتى إذا قدّر الرحمنُ ميتتنا ... وحال من أمرنا ماليس يُغنينا
متنا جميعا كغُصنَى بانة ذبلا ... من بعد مانضرا ، واستقيا حينا
فى مثل طرفة عين لاأذوق شجًى ... من الممات ولا أيضا تذوقينا

لابن التلعفرى :

ياشيب كيفَ وماانقضى زمنُ الصبا ... عاجلت منى اللّمة السوداء
لاتعجلنّ فو الذى جعل الدّجا ... من ليلِ طرفىّ البهيم ضياء
لوأنها يومَ المعاد صحيفتى ... ماسر قلبى كونُها بيضاء

شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة :

إن تدعنى خاليا من لوعتى فلقد ... أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
عاتبتُ إنسان عينى فى تسرعه ... فقال لى خُلِق الإنسانُ من عَجَل

(حكى) : أن كُثيِّرا أتى الفرزدق ، فقال له الفرزدق: ياأبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثلُ لى ليلى بكل سبيل

فقال كُثير : وأنت أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناسَ إن سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقفوا

والبيتان لجميل ، فكأن كثيرا سرق الأول ، والفرزدق سرق الثانى .

النور الأسعردى :

أعْيِيتَ إذ لَاعَبْتَ بالشطرنج مَنْ ... أهــوى فأبدى خدُّه التوريدا
وغدا لفرط الفـكر يضرب أرضَه ... بقطــاعه لمــا انثنى مجهودا
وطفقت أنشده هنــاك معرضا ... وجوانحى فيـه تذوبُ صدودا
رفقا بهنّ فمـــا خُلقن حَديدا ... أو ما تراها أعظُما وجُــلودَا

ابن قلاقس :

لا أقتضيكَ لتقــديم وعدتَ به ... من عادة الغيث أن يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غــيرُ نائمة ... وإنمــا أنا أخشى حرفة الأدب

شهاب الدين التلمفرى :

وإذا الثنيةُ أشرقت وشممت من ... أرجائهـــا أرجا كنشر عبيرِ
سل هضبها المنصوبَ أين حديثهُ الـــمرفوعُ عن ذَيْـل الصِّبا المجرورِ

ابن ميادة :

أمانىَّ من ليـلى حسانا كأنمـا ... سقتنى بهــا ليلى على ظمأ بَرْدا
مُنًى إن تـكن حقّا تـكن أحسنَ المنى ... وإلّا فقد عشنا بهـا زمنا رغـدا

لأبى دلف :

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعادى ... واختيال على مُتون الجيادِ
ورسولٌ يأتى بوعد حبيب ... وحبيبٌ يأتى بلا ميعـاد

* * *

قيل لبعض العشاق : ما تتمنى . فقال : أعينَ الرقباء ، وألسن الوشاة ، وأكباد الحساد .

قال محمد بن شرف القيروانى فى مدح الشطرنج : حرب سجال ، وخيل عجال ، وفُرسان ورجال ، قريبة الآجال ، مربعة عود المجال ، تستغرق الفكر ، وتستلب الالباب استلاب السكر ، وتترك الإنسان وماأراد ، أساء أو أجاد ، إلا أنها تدنى مجالس الصعلوك من أشرف الملوك ، حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعة ، إلا قدر الرقعة ، فربما التقت بنانُهما فى بيت الرقعة ، ولسانهما فى بيت القطعة ، لعب أصولى ، وغريب صولى . فخر الجاجى ، ولعب الجاجى . مظفر الفئة ، يراها عن مائة . بيوته حصينة ، وشياهه مصونة . دوابّه مجتمعة ، وسباعه مختبعه . جيّدالنظر ، شديد الحذر ، لا يبقى ولا يذر . عينه تغلى ، وفكرته تملى ، ويده تبلى . انتهى .

قوله : تبلى من بلوت بمعنى استخبرت لكن هذا من باب الإفعال بمعنى تختبر .

قال بعض المحققين : النفوس جواهر روحانيـــــة ، ليست بجسم ولا جسمانية ، ولا داخلة البدن ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ولا منفصلة عنه . لها تعلق بالأجساد يشبه علاقة العاشق بالمعشوق . وهـذا القول ذهب إليه أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه ، ونقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال : الروح فى الجسد كالمعنى فى اللفظ . قال الصفدى : وما رأيت مثالا أحسن من هذا .

سئل بعض المتكلمين عن الروح والنفس ، فقال : الروح هو الريح . والنفْس هو النفَسُ . فقال له السائل : فحينئذ إذا تنفس الإنسان خرجت نفْسه ، وإذا ضرط خرجت روحه ، فانقلب المجلس ضحكا .

النثر للدواب كالعطاس لنا ، وأنثر فلان : أخرج ما فى أنفه .

يقال : فضائل الهند ثلاثة : كليلة ودمنة ، ولعب الشطرنج ، والتسعة أحرف التى تجمع أنواع الحساب .

حكى أن الرشيد : سأل جعفرا عن جواريه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت

فى الليلة الماضية مضطجعا وعندى جاريتان ، وهما يكبسانى ، فتناومت عليهما لأنظر صنيعهما ، وإحداهما مكية ، والأخرى مدنية ، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشىء فلعبت به فانتصب قائما ، فوثبت المكية فقعدت عليه ، فقالت المدنية : أنا أحق به لأنى حُدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » . فقالت المكية : أنا أحق به ، لأنى حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الصيد لمن أثاره ، إنما الصيد لمن قنصه » فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره وقال : أتسلو عنهما؟ فقال جعفر : هما ومولاهما بحكمك ياأمير المؤمنين ، وحملهما إليه .

قيل لبعض الأعراب : ما أمتع لذات الدنيا ؟ فقال : ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب .

أنشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجىء لفظة « أو » للإضراب قولَ جرير :

ماذا ترى فى عِيال قد برمتُ بهم ... لم أحصِ عدتهم إلا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيةً ... لولا رجاؤك قد قتّلت أولادى

ومن هذا القبيل قوله تعالى : « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » .

لابن أبى الصقر الواسطى :

كل رزق ترجوه من مخلوق ... يعتريه ضَربٌ من التعويق
وأنا قائل وأستغفر الله ... مقالَ المجاز لا التحقيق
لستُ أرضى من فعل إبليس شيئا ... غير ترك السجود للمخلوق

يقال : إن بعض السؤّال اجتاز بقوم يأكلون ، فقال : السلام عليكم يابخلاء ، فقالوا له : أتقول إنا بخلاء ! قال : كذّبونى بكِسرة .

***

فى الليلة الماضية مضطجعا وعندى جاريتان ، وهما يكبسانى ، فتناومت عليهما لأنظر صنيعهما ، وإحداهما مكية ، والأخرى مدنية ، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشىء فلعبت به فانتصب قائما ، فوثبت المكية فقعدت عليه ، فقالت المدنية : أنا أحق به لأنى حُدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » . فقالت المكية : أنا أحق به ، لأنى حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس الصيد لمن أثاره، إنما الصيد لمن قنصه » فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره وقال : أتسلو عنهما؟ فقال جعفر : هما ومولاهما بحكمك ياأمير المؤمنين ، وحملهما إليه .

قيل لبعض الأعراب: ماأمتع لذات الدنيا ؟ فقال: ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب.

أنشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجىء لفظة « أو » للإضراب قولَ جرير :

ماذا ترى فى عِيال قد برمتُ بهم لم أحصِ عدتهم إلا بعدّاد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيةً لولا رجاؤك قد قتّلت أولادى

ومن هذا القبيل قوله تعالى : « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » .

لابن أبى الصقر الواسطى :

كل رزق ترجوه من مخلوق يعتريه ضَربٌ من التعويق
وأنا قائل وأستغفر اللـه مقالَ المجاز لا التحقيق
لستُ أرضى من فعل إبليس شيئا غير ترك السجود للمخلوق

يقال : إن بعض السؤّال اجتاز بقوم يأكلون ، فقال : السلام عليكم يابخلاء، فقالوا له : أتقول إنا بخلاء ! قال : كذّبونى بكسرة .

***

[الفرق بين الرؤيا والرؤية]

قد فرق أهل العربية بين الرؤيا والرؤية ، فقالوا : الرؤيا مصدر رأى الحلم والرؤية مصدر رأت العين . وغلطوا أبا الطيب فى قوله :

مضى الليلُ والفضلُ الذى لك لا يمضى ورؤياك أحلى فى العُيون من الغمض

ابن المعتز :

ألستُ أرى النجم الذى هو طالعٌ عليكَ فهــذا للمحبين نافعُ
عسى يلتقى فى الأفق لحظى ولحظُها فيجمعنا إذ ليس فى الأرض جامعُ

حكى أبو الفرج المعافى فى كتاب الجليس والأنيس قال: بينما أبو إسحاق مزيد ذات يوم جالسٌ إذ جاءه أصحابُه فقالوا له : يا أبا إسحاق هل لك فى الخروج بنا إلى العقيق وإلى قباء وإلى أحد ناحية قبور الشهداء ، فإن هذا يوم كما ترى طيب، فقال آليوم يوم الأربعاء ولست أبرح من منزلى ، فقالوا وما تكره من يوم الأربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى ، فقال : بأبى وأمى صلوات الله عليه، فقد التقمه الحوت. فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ، فقال : أجل بعد مازاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . انتهى .

من مواضع نزع الخافض، قوله تعالى: «واختار موسى قومَهُ سبعين رجُلا» الآية أى من قومه ، وقوله عز وجل « إلا مَن سفِه نفسَه » أى فى نفسه ، وقول الشاعر :

* أمرتك الخير فافعل ماأمرت به *

أى أمرتك بالخير . انتهى

لأبى بكر بن اللبانة :

إن ضعتُ بالشعر ممـا قد علمتُ به ونال جـودَك أقوامٌ وما شعروا

فالجودُ كالمزن قد يُسقى بصيّبه شوكُ القتادِ ولا يُسقى به الزهرُ
إن لم تكن أهلَ نُعمى أرتجيك لها فالسِّلكُ خيط وفيه تُنظم الدّررُ

الصفدى :

لئن رحتُ مع فضلى من الحظ خاليا وغيرى على نقصٍ به قد عدا حالِى
فإنّى كشهر الصوم أصبحَ عاطلًا وطوقُ هلال العيد فى جيدِ شوّالِ

ابن سناء الملك :

ورُبَّ مليح لا يُحَبُّ وضدُّه يقبّل منه العينُ والخدُّ والفمُ
هو الجد خذهُ إن أردت مُسلما ولا تطلب التعليلَ فالأمرُ مبهَم

الشافعى رضى الله عنه :

لو أن بالحيل الغِنى لوجدتنى بنجوم أفلاك السماء تعلُّقى
لكنّ من رُزق الحجا حُرم الغنى ضدان مفترقان أىّ تفرق
فإذا سمعتَ بأنّ محروما أتَى ماء ليشربه فغاض فصدّق
أو أن محظوظا غدا فى كفّه عودٌ فأورق فى يديْه فحقّق

* * *

قال الصفدى : ولم يزل مذهب الاعتزال يبدو شيئاً فشيئا إلى أيام الرشيد وظهور بشر المريسى ، وإظهار الشافعى رضى الله عنه مقيدا فى الحديد ، وسؤال بشر له ، قال : ماتقول ياقرشى فى القرآن ، فقال : إياى تعنى ؟ قال: نعم . قال : مخلوق ، فخلى عنه . وواقعته بين يدى الرشيد مشهورة فأحس الشافعى بالشر ، وأن الفتنة تشتدّ فى إظهار القول بخلق القرآن ، فهرب من بغداد إلى مصر ؛ ولم يقل الرشيد بخلق القرآن . وكان الأمر بين أخذ وترك إلى أن ولى المأمون ، وبقى يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى دعوة الناس إلى ذلك ، إلى أن قوى عزمُه فى السنة التى مات فيها ، وطلب

أحمد بن حنبل ، فأخبر فى الطريق أنه توفى ، فبقى أحمد محبوسا فى الرقة حتى بويع المعتصم ، فأحضر إلى بغداد ، وعقد مجلس المناظرة ، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ، والقاضى أحمد بن أبى دواد وغيرهما ، فناظروه ثلاثة أيام ؛ فأمر به فضرب بالسياط إلى أن أغمى عليه ، ثم حمل وصار إلى منزله ولم يقل بخلق القرآن ، وكان مدة مكثه فى السجن ثمانية وعشرين شهرا . ولم يزل يحضر الجمعة بعد ذلك والجماعة ويفتى ويحدث ، حتى مات المعتصم ، وولى الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة ، وقال لأحمد ابن حنبل : لا تجمعن إليك أحدا ، ولا تسكن بلدا أنا فيه . فاختفى الإمام أحمد لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها ، حتى مات الواثق وولِىَ المتوكل ، فأحضره وأكرمه ، وأطلق له مالا فلم يقبله ففرقه ، وأجرى على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف ، ولم تزل عليهم جاريةً إلى أن مات المتوكل .

وفى أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، وإظهار السنة ، وبسط أهلها ونصرهم ، وتكلم فى مجلسه بالسنة ، ولم يزالوا — أعنى المعتزلة — فى قوة ونماء إلى أيام المتوكل فخمدوا ، ولم يكن فى هذه الملة الإسلامية أكثر بدعة منهم .

[مشاهير المعتزلة]

ومن مشاهير المعتزلة وأعيانهم : الجاحظ ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النظام ، وواصل بن عطاء ، وأحمد بن حابط ، وبشر بن المعتمر ، ومعمر بن عباد السلمى ، وأبو موسى عيسى الملقب بالمزداد ، ويعرف براهب المعتزلة ، وثمامة بن أشرس ، وهشام ابن عمر الفوطى ، وأبو الحسن بن أبى عمر ، والخياط ، وأستاذ الكعبى ، وأبو على الجبائى أستاذ الشيخ أبى الحسن الأشعرى أولا ، وابنه أبو هاشم عبد السلام . هؤلاء هم رؤوس مذهب الاعتزال . وغالبِ الشافعية أشاعرة . والغالبُ فى الحنفية معتزلة .

والغالب فى المالكية قدرية ، والغالب فى الحنابلة حشوية . ومن المعتزلة: أبو القاسم الصاحب إسماعيل بن عباد ، والزمخشرىّ ، والفراء النحوى ، والسيرافى . انتهى .

حكى أن بعض المطربين غنّى فى جماعة عند بعض الأمراء من الأعاجم ، فلما أطربه قال لغلامه : هات قَباء لهذا المغنى ، ولم يفهم المغنى ما يقوله الأمير ، فقام إلى بيت الخلاء ، وفى غيبته جاء المملوك بالقَباء ، فوجد المغنى غائبا ، وقد حصل فى المجلس عربدةٌ وأمر الأمير الجميعَ بالخروج ، فقيل للمغنى بعد ماخرج وهو فى أثناء الطريق: إن الأمير أمر لك بقَباء ولم تلحقه ، فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الأمير وغنى :

* إذا أنت أعطِيتَ السعادة لم تبل *

بضم الباء ، فأنكروا ذلك عليه ، فقال : فى ذلك اليوم لما بُلت فاتتنى السعادة من الأمير ، فأوضحوا القصة للأمير فأعجبه ذلك ، وأمر له به . انتهى .

[من لهم شهرة بين المحدثين]

قال الصفدى : ممن له شهرة بين المحدّثين غسيلُ الملائكة ، وهو حنظلة بن أبى عامر الأنصارى ، خرج يوم أحد فأصيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة » . وقتيل الجن سعد بن عبادة . وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الأنصارى، وهو الذى شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قضاء دين اليهودى. وذو العينين هوقتادة بن النعمان، أصيبت عينه يوم أحد فردّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. وذو اليدين وهو عبيد بن عبد عمرو الخزاعى، كان يعمل بيديه معا . وذو الثُّدَية كان بابَ الخوارج وكبيرَهم وُجد بين القتلى يوم النهروان، وكانت إحدى يديه مخدجةً كالثدى وعليها شعيرات. وذوالثفنات ، وكان

يقال ذلك لعلىّ بن الحسين عليهما السلام، ولعلىّ بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير. وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده فى الحرب بسيفين. وذات النطاقين هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما لأنها شقت نطاقها للسفرة ليلة خرج أبوها والنبى صلى الله عليـــه وسلم مهاجرا إلى المدينة . وسيف الله هو خالد بن الوليد . ومصافح الملائـكة هو عمران بن الحصين. وذو العمامة هو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشى عمامته حتى ينزعها . انتهى .

اجتمع بنات حُبَّى المدنيَّةِ عندها ، فقالت للـكبرى : يا بنية كيف تحبـين أن يأخذك زوجك ؟ فقالت : يا أمّ أن يقدم زوجى من سفر ، ويدخل الحمام، ثم يأتيه زوّاره من المسلّمين عليه، فإذا فرغ أغلق الباب وأرخى الستر، فحينئذ أتى ما أرومه. فقالت : اسكتى ما صنعت شيئاً . وقالت الوسطى، فقالت: أن يقدم زوجى من سفر فيضع ثيابه، وأتاه جيرانه، فلما جاء الليل تطيّبت له وتهيأت له، ثم أخذنى على ذلك. فقالت : ما صنعت شيئاً. وقالت للصغرى. فقالت: أن يقدم زوجى من سفر، وكان قد دخل الحمام وأطلى ، ثم قدم وقد سوّك، فيدخل على ويغلق الباب ويرخى الستر فيذخل إيره فى حرى ، ولسانه فى فمى ، وإصبعه فى استى فنا كنى فى ثلاثة مواضع. فقالت : اسكتى فأمك تبول الساعة من الشهوة . انتهى .

الطغرائى :

فيم الإقامةُ بالزوراء لا سكنى   بها ولا ناقتى فيها ولا جَملى

السكن: مايسكن إليه الإنسان من زوجة وغيرها. وبقية البيت مثَلٌ من أمثال العرب . والأصل فيه أن الصدوق العدويّة كانت تحت زيد بن أخنس العدوى ، وله بنت من غيرها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزل منها فى خباء آخر ، فغاب

زيد عنها ، فلهج بالفارعة رجل عدوى يدعى شبيبا ، فدعاها فطاوعته ، فكانت تركب كل عشية جملا لأبيها وتنطلق معه إلى بيته يبيتان فيه ، فرجع زيد عن وجهته ، فمرج على كاهنة اسمها ظريفة ، فأخبرته بريبة فى أهله ، فأقبل سائرا لا يلوى على أحد ، وإنما تخوّف على امرأته حتى دخل عليها ، فلما رأته عرفت الشر فى وجهه ، فقالت : لا تعجل واقف الأثر :

* لا ناقة لى فى هذا ولا جمل *

فصار ذلك مثلا يضرب فى التبرّى عن الشىء . انتهى .

قال الراعى :

وما هجرتكِ حتى قلتِ معلنة لا ناقةَ لِيَ فى هذا ولا جملُ

لأبى مسلم الخراسانى : يقال إنه رأى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سبّ الثلاثة ، فقالّ : ما هذه بلاد إسلام . ونظم فى الوقت :

ذرنى وأشياء فى نفسى مُخبَّأَةً لألبسنّ لها درعا وجلبابا

واللهِ لو ظفرت نفسى ببُغيتها ما كنتُ عن ضربِ أعناقِ الورى آبا

حتى أطهِّر هذا الدين من دنسٍ وأوجبَ الحقّ للساداتِ إيجابا

وأملأَ الأرضَ عدلا بعد ما مُلئت جَوْرا وأفتحَ للخيراتِ أبوابا

مرّ الحجاج . متنكّراً فرأته امرأة ، فقالت : الأميرُ ورب الكعبة . فقال : كيف عرفتينى؟ فقالت: بشمائلك . قال : هل عندك من قِرًى؟ قالت: نعم ، خبز فطير ، وماء نمير ، فأحضرته فأكل ، فقال : هل لك أن تصاحبينى وتصلحى ما بينى وبين امرأتى ؟ فقالت : هل عندك من جماع يغنى ؟ قال : نعم ، قالت فلا حاجة لك إلى أحد يصلح بينكما إذاً . انتهى .

قال رجل للشعبي : ماتقول فى رجل إذا وطىء امرأة تقول قتلتنى أوجعتنى ، فقال : اقتلها ودمها فى عنقى .

روى الكلبي فى حديث طويل عن أبى جعفر رضى الله عنه قال له السائل : يابن رسول الله ، كيف أعرف أن ليلة تكون فى كل سنة ؟ قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان فى كل ليلة مائة مرّة ، فإذا أتت ليلةُ ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذى سألت عنه . انتهى . والله أعلم .

مؤيد الدين الطغرائى :

فصبراً أمينَ الملك إن عنّ حادثٌ ... فعاقبة الصبر الجميل جميلُ
ولا تيأسنْ من صنع ربك إننى ... ضمينٌ بأن الله سوفَ يُديل
ألم تر أن الليل بعد ظلامه ... علينا لإسفار الصباح دليلُ
وأن الهلالَ النّضو يُقمر بعدما ... بدا وهو شختُ الجانبين ضئيلُ (١)
ولا تحسبنّ السيفَ يقصُر كلما ... تُعاودُه بعد المضاء كُلولُ
ولا تحسبنّ الروحَ يقلع كلما ... تمرّ به نفحُ الصَّبا فيميل
فقد يعطفُ الدهرُ الأبىّ عنانهَ ... فيشفى عليلٌ أو يُبَلّ غليل
ويرتاش مقصوصُ الجناحين بعدما ... تساقط ريشٌ واستطار نسيل
ويستأنفُ الغصنُ السليبُ نُضاره ... فيورقُ مالم يعتوره ذُبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ ... وللحظِّ من بعد الذهاب قُفولُ

---

(١) الشخت : الدقيق الضامر ، لا بسبب الهزال .

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث علمية

الحمد لله الذى أطلع أنوار القرآن ، فأنار أعيان الأكوان . وأظهر ببدائع البيان قواطع البرهان ، فأضاء صحائف الزمان ، وصفائح المكان . والصلاة على الرسول المنزل عليه والنبي الموحى إليه ، الذى نزلت لتصديق قوله ، وتبيين فضله « وإن كنتم فى ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » . محمد المؤيد ببينات وحجج . قرآنا عربيا غير ذى عوج . وعلى آله العظام ، وصحبه الكرام ، ما اشتمل الكتاب على الخطاب ، ورتب الأحكام فى الأبواب .

بينما الخاطر يقتطف من أزهار أشجار الحقائق رياها ، ويرشف من نقـاوة سلافة كؤوس الدقائق حمّياها ، ما كان يقنع باقتناء اللطائف ، بل كان يجتهد فى التقاط النواظر من عيون الطرائف ، إذ انفتحت عين النظر على غرائب سور القرآن ، وانطبعت فى بصر الفكر بدائع صور الفرقان ، فكنت لالتقاط الدرر أغوص فى لجج المعانى ، وطفقت لاقتناص الغرر أعومُ فى بحار المبانى ، إذ وقع الحط على آية هى معترك أنظار الأفضل والأعالى ، ومزدحم أفكار أرباب الفضائل والمعالى . كل رفَعَ فى مضمارها راية ، ونصب لإثبات ماسنح له فيها آية ، فرأيت أن قد وقع التخالف والتشاجر ، والمناقشة فى التعاظم والتفاخر ، حتى إن بعضا من سوابق فرسان هذا الميدان ، قد تناضلوا عن سهام الشتم والهذيان ، فما وقفوا فى موقف من المواقف أبدا ، وما وافق فى سلوك هذا المسلك أحد أحدا .

ثم إنى ظفرت على ما جرى بينهم من الرسائل ، واطلعت على ما أوردوا فى الكتب من تحقيقات الأفاضـــل ، فاكتحلتْ عين الفكر من سواد أرقامهم ، وانفتحت حدقة النظر عن عرائس نتائج أفهامهم . وكنت ناظرا بعين التأمل فى تلك الأقوال ، إذ وقع سبوح الذهن فى عقال الإشكال ، فأخذتُ أحل عقدها بأنامل الأفكار ، وأعتبر دررها بمعيار الاعتبار ، فرأيت أن الأسرار قد خفيت تحت الأستار ، وأن الأجلة ما اعتنقوها بأيدى الأفكار ، فمازلت فى بساط الفكر أجول ، وما زال ذهنى عن سمت التأمل لا يزول ، حتى آنست أنوار المقصود قد تلألأت عن أفق اليقين ، وشهد بصحتها لسان الحجج والبراهين ، فرغبت أن أحقق المرام ، وأحرر الكلام ، فى فناء بيت الله الحرام ، راجيا منه أن لا أزل عن صوب الصواب ، وأن لا أمل عن الاجتهاد فى فتح هذا الباب ، سائلا منه الفوز بالاستبصار ، عمن لا تفتر عين فهمه عن الاكتحال بنور التحقيق ، ولا يقصر شأو ذهنه عن العروج إلى معارج التدقيق ، فوجدت بعون الله لكشف كنوز الحقائق مَعينا ، ولتوضيح رموز الدقائق نورا مبينا ، ثم جعلت كسوة المقصود مطرزا بطراز التحرير ، ليكون فى معرض العرض على كل عالم نحرير ، موردا ما جرى بين الأجلة عند الطراد فى مضمار المناظرة ، وما أفادوا بعد الاختبار بمسبار المذاكرة ، مذيلا بما سنح لى فى الخاطر الفاتر ، وذهنى القاصر ، متوكلا على الصمد المعبود ، فإنه محقق المقصود . ولما انتظم درره فى سلك الانتظام ، ووسمت عليه بختم الاختتام ، جعلت غرته مستنيرة بدعاء حضرة مقبل أفواه الأكاسرة والخواقين ، ومعفر جباه أساطين السلاطين ، الذى خصه الله من البرايا بجميع المزايا ، وأفاض عليه من سجال إفضاله أنواع العطايا ، وجعل وفود الظفر فى ركاب ركائبه ، وجنود النصر مع جانب جنائبه ، عم الأنام بغمام الإنعام ، ومحا سواد الظلم عن بياض الأيام ، وهو السلطان الأعظم ، والخاقان الأعدل الأكرم ، مالك رقاب سلاطين

الأمم خليفة الله فى بلاده ، ظل الله على عباده ، حامى حوزة الملة الزهراء ، الماحى سواد الكفر بإقامة الشريعة الغراء ، السمحة البيضاء ، المجاهد المرابط فى سبيل الله، المجتهد فى إعلاء سنة رسول الله، المؤيد بلطف الله ، [عباس بادشاه الحسينى]خلد الله سبحانه على مفارق العالمين ظلال سلطنته القاهرة ، وشيد لإعلاء معالم الدين المبين أركان خلافته الباهرة ، ساطعا عن ذروة الإقبال ، أشعة نيران حشمته وسطوته ، صاعدا إلى أوج الجلال كواكب مواكب عظمته وشوكته ، ولا زال شمس سعادته طالعة عن أفق المكرمات الإلٰهية مصونة عن الزوال ، وبدر جلاله ثابتا فى أوج برج الشرف بالكمال ، بالنبى وآله العظام ، وصحبه الكرام ، مدى الدهور والأعوام.

والمسؤول من حضرته العليا ملاحظة تتضمن نيل المرام ، والله تعالى ولى الفضل والإنعام .

قال صاحب الكشاف : عند تفسير قول الله عز وجل « وإن كنتم فى ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» من مثله متعلق بسورة صفة لها، أى بسورة كائنة من مثله . والضمير لما نزلنا أو لعبدنا . ويجوز أن يتعلق بقوله: فأتوا والضمير للعبد . انتهى .

وحاصله أن الجار والمجرور -أعنى من مثله- إما أن يتعلق بفأتوا على أنه ظرف لغو أو صفة لسورة على أنه ظرف مستقرّ ، وعلى كلا التقديرين ، فالضمير فى مثله إما عائد إلى ما نزّلنا، أو إلى عبدنا، فهذه صور أربع جوز ثلاثا منها تصريحا، ومنع واحدة منها تلويحا ، حيث سكت عنها ، وهى أن يكون الظرف متعلقا بفأتوا ، والضمير لما نزلنا . ولما كانت علة عدم التجويز خفيّة استشكل خاتم المحققين ، عضد الملة والدين ، واستعلم من علماء عصره بطريق الاستفتاء. وهذه عبارته نقلناها على ما هى عليه تبركا بشريف كلامه :

يأدلاء الهدى ، ومصابيح الدجى، حيا كم الله وبيا كم، وألهمنا بتحقيقه وإياكم ، ها أنا من نوركم مقتبس ، وبضوء ناركم للهدى ملتمس ، ممتحَن بالقصور، لا ممتحن ذو غرور ، ينشد بأطلق لسان وأرقّ جنان :

ألا قل لسكّان وادى الحمى　　　هنيئاً لكم فى الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا　　　فنحن عطاشٌ وأنتم وُرود

قد استبهم قول صاحب الكشاف ، أفيضت عليه سجال الألطاف ، من مثله متعلق بسورة صفة لها ، أى بسورة كائنة من مثله ، والضمير لما نزلنا ، أو لعبدنا . ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا ، والضمير للعبد حيث جوز فى الوجه الأول كون الضمير لما نزلنا تصريحا ، وحظره فى الوجه الثانى تلويحا ، فليت شعرى ما الفرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا ، وفأتوا من مثل ما نزلنا بسورة ، وهل ثمة حكمة خفية ، أو نكتة معنوية ، أو هو تحكم بحت ، بل هذا مستبعد من مثله، فإن رأيتم كشف الريبة ، وإماطة الشبهة ، والإنعام بالجواب ، أثبتم أجزل الأجر والثواب .

فكتب الفاضل الجار بردى فى جوابه كلاما معقدا فى غاية التعقيد لا يظهر معناه، ولا يطلع أحد على مغزاه ، رأينا أن إيراده فى أثناء البحث يشتت الكلام، ويبعد المرام ، فأوردناه فى ذيل المقصود مع ما كتب فى رده خاتم المحققين .

وقال العلامة التفتازانى فى شرحه للكشاف: الجواب أن هذا أمر تعجيز باعتبار المأتى به ، والذوق شاهد بأنّ تعلق من مثله بالإتيان يقتضى وجود المثل ورجوع العجز إلى أن يؤتى منه بشىء ، ومثل النبى صلى الله عليه وسلم فى البشرية والعربية موجود ، بخلاف مثل القرآن فى البلاغة والفصاحة . وأما إذا كان صفة لسورة فالمعجوز عنه هو الإتيان بالسورة الموصوفة، ولا يقتضى وجود المثل، بل ربما يقتضى انتفاءه حيث تعلق به أمر التعجيز .

وحاصله أن قولنا ائت من مثل الحماسة ببيت يقتضى وجود المثل، بخلاف قولنا ائت ببيت من مثل الحماسة . انتهى كلامه .

وأقول : لا يخفى أن قوله يقتضى وجود المثل ورجوع العجز إلى أن يؤتى منه بشىء يفهم منه أنه اعتبر مثل القرآن كلا له أجزاء ، ورجع التعجيز إلى الإتيان بجزء منه ، ولهذا مثل بقوله ائت من مثل الحماسة ببيت ، فكان المثل كتابا أمر بالإتيان ببيت منه على سبيل التعجيز ، وإذا كان الأمر على هذا النمط فلا شك أن الذوق يحكم بأن تعلق من مثله بالإتيان يقتضى وجودَ المثل ورجوعَ العجز إلى أن يؤتى بشىء منه ؛ لأن الأمر بالإتيان بجزء الشىء يقتضى وجود الشىء أولا ، وهذا مما لا ينكر .

وأما إذا جعلنا مثل القرآن كليا يصدق على كله وبعضه ، وعلى كل كلام يكون فى طبقة البلاغة القرآنية ؛ فلا نسلم أن الذوق يشهد بوجود المثل ورجوع العجز إلى أن يؤتى بشىء منه ، بل الذوق يقتضى أن لا يكون لهذا الكلى فرد يتحقق ، والأمر راجع إلى الإتيان بفرد من هذا الكلى على سبيل التعجيز ، ومثل هذا يقع كثيرا فى محاورات الناس ، مثلا : إذا كان عند رجل ياقوتة ثمينة فى الغاية قلما يوجد مثلها ، يقول فى مقام التصلف : من يأتى من مثل هذه الياقوتة بياقوتة أخرى ، ويفهم الناس منه أنه يدعى أنه لا يوجد فرد آخر من نوعها ، فظهر أنه على هذا التقدير لا يلزم من تعلق من مثله بقوله فأتوا أن يكون مثل القرآن موجودا فلا محذور . ألا ترى أنهم لو أتوا على سبيل الفرض بأدنى سورة متصفة بالبلاغة القرآنية لصدق أنهم أتوا بسورة من مثل القرآن ، مع عدم وجود كتاب مثل القرآن .

وأما المثال المقيس عليه أعنى قوله ائت من مثل الحماسة ببيت ، فهذا لا يطابق الغرض إلا إذا جعل مثل القرآن كُلًّا ، فإن الحماسة إنما تطلق على مجموع الكتاب،

فلابد أن يكون مثله كتابا آخر أيضا ، وحينئذ يلزم المحذور . وأما القرآن فإن له مفهوما كليا يصدق على كل القرآن وأبعاضه وأبعاض أبعاضه إلى حد لا يزول عنه البلاغة القرآنية ، وحينئذ يكون الغرض منه المفهوم الكلى وهو نوع من أنواع البليغ فردُهُ القرآن أمِر بإتيان فرد آخر من هذا النوع فلا محذور . وقال فى شرحه المختصر على التلخيص : قلت لأنه يقتضى ثبوت مثل القرآن فى البلاغة وعلو الطبقة بشهادة الذوق ، إذ العجز إنما يكون عن المأتى به ، فكأنّ مثل القرآن ثابت ، لكنهم عجزوا عن أن يأتوا منه بسورة ، بخلاف ما إذا كان وصفا للسورة فإن المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف .

فإن قلت : فليكن العجز باعتبار انتفاء المأتى به ، قلت : احتمال عقلى لا يسبق إلى الفهم ولا يوجد له مساغ فى اعتبارات البلغاء واستعمالاتهم ، فلا اعتداد به . انتهى كلامه .

وأقول : لا يخفى أن كلامه هاهنا مجمل ليس نصا فيما قصد به فى كلامه فى شرح الكشاف ، وحينئذ يقال : إن أراد بقوله إذ العجز إنما يكون عن المأتى به فكان مثل القرآن ثابتا ، أن العجز باعتبار المأتى به مستلزم لأن يكون مثل القرآن موجودا ، ويكون العجز عن الإتيان بسورة منه بشهادة الذوق مطلقا ، فهو ممنوع ؛ لأنه إنما يشهد الذوق بلزوم ذلك إذا كان المأتى به ـ أعنى مثل القرآن ـ كليا له أجزاء ، والتعجيز باعتبار الإتيان بجزء منه كما قرّرناه سابقا . وإن أراد أنه إنما يلزم بشهادة الذوق إذا كان المأتى منه كليا له أجزاء فهو مسلم ، لكن كونه مرادا هاهنا ممنوع ، بل المراد هاهنا أنّ المأتى منه نوع من أنواع الكلام ، والتعجيز راجع إليه باعتبار الأمر بإتيان فرد آخر منه كما صورناه فى مثال الياقوتة فتذكر .

قال المدقق شارح الكشاف : فى شرحه على هذا الموضع من كلام الكشاف :

ويجوز أن يتعلق بفأتوا ، والضمير للعبد، أمّا إذا تعلق بسورة صفة لها فالضمير للعبد أو المنزّل على ما ذكره وهو ظاهر، ومن بيانية أو تبعيضية على الأول ؛ لأنّ السورة المفروضة بعض المثل المفروض ، والأوّل أبلغ ، ولا يحمل على الابتداء على غير التبعيضية أو البيان ، فإنهما أيضا يرجعان إليه على ما آثر شيخنا الفاضل رحمه الله، وابتدائية على الثانى. وأمّا إذا تعلق بالأمر فهى ابتدائية ، والضمير للعبد لأنه لا يتبين إذ لا مبهم قبله ، وتقديره رجوع إلى الأوّل، ولأنّ البيانية أبدا مستقر على ماسيجىء إن شاء الله تعالى فلا يمكن تعلقها بالأمر ، ولا تبعيض إذ الفعل حينئذ يكون واقعا عليه ، كما فى قولك أخذت من المال، وإتيان البعض لا معنى له ، بل الإتيان بالبعض، فتعين الابتداء . ومثل السورة والسورة نفسها إن جعلا مقحمين لا يصلحان مبدأ بوجه .

أقول : فتعين أن يرجع الضمير إلى العبد ، وذلك لأنّ المعتبر فى مبدئية الفعل المبدأ الفاعلى والمادى والغائى، أو جهة يتلبس بها، ولا يصلح واحد منها ، فهذا ما لوّح إليه العلامة . وقد كفيت بهذا البيان إتمامه . انتهى كلامه .

وأقول : حاصل كلامه أنه بطريق السبر والتقسيم حكم بتعيين من للابتداء ، ثم بين أن مبدئية الفعل هاهنا لا تصلح إلا للعبد، فتعين أن يكون الضمير راجعا إليه، ولا يخفى أن قوله : ولا تبعيض إذ الفعل حينئذ يكون واقعا عليه إلى آخره، محل تأمل، إذ وقوع الفعل عليه لا يلزم أن يكون بطريق الأصالة ، لم لا يجوز أن يكون بطريق التبعية ، مثل أن يكون بدلا، فإنكم لما جوزتم أن يكون فى المعنى مفعولا صريحا كما قررتم فى أخذت من الدراهم أنه أخذ بعض الدراهم، لم لا تجوزون أن يكون بدلا من المفعول ، فكأنه قال بسورة بعض ما نزلنا، فتكون البعضية المستفادة من من ملحوظة على وجه البدلية ، ويكون الفعل واقعا عليه فيكون فى حيز الباء وإن لم يكن تقدير

الباء عليه ، إذ قد يحتمل فى التابعية ما لا يحتمل فى المتبوعية ، كما فى قولهم رب شاة وسخلتها ، لا بدّ لنفى هذا من دليل .

ثم على تقدير التسليم نقول : قوله لأن المعتبر فى مبدئيّة الفعل المبدأ الفاعلى إلى آخره محل بحث ؛ لأنّ التعميم الذى فى قوله أو جهة يتلابس بها غير منضبط ، لأنّ جهات التلابس أكثر من أن تحصى من جهة الكمية، ولا تنتهى إلى حد من الحدود من جهة الكيفية . ولا يخفى أن كون مثل القرآن مبدأ ماديا للسورة من جهة التلابس أمر يقبله الذهن السليم والطبع المستقيم ، على أنك لو حققت معنى من الابتدائية يظهر لك أن ليس معناه أن يتعلق به على وجه اعتبار المبدئية إلا الذى اعتبر له ابتداء حقيقة أو توهما ، وقد ذكر العلامة التفتازانى كلام الكشاف للردّ ، وقال فى أثناء الردّ : على أن كون مثل القرآن مبدأ ماديا للإتيان بالسورة ليس أبعد من كون مثل العبد مبدأ فاعليا . انتهى .

وأقول : لا يخفى أن مثل العبد باعتبار الإتيان بالسورة منه هو مبـــدأ فاعلى للسورة حقيقة، لأنه لو فرض وقوعه لا يكون العبد إلا مؤلفا لتلك السورة مخترعا لها، فيكون مبدأ فاعليا حقيقيًّا لها . وأما مثـــــل القرآن فلا يكون مبدأ ماديا للسورة إلا باعتبار التلابس المصحح للسببية ، فهو أبعد منه غاية البعد ، بل ليس بينهما نسبة ، فإن أحدهما بالحقيقة والآخر بالمجاز وأين هذا من ذاك . نعم كون مثل القرآن مبدأ ماديا ليس بعيداً فى رأى نظر العقل باعتبار التلابس . تأمل وأنصف.

قال الفاضل الطيبى : لا يقال إنه جعل من مثله صفة لسورة ، فإن كان الضمير للمنزل فهى للبيان ، وإن كان للعبد فهى للابتداء وهو ظاهر ، فعلى هذا إن تعلق قوله من مثله بقوله فأتوا فلا يكون الضمير المنزل ، لأنه يستدعى كونه للبيان ، والبيان يستدعى تقديم مبهم ولا تقديم ، فتعين أن تكون للابتداء لفظا أو تقديرا،

أى أصدروا وائتوا واستخرجوا من مثل العبد بسورة ، لأنّ مدار الاستخراج هو العبد لا غير ، فلذلك تعين فى الوجه الثانى عود الضمير إلى العبد ، لأنّ هذا وأمثاله ليس بواف ، ولذلك تصدى بعض الفضلاء وقال : قد استبهم قول صاحب الكشاف حيث جوز فى الوجه الأوّل كون الضمير لما نزلنا صريحاً ، وحصره فى الوجه الثانى تلويحاً ، فليت شعرى ما الفرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا، وبين فأتوا من مثل ما نزلنا بسورة .

وأجيب : بأنك إذا اطلعت على الفرق بين قولك لصاحبك ائت برجل من البصرة أى كائن منها ، وبين قولك ائت من البصرة برجل عثرت على الفرق بين المثالين ، وزال عنك التردّد والارتياب .

ثم نقول : إن من إذا تعلق بالفعل يكون إما ظرفا لغوا ، ومن للابتداء أو مفعولا به ، ومن للتبعيض ، إذ لا يستقيم أن يكون بيانا لاقتضائه أن يكون مستقرّا والمقدّر خلافه . وعلى تقدير أن يكون تبعيضا فمعناه فأتوا بعض مثل المنزل بسورة وهو ظاهر البطلان ، وعلى تقدير أن يكون ابتداء لا يكون المطلوب بالتحدى الإتيان بالسورة فقط ، بل بشرط أن يكون بعضاً من كلام مثل القرآن ، وهذا على تقدير استقامته بمعزل عن المقصود واقتضاء المقام ؛ لأنّ المقام يقتضى التحدى على سبيل المبالغة ، وأن القرآن بلغ فى الإعجاز بحيث لا يوجد لأقلّه نظير فكيف للكل ، فالتحدى إذن بالسورة الموصوفة بكونها من مثله فى الإعجاز ، وهذا إنما يتأتى إذا جعل الضمير لما نزلنا ، ومن مثله صفة لسورة ، ومن بيانية ، فلا يكون المأتى به مشروطاً بذلك الشرط لأنّ البيان والمبين كشىء واحد ، وكقوله تعالى : « فاجتنبوا الرجْسَ من الأوثان » ويعضده قولُ المصنف فى سورة الفرقان : إن تنزيله مفرّقا، وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شىء منها أدخلُ فى الإعجاز، وأنور

للحجة من أن ينزل كله جملة واحدة ، ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب مع بعد ما بين طرفيه أو طوله . انتهى .

وأقول : هذا الكلام مع طول ذيله قاصر عن إقامة المرام ، كما لا يخفى على من له بالفنون أدنى إلمام ، فلا علينا أن نشير إلى بعض ما فيه فنقول :

قوله وعلى تقدير أن يكون تبعيضاً فمعناه فأتوا ببعض مثل المنزل بسورة وهو ظاهر البطلان فيه بحث ، لأنّ بطلانه لا يظهر إلا على تقديره حيث غير النظم بتقديم معنى من على قوله بسورة ، وهذا فساد بلا ضرورة ، فلو قال فأتوا بسورة بعض مثل المنزل على ما هو النظم القرآني فهو في غاية الصحة والمتانة ، وحينئذ يكون قوله بعض مثل المنزل بدلا ، فيكون معمولا للفعل على ما حققناه سابقاً حيث قرّرنا على كلام صاحب الكشاف فارجع وتأمل .

ثم قوله : وعلى تقدير أن يكون ابتداء لا يكون المطلوب بالتحدى الإتيان بسورة فقط ، بل بشرط أن يكون بعضا من كلام مثل القرآن فيه نظر ، لأن الإتيان من المثل لا يقتضى أن يكون من كلام مثل القرآن يكون المأتى جزءاً منه ، بل يقتضى أن يكون من نوع من الكلام غالبا في البلاغة إلى حيث انتهى به البلاغة القرآنية ، والمأتى به يكون فرداً من أفراده ، ولعمرى إنه ما وقع في هذه إلا لأنه جعل المثل كلّا له أجزاء ، لا كلّا له أفراد كما فصلنا سابقاً في مثال الياقوتة حيث أوردنا الكلام على العلامة التفتازانى فلا يحتاج إلى الإعادة . وظنى أن منشأ كلام العلامة التفتازانى ليس إلا كلام الفاضل الطيبي ، تأمله وتدبر .

وقد يجاب بوجوه أخر في غاية الضعف ونهاية الزيف ، أوردها العلامة التفتازانى في شرح الكشاف وبين ما فيها رأينا أن ننقلها على ما هى عليه استيعابا للأقوال ، وليكون للمتأمل في هذه الآية زيادة بصيرة .

الأوّل : أنه إذا تعلق بفأتوا فمن للابتداء قطعاً إذ لامبهم يبين، ولا سبيل إلى البعضية لأنه لا معنى لإتيان البعض، ولا مجال لتقدير الباء مع من، كيف وقد ذكر المأتى به صريحاً وهو السورة ، وإذا كانت من للابتداء تعين كون الضمير للعبد ، لأنه المبدأ للإتيان لا مثل القرآن ، وفيه نظر لأنّ المبدأ الذى تقتضيه من الابتدائية ليس الفاعل حتى ينحصر مبدأ الاتيان بالكلام فى المتكلم ، على أنك إذا تأمّلت فالمتكلم ليس مبدأ للإتيان بكلام غيره بل بكلام نفسه ، بل معناه أنه يتصل به الأمر الذى اعتبر له ابتداء حقيقة أو توهما ، كالبصرة للخروج والقرآن للإتيان بسورة منه .

الثانى: إذا كان الضمير لما نزلنا، ومن صلة فأتوا ، كان المعنى فأتوا من مُنزّل مثله بسورة، وكان مماثلة ذلك المنزل بهذا المنزل هو المطلوب لا مماثلة سورة واحدة منه بسورة من هذا وظاهر أن المقصود خلافه كما نطقت به الآى الأخر، وفيه نظر لأن إضافة المثل إلى المنزّل لاتقتضى أن يعتبر موصوفُه منزلا، ألاترى أنه إذا جعل صفة سورة لم يكن المعنى بسورة من منزل مثل القرآن، بل من كلام، وكيف يتوهم ذلك والمقصود تعجيزهم عن أن يأتوا من عند أنفسهم بكلام من مثل القرآن ، ولو سلم فما ادّعاه من لزوم خلاف المقصود غير بين ولا مبين .

الثالث : أنها إذا كانت صلة فأتوا ، كان المعنى فأتوا من عند المثل ، كما يقال ائتوا من زيد بكتاب ، أى من عنده، ولا يصح من عند مثل القرآن، بخلاف مثل العبد ، وهذا أيضاً بين الفساد . انتهى .

وقد ألهمت بحل الكلام فى فناء بيت الله الحرام ، بما إذا تأملت فيه عسى أن يتضح المرام ، فأقول وبالله التوفيق ، وبيده أزِمّة التحقيق :

إن الآية الكريمة ما أنزلت إلا للتحدى، وحقيقة التحدى هو طلب المثل ممن لا يقدر على الإتيان به ، فإذا قال المتحدى : فأْتوا بسورة بدون قوله من مثله، كل أحد يفهم منه أنه يطلب سورة من مثل القرآن، وإذا قال: ائتوا من مثله بدون قوله سورة كل أحد يفهم منه أنه يطلب من مثل القرآن ما يصدق عليه أنه مثل القرآن أىّ قدر كان ، سورة أو أقل منها أو أكثر ، وإذا أراد المتحدى الجمع بين قوله بسورة وبين قوله من مثله فحق الكلام أن يقدّم من مثله ويؤخر بسورة ويقول : فأتوا من مثله بسورة حتى يتعلق الأمر بالإتيان من المثل أولا بطريق العموم، وكان بحيث لو اكتفى به لكان المقصود حاصلا والكلام مفيدا، لكن تبرع ببيان قدر المأتى به فقال بسورة، فيكون من قبيل التخصيص بعد التعميم فى الكلام، والتبيين بعد الإبهام فى المقام . وهذا الأسلوب مما تعنى به البلغاء . وأما إذا قال فأْتوا بسورة من مثله على أن يكون من مثله متعلقاً بفأتوا يكون فى الكلام حشو ، وذلك لأنه لما قال بسورة عرف أن المثل هو المأتى منه ، فذكرُ من مثله على أن يكون متعلقا بفأتوا يكون حشوا ، وكلام الله ينزه عن هذا ، فلهذا حكم بأنه وصف للسورة .

وتلخيص الكلام أن التحدى بمثل هذه العبارة يقع على أربعة أساليب :

الأوّل : تعيين المأتى به فقط .

الثانى : تعيين المأتى منه فقط .

الثالث : الجمع بينهما على أن يكون المأتى منه مقدّما والمأتى به مؤخرا .

الرابع : العكس . ولا يخفى على من له بصيرة فى نقد الكلام أن الأساليب الثلاثة الأول مقبولة عند البلغاء ، والأخير مردود ، ويبقى ذكر المأتى منه بعد ذكر المأتى به حشوا ، هذا إذا جعل المأتى منه مفهوم المثل. وأما إن كان المأتى منه مكانا

أو شخصا أو شيئاً آخر مما لا يدل عليه التحدى فذكره مفيد قدم أو أخر، ولذلك جوز العلامة صاحب الكشاف أن يكون من مثله متعلقاً بفأتوا حيث كان الضمير راجعاً إلى عبدنا .

والحاصل أنه إذا جعل المثل المأتى به ، فإذا أريد الجمع بين المأتى منه والمأتى به فلا بدّ من تقديم المأتى منه على المأتى به ، ولا يكون الكلام ركيكا. وأما إذا كان المأتى منه شيئا آخر فالتقديم والتأخير سواء ، ومما يؤيد هذا المعنى ما أفاده المحققون فى قول القائل — عند خروجه من بستان المخاطب — : أكلت من بستانك من العنب أنه لو قال أكلت من العنب من بستانك يكون الكلام ركيكا بناء على أنه لو قال أكلت من العنب علم أنه أكل من البستان ، فقوله من بستانك يبقى لغوا ، وأما إذا قال أوّلا من بستانك أفاد أنه أكل من البستان بعد أن لم يكن معلوما ، ولكن بقى الإبهام فى المأكول منه ، فلما قال من العنب رفع الإبهام هنا . وإن لم يكن مثالا لما نحن فيه لكنه يظهر بالنظر إذا تأملت فيه تأنست بالمطلوب الذى نحن بصدده . لا يقال فعلى هذا جعله وصفا أيضا لغو ، بناء على أن التحدى يدل عليه؛ لأنا نقول : لاشك أن التحدى يدل على أن السورة المأتى بها هى السورة المماثلة، فإذا قيل من مثله مقدّما كان فيه إبهام وإجمال من حيث المقدار ، فإذا قيل بسورة تعين المقدار المأتى به ، وحينئذ قوله بسورة لا يفيد إلا تبين المقدار المبهم ؛ إذ بعد أن فهم المماثلة من صريح الكلام يضمحل دلالة السياق فلا يلاحظ قوله بسورة إلا من حيث إنه تفصيل بعد الإجمال ، فلا يكون فى الكلام حشو مستغنى عنه ، وأما إذا قيل مؤخرا فإن جعلت وصفا للسورة فقد جعلت ما كان مفهوما بالسياق منطوقا فى الكلام بعينه ، وهذا فى باب النعت إذا كان لفائدة لا ينكر، كما فى قولهم أمس الدابر وأمثاله .

وأما إذا جعلت متعلقا بفأتوا فدلالة السياق باقيــــة على حالها إذ هى مقدّمة على

التصريح بالمماثلة ثم صرحت بذكر المماثلة ، فكأنك قلت فأتوا بسورة من مثله من مثله مرتين ، على أن يكون الأوّل وصفا والثانى ظرفا لغوا ، وهو حشو فى الكلام بلاشبهة .

فإن قلت : فما الفائدة إن جعلناه وصفا للسورة ؟ قلت : الفائدة جليلة ؛ وهى التصريح بمنشأ التعجيز ، فإنه ليس إلا وصف المماثلة ، وعندملاحظةمنشأالتعجيزأعنى المثلية يحصل الانتقال إلى أن القرآن معجز . والحاصل أن الغرض من إتيان الوصف تحقيق مناط عِلّيَّة كون القرآن معجزا حتى يتأملوا بنظر الاعتبار فيرتدعوا عماهم فيه من الريب والإنكار .

هذا ماسنح فى الخاطر الفاتر ، والمرجوّ من الأفاضل النظر بعين الإنصاف ، والتجنب عن العناد والاعتساف ، فلعمرى إن الغور فيه لعميق ، وإن المسلك إليه لدقيق ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين . انتهى .

* * *

من التفسير الكبير للإمام الرازى : المسئلة الخامسة : الضمير فى « مثله » إلى ماذا يعود ؟ فيه وجهان : أحدهما أنه عائد إلى مافى قوله مما نزلنا : أى فأتوا بسورة مما هو على صفته فى الفصاحة وحسن النظم . والثانى : أنه عائد إلى عبدنا : أى فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا أميًّا لم يقرأ الكتب ، ولم يأخذ عن العلماء ، والأوّل مروى عن عُمر وابن مسعود ، وابن عباس والحسن وأكثر المحققين ، ويدل عليه وجوه : الأوّل : أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى باب التحدى لاسيماذكره فى يونس « فأتوا بسورة مثله » .

الثانى : أن البحث إنما وقع فى المنزل : لأنه قال : « وإن كنتم فى ريب مما نزّلنا على عبدنا فوجب صرفُ الضمير إليه ، ألا ترى أن المعنى : وإن ارتبتم فى أنّ القرآن مُنزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئا مما يماثله . وقضية الترتيب : لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال : وإن ارتبتم فى أن محمدا منزّل عليه فهاتوا قرآنا من مثله .

الثالث : أن الضمير لو كان عائدا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا ، وسواء كانوا أميّين أو عالمين محصلين . أما لو كان عائدا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك لا يقتضى إلا كون آحادهم من الأميين عاجزين عنه ، لأنه لا يكون مثل محمد إلا الشخص الواحد الأمى ، فأما لو اجتمعوا أو كانوا قادرين مثل محمد صلى الله عليه وسلم فلا ؛ لأن الجماعة لا تماثل الواحد ، والقارئ لا يكون مثل الأمى ، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى .

الرابع : لو صرفنا الضمير إلى القرآن ، فكونه معجزاً إنما يحصل لكمال حاله فى الفصاحة ، أما لو صرفناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكونه معجزا إنما يكمل بتقرير كمال حاله فى كونه أميّا بعيدا عن العلم ، وهذا وإن كان معجزا أيضا إلا أنه لما كان لا يتم إلا بتقرير توهّم من النقصان فى حق محمد صلى الله عليه وسلم كان الأوّل أولى .

الخامس : لو صرفنا الضمير إلى محمد صلى الله عليه وسلم لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن عمن لم يكن مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى كونه أميا ليس ممتنعا ، ولو صرفناه إلى القرآن لدلّ ذلك على أن صدوره عن الآدمى ممتنع ، وكان هذا أولى .

منقول من حواشي الـكشاف للقطب رحمه الله: إذا تعلق من مثله بسورة وقد تقدّم أمران : المنزَلُ والمنزَلُ إليه جاز أن يرجع الضمير إلى المنزّل وتـكون من للتبيين أو للتبعيض : أى فأتوا بالسورة التى هى مثل المنزل أو بسورة بعض مثله ، وجاز أن يرجع إلى المنزل إليه، وهو العبد، وحينئذ تـكون من للابتداء، لأنّ مثل العبد مبدأ للإتيان ومنشؤه، أما إذا تعلق بقوله فأتوا ، فالضمير للعبد، ومِن لا يجوز أن تـكون للتبيين لأن من البيانية تستدعى مبهما تبينه ، فتـكون صفة له فتـكون ظرفا مستقرا . وإذا تعلق بفأتوا تـكون ظرفا لغوا ، فيلزم أن يكون ظرف واحد مستقرا ولغوا، وأنه مُحِل ولا يجوز أن تـكون من للتبعيض، وإلا لـكان مفعولَ فأتوا لـكن مفعول فأتوا لا يكون إلا بالباء فلو كان مثل مفعول فأتوا ألزم دخول الباء فى من وإنه غير جائز فتعين أن تـكون من للابتداء ، فيـكون الضمير راجعا إلى العبد : لأنّ مثل العبد هو مبدأ الإتيان لا مثل القرآن ، وبهذا يضمحل وهم من لم يفرق بين فأتوا بسورة من مثل ما نزلنا وبين فأتوا من مثل ما نزلنا بسورة. انتهى.

***

لجامعه رحمه الله تعالى :

وثقتُ بعفو الله عـــنّىَ فى غد ... وإن كنتُ أدرى أننى المذنبُ العاصى

وأخلصتُ حُبّى فى النـــبىّ وآله ... كفى فى خلاصى يوم حشرىَ إخلاصى

تمّ الجزء الثانى من الـكشكول

ويليه الجزء الثالث ، وأوله

بسم الله الرحمن الرحيم : قال سيد البشر ،

والشفيع المشفع فى المحشر الخ

فهرس

الجزء الأول من الكشكول

الصفحة — الموضوع

انظر بقية الصفحة

الصفحة | الموضوع

(العتاب)

(العذل)

---

(١) هى القصيدة المسماة « وسيلة الفوز والأمان ، فى مدح صاحب الزمان » ويعنى به المهدى المنتظر ، وهى التى شرحها الأستاذ المنينى شرحا لطيفا ، انظر الشرح فى آخر الكتاب .

الصفحة	الموضوع
	« قالت هريرة لما جئتُ زائرَها وبلى عليكَ وويلى منك يارجُل »
٥٥ ، ٥٦	عشرة أبيات متفرقة .
٥٧	خمسة أبيات ، أولها :
	« إذا حرّكَ الوَجْد السماعُ فإنه مباحٌ وإلّا فالسماعُ حرام »
٥٧	سبعة أبيات متفرقة فى معان مختلفة
٦٩	ستة أبيات متفرقة فى معان مختلفة
٧٠	عدد أسماء الأنبياء المذكورين فى القرآن
٧٠	لفظة إنسان تطلق على المذكر والمؤنّث
٧٧	معنى قول مجنون ليلى :
	« أصلّى فلا أدرى إذا ماذكرتُها أثنتين صلّيتُ الضّحى أم ثمانيا »
٨٤	بيتان كتبا على مروحة من خوص النخل ، أولهما :
	« أنا من نخلة تُجاور قبرًا ساد من فيه سائرَ الناس طُرّا »
٨٦	تحقيق لقاء أبى يزيد البسطامى بجعفر الصادق
٨٦	فى استخراج الاسم المضمر
٨٧	« العدد «
٩٥	ثلاثة أبيات ، أولها :
	« فيك يا أغلوطَةَ الفكـــر غدا الفكرُ عليلا »
٩٦	كتب ملك الروم إلى عبد الملك يتهدده ، فأجابه
٩٦	تسعة أبيات إجازة لبيت قبلها ، أولها :
	« فطيّبَ ريّاها المقامَ وضوّأت بإشراقها بين الحطيم وزمزما
٩٧	تسعة أبيات للشيخ محيى الدين الجامعى ، أولها :
	« فضاء فضاء المأزمين وفاض من شذاها ثرى أم القرى فتبسّما »

الصفحة الموضوع

رقم الايداع : ٩٨/١١٤٧٠

شركة الأمل للطباعة والنشر

الكشكول، للأستاذ بهاء الدين العاملى من أحسن الكتب المؤلفة فى الأدب، وهو نسيج وحده، وفريد نوعه، جمع من فنون الأدب، ورقائق الشعر ما لم يجمعه غيره من الكتب.

وهو الثانى من نوعه من مؤلفات الأستاذ العاملى. أما الكتاب الأول فهو « المِخْلاة » وهو على نمط الكشكول فى جمع المتفرقات. وقد ألف الكشكول فى مصر.

ومما يلفت النظر أن الأستاذ العاملى قال فى مقدمته للكشكول: إنه لم يذكر فيه شيئا مما ذكره فى المخلاة. وهذه مقدرة للعاملى لا شك أنها تدل علي تبحره فى العلوم، وسعة اطلاعه علي دقيق مسائلها . وذهنٍ صاف استطاع به أنه يجمع من مختلف المسائل ما يرقق القلوب، ويشنّف الأسماع، ويهذّب النفوس.

شركة الامل للطباعة والنشر

الثمن : خمسة جنيهات